كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵔⵜ ⴰ ⵜⵜⴰⵎⵓⵔⵜⵉⵜ ⵜⵉⵏⴰⵙⵜⵉⵜ
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مَرْكَزُ دِرَاسَاتِ الدُّكتُورَاه فِي الآدَابِ وَالعُلُومِ الإِنسَانِيَّة
التَّكوِينُ: اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ وَعُلُومُهَا

جامعة السلطان مولاي سليمان
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵙⵓⵍⵟⴰⵏ ⵎⵓⵍⴰⵢ ⵙⵍⵉⵎⴰⵏ
Université Sultan Moulay Slimane

مفهوم الرحمة

في القرآن الكريم والحديث الشريف

دِرَاسَةٌ مُصْطَلَحِيَّةٌ وَتَفْسِيرٌ مَوْضُوعِيّ

أُطْرُوحَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاه فِي الآدَابِ وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّة

شُعْبَةُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدَابِهَا - تَخَصُّص: لِسَانِيَّات

الطَّالِبُ البَاحث:
نَصِيفٌ مَوْلِدَة

الأُستَاذُ المُشْرِف:
الدُّكتُور مُحَمَّد أزْهَرِيّ

السَّنَةُ الجَامِعِيَّة:
2021- 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أُهدِي ثمرة جهدي إلى أمي الغالية، أمدَّ الله ﷻ في عُمُرها وبارك في صحتها ومتعها متاع الصالحين، فما فتئت تدعو لي آناء الليل وأطراف النهار بالتوفيق والسداد، والنجاح والفلاح، فاللهم وفقْني لبرِّها، وارزقْني رضاها، وأدخلني الجنةَ التي تحت قدميها، يا أرحم الرَّاحِمين.

وأُهدِي ثواب عملي إلى روح أبي العزيز، تغمَّده الله برحمته الواسعة وجمعنا به في دار كرامته، فقد وصَّاني بكتاب الله ما دمت حيًّا، وربَّاني فأحسن تربيتي. سقى الله ثراه شآبيب الرَّحمة والمغفرة والرِّضوان، وأفاض على مضجعه سحائب الجود والعفو والإحسَان.

وأهدي نتائج بحثي إلى الذين مهَّدوا لي طريق العلم والمعرفة: شيخي المربي ومنَار دربِي الشيخ عبَّاس سليمان مُحَمَّد، والفقيه الشريف يحيى شريف عبده، والأستاذ حاجي أحْمد، وإلى الذين آثروني على أنفسهم: أشقائي الفضلاء، وزملائي الأوفياء، وأصدقائي الأعزاء.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع، ولهم مني كل الحب والتقدير والاحترام.

شُكر وتقدير

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى شيخي سعادة الدكتور محمد أزهري حفظه الله الذي أشرف على هذا البحث، ورعاه بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة، وتتبع مراحل إنجازه بالقراءة والتصحيح، حتى يستوي على سوقه، ولَم يزل فيَّاضاً معطاءً. ولقد كان لخبرته الطويلة، ومراسه المتواصل في البحث العلمي أثرٌ كبيرٌ في إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود؛ فقد فتح لي قلبه وأعطاني من وقته الثمين، وعاملني بخُلُقٍ كريمٍ عالٍ، وسهَّل لي كثيرا من العقبات سهل الله ﷻ طريقه إلى الجنة، وجزاه عني خير ما جزى به شيخاً عن تلميذه، آمين.

كما أشكر القائمين على أمر هذا الصرح العلمي: إداريين وأساتذة وموظَّفين على ما يقدمونه لطلبته من تسهيلات ورعاية وتوجيهات، خاصة الوافدين منهم من خارج المغرب ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 122]، وفي مقدمتهم رئيس جامعة السلطان مولاي سليمان، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، وجَميع مشايخي وأساتذتي الذين درَّسوني في الجامعة، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور مولاي إدريس ميموني الذي علمني الصبر والمثابرة في طلب العلم وتَحصيله، جزاه الله عني الجزاء الأوفى.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه خالص شكري وامتناني إلى أساتذتي الأجلاء، أعضاء اللجنة العلمية الموقرة الذين توَّجوا أطروحتي المتواضعة بتفضُّلهم واقتطاع جزءٍ من وقتهم الثمين لتحمُّل عناء قراءتِها وإثرائها بملاحظاتِهم العلمية المفيدة، وتكرمهم بمناقشتها وتعديلها وتصويب أخطائها، بإرشاداتِهم القيمة وآرائهم الصائبة، فأَفاضوا عليها من غزارة علمهم، وسعة اطلاعهم، لتَخْرُجَ بحلة تليق بمقام بَحثٍ علميٍّ خادمٍ لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وأسأل الله ﷻ أن يوفقهم لِما يُحبُّه ويرضاه.

كما لا يفوتني أن أنوه بالروح العلمية العالية التي لمستها من القائمين على شؤون مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بفاس التي فتحت أمامي مجالات وآفاقاً علميةً واسعةً سطرت آثارها على هذا البحث شكلاً ومضموناً.

وأوجه شكراً خاصًّا إلى الأستاذ الفاضل محمد شاكر الذي عاملني معاملةً خاصةً خلال إنجاز هذه الأطروحة؛ أدعو الله ﷻ أن يبارك في عمره ويُمتعه بالصحة والعافية. وأختم بالشكر لكل من مدَّ لي يد العون، فجعله الله سبباً في إنْجاز هذا العمل. والحمد لله في الأولى والآخرة.

مُقَدِّمَة

مُقَدِّمَة

1. **بين يدي البحث:**

الحمد لله ذي الرَّحْمَةِ الواسعة، كتب على نفسه الرَّحْمَةَ، ووسع كل شيء رَحْمَةً وعلمًا، والصلاة والسلام على من أرسله الله ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، الرَّحْمَة المهداة، والنعمة المسداة، وعلى آل بيته الكرماء وصحابته الرُّحَمَاء، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم المغفرة والمَرْحَمَة، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو تلك المعجزة الإلهية التي سطر المسلمون على هديها أمجادهم الكبرى، ومثلت لَهم منذ نزوله وحتى يومنا هذا نبراساً مشعاً لإسعاد بني الإنسان وسموهم. ولأنها معجزة خالدة، فقد تولى الله ﷻ حفظها مصداقا لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾، فجعلها تحظى بقدسية واهتمام بين المسلمين، باعتبارها الوحي الإلهي والدستور الرباني الرفيع الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾، يستمد منه المسلمون تعاليمهم الشرعية، وقوانينهم العامة في كافة مجالات حياتِهم، وأمور معاشهم. فتولدت عن اهتمامهم بِها علومٌ كثيرةٌ خادمة لها، في بناء الأمة الإسلامية على قواعد سليمة وأسس متينة.

ولئن كانت إقامةُ الدين رهينةً بفهمِ القرآن الكريم فهماً سليماً وإدراكِ دلالاته إدراكاً تامًّا، فإن فهمَ ألفاظه لَهو أولى الأولويات، كما أن فهمَ الخطاب القرآني رهين بفهم السُّنَّة البيان؛ إذ كان أوَّلُ من عمل على بيان معاني القرآن الكريم للناس هو النبي ﷺ الذي كلَّفه الله ﷻ بذلك قائلاً: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾، فكانت أقوالُه وأفعالُه ﷺ بياناً وتطبيقاً كاملاً لِما جاء في كتاب الله ﷻ، فصار خُلُقُه ﷺ قرآناً. ولكي يُتَوَصَّل إلى المفاهيم القرآنية، فإنَّ الأمرَ يَتَطَلَّبُ ضبطاً دقيقاً من خلال منهجٍ علميٍّ صارمٍ، ذي أُسُسٍ معرفيةٍ راسخةٍ، وخطواتٍ واضحةٍ ثابتةٍ، وأدواتٍ علميةٍ مُكْتَملةٍ، ذلك بأنَّ المفاهيم القرآنية ليست كسائر المفاهيم، بل هي مستودعات كبرى لِمعاني ودلالات تُشكِّلُ وحدةً كلِّيَّةً لا تتجزأ؛ إذْ إنَّها عبارةٌ عن شبكةٍ ومنظومةٍ بينها من الوشائج والترابط، والوحدة والتكامل ما يَجعلُ كلَّ مفهومٍ يستمدُّ من المفهوم الآخر، ولِهذا يستحيل أن يُدرسَ مفهومٌ ما منفردًا منفصلاً عن المفاهيم الأخرى. وهذا يشير إلى أن المفاهيم القرآنية تُحدِّدُ تصورًا معيَّنًا، لتنتقل بعده إلى الوحدات الجزئية المنضوية تَحت هذه الوحدة الكلية. ولعل منهج الدراسة المصطلحية هو الأقدر على فكِّ عُرى هذه الشبكة المفهومية المترابطة.

ولئن كان شرف العلوم والدراسات يقاس بشرف موضوعها ومادتِها، والغرض منها، ومقدار حاجة العباد إليها، فإن الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف من أعظم الدراسات وأرفعها قدرًا، ذلك أن القصد منها تبين أنساق المفاهيم القرآنية الجزئية التي بِها يتبين النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم الذي به يتم الفهم الكلي للقرآن الكريم، ومن ثَمَّ يتم تَجديد الفهم، وبه يُرجى العودة إلى الطريق المستقيم، وإقامة الدين من جديد على النهج القويم، وبناء حياة كريمة آمنة مستقرة في الأرض، وتقوية النسيج الاجتماعي، وحفظ كرامة الإنسان فيها.

وفي هذا الإطار القرآني يأتي الاهتمام بِموضوع الرَّحْمَة نظريًّا وعمليًّا، لأن الرَّحْمَةَ مقصِدٌ ضروريٌّ، لا بد منه لِمعالجة أمراض الأمة الفكرية والأخلاقية، وإعادة بناء شخصية المسلم على أسس سليمة تعيد للأمَّة الإسلامية عزَّها ومَجدَها وشهودَها الحضاري في نفسها وفي علاقتها مع البشرية جَمعاء. ومن ثَم، فإن ما يُلاحظ من عدم الإيثار والتراحم والتعاطف في هذا الزمن الذي باتت البشرية تعيش فيه معيشة الضنك والبغضاء والبغي يدفع إلى تجديد الفهم في مُصطلح الرَّحْمَة، وذلك بأن (مفهومَ الرَّحْمَة) مفهومٌ قرآنيٌّ عميقٌ، ذو أبعادٍ معرفيةٍ شرعيةٍ، وأخلاقيةٍ اجتماعيةٍ، تتعلق بالنفس البشرية وتتسع لتشمل حركة الانسان في حياته كلها بجميع جوانبها الخاصة والعامة. ومن هنا، أدركنا أن (الرَّحْمَةَ) تشكل ظاهرةً تستحقُّ دراسةً مصطلحيَّةً دقيقةً، وتفسيراً موضوعيًّا.

2. **موضوع البحث:**

إن موضوع البحث كما يبدو من عنوانه: «**مفهوم الرَّحْـمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسةٌ مُصطلحيَّةٌ وتفسيرٌ موضوعيٌّ**» هو دراسة مفهوم الرَّحْمَة في القرآن والحديث؛ دراسة وصفية تحليلية تكشف عن واقعه الدلالي في اللغة وفي الاستعمالين القرآني والحديثي، وما يُميزه عن غيره من خصائص وصفات، وما يربطه بغيره من علاقات، وما يتَوَلَّدُ عَنهُ من ضمائم، وما ينتمي إليه من مشتقات، وما يثيره من قضايا ومسائل، وذلك تبعاً لِما يَرْسُمُه منهجُ الدراسة المصطلحيَّة من قواعدَ وإجراءاتٍ في التَّبَيُّنِ والبَيَانِ، أي: في التحضير والتحرير.

وعليه، فإن الإشكالية الكبرى التي اهتم بِها هذا البحث هي: تَحديد مفهوم الرَّحْمَةِ بشكل يكشف عن واقعه الدلالي والمعنوي في القرآن والحديث من جانبيه الجزئي والكلي، وعن موقعه من المفاهيم المرتبطة به، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص؛ أي تشخيص كل ما له صلة بالرَّحْمَةِ في المتن المدروس وبلورته وبيانه، بغية تَمثيل الرؤية الكامنة فيه والفلسفة التي تؤويه.

3. دوافع اختيـار الموضوع:

وأما الدوافع التي حدت بي إلى اختيار هذا الموضوع، ودراسة هذا المفهوم دراسةً مصطلحيَّةً وموضوعيَّةً دونَما عداه من مفاهيم قرآنية وحديثية، فيمكن إجمالُها في خمسة دوافع وما يتصل بِها:

أوَّلُها: دافعٌ تعلُّميٌّ؛ وهو الرغبة في الاستفادة والاستزادة من العلم في الدراسات العليا، وخاصة في جانب المستجدات العلمية والمنهجية، والسعي إلى التمكن من اقتحام عقبة الدراسة المصطلحية ومنهجها السديد في دراسة المفاهيم والمصطلحات العلمية، خاصة المفاهيم القرآنية والحديثية، اقتناعاً بأن الفهم الصحيح لِمصطلحات الوحي، كمفهومِ (الرَّحْمَة) على سبيل المثال، هو المفتاح الذي به تُحَلُّ أقفالُ القلوب، لتدبر خطاب الله ﷻ والعمل بِما فيه من أحكام وشرائع.

ثانياً: دافعٌ دعويٌّ؛ يتمثل في الإسهَام في تقويم المفاهيم الدخيلة على الأمة بناء على المصطلح الأصل، والإسهام في توضيح دائرتِها المنحصرة بسبب التصورات الضيقة المتوارثة عن عهود الجهل والانحطاط وضبطها وتوسيعها، ومن ثَمَّة دفع الشبهات التي وُجهت للإسلام بأنه دينُ الإرهاب والتطرف والتعصب، والتأكيد على أن الإسلامَ دينُ الرَّحمَةِ والوسطيَّةِ والانفتاحِ والسلامِ.

ثالثاً: دافعٌ علميٌّ أكاديميٌّ؛ يتجلى في أن البحوثَ التي تناولت موضوع (الرَّحْمَة)، تناولته بِمناهج لَم تُمَكِّنْ من الاستقراء الشامل لنصوصه، ودراستها وتَحليلها واستخراج كنوزها بدقَّةٍ، ورُبَّما حاد بعضُها حتى عن المنهج العلميِّ والأمانة العلمية، الأمر الذي دفعني إلى خوض غمار البحث في هذا الموضوع بمنهج الدراسة المصطلحية، مستعيناً بِجهود السابقين من الباحثين فيه، وبِمُحاورة بعض مؤلفات أولي العزم من العلماء والخبراء والدارسين والمهتمين بِمجال المصطلحية لبيان مدى قدرة منهج الدراسة المصطلحية في ضبط مصطلح الرَّحْمَة كبقية المصطلحات الشرعية.

رابعاً: دافعٌ ذاتِيٌّ حضاريٌّ؛ يظهر في رغبتي في استثمار الرصيد المعرفي الذي راكمته خلال السنوات الدراسية، من المكتسبات اللسانية والمنهجية والآلية، لخدمة الدين من خلال ضبط مصطلحاته، وتقريب مفاهيمه، والاقتباس من نوره، للوصول إلى فهمه، وإزالة غشاوة الأبصار، وكسر أقفال القلوب، ومن ثَمَّ العمل بتعاليمه على الوجه الصحيح، ولما كان مصطلحُ (الرَّحمَة) من المصطلحات الكليَّةِ الأصول التي يتأسس عليها الدين، وكانت الحاجةُ لدراستها دراسةً علميَّةً جادَّةً بِمنهجٍ علميٍّ جادٍّ أَمَسِّ، فإن اختياري لِمفهوم الرَّحْمَة موضوعاً لِهذه الدراسة لَمحض الصواب.

4. الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

بعد البحث والتدقيق والتحري في أغلب البحوث والدراسات العلمية للمتقدمين والمتأخرين لَم أقف على دراسة تناولت هذا الموضوع: «**مَفْهُومُ الرَّحْمَة في القُرْآن الكَرِيم والحَدِيث الشَّرِيف: دراسةٌ مصطلحيَّةٌ وتفسيرٌ موضوعيٌّ**»، وإنَّما جلُّ ما وقع عليه نظري مِمَّا حَمل مصطلح «الرَّحْمَة»[1] أو بعض مشتقاتِه[2] لا يهدف أصلا إلى درس الموضوع درساً مصطلحيًّا متخصصاً، في القرآن الكريم والحديث الشريف، وإنْ أفاد فيه وعرض لبعض نواحيه. وثَمة جهود علمية متخصصة بِجانب الرَّحْمَة، لكنها على ما فيها من فوائدَ جَمَّةٍ، اهتمت بنواحي الأخلاق الإسلامية والسلوك الإنسانية، باعتبار أن الرَّحْمَةَ خلقٌ من الأخلاق الاسلامية، وصفة لازمة لشريعة الإسلام، وللرسول محمد ﷺ، وإحدى خصائص التشريع الإسلامي ودعائمه الكبرى.

ومن أبرز هذه البحوث: بُحوث المؤتَمر الدولي عن الرَّحْمَة في الإسلام الذي نظمه قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بِجامعة الملك سعود، بِمدينة الرياض المملكة العربية السعودية، بتاريخ: 28 و4/29/ 1437هـ، الموافق: 7 و2/8/ 2016م. وقد أصدر المنظمون اثني عشر مجلداً تَحتوي على جَميع البحوث المحكمة المشاركة في المؤتَمر، بلغت مائة واثنين وثلاثين بَحثًا، ويبلغ عددُ صفحاتِها ستةَ آلاف وخَمسمائة وخَمساً وستين (6565) صفحةً تَحديداً. وفيما يلي قراءة وصفية، وملاحظات نقدية لمضامين البحوث في مجملها.

- **قراءة وصفية لِمضامين البحوث:**

1. أهداف المؤتَمر:

نُظِّم المؤتَمر الدولي عن الرَّحْمَة في الإسلام بِهدف إبراز المعاني والمقاصد السامية للرحمة في الإسلام، ورصد التطبيقات العملية للرحمة في الشريعة الإسلامية، والتعرف على جوانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ، وتأصيل خلق الرحمة في التعامل من خلال النصوص الشرعية في القرآن والسنة، وبيان الرحمة بالخلق في الإسلام من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية.

---

(1) مثل كتاب: «**الرَّحْمَةُ الإلَهِيَّةُ: دراسةٌ قرآنيَّةٌ**»، رسالة ماستر قدمها عمران عزت يوسف، في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح سنة 2009م.

(2) منها كتاب: «**الرَّحْمَنُ الرحيم**»، لعبد الرزاق نوفل، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر القاهرة، سنة: 1973م.

2. **مَحَاوِرُ المؤتَمر:**

◊ المحور الأول: تأصيل خلق الرحمة في الإسلام.

♦ الرحمة في القرآن الكريم.

♦ الرحمة في السنة النبوية.

◊ المحور الثاني: الرحمة بالخلق في الإسلام من خلال العقائد الإيمانية.

♦ المعرفة لأسماء الله وصفاته ومحابه ومراضيه والتقرب إلى الله بذلك وطلب رحمته ورضوانه.

♦ المنهج الشرعي في التعامل مع الحقائق الغيبية، وبيان أوجه الرحمة فيها.

♦ منهج الصحابة رضي الله عنهم في الترغيب بِما أعده الله لعباده من الرحمة، والتحذير من ضده.

◊ المحور الثالث : الرحمة بالخلق في الإسلام من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية.

♦ أوجه الرحمة في تشريع العبادات الشرعية.

♦ المقارنة بين رحمة التشريع الإلهي والتشريعات الكتابية المحرفة أو التشريعات الوضعية.

♦ الرحمة بالخلق في تطبيق الشعائر التعبدية بلا إفراط ولا تفريط.

◊ المحور الرابع : الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ ورحمته بأمته.

♦ رحمة الرسول ﷺ: بأصحابه رضي الله عنهم.

♦ رحمة الرسول ﷺ: بأمته وطلبه من ربه التخفيف في الشرائع.

♦ رحمة الرسول ﷺ: بأمته من بعده.

♦ رحمة الرسول ﷺ: بالمخالفين.

♦ رحمة الرسول ﷺ: بالحيوانات والطير وسائر الخلق.

◊ المحور الخامس : نماذج وتطبيقات المسلمين للرحمة مع المسلمين ومع غير المسلمين.

♦ نَماذج لرحمة المسلمين بعضهم بعضاً.

♦ تطبيقات المسلمين للرحمة مع المخالفين لهم في أثناء دعوتهم إلى الإسلام.

♦ تطبيقات المسلمين للرحمة في إغاثة الملهوف ونجدة المكروب.

وعند قراءة مضامين هذه البحوث تبرز ملاحظات كثيرة، يُمكن إجْمَالُها في النقاط الآتية:

أولاً: الاهتمام بالتعريف؛ حيث حاولت جَميعُ البحوث أن تعرف الرَّحْمَة لغة واصطلاحا.

ثانياً: الاهتمام ببعض المعطيات الإحصائية، كإبراز حجم ورود الرَّحْمَة وشكله ومشتقاتِها.

ثالثاً: الوقوف عند الفروق اللغوية لبعض مشتقات الرَّحْمَة، كالفرق بين الرَّحْمَن والرحيم.

رابعاً: الوقوف عند بعض العلاقات في سبيل إبراز الفروق الدلالية التي بين الرَّحْمَة وبعض المصطلحات الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف، كالرأفة، والمودة، واللين، والعفو.

خامساً: الاهتمام ببعض القضايا المتعلقة بالرَّحْمَة بغية إبراز قيمتها في البناء الحضاري، ودورها في تجاوز إشكالات الواقع المعاصر.

سادساً: إيراد بعض آثار الرَّحْمَة، وموجباتِها، وموانع حصولِها من النصوص المدروسة وخارجها، كإبراز مظاهر الرَّحْمَة من خلال سيرة النبي المصطفى ﷺ.

- **ملاحظات نقدية:**

وقبل، نشير إلى أن هذه البحوث إضافةٌ مهمَّةٌ في تأصيلِ خلق الرَّحْمَة في الإسلام ونشرِه، وأنَّها تسهم بشكل ملحوظ في تصحيح الصورة النمطية المغلوطة عن الإسلام وعن خلق الرَّحْمَة في الإسلام، وذلك من خلال التركيز على الجوانب العلمية والعملية لترسيخ ذلك الخلق العَظيم. وقد صرح بذلك رئيس اللجنة المنظمة للمؤتَمر، الأمير الدكتور سعود سلمان بن محمد آل سعود، قائلا: «وهذه الأبحاث المقدمة للمؤتَمر والتي تعد معلمة للرَّحْمَة في الإسلام نظرا لأهَمِّيتها، ولِما لَهَا من قيمة كبرى في موضوعها على اعتبار أنَّها بُحوث عميقة مُحكَّمَة مراجَعَة علميًّا وشرعيًّا، كما أن مضامين هذه الأبْحَاث مادة عميقة تتناول الرَّحْمَة في الإسلام»[1].

والناظر في ثنايا هذه البحوث بنظرة ثاقبة فاحصة لِمفرداتِها، يكشف الملاحظات الآتية:

أولاً: اهتمامُ الباحثين بالتعريف دليلٌ على وعيهم بأهميته، إلا أنَّ خلو البحوث من تعريف جامع متضمن لمختلف السمات الدلالية لمفهوم (الرَّحْمَة)، يوحي بأنَّهم لَم يدرسوا النصوص بشكل جيد؛ فلم يوفوا المصطلحَ من الدراسة المعجميَّة والنصيَّة والمفهوميَّة حقه. وهذا جليٌّ من خلال تعاريفهم للمصطلح لغة واصطلاحا، حيث يظهر عدم الاستقراء الجيد للمعاجم اللغوية والاصطلاحية، وعدم التعامل مع النصوص بشكل مباشر، والاكتفاء بِجهود بعض الدارسين فقط.

(1) من تقديمه لأعمال المؤتَمر: 7/1.

ثانياً: استخدام الباحثين للإحصاء دليلٌ على وعيهم بأهميته، وإن كان شرط الاستقراء التام غير متوفر بالشكل المطلوب. مِما أثر سلبا على الاستيعاب الدقيق لموارد المصطلح حجماً وشكلاً.

ثالثاً: عدم التفات الباحثين مطلقا إلى دراسة الصفات (المصنفة، والمبينة، والحاكمة) دليل على عدم استشعارهم لأهَميتها في دراسة المصطلح باعتبارها عناصر مُحددة للمقومات الذاتية للمفهوم.

رابعاً: أشار الباحثون إلى بعض العلاقات بشكل ضمني، وهذا دليل على إدراكهم لضرورتِها، إلا أن عدم الوقوف عند دلالاتِها الصريحة من السياق المقامي والمقالي للنصوص يوحي بعدم تدبر النصوص بالشكل المطلوب. ولعل مرد ذلك إلى غياب منهج صارم دقيق يؤطر البحث.

خامساً: تناولت بعضُ البحوث جانباً من القضايا ذات علاقة بِمفهوم (الرَّحْمَة) من قبيل الأسباب والموانع، والمصادر والمظاهر، وغيرها، لكن لَم يوفوها من الدراسة والعرض حقوقها، وذلك أنَّها تَخلو من الدقة في الاستيعاب والتحليل والتعليل، والموضوعية في تناول المادة العلمية الواردة في المتن المدروس، مِما نتج عنه انعدام الدقة في التصنيف، وحسن الترتيب في العرض.

سادسا: لا أحد من هؤلاء الباحثين طبق – ولو بشكل ضمني – منهج الدراسة المصطلحية بأركانه الخمسة، الأمر الذي أظهر في بُحوثهم فجوات كثيرةً كان من الممكن ملؤها لولا غياب الاستقراء التام للنصوص، والاطلاع على المعاجم بالطريقة العلمية الصحيحة، ودراسة الموارد نصًّا نصًّا بصورة تشريحية، ومحاورة المفهوم بدقة واستقصاء، ومن ثَمَّ عرض نتائجها على ترتيب حسن.

وخلاصة القول: إن نظرةً موجزةً في هذه البحوث لتكشف عن غيابِ منهج الدراسة المصطلحية، بيد أنَّها تَحتوي على فوائد ثَمينة على مستوى التوجيه التربوي، والتهذيب الأخلاقي، وتأصيل القيم الإسلامية في المجتمع وترسيخها من خلال إبراز معاني الرَّحمَة في الإسلام ومقاصدها. لذا نقدر ونُثَمِّن جهودَ هؤلاء الباحثين جزاهم الله عن الأمة خيراً، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه البحوث عبارة عن مقالات علمية موجزة ذات قصد توجيهي تربوي، فكان الانتقاء فيها أكثر من الاستقصاء، في سبيل تَحقيق أهداف المؤتَمر، والتقيد بمحاوره، واستطلاع آفاقه.

ومن ثَمَّ فإن الجديد في دراستي هذه يتمثل في كونِها دراسةً مُصطَلَحِيَّةً، ومادة موضوعها، هي نصوص الوحي قرآناً وسنةً، والهدف منها تكوين بطاقة هوية لِمصطلح (الرَّحْمَة) في نصوصه بشكل يكشف عن واقعه الدلالي، ويُحدد مقوماته، ويُجلي علاقاته وامتداداته، ويبسط موضوعاته.

5. المنهج المعتمد في تناول البحث:

المنهج المعتمد في البحث يستمد روحه وأدواته من منهج الدراسة المصطلحية، كما صاغه العلامة الدكتور الشاهد البوشيخي، وتبناه معهد الدراسات المصطلحية أولاً، ثم مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، بعد ذلك؛ وهو منهجٌ وصفيٌّ تحليليٌّ، يقوم على الاستقراء والتصنيف فالتحليل ثم التركيب، وذلك عبر خَمس مراحل أساسية مترابطة، اصطُلح على تسميتها بأركان منهج الدراسة المصطلحية. أما كيفية تَنْزِيل المنهج على واقع البحث في مفهومِ الرَّحْمَةِ في القرآن الكريم والحديث الشريف وفق أركانه الخمسة، فقد تَم عبر مرحلتين اثنتين:

أ. مرحلة التحضير (التبين):

وهي أهم مرحلة في الدراسة المصطلحية؛ إِذ فيها تمت الدراسة المعمَّقة لمصطلح الرَّحْمَة، والغاية المقصودة في هذه المرحلة، هي تَحضير المادة العلمية التي عُرضت في فصول هذا البحث، وقد قامت على أربع محطات كبرى، وهي:

1. **الدراسة الإحصائية:**

♦ إحصاء ألفاظ الرَّحْمَة في القرآن الكريم من سورة الفاتِحة إلى سورة الناس، اعتماداً على القراءة التتبعية التفصيلية – لا الإجمالية – للقرآن الكريم آيةً آيةً، ثُمَّ الاطلاع على المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، حيث تَمَّ جرد كل المشتقات المنتمية إلى الجذر اللغوي والمفهومي للرَّحْمَة، سواءٌ أكان مفرداً أم مركباً، اسماً أم فعلاً أم مصدراً، معرفاً أم منكراً.

♦ إحصاء الأحاديث النبوية الصحيحة التي ورد فيها لفظ الرَّحْمَة أو أحد مشتقاتِه، بالطريقة المتبعة سابقاً، وذلك من خلال الكتب التسعة، وهي: صحيحا البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه، والدارمي، ومسند أحمد، وموطأ مالك، وتَمَّ التركيز على ما ثبت فيها من كلام رسول الله ﷺ دون غيره ككلام الصحابة رضي الله عنهم، وكلام التابعين، وسواهم.

♦ إحصاء التعاريف والشروح التي شُرحت بِها نصوص (الرَّحْمَة)، عبر مختلف العصور، ولدى مختلف العلماء، في مختلف المظان؛ سواء أكانت معاجم لغوية واصطلاحية، أم كتب غريب وأشباه، أم كتب تفسير وشروح حديث، وغيرها من كتب الدارسين، من الذين عنوا بتحديد المصطلح المدروس (الرَّحْمَة).

♦ إحصاء القضايا والموضوعات العلمية التي يثيرها مفهوم (الرَّحْمَة)، داخل المتن المدروس.

واستصحابا لهذا الإحصاء الذي أجريته مرات عديدة من أجل التأكد من صحة المعلومات، وحسن تطبيق المنج، تم تصنيف النصوص والتعاريف والشروح المحصاة على النحو الآتي:

♦ صنَّفْتُ الآيات المتضمنة لألفاظ الرَّحْمَة بِحسب الصيغ الصرفية والتركيبية؛ بدءاً بالمصدر فالفعل الماضي، فالمضارع، فالأمر، ثمَّ الصيغ الاسمية: اسم الفاعل، والصفة المشبَّهة، واسم التفضيل، وصيغة المبالغة، واسم الذات. وبعدها، المركب الإضافي، فالوصفي، فالإسنادي، فالعطفي، مراعياً في ذلك ترتيب النُّزُول. كما صنَّفت المفاهيم حسب بنية المفهوم العامة، التي دلَّت عليها الرَّحْمَة. وعلى النهج ذاته، صنَّفتُ الأحاديث الصحيحة المحصاة.

2. **الدراسة المعجمية:**

♦ درست معنى (الرَّحْمَة) في المعاجم اللغوية والاصطلاحية المتوفرة، ورتبتها ترتيبا زمنيا، بَدءاً مِن أقدمها، مع تدوين أهمِّ ما فيها من المادة المعجمية التي تَهُمُّ المصطلح المَدروس، من حيث الاشتقاق الصرفي، ومن حيث الدلالات اللغوية والاصطلاحية المستفادة من الشروح والاستشهادات وغيرها، وانتهاءً بأحدثها مسجِّلاً أهمَّ ما أُضيف فيها، مركزاً على مدار المادة اللغوية لمصطلح الرَّحْمَة، والمأخذ اللغوي لِمفهومه الاصطلاحي، والشروح التي بِها شُرِح، وذلك لتمهيد الطريق إلى فقهه وتذوقه.

♦ سجلت التعاريف الواردة في كتب التفسير، وشروح الحديث، وغيرها بترتيب تاريخي.

♦ صنفت التعاريف المسجلة، والشروح اللغوية والاصطلاحية العامة، والتفسيرية، والحديثية، وغيرها من المؤلفات الدارسة للمفهوم، بتقديم الأقدم على الأحدث، والراجح على المرجوح، والأدق على المتساهل، والأقرب إلى المجال القرآني والحديثي للمفهوم على الأبعد منه. وملاحظة مدى تطور الدلالتين؛ اللغوية والاصطلاحية للفظ (الرَّحْمَة) عبر الحقب التاريخية، وذلك من خلال الشواهد الشعرية الجاهلية، أومن خلال تعاريف المصطلح في كتب التراث الإسلامي.

3. **الدراسة النصية:**

ولما كانت الدراسة النصيَّة هي عمود الدراسة المصطلحية؛ ما قبلها يُمهِّد لَها وما بعدها يؤسَّسُ عليها، فإنَّني قمت بدراسة مصطلح (الرَّحْمَة) وما يتصل به بكل نصوص القرآن والحديث؛ مستعيناً بكل ما يلزم لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف، من أدوات تَحليل الخطاب المقالية والمقامية والاستعمالية، ومعطيات الإحصاء الرقمية والشكلية، وإجراءات المنهج النظرية والعملية، ومعطيات الفهوم في مختلف المجالات العلمية، ولا سيما التفسير وشرح الحديث، والأشباه والنظائر.

4. **الدراسة المفهومية:**

♦ قمت بدراسة النتائج الجزئية والكلية المستخلصة من تفهم كل آيةٍ وحديثٍ على حدة، بتمعُّنٍ عميق من خلال ما جَمعته من التفاسير وشروح الحديث، والكتب الأخرى، ووازنت بينها، ثُمَّ صنفتها تصنيفاً مفهوميًّا تَجلَّى من خلاله خلاصة التصوُّر لمفهوم الرَّحْمَة في القرآن والحديث؛ وفق ما هو مبين في خطة البحث من تعريف، وصفات، وعلاقات، وضمائم، ومشتقات، وقضايا.

ب. مرحلة التحرير (البيان):

ويطلق عليها أيضًا العرض المصطلحي، وفي هذه المرحلة تَمَّ عرض كل الخلاصات والنتائج المتوصل إليها، سواءٌ أكانت نتائج الدراسة المصطلحية المرحلية، أم نتائج دراسة القضايا بالتفصيل. لذا، فهو الرُّكنُ الوحيد الذي يُرَى بعينه لا بأثره، ويظهر فيما عُرِض من الأركان المفهومية الآتية:

1. **التعريف:**

إذ هو جوهر الدراسة، وعليه يتوقف قوامها، وقد تَمَّ عرضه عبر مرحلتين أساسيتين:

أولهما: عرض نتائج الدراسة المعجمية، وذلك على الشكل التالي:

♦ عرض المعنى اللغوي للفظ الرَّحْمَةِ من خلال المعاجم، ورعَيْتُ في ذلك بيان المدار الذي عليه تدور مادة [ر.ح.م]، والمأخذ الذي منه أُخذ مفهومه، مع إبراز ما شُرح به في أصله اللغوي.

♦ عرض المفهوم الاصطلاحي العام للرَّحْمَةِ من خلال المعاجم الاصطلاحية وكتب التفسير، حيث ركزت على المفهوم الذي أبان الطريق الموصل إلى المفهوم الخاص للرَّحْمَةِ في المتن المدروس.

ثانياً: عرض التعريف الاصطلاحي القرآني والحديثي، وذلك على النحو الآتي:

♦ عرض وصفي لموارد الرَّحمَةِ في المتن المدروس، حيث عرضتُ نتائج إحصاء مواطن ورود المصطلح في القرآن الكريم والحديث الشريف، حجما وشكلا وزمنا، مع بيان الدلالات المستوحاة من هذا الإحصاء.

♦ عرض المعاني والدلالات الجزئية المستفادة من استقراء موارد الرَّحْمَةِ وتدبرها، وملاحظة سياقاتِ نصوصها، ومن ثَمَّ استخلاص تعريف جامع لتلك المعاني والدلالات، شامل لجميع السمات الدلالية للمفهوم، بشكل يبين التصور العام للمصطلح داخل المتن المدروس.

2. **الخصائص والصفات:**

وبِها تتقوم حقيقة المصطلح، ويتميز مفهومه عن غيره، وقد تَمَّ عرضها كما يلي:

♦ تحديد الخصائص المميِّزة للمصطلح، من حيث بيان درجة اصطلاحية (الرَّحْمَة)، وموقعها داخل نسقها المفهومي، والوظائف التي تؤديها في موقعها من خلال السياق القرآني والحديثي.

♦ بيان الصفات الحكمية التي أُلصقت بالرَّحمَة، من خلال الوقوف على ما جاء واصفاً لَها، وما جاء موصوفاً بِها. وقد تجلى من هذا العرض شخصية الرَّحمَة البارزة والمستقلة بمقوماتِها الذاتية.

3. **العلاقات:**

تَمَّ عرض العلاقات الواصلة لمصطلح الرَّحمَةِ بسواه، والفارقة له عن سواه، وذلك كما يلي:

♦ استقراء موارد العلاقة بتحريرها إذا كانت قليلة، أو الاكتفاء بالإشارة إلى مواضعها إذا كانت كثيرة، مع ذكر نظمها، وبيان سياقها المقالي والمقامي، وموازنتها بِما وُجد من نظائرها في الحديث الشريف، وتحليل أوجه الائتلاف والاختلاف بين مصطلح (الرَّحمَةِ) وغيره داخل نصوصه.

♦ تحديد نوع العلاقة الرابطة بين المصطلحين، مع بيان المستفاد منها بِحسب نوعها ومجالِها.

4. **الضمائم:**

إذ بِها ينمو المصطلح ويتسع مفهوميا من داخل ذاته، وقد تَمَّ عرضها على الشكل الآتي:

♦ دراسة الضميمة باعتبارها مصطلحاً جديداً، وذلك بتحديد مواردها ووصفها وتَحليلها، ومن ثَمَّ بيان مفهوم الضميمة بدراسة اللفظ المضموم إلى الرَّحْمَةِ أو المضمومة إليه الرَّحْمَةُ في اللغة والاصطلاح العام والاستعمالين القرآني والحديثي، ثُمَّ تعريف الضميمة، وتَحليل صفاتِها وعلاقاتِها إن وُجدت، والإشارة إلى مستفاداتِها ما أَمْكن.

5. **المشتقات:**

وبِها يتشعب المصطلح وينمو خارجيا، وقد سلكت في عرضها النهج السابق تقريباً، حيث أنزلتُ كلَّ مشتقٍّ منْزلةَ مصطلح جديد؛ فقمت بتعريفه في اللغة والاصطلاح العام، ثُمَّ في اصطلاح القرآن والحديث، على غرار ما فُعل بالمصطلح الأم: (الرَّحمَة)، وبعد ذلك تَمَّ عرض ضمائم المشتق.

6. **القضايا والموضوعات:**

وهي مجموع المستفادات المستنبطة من نصوص المصطلح وما يتعلق به، وقد تَمَّ عرض هذا الركن بتحديد كل قضية، وتَحليلها تَحليلاً يراعي حجمها وأهَمِّيتها وخصوصيتها، وفق إجراءات التفسير الموضوعي، الأمر الذي أسهم في بيان حقيقة المصطلح المدروس، وتوسعة دائرة مفهومه داخل المتن المدروس.

6. **خطة البحث:**

اقتضت طبيعة الدراسة ومنهجها أن تتألف خطة هذا البحث من مقدمة وبابين وخاتِمة.

المقدمة: تَحتوي على العناصر المنهجية الكبرى المتمثلة في موضوع البحث ودوافع اختياره، والدراسات السابقة له، وكذا منهج تناوله، وخطته، وصعوبات إنجازه.

الباب الأول: الدراسة المصطلحية، ويتكون من خَمسة فصول: الأول: تعريف لفظ الرَّحْمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف، والثاني: مقومات لفظ الرَّحْمَة في القرآن والحديث، والثالث: علاقات لفظ الرَّحْمَة في القرآن والحديث، والرابع: ضمائم مصطلح الرَّحْمَة في القرآن والحديث، والخامس: مشتقات مصطلح الرَّحْمَة في القرآن والحديث.

الباب الثاني: التفسير الموضوعي، ويضم فصلين: الأول: أنواع الرَّحْمَة وآثارُها في القرآن والحديث، والثاني: أسباب الرَّحْمَة وموانعها في القرآن والحديث.

الخاتِمة: خُصصت لتحصيل أهم النتائج العلمية التي أسفر عنها البحث.

7. **صعوبات البحث:**

أما الصعوبات التي اعترضتني وأنا أبحث في مفهوم الرَّحْمَة بِمنهج الدراسة المصطلحية، فمردها إلى ثلاثة أسباب؛ يتداخل فيها ما هو موضوعي يتعلق بِمجال الدراسة وبالمنهج المعتمد، وما هو ذاتي يتعلق بقلة كفاءتي العلمية والمنهجية.

فالصعوبات المتعلقة بِمجال البحث (المفاهيم القرآنية والحديثية) راجعةٌ لخصوصية الوحي: فالقرآن الكريم هو كلام الله المقدس، والمعجز ببلاغته ونظمه ولفظه، والحديث الشريف هو كلام خاتم الأنبياء والمرسلين، الصادق المصدوق، قال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]، مِمَّا يَجعل البحث فيه مغامرة معقدة غير مأمونة العواقب إذا لَم يتسلح الباحث بإيمان وإخلاص، وأمانة وتقوى، وبتكوين متين في العلوم اللغوية والشرعية.

(1) سورة النجم، الآيتين: 3- 4.

أما الصعوبات المنهجية فهي راجعة لجدة منهج الدراسة المصطلحية وصرامته، وقلة التمرس به وتطبيقه، وقد كان أول تَجربة لي مع هذا المنهج، بَحثي لنيل شهادة الماستر الذي عنوانه: «مفهوم الوصية في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية»، ولولا توفيق الله وملازمة أستاذي المشرف وحضوري للدورات التدريبية على المنهج، ما كان لِهذا البحث أن يرى النور بإيجابياته وسلبياته.

ولئن كان بعضُ الباحثين يعانون من قلة ما كُتب في مواضيع بُحوثهم، فإن الأمر يَختلف فيما يتعلق بالرَّحْمَةِ؛ إذ قيل فيها وكتب عليها الكثير، وإن كان ذلك قلَّ ما يفيد فيما نحن بصدده، من تدقيق في تحديد المفهوم، ورسم أبعاده وقضاياه من خلال النصوص، لذلك شوشت علي الكتابات في الموضوع كثيراً، كما أخذت مني الاستِطلاَعات الأولى في التفاسير وشروح الحديث وقتاً طويلاً، مردوده على البحث قليل. ومن أهم الصعوبات التي اعترضتني غزارة المادة العلمية، وشساعةُ المساحة التي تشغلها الرَّحمَةُ في القرآن الكريم والحديث الشريف، وارتباطُها بعدة مفاهيم، ودخولُها في كثير من الموضوعات، مِمَّا جعل تَحليل بعض القضايا عزيز المرام صعب المنال.

وختاماً، أحمد ربي ﷻ على ما مَنَّ به عليَّ من فضله ونِعَمِه؛ إذ هداني بتوفيق منه لدراسة كتابه المبين وسنة نبيه الأمين ﷺ، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، وللبحث في موضوعٍ طريفٍ ومُمتعٍ، يسهم في معالجة قضايا الأمة، حيث يهدف إلى تَبَيُّنِ مفهُوم الرَّحْمَة وبَيَانِه من خلال نصوص الوحي. فأسأل الله أن يغفر لي والحمد لله في الأولى والآخرة. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

كَشْفُ الرُّمُوزِ والاخْتِصَارَات ونِظَام الإِحَالَات

1. بيان الرموز والاختصارات

الرمز / الاختصار	دلالته
انظر/ ينظر (إلى جانب مصدر أو مرجع معين، في بداية الإحالة)	أعني بذلك أن هناك تصرفاً في كلام المؤلف.
وانظر/ وينظر (إلى جانب مصدر أو مرجع معين، في ثنايا الإحالة)	أعني بذلك أن ما ورد في المؤلَّف بعد كلمة «انظر»، قريب مما ورد في المحال عليه أولاً.
ــ (بين رقمين)	عارضة على يمينها رقم الصفحة التي بدأت بها الإحالة، وعلى شمالها رقم الصفحة التي انتهت بها.
ــ (بين رقمين)	عارضة على يمينها رقم الآية الأولى، وعلى شمالها رقم الآية الأخيرة.
/ (بين رقمين)	حاجز على يمينه رقم جزء الكتاب، وعلى شماله رقم الصفحة.
/ (بين كلمتين)	حاجز على يمينه اسم المعجم، وعلى شماله المادة اللغوية.
«نص»	مزدوجتان بينهما نص منقول نقلاً مباشر بدون تصرف.

2. نظام الإحالات

بالنسبة للمعاجم كتبت مختصرة؛ كالجمهرة عوض جمهرة اللغة، والمقاييس عوض مقاييس اللغة، والتهذيب عوض تهذيب اللغة، واللسان عوض لسان العرب، والأساس عوض أساس البلاغة، ونَحوها.

أما التفاسير وشروح الحديث فاكتفيت بكتابة العنوان الرئيس للكتاب دون ذكر اسم المؤلِّف لشهرته فأكتب مثلاً: الكشاف عوض الكشاف عن حقائق غوامض التنْزِيل للزمخشري، ونظم الدرر عوض نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، وفتح الباري عوض فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، وعمدة القاري عوض عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى...

وبالنسبة للآيات القرآنية اعتمدت في رسم الآيات وترقيمها على رواية حفص عن عاصم، من خلال مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، لِمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

أما الأحاديث النبوية فقد تم تخريجها بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث فضلا عن اسم الراوي، مثلا: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾، حديث رقم: 3194.

اقتصرت في كتابة الإحالات في الهوامش على ذكر عنوان المؤلَّف والصفحة، وإذا كان المؤلَّف مكوناً من أجزاء ذكرت رقم الجزء ورقم الصفحة فاصلاً بينهما بـــ: /، مع تقديم رقم الجزء، فأكتب مثلاً: عنوان المؤلَّف: 1/ 2، أي أن الشاهد يوجد في الجزء الأول، وفي الصفحة الثانية من الكتاب[1].

وإذا أحلت على كلام دون وضعه بين مزدوجتين، فيعني أن ذلك الكلام مستنبط من فهم المحال عليه.

(1) تفاصيل المؤلَّفات المتعلقة بأسماء المؤلِّفين والمحققين، ودور النشر والطبعات والسَّنَة، تركتها لآخر البحث في فهرس المصادر.

ٱلبَابُ ٱلأَوَّل

ٱلدِّرَاسَة ٱلمُصطَلَحِيَّة

تَوْطِئَة

لا خلاف بين أهل العلم أن المصطلحات مفاتيحُ العلوم، وهي من أهم الوسائل المعرفية لتبليغ المعلومات وإيصالِها. وواضح كل الوضوح أن فهم المصطلحات نصفُ العلم، ولا معرفة بلا مصطلح، لأن المصطلح هو الحامل للمضمون العلمي في اللغة، وأداة التعامل مع المعرفة، وأساس التواصل في مجتمع المعلومات، وبتعبيرٍ آخر: «المصطلحات هي علامات المعرفة، وسمات تعرف بِها العلوم، وهي ألوان مختلفة مفتوحة تنتظم بِها الحياة سكونا وحركةً، وتتعارف بِها الأجيال، وتتحاور بِها الحضارات، وتتقدم بِها الأمم»[1]. ولِهذا، نستخدم المفاهيم التي نعبر عنها بالمصطلحات لتنظيم الأفكار العلمية، وجَميع المعلومات الأخرى.

ولقد كانت بداية المعرفة الإنسانية منذ الخلق الأول بعلم الأسْمَاء (المصطلحات)، فكان الإنسانُ الأول (نبي الله آدم عليه السلام) منذ وجوده على سطح الأرض عالِماً بأسْمَاء الأشياء الموجودة في الكون كلها، بقدرة الخالق عز وجل، مصداقا لقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[2]. فكما أنه لا سبيل إلى معرفة أي مسمًّى دون ضبط اسمه، فكذلك لا سبيل إلى استيعاب أي علمٍ دون فهم مصطلحاته، ولا سبيل إلى تَحليل وتعليل ظواهر أي علمٍ دون فقه المصطلحات، وهنا يكمن دورها في بيان المعرفة؛ إذ في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغار العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة تَختزن كليات العلم، وفي الأنساق المصطلحية العامة تتمثل أشجار مفاهيم العلوم، وأشكال بنائها، ومن تلك الأنساق المتضمنة لِمعاجم العلوم، وأجهزتِها المصطلحية يُمكن استخلاص رؤيتها[3].

ولَمَّا كان القرآنُ الكريمُ نسقاً من المفاهيم، ولا سبيل إلى ضبط تلك المفاهيم إلا بدراسة مصطلحاته التي هي أوعيتها، ولَمَّا كان موضوعُ الدراسة هو مفهوم الرَّحْمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف، كان من البديهي أن نَجعل مدار الباب الأول منها على الدراسة المصطلحية، ونصبو من خلالِه إلى وضع بطاقة هويَّة مفصلة لِمصطلح الرَّحْمَة في الاستِعمالين القرآني والحديثي، ويشتمل الباب على خَمسة فصول تتضمن: التعريف والمقوماتِ والعلاقاتِ والضمائم والمشتقات.

(1) المصطلح في اللسان العربي: 4 - 5.

(2) سورة البقرة، الآية: 31.

(3) نظرات في المصطلح والمنهج: 15.

الفصل الأول

تعريف لفظ الرحمة في القرآن الكريم والحديث الشريف

تمهيد

يتبوأ التعريف في معمار الدراسة المصطلحية مكانة الحجر الأساس الذي تُبنى عليه كافةُ أعمدةِ البناء، وذلك أن التعريف هو الذي يحدد هويةَ المصطلح وهيكله العام؛ إذ يتضمن كل السمات الدلالية المكونة للمفهوم التي على أساسها تُبْنى سائرُ المقومات الذاتية، وتُشيَّد الامتدادات الاصطلاحية والمفهومية.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي، وعلى ما تقرر عند العرب من أساليب ومفاهيم في الكلام والتخاطب، وتَكلَّم الرسول ﷺ بالألفاظ التي كانت متداولة عندهم بدلالتها ومعانيها، ولما كان المعهود اللغوي يتغير بتغير الزمن، جريا على قانون التطور الدلالي الذي يطرأ على اللغات البشرية، فقد كان من الحتمي أن يتتبع البحث في «**تعريف لفظ الرحمة في القرآن الكريم والحديث الشريف**» الخطوات الآتية:

أولا: بحث مفهوم الرحمة في المعاجم اللغوية؛ إذ بمعرفة الواقع الدلالي للفظ في اللسان العربي، من خلال تحديد مدار مادته، ثم المأخذ الذي منه أُخذ، ثم دلالته اللغوية، يمكن فقه اللفظ وتذوقه، ومن ثم الكشف عن الدلالة التي منها تطور حتى بلغ مرحلة النضج في مجالات الاستعمال.

ثانيا: بحث مفهوم الرحمة في المعاجم الاصطلاحية، والقصد منه تتبع التطور الذي طرأ على لفظ الرحمة، لاسيما الدلالي والاستعمالي من معناه اللغوي إلى مفهومه الاصطلاحي في مجالات علمية مختلفة، دون إهمال الكشف عن الحد الفاصل بين الدلالة الاصطلاحية العامة والدلالة الاصطلاحية الخاصة.

ثالثا: بحث مفهوم الرحمة في اصطلاح القرآن والحديث، وذلك انطلاقا من موارده في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وتحليل دلالات تلك الموارد، ثم رصد معانيها الجزئية، وتصنيفها، للوصول في النهاية إلى استخلاص تعريف تُبنى عليه باقي مباحث الموضوع.

رابعا: وضع تعريف دقيق يحدد هوية المصطلح وهيكله العام، ويتضمن كل السمات الدلالية المكونة للمفهوم التي على أساسها ستبنى سائر المقومات والامتدادات.

ولبلوغ هذه الغاية جعلنا نظم الكلام في هذا الفصل على مبحثين: مدار الأول منهما على الخطوتين الأولى والثانية، وخُصص الثاني للخطوتين الثالثة والرابعة.

المَبْحَثُ الأوَّل
الدَّلالَة اللُّغَوِيَّة وَالاصْطِلاحِيَّة لِلَفْظِ الرَّحْمَة

۞ المطلب الأول: الدلالة اللغوية للفظ الرَّحْمَة:

المسلك الأول: مدار مادة لفظ الرَّحْمَة في اللغة:

تدور مادة: (ر.ح.م) في المعاجم اللغوية[1] على ثلاثة معانٍ، هي:

المعنى الأول:

(**الرَحِمُ**): رحم الأنثى، أي: «منبت الولد ووعاؤه في البطن»[2]، ورحم السِّقاء: قِربة الماء أو اللبن، وهي من حيث الدلالة الأصلية: «اتساعٌ في باطن الشيء المتضامّ أو أثنائه مع رقَّة وبلال»[3]؛ كاتِساع وعاء الجنين، وجلد السقاء مع رقتهما وبلالهما، فمن هذا سُمِّيت رَحِمُ الأنثى رَحِماً، لأنها «رِخْو رطب يتسع للجنين»[4]، وجمعُه الأرحام، يُقال: «رحِمَتْ المرأةُ رَحَامَة ورَحَماً، إذا اشتكت رَحِمها بعد الولادة»[5]. قَالَ عبيد:

أَعَاقِرٌ كَذَاتِ رِحْمٍ أَمْ غَانِمٌ كَمَنْ يَخِيبُ[6]؟

ومنه استعيرت (الرحم) للدلالة على علاقة القرابة، لكون أولي القربى خارجين من رحم واحدة[7]، فذو الأرحام: ذو القربى، ومنه قول الهذلي:

وَلَمْ يَكُ فَظًّا قَاطِعًا لِقَرَابَةٍ وَلَكِنْ وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ ذَا رَحِمٍ[8].

---

(1) المعاجم المعتمدة وهي: العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمفردات، والمقاييس، والمجمل، والمحكم، والأساس، والمختار، واللسان، والقاموس، والتاج، والمصباح، والمعجم الاشتقاقي.

(2) الجمهرة والمحكم والأساس/ رحم.

(3) قال الدكتور محمد حسن جبل معللا ذلك أثناء حديثه عن **معنى الفصل المعجمي** لمادة (**ر.ح**) وما يثلثهما...: «(**ر.ح**): الاتساع والانبساط مع نوع من الرقة، كما يتمثل في القدم الأرحّ مع رقة باطنه في (**رحح**)، وفي تخلخل الريح وخفتها وانتشارها، وانبساط الكف ونعومتها ودقة سمكها في (**روح**)، وفي اتساع الرحبة وخلوها في (**رحب**)، وفي صفاء الرحيق مع سهولته وعدم لذعه في (**رحق**)، وفي بعد مسافة المفارقة مع راحة الركوب في (**رحل**)، وفي اتساع مسامّ جلد السقاء وكيس الجنين مع بَلالهما في (**رحم**)». ينظر: المعجم الاشتقاقي/ رحم.

(4) المعجم الاشتقاقي/ رحم.

(5) الأساس واللسان/ رحم.

(6) البيت من البسيط، وهو لعبيد من الأبرص في ديوانه: 13؛ واللسان/ رحم.

(7) المفردات والأساس والوجوه والنظائر والمحكم/ رحم.

(8) البيت من الطويل، وهو لأبي خراش الهذلي في شرح أشعار الهذليين: 1224؛ والأساس/ رحم.

المعنى الثاني:

(**الرُّحْم**): مصدر، بمعنى «البِرُّ والحنان والشفقة»[1]، والعرب تقول: «ما أقرَبَ رُحْمَ فلانٍ، إذا كان ذا مَرْحَمةٍ وبرٍّ»[2]، أي ما أرحمَهُ وأَبَرَّهُ؛ أنشد الليْثُ:

أحْنَى وأَرْحَمُ مِنْ أُمٍّ بِواحِدِها رُحْماً وأشْجَعُ مِنْ ذِي لِبْدَة ضَارِي[3].

المعنى الثالث:

(**الرَّحْمَةُ**): مصدرٌ بمعنى «الرِّقَّة والتعطف»[4]؛ والفعل: رَحِمَه يرْحَمُه، أي: رقَّ له وتعطَّف عليه. ورحَّمَ عليه[5]: أي دعا له بالرَّحْمَة، واسترحَمَه: سأله الرَّحْمَةَ، وتراحمَ القوم: رَحِمَ بعضُهم بعضاً[6]، وقيل: مِن المجاز «رَحِمَهُ الله»[7]، والاسم: الرُّحْمَى؛ ومنه قول ابن نباتة:

---

(1) وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 81]، أي: أقرب رحْمة لوالديه، وبرا بهما وشفقة عليهما، جامع البيان: 67/18.

(2) العين والتهذيب والمحكم/ رحم.

(3) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في اللسان والتهذيب والعين/ رحم.

(4) الصحاح والمقاييس والمختار واللسان والتاج/ رحم.

(5) اتفق اللغويون على فصاحة: «رحّم عليه»، واختلفوا في «ترحّم عليه»، فمنهم من أجازها كالجوهري، في الصحاح/ رحم، والأزهري، في التهذيب/ رحم، ومنهم من ضعّفها كالزَّبيدي، في التاج/ رحم، ومنهم من اعتبرها لحنًا كالصيدلاني، نقل عنه الزبيدي، [التاج/ رحم]، وقال آخرون بأنها فصيحة، واستدلوا بما وردت في الشعر، منها ما أنشد محرز بن الفضل: **فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَكَلِّمْنِي الثَّرَى تَرَحَّمْ عَلَيْهِ إِنَّهُ قَبْرُ عَاشِقِ**. البيت من الطويل، وهو لمحرز بن الفضل أنشده لعبد الله بن المعتز، [اعتلال القلوب: 256/2]. وبما صرح به جَماعة من المحققين أنه وارد في الأحاديث الصحيحة، منها ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: «... **فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ**». [صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: 3685]. يُنظر: الصواب اللغوي/ رحم.

(6) شمس العلوم: رحم.

(7) اختلف العلماء في كون (**رحِمَهُ الله**) مجازا أو حقيقة، وهم في ذلك على ثلاثة اتجاهات: **الأول**: يجمع الزمخشري، والنسفي، والكفوي، ومن اقتفى أثرهم، حيث اعتبروا قول: «رحِمه الله»، من المجاز لأن الرَّحْمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات التابعة للمزاج النفسية، والله منَزَّهٌ عنها. فرحْمة الله: «مجاز عن إنعامه على عباده». يُنظر: الكشاف: 8/1؛ ومدارك التنزيل: 28/1؛ والكليات: 471. **الثاني**: يتزعمه ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومن سار على نَهجهما، ويرون أن رَحْمَة الله حقيقة ورحْمة المخلوق مَجاز عن رحْمة الله، واستدلوا بما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِن اسْمِي»، [سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، حديث رقم: 1694]؛ =

عَـرَفَ الـزَّمَانُ بِأَنَّنِي أَشْكُو إِلَى رُحْمَـاكَ عِدَّتَهُ فَعَاقَ عَنِ اللِّقَـاء[1].

واسم الفاعل: الراحم، بِمعنى: صاحب الرَّحْمة، واسم المفعول: المرحوم، بِمعنى: متلقي الرَّحْمة؛ قال العجَّاج:

قَـوْمـاً تَـرَى وَاحِـدَهُم صِهْمِيمـًا لا راحِـمَ النَّـاسِ وَلا مَـرْحُـومـًا[2].

وفي المبالغة: الرَّحْمَن: (فَعْلان)، بِمعنى: ذُو الرَّحْمَة الشاملة التي عمت الخلق جَميعا، ولا يلزم منه الدوام، كغضبان، والرحيم: (فَعِيلٌ)، بِمعنى: ذُو الرَّحْمَة الواسعة الدائمة، ويلزم منه الدوام كظريف، وجَمعه: رُحَمَاء، والاسمان مُشتَقَّان من الرَّحْمَة، وكلاهُما معدول عن راحِم للمبالغة[3].

وقد ميَّز ابنُ منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين رَحْمَة البشر ورَحْمَة الله، فقال: «الرَّحْمَةُ في بني آدمَ عند العربِ: رِقَّةُ القلب وعطفُه، ورَحْمَةُ اللهِ: عَطفُه وإحسانه ورزقُه»[4].

يُستخلص من التعاريف السابقة: أن الجذر «**ر.ح.م**» يرد في اللغة للدلالة على معان مختلفة، وهي: الاتِّسَاع مع الرقة والبلال في باطن الشيء، والبِرّ والحنان، والرقة والعطف، والإحسان والإنعام؛ لكن ابن فارس لا يفرق بين هذه المعاني، بل يرى أنها تتفرع من مادة واحدة ومعنى واحد: أي أن الرَحِم والرُحْم والرَّحْمَة وما اشتُق منها، مدارها على مادة واحدة (رحم)، ومعنى واحد (الرِّقة والعطف).

= ولهذا، «فإذا كانت أسماء الخلق المحمودة مشتقة من أسْماء الله الحسنى كانت أسماؤه يقينا سابقة، فيجب أن تكون حقيقة، لأن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، فيكون اللفظ قد سمي به المخلوق ثم نقل إلى الخالق، وهذا باطل قطعا». يُنظر: الصواعق المرسلة: 222؛ وشرح العقيدة الواسطية: 47؛ والرسالة الأكملية: 51. **الثالث**: يشمل كلا من الراغب الأصفهاني، وابن منظور، وأبي حامد الغزالي، ومن سلك دربهم، ويعتبر هذا الاتجاه أن الرحمة صفة الراحم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف بشر فرحمته رقة قائمة بقلبه، وإن كان مَلَكا فرحمته تناسب ذاته، وإن كان الموصوف هو الله ﷻ فرحمته إحسانه ومغفرته ورزقه. فبنوا على ما تقدّم، «أنّ الرَّحْمَةَ منطوية على معنيين: الرّقّة والإحسان، فركّز تعالى في طبائع الناس الرّقّة، وتفرّد بالإحسان». يُنظر: المفردات ولسان العرب/ رحم؛ والمقصد الأسنى: 62. وقد فصل الألوسيُّ القولَ حول هذه القضية في تفسيره روح المعاني: 61/1.

(1) البيت من الكامل، لجمال الدين بن نباتة المصري في قاضي القضاة بَهاء الدين أبي البقاء، ديوان ابن نباتة المصري: 344.

(2) البيت من الرجز، وهو لرؤبة بن العجاج، الكنْز اللغوي: 106.

(3) العين والأساس والكليات والمصباح المنير/ رحم.

(4) اللسان/ رحم.

وإذا أمعنا النظر في الاستعمالات المعجمية التي تدور عليها مادة «الراء والحاء والميم»، وجدنا أنَّها تعود إلى أصل واحد ودلالة واحدة فعلا؛ ذلك أن الرقة في باطن الشيء لا تحصل إلا بالاتساع والبلال[1]، كما أن البِرَّ يقتضي رِقَّة القلب، ولِهذا اعتبر ابن فارس هذا المعنى أصل هذه المادة فقال: «الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقَّةِ والْعَطْفِ والرَّأْفَةِ»[2]؛ فالرقة الكامنة في «وعاء الجنين»، من بلالٍ واتساع، سُمِّيت «**رَحِمًا**»، والرقة الكامنة في القلب، من بِرٍّ وحنان، سُمِّيت «**رُحْمًا**» و«**رَحْمَةً**»، وكذلك «كلُّ ما يناسب الرقة، من إحسان ورزق ومَغفرة عند الله ﷻ لعبادِه»[3]، سُميت «**رَحْمَةً**».

وقد استفاد الراغب الأصفهاني من جميع ذلك فجاء بما يلخصه؛ فقال: «الرّحمة: رِقَّةٌ تقتضي الإِحسان إلى المرحوم وقد تُستعمل تارة في الرقّة المجرّدة، وتارة في الإِحسان المجرّد عن الرقَّة، نحو: رحم الله فلانًا. وإِذا وُصف به البارئ تعالى فليس يراد به إِلا الإِحسان المجرّد دون الرقَّة. وعلى هذا رُوي أَنَّ الرحمة من الله إِنعام وإِفضال، ومن الآدميِّين رقَّة وتعطُّف»[4]، ومن هذا المنطلق، توصل الراغب إلى نتيجة مفادها: أن «الرَّحْمَةَ منطوية على معنيين: **الرّقّة والإحسان**، فركّز تعالى في طبائع الناس الرّقّة، وتفرّد بالإحسان»[5].

المسلك الثاني: المأخذ اللغوي للفظ الرحمة

بيَّنا أن مدار لفظ (الرَّحْمَة) في اللغة على «الرِّقة والإحسان»، ويبقى ضبط المأخذ اللغوي الذي عنه تطور مفهوم (الرَّحْمَة).

---

(1) قال ابن فارس: «(رق) الراء والقاف أصلان: أحدهما صفة تكون مخالفة للجفاء، والثاني اضطراب شيء مائع. فالأول الرقة»، المقاييس/ رحم.

(2) المقاييس/ رحم.

(3) المعجم الاشتقاقي/ رحم.

(4) المفردات/ رحم.

(5) المفردات/ رحم.

فالرقة والإحسان، مرحَمة وتعطف بين طرفين هما: الراحم والمرحوم، وذلك بأن يتقدّم الراحم على المرحوم بما تقتضيه الرَّحْمَة من حاجة المرحوم إلى الراحم[1] لبلوغ ما يصبو إليه ماديا أو معنويا[2]. ولعل هذه وظيفة (جلد السقاء) بالماء واللبن، أو بالأحرى وظيفة (وعاء الجنين) بالولد[3]، حيث سمي وعاءُ الجنين **رَحِماً** «لأن الرحم منعطفة على ما فيها»[4]، و«لأن منها ما يكون ما يُرحم ويُرق له من ولد»[5]، وعليه يصبح الوعاء **راحما** والجنين **مرحوما**.

فمن هذا المعنى الحسي تخلّق مفهوم الرَّحْمَة وتطور، واكتسب بعداً مفهوميا خاصاً اتسع به معناه، وامتدت منه دلالته حتى بلغ أشده[6].

وحاصل الكلام، أنه تجلى بوضوح أن الواقع الدلالي للفظ (**الرَّحْمَة**) في المعاجم اللغوية يتأسس على **الرّقّة والإحسان**. وهذا يحيل على أن الرحمة تشمل كل معاني الليونة والوسع؛ من لطفٍ وعَطفٍ وجودٍ وودٍّ ورفقٍ وقَرابةٍ، ومن (سعة باطن الشيء مع البلال والرقة)، المتمثلة في رحم السقاء ورحم الأنثى، أُخذ معنى الرحمة للدلالة على «**رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم**»[7]. وبناء على مبدأ التمييز بين الخالق والمخلوق، تم التمييز بين رَحْمَة الله ورحمة البشر، فصارت الرَّحمَة منطوية على معنيين: **الرقة** التي ركزها الله ﷻ في طبائع الناس، و**الإحسان** الذي تفرد به ﷻ[8].

---

(1) يُشترط أن يكون المرحوم في حاجة إلى الإحسان؛ يقول أبو حامد الغزالي: «والرحمة تستدعي مرحوما ولا مرحوم إلا وهو محتاج»، [المقصد الأسنى: 62]، وفصل أبو هلال العسكري ذلك أثناء حديثه عن الْفرق بَين النِعْمَة وَالرَّحْمَة، فقال: «الرَّحْمَة الإنعام على الْمُحْتَاج إِلَيْهِ وَلَيْسَ كَذَلِك النِّعْمَة، ألا ترى أن الإنسان إذا أهدى إلى ملك شيئا، لم يقل: إنه رحمه، ويقال: إنه أنعم عليه»، ينظر: الفروق اللغوية: 195؛ والوجوه والنظائر: 226.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف/ رحم.

(3) يؤكد علماء الأجنة أن «**الرحم بيئةٌ بكل معاني الكلمة**»، حيث إن الرحم هي التي توفر للجنين العناية الكاملة في تخلقه ونموه... إلى أن يولد. ينظر: كتاب نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين: 139.

(4) المقاييس/ رحم.

(5) عمدة الحفاظ والمقاييس/ رحم. فالوعاء ههنا يرحم الجنين؛ أي: هو الراحم لأن الولد يستقر فيه وينمو به «في تخلقه من كونه نطفة إلى كونه خلقا آخر»، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 399؛ والتوقيف على مهمات التعاريف/ رحم.

(6) وبإمعان النظر فيما سلف، يلاحظ أن للرحمة أربعةَ أركان هي: **الراحم، والمرحوم، والحاجة، والغاية**. ونجد هذه الأركان متمثلة في (**رحم الأنثى**)؛ حيث تتقدم **الرحِم** إلى **الجنين** لتوفِّر له ما يحتاج إليه من **حماية وتغذية**، من أجل **التكوين والنمو** واكتشاف مزيد من القوة استعدادًا للولادة.

(7) المفردات/ رحم.

(8) المفردات واللسان/ رحم، بتصرف.

وعند تدقيق النظر في معاني الرَّحْمَة، يلاحظ أن لفظ الرَّحْمَة يَحوي في طياته معاني قلبية، ومواضع عضوية، ومظاهر سلوكية، ونعمات مادية؛ فأما المعاني القلبية فتتصل بمشاعر الإنسان تجاه الآخرين[1]، أما المواضع العضوية، فتطلق على رحم الأنثى، حيث يشترك الإخوة والأخوات في التكوين الجسدي، ومنه تتكون علاقة القرابة. وأما المظاهر السلوكية فتخص التعامل مع البشر بالحسنى في القول والعمل، وأما النعمات المادية فتتصل بالخيرات التي أنعم الله بِها على الإنسان، فيوصلها بدوره إلى المحتاجين.

هذا، وقد اتخذت مادة (رحم) فضاءً واسعًا في الاستعمال اللغوي العام استنادا إلى ما ورد في المعاجم اللغوية، حيث تفرعت عنها مجموعة من المشتقات المنتمية مع الرَّحْمَة إلى نفس الجذر اللغوي والمجال الدلالي وهي: (رحْمة) مصدر، (رَحِمَ) فعل ماض مبني للمعلوم، (رُحِمَ) فعل ماض مبني للمجهول، (يَرْحم) فعل مضارع مبني للمعلوم، (يُرحم) فعل مضارع مبني للمجهول، (ارْحم) فعل أمر، (مَرْحَمَة) مصدر، (رُحْمٌ) مصدر، (راحِمٌ) اسم فاعل، (مَرْحُومٌ) اسم مفعول، (أَرْحَم) اسم تفضيل، (الرَّحْمٰن) صيغة مبالغة، (الرَّحِيم) الصفة المشبهة، (رحِمٌ) اسم ذات، (رَحَّم) فعل ماض، (مُرَحَّمٌ) اسم مفعول، (التراحم)، مصدر، (الاسترْحَام) مصدر.

وبما أن اللفظ يتطوَّر عَبر رحلته في ميدان الاستخدام الحيوي للناطقين به؛ ليؤدي معانيَ جديدةً تدور حول مادته وترتبط بدلالته اللغوية الأصلية، فقد كان من الحتمي تتبع النمو الدلالي لمصطلح (الرحمة) في مجالات علمية أخرى، استُخدم فيها؛ للوقوف على مدى محافظته على دلالته اللغوية، ومدار مادته، أو أنه اكتسب دلالة جديدة ومدارا آخر.

(1) وهذه المعاني تتمثل في معنى (**الرقة**)، وهي التي ركز عليها الجاحظ عند تعريفه للفظ الرحمة حيث قال: إنها «**خُلق مركب من الود والجزع**. (...) فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم»، تهذيب الأخلاق: 24.

۞ المطلب الثاني: دلالة لفظ الرَّحْمَة في المعاجم الاصطلاحية وكتب التفسير:

حظي مصطلح الرحمة بعناية واهتمام من لدن العلماء الراسخين والدارسين المجتهدين؛ لكونه مصطلحا من المصطلحات الأساسية في التشريع الإسلامي، مما جعله يحتل حيزا وافرا في مختلف الفنون والعلوم الشرعية، حيث طرأ على لفظ الرحْمة تطورٌ ملحوظٌ، لاسيما في الدلالة والاستعمال، ويمكن الاكتفاء – في هذا المقام – بالوقوف على ما ورد في بعض المعاجم الاصطلاحية[1] التي جمع فيها أصحابُها ما تفرق عند غيرهم، وعلى ما صرح به بعض الأئمة المفسرين وشراح الحديث[2].

وبعد نظر وتدبر في أقوال العلماء الذين عُنُوا بتحديد مفهوم الرحْمة، تبين أنَّهم اتفقوا على أن الرحْمةَ هي **صفة تقتضي الإحسان**[3] **إلى المحتاج**، إلا أنهم اختلفوا في طبيعة الصفة[4]؛ أهي صفة ذات أم صفة فعل، أم هما معا؟ أي: كون الرحمة إما باعتبار المبدأ، وهي: الإرادة والرقة، وإما باعتبار الغاية التي هي التفضل والعطف[5]، وإما باعتبار المبدأ والغاية معا. وبموجب هذه الاعتبارات الثلاثة، يمكن استحضار التعاريف وتقسيمها وترتيبها[6] وفصل القول فيها على النحو الآتي:

---

(1) التعريفات، والكليات، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ودستور العلماء، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم..

(2) من المفسرين: الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن، وإسماعيل حقي في روح البيان، والرازي في مفاتيح الغيب، والحرالِّي المراكشي في تراثه؛ ومن شراح الحديث: ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وشهاب الدين القسطلاني في إرشاد الساري، وابن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية...

(3) والإحسان ههنا يكون إما بإيصال الخير أو دفع الشر.

(4) والصفة: «هي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها»، التعريفات/ الرحْمة.

(5) المبدأ عند الإنسان يعني: الرقة، والغاية: العطف، أما المبدأ عند المولى ﷻ فيعني: الإرادة، والغاية: التفضل؛ فالإنسان إذا وُصف بالرحْمة، فتارة يراد به حصول المبدأ الذي هو الرقة، وتارة يراد به الغاية التي هي العطف، وتارة يرادان معاً، وإذا وُصف بها الباري ﷻ، فليس يراد به إلا المبدأ والغاية معا اللذان هما الإرادة والتفضل، إذ هو مُنَزَّه عن الانفعالات وعن كل نقص ﷻ عن ذلك. يُنظر: تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 50.

(6) الأصل في عرض التعريفات أن تُرتَّب ترتيباً تاريخيا، غير أن المقام يستدعي أن نعرضها مرتبة باعتبار التقسيم الثلاثي المذكور لأنه –كما يبدو لنا – يوصلنا إلى التعريف الأقرب إلى مفهوم الرحْمة في القرآن الكريم والحديث الشريف.

1. **تعريف الشريف الجرجاني** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة: هي إرادة إيصال الخير**»[1]. يبين ظاهر التعريف أن الإرادة أساس الرحمة، سواء حصل الإيصال أم لم يحصل، فالذي يريد إيصال الخير – وإن كان عاجزا – يُعتبر راحما باعتبار المبدأ. فالرحمة إذن تُطلق على إرادة إيصال الخير بدون شرط الإيصال أو القدرة على الإيصال. وإذا كان الأمر كذلك، فالرحمة ناقصة.

2. **تعريف عبد النبي الأحمد نكري** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة: إفاضة الخير وإرادة إيصاله**»[2]. واضح من خلال التعريف، أن الرحْمة تستدعي القدرة على الإيصال، ولا تكتفي بالإرادة فقط. وعليه، تُعتبر الإرادة مبدأً للقادر على إيصال الخير وليس للعاجز. ولهذا فالمقصود بإفاضة الخير – حسب فهمنا للتعريف – هو أن يتوفر لدى الراحم ما من شأنه قضاء حاجة المحتاج، أي: القدرة على الإيصال.

وبما أن الإنسان عاجز عن إفاضة الخير بدون دعم رباني، رغم إرادته وحبه الخير للآخرين، فإنه يحتاج إلى رحْمة الله ﷻ حتى يتوفر لديه الخير ليكون قادرا على إيصاله.

3. **تعريف جلال الدين السيوطي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة: إرادة الخير من الله لأهلها**»[3]. يتجلى من هذا التعريف أن الخير كله لله ﷻ وينبغي لمن أراد إيصال الخير أن يطلب المدد من الله ﷻ، ليكون قادرا على إيصاله إلى المستحقين.

وبموجب هذا التعريف، يظل الإنسان عاجزا عن إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم، فتبقى إرادته ناقصة ولا يحصل بها الإيصال؛ فالله ﷻ ذو الإرادة التامة هو القادر على إفاضة الخير وإيصاله.

---

(1) التعريفات: 110.

(2) دستور العلماء: 166/1.

(3) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: 75.

4. **تعريف أبي إسحاق الثعلبي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة: إرادة الله الخير بأهله**»[1]. هذا التعريف أعم مما سبقه، ونستنتج من خلاله أن إرادة الخالق ﷻ تشمل إرادة المخلوق وقدرته، ولذلك عندما يريد الإنسان أن يوصل الخير إلى المحتاج لا يحصل الإيصال إلا بعون من الله ﷻ؛ فإن أراد الله ﷻ به خيرا أفاض عليه الخير وأعانه على إيصاله، فيحصل الإيصال بإرادته ﷻ، وإن لم يرد الخالق لا يحصل شيء مهما أراد المخلوق[2]. ولما كان الأمر كذلك، اكتفى الثعلبي رَحِمَهُ اللَّهُ بعبارة «إرادة الله» للتعبير عن كل إرادة، لأن إرادة المخلوق نتيجة لإرادة الخالق.

5. **تعريف إسماعيل حقي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**واعلم أن الرحْمة من صفات الذات وهو إرادته (الله ﷻ) إيصال الخير ودفع الشر، والإرادة صفة الذات لأن الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات، فلما خلق الخلق علمنا أن رحْمته صفة ذاتية؛ لأن الخلق إيصال خير الوجود إلى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فإن الوجود خير كله**»[3]. يؤكد الشيخ حقي من خلال كلامه على أن الرحْمة من صفات الذات باعتبار أن حقيقة الرحْمة هي الإرادة، والإرادة صفة ذاتية، وذلك بحجة أن الله ﷻ موصوف بالإرادة، وإرادته ﷻ تقتضي الإيصال.

من هنا نلاحظ أن التعاريف السابقة تتفق على أن الرحْمة صفة ذات، رغم اختلافها في النظر إلى بعض التفاصيل المتعلقة بحقيقة الرحْمة ومقتضاها، حيث نتج عن ورود بعض التعريفات مطلقة على الإرادة دون شرط الإيصال، وأخرى مقيدة بالقدرة على الإيصال.

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 99/1.

(2) في هذا الصدد، يقول ابن عربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرحمة على الحقيقةِ نسبة من الرَّاحمِ، وهي الموجبةُ للحكمِ، وهي الرَّاحمةُ. والَّذي أوجدها في المرحومِ ما أوجدها لِيَرحمه بها، وإنما أوجدها لِيَرحم بها من قامت به»، [فصوص الحكم: 179]؛ أي أن الله ﷻ لا يرحم إنسانًا ليكون بها مرحوما، بل ليصبح قادرًا على أن يرحمَ غيرَه من المخلوقات، وعليه فإن الإنسان ليس راحما بالفطرة، وإنما يصير راحما برحمة الله ﷻ.

(3) روح البيان:8/1.

6. **تعريف ابن قيم الجوزية** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها**»[1]. على عكس ما سبق، اتجه هذا التعريف نحو فعلية الرحْمة؛ أي أن الرحْمة صفة فعل باعتبار الغاية وهي الإيصال، ويتضح من خلال التعريف أن الإيصال أساس الرحمة، وضروري بالنسبة للراحم وإن شقت نفس المرحوم عليها. وهذا ما وصفه ابن قيم بالرحمة الحقيقية حين قال: «...فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك»[2].

7. **تعريف فخر الدين الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات**»[3]. يُفهم من هذا التعريف أن الرحمة تترتب على التخليص من كل ما به يتألم المرحوم، وإيصال الخير إليه، بيد أن الإنسان عاجز عن ذلك؛ إذ لا يمكن التخليص من أنواع الآفات إلا بعد معرفتها، وهي كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولهذا يرى الإمام الرازي أن الرحمة ليست إلا لله، وإن كانت لغير الله فهي رحمة ناقصة[4].

8. **تعريف أبي الحسن الحَرَالِّيِّ المراكشي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرحْمة: نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر، وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب**»[5]. هذا التعريف كما يظهر يؤكد ما جاء في التعريف السابق، بل ويَجزم القول إن الرحْمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وذلك من خلال قوله: «نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه»، فكلمة (نحلة) تدل على العطاء بلا استعاضة[6]، والإنسان غير قادر على ذلك، كما أنه عاجز عن قضاء حاجة غيره بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب لأنه لا يعلم ما ظهر منها وما بطن، فيثبت بذلك أن الرحْمة لله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(1) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: 174/2.

(2) نفسه.

(3) مفاتيح الغيب: 24/1.

(4) مفاتيح الغيب:151/1.

(5) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 246.

(6) العين والتهذيب والصحاح والمقاييس واللسان/ نحل.

9. **تعريف أبي حامد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

انفرد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه بالجمع بين كون الرحْمة ذاتية وفعلية، بيد أنه ميَّز بين التامة منهما والناقصة، فقال: «**الرحْمة تستدعي مرحوما، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيما، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها؛ فإن كان قادرا على قضائها لم يسم رحيما إذ لو تمت الإرادة لوفى بها، وإن كان عاجزا فقد يسمى رحيما باعتبار ما اعتوره من الرقة ولكنه ناقص. وإنما الرحْمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم، والرحْمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحْمة الله عز وجل تامة وعامة؛ أما تمامها فمن حيث إنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما، فهو الرحيم المطلق حقا**»[1].

يبين ظاهر النص أن الرحمة صفة ذاتية وفعلية في آن واحد؛ أي: أن الرحمة تكون باعتبار المبدأ والغاية معا، وقد تنفرد بالمبدأ دون الغاية، أو العكس، عندما يتعلق الأمر بغير الله، فتكون الرحمة حينئذ ناقصة. أما في حالة وجودهما معا تكون الرحْمة تامة وعامة، وهي ليست لأحد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالإنسان إذا أراد أن يقضي حاجة المحتاج لابد أن يحصل على مدد إلهيّ حتى يتحقق الإيصال، ولا يصل إلى الغاية إلا بإرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بينما الخالق عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد أن يقضي حاجات المحتاجين قضاها بتمامها؛ فتكون رحْمته بذلك صفة ذاتية وفعلية معًا[2]، قال أصدق القائلين عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[3].

---

(1) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: 62.

(2) بين الشريف الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المقصود بالصفات الذاتية والصفات الفعلية فقال: «الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة، وغيرها. والصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله بضدها، كالرضا والرحْمة والسخط والغضب، ونحوها»، [التعريفات/ الصفة]. وإذا سلمنا بكلام الجرجاني، فكيف نسلم بكون الرحْمة ذاتية وفعلية في آن واحد؟ الجواب أن الرحْمة صفةٌ من الصفات أو (أمارة من الأمارات) اللازمة بالذات العلية؛ إذ هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولا يجوز أن يوصف الله عَزَّ وَجَلَّ بضدهما، نحو ﴿غَضۡبَٰنَ﴾، وبما أن الأمر كذلك فالرحمة صفة ذاتية لله عَزَّ وَجَلَّ كما أن فعليتها واضحة جلية.

(3) سورة يس، الآية: 82.

وعليه يتأكد أن الراحم هو الله ﷻ، وبتقدير أن يحصل راحم غير الله إلا أن رحمته ناقصة[1].

وصفوة القول، إن لفظ (الرحمة) اكتسب دلالة جديدة في المعاجم الاصطلاحية، وفي مجالات علمية أخرى، تميزت عن سابقتها في المعاجم اللغوية، حيث تبين من خلال تتبع التطور الدلالي والاستعمالي للفظ الرحْمة، أنه انتقل من الدلالة على الرقة المادية المتمثلة في جلد السقاء ووعاء الجنين، إلى الدلالة على إرادة الخير للمحتاج، وانتقل من الدلالة على الإحسان المجرد عن الرقة إلى الدلالة على إيصال الخير إلى المحتاج ودفع الشر عنه.

وبالنظر إلى التعاريف التي وردت في المعاجم الاصطلاحية وعند المفسرين وشراح الحديث[2] وغيرهم، يتجلى أنها مهما اختلفت العبارات – باختلاف مجالات الاستعمال – في تحديد المعنى، فقد اتفقت في الرجوع إلى معنى الإحسان إلى المحتاج، وذلك أنه تبين عند الموازنة بين المعنى اللغوي والمعاني الأساسية المكونة للتعاريف الاصطلاحية أنها تدور في فلك (الإحسان) كلها.

---

(1) يعزز الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الرأي بكلام مفصل نختار منه الأهم؛ قال: «الحق أن الرحمة ليست إلا لله، ثم بتقدير أن تكون لغير الله رحمة إلا أن رحمة الله أكمل من رحمة غيره، وهاهنا مقامان: **المقام الأول:** في بيان أنه لا رحمة إلا لله، والذي يدل عليه وجوه: **الأول:** أن الجود هو إفادة ما ينبغي لا لعوض، فكل أحد غير الله فهو إنما يعطي ليأخذ عوضا، (...)، أما الحق ﷻ فإنه كامل لذاته، فيستحيل أن يعطي ليستفيد به كمالا، فكان الجواد المطلق والراحم المطلق هو الله ﷻ. **الثاني:** أن كل من سوى الله فهو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد واجب الوجود لذاته، فكل رحمة تصدر من غير الله فهي إنما دخلت في الوجود بإيجاد الله فيكون الرحيم في الحقيقة هو الله ﷻ. **المقام الثاني:** في بيان أن تقدير أن تحصل الرحمة من غير الله إلا أن رحمة الله أكمل وأعظم. وبيانه من وجوه: **الأول:** أن الإنعام يوجب علو حال المنعم ودناءة حال المنعم عليه بالنسبة إلى المنعم، فإذا حصل التواضع بالنسبة إلى حضرة الله فذاك خير من حصول هذه الحالة بالنسبة إلى بعض الخلق. **الثاني:** أن السلطان إذا أنعم عليك فهو غير عالم بتفاصيل أحوالك، أما الحق تعالى فإنه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات، فكان ذلك أفضل». مفاتيح الغيب: 151/1.

(2) لم نجد في شروح الحديث تعريفاً للفظ الرحْمة انفرد به علماء شرح الحديث، وإنما جل ما وقع عليه نظرنا من التعاريف هي نفس ما ورد في المعاجم الاصطلاحية وعند المفسرين، كما هو الشأن بالنسبة للحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه: فتح الباري: 8/ 155، وشهاب الدين القسطلاني في شرحه: إرشاد الساري: 10/ 361، والقاضي ابن دقيق العيد في شرحه: شرح الأربعين النووية: 11،... وغيرهم.

لكن الملاحظ أن تلكم التعاريف ليست جامعة لكل دلالات المُعَرَّف (الرَّحْمة). كما أنها تفتقر إلى بيان هوية الراحم والمرحوم، وتحديد مواصفاتهما وطبيعتهما وغيرها من السمات الدلالية؛ ولذلك فإنها لا ترقى إلى الدلالة الكافية على مفهوم الرحمة.

ولعل الخوض في كل النصوص التي ورد فيها لفظ الرحمة ومشتقاته في القرآن الكريم والحديث الشريف، وتتبع السياقات والأحوال التي وردت فيها معاني الرحمة، والوقوف على العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، ستفضي بنا إلى الحصول على التعريف الشامل الكامل الذي نسعى إليه في هذا البحث.

المبحث الثاني
مفهوم الرحمة في القرآن والحديث

۞ المطلب الأول: العرض الوصفي لموارد الرحمة في القرآن والحديث

القصد هاهنا عرض نتائج إحصاء مواطن ورود المصطلح في القرآن الكريم والحديث الشريف، ووصف الصيغ الاشتقاقية لهذه الموارد حجما وشكلا وزمنا، ويبلغ العدد الإجمالي لموارد لفظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن والحديث خمسين وستمائة موضعا، يأتي تفصيل ذلك في ما يلي:

المسلك الأول: توزيع إحصائي لحجم الورود

1. في القرآن الكريم

وردت مادة (ر ح م) في القرآن الكريم من خلال أحد عشر مشتقاً تتوزع على تسعة وثلاثين وثلاثمائة (339) موضع، ضمن خمس عشرة وثلاثمائة (315) آية، مفرقة في اثنتين وستين (62) سورة؛ إحدى وأربعون سورة مكية تضمنت تسعاً ومائتي (209) آية، وإحدى وعشرين (21) سورة مدنية تضمنت ستًّا ومائة (106) آية، وهو ما توضحه الخطاطة الإحصائية الآتية:

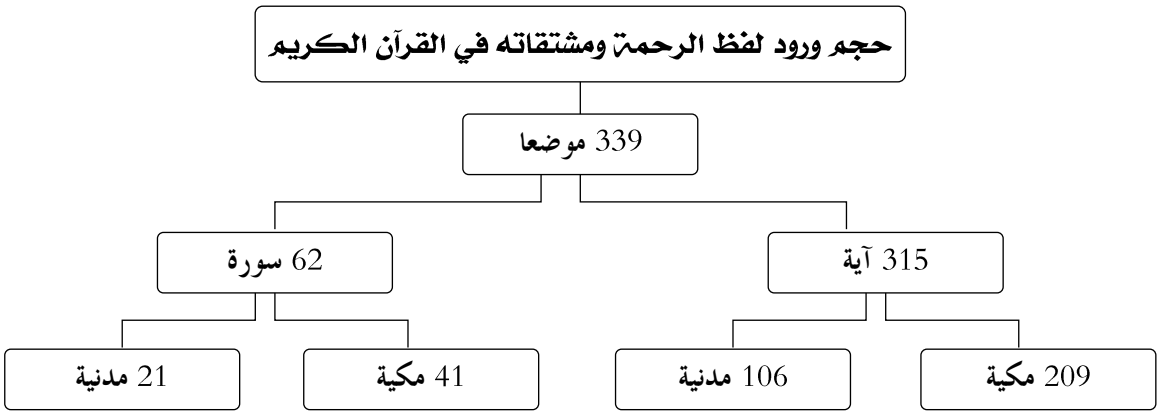

تبين من خلال هذه الخطاطة الإحصائية موقع مصطلح الرحمة المتميز من مصطلحات القرآن الكريم، وآيه، وسوره؛ إذ تبرز حجم ورود اللفظ وسائر مشتقاته في القرآن الكريم، وحجم الآيات التي ورد فيها اللفظ، وعدد السور التي تحتوي على الآيات، والمجال الذي تنتمي إليه الآيات والسور.

وسيكشف الجدول الذي سيأتي بعد، وفق ترتيب النُّزُول، مدى كثرة ورود المصطلح أو قلته، سواء في السور المتقدمة نزولاً، أو المتوسطة نزولا، أو المتأخرة نزولاً.

رقم السورة بحسب النزول	اسم السورة	عدد ورود المصطلح فيها	رقم السورة بحسب النزول	اسم السورة	عدد ورود المصطلح فيها	رقم السورة بحسب النزول	اسم السورة	عدد ورود المصطلح فيها
3	المزمل	1	58	سبأ	1	88	الأنفال	3
5	الفاتحة	4	59	الزمر	5	89	آل عمران	10
34	ق	1	60	غافر	2	90	الأحزاب	8
35	البلد	1	61	فصلت	4	91	الممتحنة	3
38	ص	2	62	الشورى	4	92	النساء	16
39	الأعراف	18	63	الزخرف	9	94	الحديد	5
41	يس	8	64	الدخان	3	95	محمد	1
42	الفرقان	8	65	الجاثية	2	96	الرعد	2
43	فاطر	1	66	الأحقاف	2	97	الرحمن	1
44	مريم	20	69	الكهف	7	98	الإنسان	1
45	طه	4	70	النحل	8	101	الحشر	3
47	الشعراء	10	72	إبراهيم	1	102	النور	10
48	النمل	7	73	الأنبياء	10	103	الحج	2
49	القصص	5	74	المؤمنون	5	105	المجادلة	1
50	الإسراء	11	75	السجدة	1	106	الحجرات	4
51	يونس	5	76	الطور	1	107	التحريم	1
52	هود	13	77	الملك	5	108	التغابن	1
53	يوسف	9	80	النبأ	2	111	الفتح	3
54	الحجر	2	84	الروم	6	112	المائدة	5
55	الأنعام	13	85	العنكبوت	3	113	التوبة	13
57	لقمان	2	87	البقرة	20			

وبإمعان النظر في كثافة المصطلح في هذه السور، يلاحظ أن المصطلح يكثر وروده في السور المتوسطة نزولا؛ كهود، ويوسف، والأنعام، والزخرف، والكهف، والنحل، والأنبياء.

كما يكثر وروده في السور المتأخرة نزولا؛ كالبقرة، وآل عمران، والأحزاب، والنساء، والنور، والتوبة. ويتدرج هذا الورود من الكثرة إلى القلة في السور المتقدمة نزولا؛ كالأعراف، ويس، والفرقان، ومريم، والشعراء، والنمل، والإسراء. وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

مجموعات السور بحسب النزول (من – إلى)	عدد ورود المصطلح فيها	النسب المئوية
25 – 1	5	% 1.475
50 – 26	96	% 28.318
75 – 51	108	% 31.858
100 – 76	87	% 25.664
114 – 101	43	% 12.685

أما حجم ورود كل مشتق على حدة، فيأتي بيانه في الجدول التالي:

المصدر	نكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة	عدد السور والآيات	النسب المئوية
رحمة	59	6	36	13	112 آية مفرقة في 37 سورة	% 33.628
مرحَمة		1			آية واحدة في سورة البلد	% 0.295
رُحم	1				آية واحدة في سورة الكهف	% 0.295
الفعل الماضي	**المتكلم**	**المخاطب**	**الغائب**		**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
رَحِمَ	1	1	6		8 آيات مفرقة في 7 سور	% 2.360
الفعل المضارع	**المتكلم**	**المخاطب**	**الغائب**		**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
يرحم		10	5		15 آية مفرقة في 11 سورة	% 4.425
فعل الأمر	**المتكلم**	**المخاطب**	**الغائب**		**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
ارحم		5			5 آيات مفرقة في 4 سور	% 1.475
اسم فاعل	**النكرة**	**معرف بـ (ال)**	**مضاف إلى ضمير**	**معرف بالإضافة**	**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
راحم		6			6 آيات مفرقة في 4 سور	% 1.770
الصفة المشبَّهة	**النكرة**	**معرف بـ (ال)**	**مضاف إلى ضمير**	**معرف بالإضافة**	**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
رحيم	81	35			116 آية مفرقة في 42 سورة	% 34.218
اسم التفضيل	**النكرة**	**معرف بـ (ال)**	**مضاف إلى ضمير**	**معرف بالإضافة**	**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
أرحم				4	4 آيات مفرقة في 3 سور	% 1.180
صيغة مبالغة	**النكرة**	**معرف بـ (ال)**	**مضاف إلى ضمير**	**معرف بالإضافة**	**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
رحْمن		57			56 آية مفرقة في 18 سورة	% 16.814
اسم الذات	**النكرة**	**معرف بـ (ال)**	**مضاف إلى ضمير**	**معرف بالإضافة**	**عدد السور والآيات**	**النسب المئوية**
رحِم		7	3	2	12 آية مفرقة في 11 سورة	% 3.540

وأما حجم الورود حسب المجالين المكي والمدني فهو كالتالي:

المشتقات	حجم المجال المكي	النسبة المئوية	حجم المجال المدني	النسبة المئوية	المجموع	
المصدر	87	% 39.013	29	% 25	116	% 34.22
الفعل الماضي	8	% 3.587	0	% 0	8	% 2.36
الفعل المضارع	10	% 4.484	5	% 4.31	15	% 4.43
فعل الأمر	4	% 1.794	1	% 0.862	5	% 1.47
اسم الفاعل	6	% 2.691	0	% 0	6	% 1.77
الصفة المشبَّهة	48	% 21.525	68	% 58.621	116	% 34.22
اسم التفضيل	4	% 1.794	0	% 0	4	% 1.18
صيغة المبالغة	53	% 23.767	4	% 3.448	57	% 16.81
اسم الذات	3	% 1.345	9	% 7.759	12	% 3.54
المجموع	**223**	**% 65.78**	**116**	**% 34.22**	**339**	**% 100**

2. في الحديث الشريف

وردت مادة (ر ح م) في الحديث الشريف من خلال أربع عشرة مشتقا تتوزع على أحد عشر وثلاثمائة (311) موضعاً، ضمن تسعة عشر ومائتَيْ(219) حديث مفرقة في الكتب التسعة[1]، دون عد المكرر من الأحاديث. والجدول الذي سنسوق بعد، يفصل حجم ورود كل مشتق على حدة:

المصدر	نكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة	عدد الأحاديث	النسب المئوية
رحمة	50	37	31	26	107	% 46.30
رُحم	1			1	2	% 0.65
تراحم	1		2		3	% 0.97
الفعل الماضي	المتكلم	المخاطب	الغائب			
رَحِمَ	1	1	24		20	% 8.37
استرحم		1			1	% 0.32
الفعل المضارع	المتكلم	المخاطب	الغائب			
يرحم	4	1	7		10	% 3.86
يتراحم			4		4	% 1.28
فعل الأمر	المتكلم	المخاطب	الغائب			
ارحم		6			5	% 1.93
اسم فاعل	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
راحم		2			2	% 0.64
اسم مفعول	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
مرحوم	1	1			2	% 0.64
صفة مشبَّهة	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
الرحيم	4	19			22	% 7.4
اسم التفضيل	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
أرحم	1			2	3	% 0.97
صيغة مبالغة	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
الرحْمن	2	36			35	% 12.21
اسم الذات	النكرة	معرف بـ (ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة		
رحِمٌ	16	20	9		40	% 14.46

(1) صحيحا البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه، والدارمي، ومسند أحمد، وموطأ مالك، مع التركيز على ما ثبت فيها من كلام رسول الله ﷺ دون غيره ككلام الصحابة رضي الله عنهم، وكلام التابعين، وسواهم.

المسلك الثاني: توزيع إحصائي لشكل الورود

إن الذي يعنينا في هذا المقام بالذات، هو رصد مختلف الصيغ التي ورد بها لفظ (الرحمة) في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم الأحوال والقرائن التي حفت بتلك الصيغ، وما تدل عليه من الدلالات. ومن خلال تتبع النصوص، يمكن رصد أشكال الورود في النقاط التالية:

1. التنوع الاشتقاقي للفظ الرحمة

يتميز لفظ (الرحمة) في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف بتنوع اشتقاقي كبير؛ إذ ورد بكل المشتقات التي يمكن صوغها من مادته، حيث ورد بصيغة المصدر، وبالصيغ الفعلية الثلاثة، مبنيا للمعلوم ومبنيا للمجهول، وورد بصيغة اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم الذات، وصيغة المبالغة.

فقد ورد في القرآن الكريم بالصورة المصدرية ست عشرة ومائة مرة، وورد بالصورة الفعلية ثمانا وعشرين مرة، منها ثمانية بصيغة الماضي، وخمس عشرة مرة بصيغة المضارع؛ سبع منها بصيغة المبني للمعلوم، والباقي منها بصيغة المبني للمجهول، وورد خمس مرات بصيغة الأمر. وورد بالصورة الاسمية كذلك خمساً وتسعين ومائة مرة، ستاً منها بصيغة اسم فاعل، وست عشرة ومائة بصيغة الصفة المشبَّهة، وأربعاً بصيغة اسم التفضيل، وسبعاً وخمسين بصيغة المبالغة، واثنتي عشرة مرة بصيغة اسم الذات. وتتوزع على هذا النحو الذي تبرزه هذه الخطاطة الإحصائية:

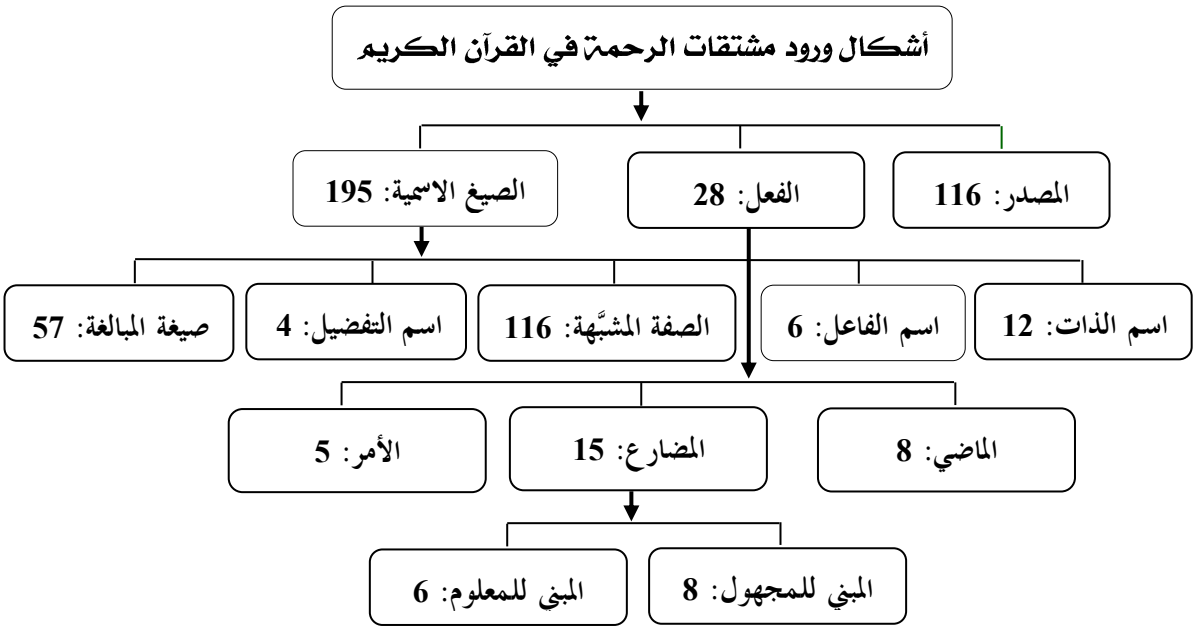

أما في الحديث الشريف، فقد ورد بالصورة المصدرية تسعاً وأربعين ومائة مرة، وورد بالصورة الفعلية تسعاً وأربعين مرة، سبعاً وعشرين منها بصيغة الماضي، وست عشرة مرة بصيغة المضارع، وورد ست مرات بصيغة الأمر. وورد بالصورة الاسمية كذلك ثلاث عشرة ومائة مرة؛ اثنتان منها بصيغة اسم الفاعل واثنتان بصيغة اسم المفعول، وثلاث وعشرون بصيغة الصفة المشبهة، وثلاث بصيغة اسم التفضيل، وثمان وثلاثون بصيغة المبالغة، وخمس وأربعون بصيغة اسم الذات. وتتوزع على النحو الذي تبرزه الخطاطة الإحصائية الآتية:

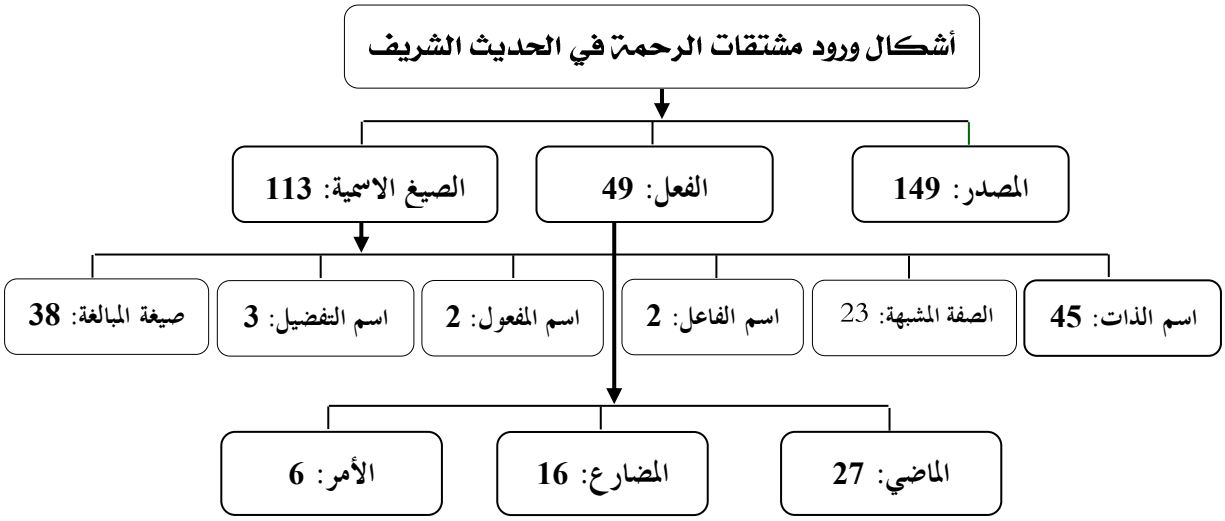

2. التعريف والتنكير

ورد لفظ (الرحمة) في نصوص القرآن والحديث معرفة ونكرة؛ إذ ورد نكرة في القرآن الكريم تسعة وخمسين (59) موضعا، وخمسين (50) موضعا في الحديث الشريف، وعُرف بالألف واللام وبالإضمار، وبالإضافة: إما إلى ظاهر وإما إلى مضمر، بالمعنى الاسمي وبالمعنى المصدري، وذلك في خمسة وخمسين (55) موضعا في القرآن الكريم، وأربعة وتسعين (94) موضعا في الحديث الشريف، وتفصيل ذلك في الجدول التالي:

الرحمة	نكرة	معرف بـ(ال)	مضاف إلى ضمير	معرف بالإضافة
في القرآن الكريم	59	6	36	13
في الحديث الشريف	52	37	33	27
المجموع	111	43	69	40
	111	152		

3. التعدي واللزوم:

تبين من خلال الدراسة المعجمية والنصية للمصطلح أن فعل (الرحمة) يتم بين طرفين هما: الراحم والمرحوم، فيسند الفعل إلى الراحم ليتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، وهذا وارد في الاستعمالين القرآني والحديثي. وقد يتعدى المصدر نفسه إلى مفعوله بواسطة لام التعدية كما ورد في القرآن الكريم من خلال ستة عشر (16) موطنا، وفي الحديث الشريف من خلال خمسة (5) مواطن، يأتي بيانها في الجدول الآتي:

شكل الورود	موقع الورود
﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	[الأعراف: 52، 203]، [يوسف: 111]، [النحل 64]
﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾	[الأعراف: 154]
﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	[النمل: 77]
﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾	[الإسراء: 82]
﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾	[يونس: 57]
﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾	[لقمان: 3]
﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	[الجاثية: 20]
﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	[النحل: 89]
﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾	[الأنبياء: 84]
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	[الأنبياء: 107]
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	[العنكبوت: 51]
﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴿٦١﴾ ﴾	[التوبة: 61]
﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾	[ص: 43]
قال رسول الله ﷺ: «**فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**»	البخاري: كتاب الطب، حديث رقم: 5734.
قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**»	أبو داود: كتاب السنة، حديث رقم: 4659.
قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ**»	النسائي: كتاب الجنائز، حديث رقم: 2022.
قال رسول الله ﷺ: «**وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**»	البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم: 3474.
قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا...**»	الترمذي: أبواب صفة جهنم، حديث رقم: 2599.

4. **الإسناد:**

أسندت إلى لفظ (الرحمة) مجموعة من الأفعال أكسبته صفة الفاعلية، كما وقعت عليه أفعال أضفت عليه صفة المفعولية، سواء أكان ذلك في النصوص القرآنية أم الحديثية، وذلك ما يوضحه الجدول الآتي:

الترتيب	الأفعال المسندة إلى لفظ (الرحمة)	موقعها في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف
1	**جاء**	[الأنعام: 157]
2	**غشي**	مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: 2699، و2700، أبو داود: أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله: 1455، الترمذي: أبواب القراءات: 2945.
3	**أدرك**	الترمذي: أبواب صفة جهنم، حديث رقم: 2597.
4	**غمر**	أحمد: مسند أنس بن مالك ﷺ، حديث رقم: 13673.
5	**نال**	أحمد: مسند عبد الله بن عباس ﷺ، حديث رقم: 2820.
6	**واجه**	أحمد: مسند أبي ذر الغفاري ﷺ، حديث رقم: 21330.
7	**استقبل**	أحمد: مسند أبي ذر الغفاري ﷺ، حديث رقم: 21553.

الترتيب	الأفعال الواقعة على لفظ (الرحمة)	موقعها في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف
1	**وهب**	[ص: 43]، [آل عمران: 8]، أبو داود: كتاب الأدب: 5061،
2	**جعل**	[مريم: 21]، [الروم: 21]، [الحديد: 27]، البخاري: القدر: 6619، مسلم: التوبة: 2753/21، البخاري: الأدب: 6000، مسلم: البر والصلة والآداب: 2601، أبو داود: الطب: 2892،
3	**رجا**	[البقرة: 218]، [الإسراء: 57]، [الزمر: 9]، أبو داود: كتاب الأدب: 773،
4	**أذاقَ**	[يونس: 21]، [هود: 9]، [فصلت: 50]، [الروم: 46]، [الشورى: 48]، [الروم: 33- 36]
5	**آتى**	[هود: 28- 63]، [الكهف: 10- 65]، [الأنبياء: 84]، [الحديد: 28]
6	**كتب**	[الأنعام: 12- 54]
7	**نشر**	[الكهف: 16]، [الشورى: 28]، أبو داود: كتاب الصلاة، حديث رقم: 1176،
8	**قسم**	[الزخرف: 32]، أحمد: مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم: 10670.
9	**أراد**	[الأحزاب: 17]، مسلم: كتاب الفضائل: 2288، البخاري: كتاب الآذان: 806،
10	**خلق**	البخاري: كتاب الرقاق، حديث رقم: 6469،
11	**أرسل**	البخاري: كتاب الرقاق، حديث رقم: 6469،
12	**أنزل**	مسلم: التوبة: 2752، أبو داود: الطب: 2892، أحمد: مسند الكوفيين، جندب: 18799.
13	**أعطى**	الترمذي: أبواب الدعوات، حديث رقم: 3419،
14	**فتح**	[فاطر: 2]،
15	**أقرأ**	أبو داود: كتاب المناسك، حديث رقم: 1990،
16	**حظر**	أحمد: مسند الكوفيين، حديث جندب، حديث رقم: 18799.
17	**وضع**	الترمذي: أبواب الدعوات، حديث رقم: 6227،
18	**سأل**	الترمذي: أبواب الدعوات، حديث رقم: 3419، أبو داود: كتاب الأدب: 5061،
19	**أصاب**	البزار: مسند الحسن بن علي ﷺ، حديث رقم: 2750.
20	**قبض**	أحمد: مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم: 10670.
21	**نزع**	البخاري: الأدب: 5998، مسلم: الفضائل: 2317، ابن ماجة: الفتن: 4054، أبو داود: الأدب: 4942.

5. رسم التاء مربوطةً ومبسوطةً

ورد لفظ (الرحْمة) بالتاء المبسوطة ﴿رَحْمَتِ﴾، في سبعة مواضع في القرآن الكريم، مضافة إلى لفظ الجلالة ظاهرا: موضعان في سورة الزخرف، وموضع واحد في كل من: سورة الأعراف، وسورة الروم، وسورة هود، وسورة مريم، وسورة البقرة، كلها من السور التي تبدأ بالحروف المقطعة، ويأتي بيانها في الجدول الآتي:

الترتيب	شكل الورود	موقعها
الأول	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾	[البقرة: 218]
الثاني	﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾	[الأعراف: 56]
الثالث	﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾	[هود: 73]
الرابع	﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾	[مريم: 2]
الخامس	﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ ﴿٥٠﴾ ﴾	[الروم: 50]
السادس	﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ ﴾	[الزخرف: 32]
السابع	﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٞ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	[الزخرف: 32]

وغني عن البيان أن من أهم وسائل حفظ وصون القرآن الكريم عن التبديل والتغيير رسمه[1] الذي جاء بطريقة محكمة ورائعة، بقي إلى يومنا هذا الأصل لكتابة المصاحف رغم ظهور أدوات الضبط والشكل الحديثة، ومرد ذلك إلى مزايا وفوائد جَمَّة[2] تؤثر في إبراز وتحديد معاني القرآن الكريم. ولا ريب أن لرسم التاء في كلمة رَحْمَة مربوطة أو مبسوطة دورا فعالاً في تحديد المفهوم.

(1) والمقصود بالرسم القرآني هنا هو رسم الكلمات القرآنية من حيث نوعية حروف كل كلمة وردت في القرآن الكريم وعدد حروفها.

(2) ومنها ما ذكرها الزُّرْقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن وهي: «**الفائدة الأولى**: الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو أكثر. فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل. وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به. مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [سورة طه، الآية: 63]. (...)=

يعلل ابن البناء المراكشي ذلك في «عنوان الدليل» بما يلي: «باب مد التاءات وقبضها وهذا جاء في الاسم المفرد المضاف الذي فيه علامة التأنيث. وذلك أن هذه الاسماء لما كانت يلازمها الفعل صارت تعتبر اعتبارين: أحدهما: من حيث هي أسماء وصفات، فهذا تقبض فيه التاء. والثاني: من حيث يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود؛ فهذا تمد فيه التاء كما تمد في: قالت، وحقت. وجهة الفعل والأثر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة، فمن ذلك: (الرَحْمَة) مدت في سبعة مواضع للعلة التي ذكرت. يدل عليه ما جاء في أحدها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1]؛ فوصفها على التذكير فهو الفعل. وكذلك: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾[2]. والأثر هو بالفعل ضرورة»[3].

= **الفائدة الثانية:** إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة وذلك نحو قطع كلمة (أم) في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: 109]، ووصلها في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك، الآية: 22]، (...) للدلالة على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل ووصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك. **الفائدة الثالثة:** الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة أيد من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الذاريات، الآية: 47]، (...) وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي: ويدعو الإنسان، ويمحو الله الباطل، يوم يدعو الداع، سندعو الزبانية، فإنَّها كتبت في المصحف العثماني هكذا: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 11]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [سورة الشورى، الآية: 24]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [سورة القمر، الآية: 6]، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق، الآية: 18]، ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع. قالوا: والسر في حذفها من ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو الدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير. والسر في حذفها من ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله. والسر في حذفها من ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين. والسر في حذفها من ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش. ويجمع هذه الأسرار قول المراكشي: والسر في حذفها من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود. **الفائدة الرابعة:** الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله سبحانه: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل، الآية: 90]. (...) ومثل كتابة الضمة واوا في قوله سبحانه: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 145]. (...). **الفائدة الخامسة:** إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيىء وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع. ومثل قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة هود، الآية: 105]. (...) للدلالة على لغة هذيل. **الفائدة السادسة:** حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة». [مناهل العرفان في علوم القرآن: 1/ 373].

(1) سورة الأعراف، الآية: 56.

(2) سورة الروم، الآية: 50.

(3) عنوان الدليل من مرسوم خط التَّنْزيل: 109. ونقل عنه الزركشي في البرهان في علوم القرآن، يُنظر: 1/ 410.

6. المكونات الصوتية للفظ الرحْمة

تكونت مادة (رحم) من أصوات ذات مخارج مختلفة (ذلقي، وحلقي، وشفوي)، اشتملت على صفات عدة؛ منها العامة ومنها الخاصة، يمكن تحديدها وبيانها في الجدول الآتي:

الصوت	المخرج	الصفات
الراء	ذلق اللسان مع الحنك الأعلى (ذلقية)	مجهورة، متوسطة، منفتحة، مستفيلة، مكررة، مذلقة، مفخمة
الحاء	وسط الحلق مما يلي الصدر (حلقية)	مهموسة، رخوة، منفتحة، مستفيلة، مصمتة، مرققة
الميم	انطباق الشفتين مع الخيشوم (شفوية)	مجهورة، متوسطة، منفتحة، مستفلة، مذلقة، مرققة

والملاحظ من خلال أصوات مادة (رحم) هو أنها تتوزع بين الجهر والهمس، والذلاقة والإصمات، والتفخيم والترقيق؛ إذ الراء والميم صوتان مجهوران مذلقان، بينما الحاء صوت مهموس مصمت، كما يُلاحظ خلوها من صفة الشدة، والإطباق، والاستعلاء، فيما أن صفة البينية (التوسط) تلازم الراء والميم، وصفة الرخاوة تلازم الحاء، وصفتي الانفتاح والاستفال تلازمان الأصوات الثلاثة. وفيما يتعلق بالتفخيم والترقيق، تتصف الراء بالتفخيم والترقيق، أما الحاء والميم فتلازمان الترقيق.

ولا جرم أن تلكم الأصوات والصفات والمخارج توحي إلى معاني ودلالات وأغراض حسية أو شعورية، وقد أفاض علماء اللغة العربية الأقدمون في دراستها وبيانها حتى عرفوا لكلِّ حرف صوته صفة ومخرجًا، مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى[1].

(1) يقول الشّيخ صُبحي الصّالح رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الصدد: «أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية؛ إذ لم يعنهم من كلِّ حرفٍ أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبرة، كل حرف منها يستقلّ ببيان معنًى خاصٍّ ما دام يستقل بإحداث صوت معين, وكل حرف له ظل وإشعاع؛ إذ كان لكل حرفٍ صدًى وإيقاع! وإثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد في كلمة، كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركب وهو ثنائي لا أكثر، أو ثنائي ألحق به حرف أو كثر، أو ثلاثي مجرد ومزيد، أو رباعي منحوت، أو خُماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس. لكل حالٍ من هذه الأحوال التي تبدو لك أول الأمر ألغازًا مقعدة، أو طلاسم محيرة، ذكر علماء العرب الأمثلة، واحتجوا بالشواهد التي لا يسهل دفعها؛ فقد مالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب، وطَوْرَي النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب»، [دراسات في فقه اللغة: 142].

۞ المطلب الثاني: دلالات موارد لفظ الرحمة في القرآن والحديث

المسلك الأول: دلالات حجم الورود

اتخذ لفظ (الرحمة) ومشتقاته فضاءً واسعًا في نصوص الكتاب والسنة، حيث يشغل خمسين وستمائة (650) موضع؛ تسعة وثلاثين وثلاثمائة (339) موضع منها وُظِّفت في القرآن الكريم من خلال اثنتين وستين (62) سورة، ضمن خمسة عشر وثلاثمائة (315) آية، بينما وُظِّفت في أحد عشر وثلاثمائة (311) موضع في الحديث الشريف من خلال الكتب التسعة.

وغني عن البيان، أن حجم ورود مصطلحٍ ما في نصٍّ ما دالٌّ على منزلته فيه، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما بال حجم ورود مصطلح في نصٍّ قرآني محكم ومفصل من لدن المولى ﷻ الحكيم الخبير: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[1]، أو في نصٍّ حديثي صادر عن مشكاة الوحي الإلهي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2]؟! فما من مصطلح ورد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف إلا لغرض معين ولدلالة معينة، وإذا تكرر كان ذلك دليلاً على أهميته ومنزلته، وهذا ما يلاحظ عند تأمل موارد المصطلحات الآتية ومدى مناسبة حجم كل منها مع أهميتها:

الرتبة	المصطلحات	حجم ورودها القرآن الكريم
الأولى	الرحْمة	339
الثانية	الهدى	312
الثالثة	المغفرة	234
الرابعة	الإحسان	194
الخامسة	النجاة	66
السادسة	النفع	50

نخلص هنا إلى أن الرحمة أكثر ورودا من المصطلحات الواردة في الجدول، ولذلك سر ينبغي الكشف عنه. وبما أن الهدى هو الدلالة الموصلة إلى الرحمة، فقد جاءت منافسة للرحمة من حيث الحجم. كما أن المغفرة نتيجة للرحمة والهدى، ولا يمكن للفرع أن يكافئ الأصل حجما وشكلا، وهلمَّ جرًّا.

(1) سورة هود، الآية: 1.

(2) سورة النجم، الآية: 3 – 4.

ولقد كان لغزارة ورود لفظ الرحمة وقع على ثراء كبير ينعكس إيجابا على بنيته المفهومية، ومقوماته الذاتية، وامتداداته الاصطلاحية، وبالتدبر في حجم الورود ومجاله يمكن رصد الدلالات التالية:

۞ أول ما يلفت النظر في حجم الورود أن القرآن المكي يمثل مصدر أغلب مواضع (الرحمة) بنسبة تقارب ثلثي نسبة وروده في القرآن المدني، وذلك في عشرين ومائتي (220) موضع، أي ما يمثل نسبة (65.783 %) من جملة المواضع الواردة، ضمن إحدى وأربعين سورة (41) مفرقة في تسع ومائتي (209) آية، في حين بلغت نسبة الورود في القرآن المدني (34.217%)، وذلك في تسعة عشر ومائة (119) موضع، ضمن إحدى وعشرين (21) سورة مفرقة في ست ومائة (106) آية.

ومن دلالات ذلك أن الرحمة مصطلح قرآني مركزي ضمن المصطلحات القرآنية المركزية المؤسسة للعقيدة الإسلامية والدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالبعث والحساب، وبناء الإنسان المؤمن وتربيته على التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير. فالقرآن المكي يدعو إلى الإيمان بالله وحده؛ فهو (الرحمن الرحيم، وأرحم الراحمين، وذو الرحمة التي وسعت كل شيء)، كما يدعو إلى التخلق بأخلاق الراحمين الذين سيرحمهم الرحمن ويدخلهم في رحمته يوم الفزع الأكبر.

وبما أن اللفظ حاضرٌ في القرآن المدني، ولو بنسبة أقل، فإن هذا يدل على أن مصطلح الرحمة تطور على المستوى الاستعمالي من مرحلة تأسيس العقيدة الإسلامية وبناء القيم الإنسانية، إلى مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية وبناء حضارتها وتكوين المجتمع المسلم. وعند التمعن في الآيات المدنية يلاحظ أن القرآن المدني يعالج القضايا المتعلقة بإقامة دولة الرحمة المبنية على العدل والإحسان، وبناء مجتمع التراحم والتسامح القائم على المودة والرأفة.

۞ ارتبط مفهوم الرحمة في الحديث الشريف أساسًا بالرقاق وتهذيب الأخلاق وطلب المغفرة والتوبة، ومنه ما هو امتداد لما جاء في القرآن الكريم، سواء أجاء بيانًا وتفصيلاً لما لم يُجزأْ ويُبين في بعض النصوص أم جاء مستندا إليه للإجابة عن بعض الدعاوى، أم جاء مؤكدا لبعض الدلالات التي قد ينتابها اللبس نتيجة التداخل في المفهوم بين المعنى الأصلي وما يتفرع عنه، من قبيل الرَّحِم الدالة على وعاء الجنين، والرَّحِم الدالة على علاقة القرابة. ولهذا نجد أن حجم ورود المصطلح في الحدث الشريف ينافس حجم وروده في القرآن الكريم بفارق ثمانية وعشرين موضعاً.

المسلك الثاني: دلالات شكل الورود

ورد لفظ (الرحمة) في القرآنِ الكريم والحديث الشريف بأشكال وصيغٍ متنوّعة تصرّح بتنوعِ دلالاته، وتؤكد لنا محورية مفهومه في فهمِ المنطق الذاتي للقرآن الكريم والحديث الشريف. ومن خلال تدبر معطى الإحصاء من حيث أشكال الورود وصيغه يمكن رصد الدلالات الآتية:

أ. بالنسبة للصيغ الاسمية:

يُلاحظ من خلال معطى شكل الورود – سواء في النصوص القرآنية أو الحديثية – أن المصطلح ورد في جل النصوص بالصيغة الاسمية، وهذا يدل على أن الرحمة مصطلح متينٌ له مفهوم ثابت وراسخ، وممتد بدلالات خصبة، مستقلة عن غيرها بما يميزها[1]، عبر الصفات والعلاقات والضمائم والمشتقات، مما يعكس وفرة قضاياه التي تشمل كل الجوانب: العقدية والأخلاقية، والاجتماعية والاقتصادية، والعلمية والعملية، والشؤون التدبيرية والتكليفية، مما جعل لمصطلح الرحْمة مفهوماً ثابتاً ومتفرعاً ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ب. بالنسبة للصيغ الفعلية:

يُلاحظ كذلك من خلال معطى شكل الورود، استعمال فعلي متنوع، يفيد تنوعا في دلالات الحدوث وفق الأزمنة التي يتم فيها إيصال الرحمة إلى المخلوقات أو طلبها من الخالق ﷻ، لا سيما أزمنة الماضي والمضارع والأمر؛ وهذا يشير إلى أن مصطلح (الرحْمة) مصطلح حيوي وحركي.

۞ فورود مصطلح (الرحْمة) بصيغة الماضي يوحي بتحقق وقوع حدثه، ويؤكد على حتمية حصول الإيصال إلى المحتاجين، كما يؤكد على أن حدث (الرحْمة) قد تمثل في تأصيل مبدأ العلاقة بين الخالق والمخلوق؛ إذ برحْمته ﷻ خلقه، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[3].

---

(1) سيأتي بيانها في الفصل المتعلق بالمقومات الذاتية للمصطلح ومميزاته.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 24.

(3) سورة الرحمن، الآيات: 1- 4.

ويلاحظ أيضا أن المصطلح ورد في الحديث الشريف بصيغة الماضي على سبيل الإخبار، وأريد به الدعاء، كما في قوله ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ حَارِسَ الْحَرَسِ**»[1]، وذلك إظهارا بتيقّن الاستجابة والتفاؤل بحصول الرحْمة من الله فضلاً عن التأكيد والحرص على وقوعها. وفيما يلي دراسة تفصيلية لدلالة كل صيغة:

أولا: صيغة ﴿رَحِمَ﴾ في القرآن والحديث:

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم ست مرات، وفي الحديث الشريف أربع وعشرين مرة، أما حالات ورودها فهي على النحو الآتي:

ورد فعل ﴿رَحِمَ﴾ صلة لموصول مستثنى في أربعة مواضع[2]، وفي موضع واحد، ورد جواب الشرط مسبوقا بحرف تحقيق (قد) مقترنا بالفاء[3]، ومرة ورد مقرونا بحرف (إنْ) الشرطية[4]، وورد مثبتا غير مسبوق بنفي أو شرط في أربعة وعشرين موضعاً[5].

والملاحظ في هذه الموارد أن فاعل ﴿رَحِمَ﴾ هو اسم الجلالة ظاهراً: ﴿رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ ﴿رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ ﴿رَحِمَ رَبِّيٓ﴾، أو ضمير مستتر، تقديره (هو)، ينوب عن اسم الجلالة: ﴿رَّحِمَ﴾، ﴿رَحِمَهُ﴾، ﴿رَحِمَنَا﴾، وهذا دليلٌ صريحٌ على أن الله ﷻ هو الراحم على الإطلاق، وأن صفة الرَّحْمة ثابتة في ذاته ﷻ، ولذلك دلت سياقات الآيات الكريمة على أن رفع المحن والشدائد لا يكون بالاستحقاق، إنما يكون برحْمة من الله وفضل؛ فلا عصمة، ولا إنقاذ، ولا رَحمة، إلاَّ لِمَن سبقت له الرَّحْمة من اللهُ ﷻ[6].

---

(1) سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله، حديث رقم: 2769.

(2) وهي في السور والآيات الآتية: هود: 43، 119، ويوسف: 53، والدخان: 42.

(3) وذلك في سورة الأنعام: 16.

(4) وذلك في سورة الملك: 28.

(5) مواردها في: صحيح البخاري، حديث رقم: 2076، وحديث رقم: 2076، وحديث رقم: 6059، وحديث رقم: 6891، وحديث رقم: 6335، وحديث رقم: 2655، وحديث رقم: 6481، وصحيح مسلم، حديث رقم: 3044، وحديث رقم: 2054، وسنن الترمذي، حديث رقم: 3714، وحديث رقم: 3939، وحديث رقم: 1271، وحديث رقم: 1057، وسنن ابن ماجة، حديث رقم: 2769، وحديث رقم: 1336، وحديث رقم: 165، وحديث رقم: 3923، وسنن النسائي، حديث رقم: 3628، وسنن أبو داود، حديث رقم: 4751.

(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 4/ 24، وتأويلات أهل السنة: 6/ 134.

ثانيا: صيغة ﴿رَحِمْنَٰهُم﴾ في القرآن:

وردت هذه الصيغة مرة في القرآن الكريم، مقروناً بحرف (لو) الشرطية الامتناعية غير الجازمة وذلك في قول الحق ﷻ: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

وفاعل ﴿رَحِمْنَٰهُمْ﴾ في هذه الآية الكريمة يعود على اسم الجلالة، والمفعول به – ضمير متصل – ينوب عن اسم موصول مبهم يعود بدوره على أولئك المشركين القاسية قلوبهم، المكذبين بالآخرة، البالغين في التمرّد والعناد حداً لا يُرجى معه صلاحهم فلا يفيدهم الابتلاء بالنعمة، ولا الابتلاء بالنقمة؛ فإن أصابتهم النعمة استمروا في استكبارهم عن الحق وإفراطهم في الكفر والعدوان، وإن أصابتهم النقمة لم تلن قلوبهم، و لم تستيقظ ضمائرهم.

ولهذا جاء الفعل منفيا بحرف (لو) الدالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط، أي امتناع الرَّحْمة وكشف الضرِّ (إزالة القحط والجدب، والإمداد بالنعم) لامتناع الإيمان والانقياد، (الاستمرار في العناد والطغيان، والتمادي في الضلالة). يقول العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولَوْ هُنَا دَاخِلَةٌ عَلَى الفِعْلِ المَاضِي المُرَادِ مِنْهُ الاسْتِقْبَالُ بِقَرِينَةِ المَقَامِ إِذِ المَقَامُ لِلإِنْذَارِ وَالتَّأْيِيسِ مِنَ الإِغَاثَةِ عِنْدَ نُزُولِ العَذَابِ المَوْعُودِ بِهِ، وَلَيْسَ مَقَامَ اعْتِذَارٍ مِنَ اللهِ عَنْ عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِ لَهُمْ أَوْ عَنْ إِمْسَاكِ رَحْمَتِهِ عَنْهُمْ لِظُهُورِ أَنَّ ذَلِكَ لا يُنَاسِبُ مَقَامَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ. وَأَمَّا مَجِيءُ هَذَا الْفِعْلِ بِصِيغَةِ المُضِيِّ فَذَلِكَ مُرَاعَاةً لما شَاعَ فِي الكَلامِ مِنْ مُقَارَنَةِ (لَوْ) لِصِيغَةِ الحَاضِرِ لأَنَّ أَصْلَهَا أَنْ تَدُلَّ عَلَى الامْتِنَاعِ فِي المَاضِي وَلِذَلِكَ كَانَ الأَصْلُ عَدَمَ جَزْمِ الفِعْلِ بَعْدَهَا»[2].

والمتأمل في مضمون هذه الآية الكريمة يرى كأن هذه الجملة الشرطية معطوفة على مضمون قوله ﷻ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3]؛ لا تَجْأَرُوا[4] اليوم فلا يجيركم أحدٌ ولا ينصركم، أي يتلقون الزجر والتأنيب، والتيئيس من كل نجدة ومن كل نصير، وهم يستغيثون ويسترحِمون: ألا يرحَمكم أحدٌ؛ فكأنَّ هذا تعليل لنفي المَرْحَمة عليهم لعلمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلجاجهم في طغيانهم[5].

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 75.

(2) التحرير والتنوير: 18/ 99.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 65.

(4) وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة؛ وجأر الرجل إلى الله تضرع بالدعاء. ويقال: جَأَرَ: إذا أفرط في الدعاء والتضرّع تشبيها بصياح الوحشيات، كالبقر والظباء ونحوها. المفردات: 211، ونظم الدرر: 13/ 162، وروح البيان: 6/ 92.

(5) التفسير المظهري: 6/ 396، وتفسير المراغي: 18/ 36، وفي ظلال القرآن: 4/ 2473.

ثالثا: صيغة ﴿رَحِمْتَهُۥ﴾ في القرآن:

وردت هذه الصيغة مرة في القرآن الكريم، جواب الشرط مسبوقا بحرف تحقيق (قد) مقترنا بالفاء، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[1].

والملاحظ في الآية الكريمة أن فاعل ﴿رَحِمْتَهُۥ﴾ يعود على اسم الجلالة، والمفعول به – ضمير متصل – ينوب عن اسم شرط جازم[2] يعود بدوره على كل مؤمن وقاه الله ﷻ جزاء سيئاته يوم القيامة فلم يؤاخذه، وذلك في سياق دعاء الملائكة حَملة العرش والذين حوله للمؤمنين بكلامٍ جَميلٍ بديعٍ جامعٍ مانعٍ محصورٍ في جهتين؛ التمجيد للرب، وطلب المغفرة لأهل الإيمان[3].

يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجُمْلَةُ ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ﴾ تَذْيِيلٌ، أَيْ وَكُلُّ مَنْ وُقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَدْ نَالَتْهُ رَحْمَةُ اللهِ، أَيْ نَالَتْهُ الرَّحْمَةُ كَامِلَةً؛ فَفِعْلُ ﴿رَحِمْتَهُۥ﴾ مُرَادٌ بِهِ تَعْظِيمُ مَصْدَرِهِ. وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا المُرَادِ فِي هَذِهِ الآيَةِ قَوْله ﷻ: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ إِذْ أُشِيرَ إِلى المَذْكُورِ مِنْ وِقَايَةِ السَّيِّئَاتِ إِشَارَةً لِلتَّنْوِيهِ وَالتَّعْظِيمِ»[4].

والمتبادر أن الآيات الكريمة جاءت معقبة على الآيات السابقة لتنوِّهَ بالمؤمنين المنيبين إلى الله المتبعين سبيله، والملتفين حول رسوله ﷺ، ولتبثَّ فيهم الطمأنينة والغبطة والبشرى بما ينتظرهم من قرة العين وعظيم الفوز في الآخرة[5]؛ فسيقت الجملة الكريمة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ﴾ لإثبات وتوكيد أن الوقاية من السيئات والإنجاء من العذاب وإدخال الجنة من مظاهر الرَّحمة المفضية إلى الفوز العظيم؛ أي الفوز الذي لا فوز مثله ولا مطمع وراءه لطامع، ولا يتنافس المتنافسون بأحسن منه! كيف لا؟ وهو فوزٌ بالنَّعيم خالصاً من الكُدْرَاتِ التي تقطع وتُنْقِصُ حلاوة النِّعْمَةِ؛ فهذا هو الظفر العظيم[6].

---

(1) سورة غافر، الآية: 7- 9.

(2) قال الشيخ صافي: «(مَنْ) اسم شرط جازم في محلّ نصب مفعول به عامله (تق)». الجدول في إعراب القرآن: 24/ 224.

(3) بيان المعاني: 3/ 570.

(4) التحرير والتنوير: 24/ 94.

(5) التفسير الوسيط لطنطاوي: 12/ 265، والتفسير الحديث: 4/ 353.

(6) التحرير والتنوير: 24/ 94، وتيسير الكريم الرحمن: 732.

۞ ورود المصطلح كذلك بصيغة المضارع له دلالة واضحة على أن (الرحْمة) صفة خالدة تتميز بحركة مستمرة ومتجددة عبر الزمان والمكان؛ فالرحْمة لا تنتهي بانتهاء الحياة الدنيا، ولا تزول بزوالها، بل تستمر إلى الحياة الآخرة. ولبيان ذلك نقوم بدراسة تفصيلية لدلالة كل صيغة:

أولا: صيغة (تَرْحَمُ) في القرآن والحديث:

وردت هذه الصيغة في ثلاثة مواضع: مرتين في القرآن الكريم ومرة في الحديث الشريف، وحالات ورودها كما يلي:

وردت مرة مسبوقة بحرف (إنْ) الشرطية الجازمة، ومنفية بحرف (لَمْ)[1]، ومرة وردت مقرونة بحرف (إنْ) الشرطية، ولا النافية[2]، ومرة مقترنة بلام التعليل[3].

والملاحظ في هذه الموارد أن الفاعل في ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾، ﴿وَتَرْحَمْنِيَ﴾، «**لِتَرْحَمَنَا**» ضمير مستتر تقديره (أنتَ)، يعود على اسم الجلالة؛ وهذا يدل على ثبوت صفة الرَّحْمة لله ﷻ، وأنه ﷻ هو مصدر الرحمة بلا شريك، كما يتضح من خلال السياق الذي يبين بأن الرحمة مترتبة على امتثال أوامر الله ﷻ بالخوف والرجاء. وكذلك يدل زمن الفعل على حدوثه في الحاضر والمُسْتَقْبَلِ[4]، ويعضد ذلك أدوات الشرط والتعليل المقترنة بالفعل.

ثانيا: صيغة (يَرْحَمُ) في القرآن والحديث:

وردت هذه الصيغة خمس مرات في القرآن الكريم وسبع مرات في الحديث الشريف، وأشكال ورودها على النحو الآتي:

وردت مرة مقترنة بحرف (إنْ) الشرطية الجازمة المسبوقة باللام الموطئة للقسم (لَئِن)، ومنفية بحرف (لَمْ)[5]، ومرة وردت مسبوقة بحرف مصدريّ ونصب (أن)[6]، ومرة وردت جواب الشرط مقترنة بفعل المشيئة[7]، ومرة وردت مثبتة غير مسبوقة بنفي أو شرط[8].

---

(1) وذلك في سورة الأعراف: 23.

(2) وذلك في سورة هود: 47.

(3) وذلك في سنن الترمذي، أبواب صفة جهنم، باب ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2599.

(4) التحرير والتنوير: 1/ 439. ونظم الدرر: 7/ 375.

(5) وذلك في سورة الأعراف: 149.

(6) وذلك في سورة الإسراء: 8.

(7) وذلك في سورة الإسراء: 54.

(8) وذلك في سورة العنكبوت: 21.

والفاعل في ﴿يَرْحَمْنَا﴾، ﴿يَرْحَمَكُمْ﴾، ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾، ﴿وَيَرْحَمُ﴾ هو اسم الجلالة ظاهرا أو مضمرا، وهذا يعضِّد كون مصدر الرحْمة هو الله ﷻ، كما يدلُّ زمن الفعل على التجدد والاستمرار. وكذلك دل سياق الآيات على أن الرحمة المذكورة هي رحمة ثابتة في الحاضر ومتجددة في المستقبل؛ عود الله ﷻ عباده بالإحسان إليهم بها، وحفظها عليهم إلى الأبد شريطة الانقاد له بالطاعة[1].

ثالثا: صيغة ﴿سَيَرْحَمُهُمُ﴾ في القرآن الكريم:

في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[2].

ورد الفعل في جملة استئنافيّة مقترنا بحرف استقبال، والفاعل فيه هو اسم الجلالة (الله). ويدل سياق الآية الكريمة على أن الله ﷻ يتعهد برحْمته عباده المَنعُوتينَ بالنُّعُوتِ الجليلةِ المذكورة في الدنيا والآخرة[3]، كما يفيد ذلك دخولُ حَرْفِ (السين) فيه؛ قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسِّينُ لِتَأْكِيدِ حُصُولِ الرَّحْمَةِ في المُسْتَقْبَلِ، فَحَرْفُ الاسْتِقْبالِ يُفِيدُ مَعَ المُضارِعِ ما تُفِيدُ قَدْ مَعَ الماضِي كقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾[4]»[5].

رابعا: صيغة ﴿تُرْحَمُونَ﴾ في القرآن الكريم:

وردت هذه الصيغة (المبني للمجهول) في القرآن الكريم جُملة تعليليّة حالية، مقترنة بحرف مشبَّه بالفعل للترجّي (لعلّ)، وذلك في ثَمانية مواطن[6] منها: قول الحق ﷻ وهو أصدق القائلين: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[7].

---

(1) نظم الدرر: 11/ 378.

(2) سورة التوبة، الآية: 71.

(3) جامع البيان: 14/ 347، وإرشاد العقل السليم: 4/ 82، والتحرير والتنوير: 10/ 263.

(4) سورة الضحى، الآية: 5.

(5) التحرير والتنوير: 10/ 263.

(6) مواردها في: آل عمران: 132، والأنعام: 155، والأعراف: 63، 204، والنور: 56، والنمل: 46، ويس: 45، والحجرات: 10.

(7) سورة الأنعام، الآية: 154- 155.

والمتأمل في الآيات الكريمة التي ورد فيها صيغة ﴿تُرْحَمُونَ﴾، يراها تشير إلى أقوى الأسباب وأعظمها للظفر بالرَّحْمَةِ، وهي: التَّقْوَى، وطاعة الله ﷻ ورَسوله ﷺ، واتباع القُرآن الكريم والاستمَاع له، والإنصات إليه، والاستغفار. وهذا يعني أن رَحْمَةَ الله ﷻ لعباده منوطة بهذه الأسباب، وذلك بقرينة أسلوب الترجِّي ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: رجاء أن تكون رحْمة الله تعمكم[1]، والرجاء هنا من العباد، لا من الله ﷻ؛ لأن الرجاء إنَّما يكون في حقّ من لا يقدر، والله ﷻ قادرٌ على كلِّ شيء. ولذلك يصح أن نقول إن في الآيات الكريمة بيان أن الرَّحْمة هي الغاية المرجوة للتقوى والطاعة والاتباع... وبهذا يكون العبد المؤمن على صلة دائمة بربه ﷻ، يرجو رحْمته ويخشى عذابه باستمرار.

۞ يدلُّ ورود المصطلح بصيغة الأمر على أهَمِّية (الرحْمة) وضرورتِها في جَميع الأحوال، حيث تبين من خلال تتبع سياقات مواردها أنَّ الرَّحْمة هي النبراس الذي به يهتَدِي الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة. لذلك فهي مطلوبة ومأمور بِها في كل الأوقات والأحيان، ويعضد ذلك ورود المصطلح بأسلوب الدعاء في أغلب الموارد[2]، وروده بأسلوب الأمر في موضع واحد[3].

ج. وبالنسبة للتعريف والتنكير:

فإن للتعريف والتنكير في التعبير القرآني والحديثي دلالات متعددة ومعاني متنوعة، نحاول الكشف عن مكنونها، من خلال الوقوف على مواطن ورود لفظ الرحْمة في حالة التنكير أو التعريف، وذلك على النحو الآتي:

جـ1. في حالة التنكير:

ورد لفظ (الرحْمة) نكرة في إحدى عشرة ومائة (111) مرة في نصوص القرآن والحديث، ويتحصل من التأمل في سياقات وروده أن تنكير لفظ الرحْمة يفيد دلالات عدة منها:

---

(1) مفاتيح الغيب: 14/ 187، والتحرير والتنوير: 8-أ/ 179، ولباب التأويل: 2/ 174، وتفسير المراغي: 8/ 78، وتيسير الكريم الرحمن: 281، وفي ظلال القرآن: 3/ 1237، وزهرة التفاسير: 5/ 2747.

(2) حيث ورد خمس مرات في القرآن الكريم وهي: البقرة: 286، والأعراف: 155، والإسراء: 24، والمؤمنون: 109، 118. وخمس مرات في الحديث الشريف وهي: صحيح البخاري، حديث رقم: 6326، وحديث رقم: 2655، وسنن أبي داود، حديث رقم: 3202، وسنن الترمذي، حديث رقم: 1924، وحديث رقم: 3570.

(3) وذلك في سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: 1924.

أولا: الدلالة على الإشاعة والإبهام الذي يتضمن أي وجه من أوجه الرحْمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[1]، يقول مصطفى المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنى الآية: إن «مفاتيح الخير ومغاليقه كلها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فما يعطي من خير فلا يستطيع أحد منعه ولا إمساكه، وأي خير يمسكه فلا يبسطه ولا يفتحه لهم فاتح، لأن الأمور كلها بيده عَزَّوَجَلَّ، ومنه البذل والعطاء، والمنع والإمساك»[2].

ويقول أبو الطيب القِنَّوجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستعير الفتح[3] للإطلاق والإرسال إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزها منالاً، وتنكير الرحْمة للإشاعة والإبهام كأنه قيل: أي رحمة كانت سماوية أو أرضية، والعموم مفهوم من اسم الشرط، و(من رحْمة) بيان لذلك العام من أي صنف هو، وهو مما اجتزئ فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات»[4].

ثانيا: الدلالة على التعظيم، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[5]، وهذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة النبي ﷺ، ومزيتها على سائر الشرائع، مزية تناسب عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين، فصيغت الآية بأبلغ نظم؛ إذ هي بوجازة ألفاظها «تشتمل على أربعة وعشرين حرفا بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذُكر فيه الرسول ﷺ، ومرسله عَزَّوَجَلَّ، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال،

---

(1) سورة فاطر، الآية: 2. وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ...**» [سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة، حديث رقم: 3419].

(2) تفسير المراغي: 105/22.

(3) يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفتح: تمثيلية لإعطاء الرحْمة، إذ هي من النفائس التي تشبه المدخرات المتنافس فيها فكانت حالة إعطاء الله الرحْمة شبيهة بحالة فتح الخزائن للعطاء، فأشير إلى هذا التمثيل بفعل الفتح، وبيانه بقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ قرينة الاستعارة التمثيلية»، التحرير والتنوير: 252/22.

(4) فتح البيان: 219/11.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 107. وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، [سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، حديث رقم: 4659].

واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير رحْمة للتعظيم، إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا أنك الرحْمة للعالمين»[1].

ثالثا: الدلالة على الشمولية، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾[2]، هذه الآية الكريمة دعاء الراسخين في العلم الذين آمنوا بما تشابه من آي كتاب الله، وأنه والمحكم منها من تنزيل رب العالمين ووحيه.

يقول النيسابوري: «ونكر رحْمة ليشمل جميع أنواعها؛ فأوّلها: أن يحصل في القلب نور الإيمان والتوحيد والمعرفة، وثانيها: أن يحصل في الجوارح والأعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة، وثالثها: أن يحصل له في الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الأمن والصحة والكفاية، ورابعها: أن يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت، وخامسها: سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر، وسادسها: في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات، وسابعها: في الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وثامنها: في الحضرة رفع الأستار ورؤية الملك الجبار»[3].

رابعا: الدلالة على التصغير والتقليل، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩﴾[4]، جاءت هذه الآية في سياق بيان مقام الإيمان، ودرك الكفر، حيث يوجه الكلام لكبراء الشرك، الذين كانوا يعتزون بأنهم أكثر مالا وأعز نفرا، فيستكبرون عن أن يكونوا تابعين للأنبياء، وكانوا يسخرون من المؤمنين الفقراء لدنوِّ مَنْزلتهم في الدنيا، بأن لو كان هناك نعيم في الآخرة، لكانوا أحق الناس بِها لعلو مكانتهم، ويقسمون إن هؤلاء الفقراء من أتباع النبيين لن ينالهم الله برحْمة من عنده. فقال لهم أهل الأعراف مشيرين إلى هؤلاء الضعفاء، لما رأوهم في الجنة، وهم أقوياء مستمتعون: أهؤلاء الذين تروهم في رحمة الله ﷻ في جنة الخلد، هم الذين أقسمتم أن الله لا ينالهم برحْمة ؟

(1) التحرير والتنوير: 165/17؛ وأضواء البيان: 251/4.

(2) سورة آل عمران، الآية: 8.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:110/2.

(4) سورة الأعراف، والآية: 49.

يقول محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتنكير الذي جاء على ألسنتهم في الدنيا لتصغير الرحمة؛ أي أنهم أقسموا أن الله تعالى لا ينالهم بأي رحْمة مهما صغرت وضؤلت، إذ ظنوا أن من ينالون القوة والثراء في الدنيا هم الذين ينالونها في الآخرة إن كانت»[1].

جـ2. في التعريف:

ورد لفظ (الرحْمة) معرفا في اثنتين وخمسين ومائة حالة في نصوص القرآن والحديث؛ جاء في ثلاث وأربعين منها معرفاً بالألف واللام، وفي تسع وستين منها معرفاً بالإضمار، وفي أربعين منها معرفاً بالإضافة. ونبين دلالات ذلك على النحو الآتي:

جـ1.2. التعريف بالألف واللام:

ورد لفظ (الرحْمة) معرفا بالألف واللام في ثلاث وأربعين حالة في القرآن والحديث، وعند التدبر في سياقات ورودها نجد أن التعريف بالألف واللام يدل على العموم والاستغراق، أي تلك الرحْمة العامة التي تستغرق جَميع أنواع الرحَمَات في الدارين، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[2]، فالرَّحْمة هٰهنا، هي الرَّحْمة التي وسعت كل شيء؛ في الخلق والتدبير والتكليف، والحياة والمعاش والممات، والبعث والحساب والجزاء[3].

جـ2.2. التعريف بالإضافة:

ورد لفظ (الرحمة) معرفا بالإضافة إلى اسم الجلالة في تسع وأربعين حالة في القرآن الكريم؛ فجاء ظاهرا ثلاث عشرة مرة، ومضمرا ستا وثلاثين مرة، كما ورد في سبع وخمسين حالة في الحديث الشريف؛ جاء ظاهرا في ست وعشرين مرة، ومضمرا في إحدى وثلاثين مرة.

ومن خلال الاستقراء الشامل لنصوص الرحْمة، تبين أنها حيثما وردت مضافة إلى اسم الجلالة ظاهرا فإنها تدل على المعنى المصدري الذي يوحي بفعل الله عَزَّ وَجَلَّ وفعله واقع على من يشاء من عباده، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾[4]، وهذا النوع من الإضافة يكسب لفظ (الرحْمة) معنى الإحسان من حيث فعليته؛ أي: إيصال الخير إلى العبد، ودفع الشر عنه، كما

(1) زهرة التفاسير: 2852/6.

(2) سورة الأنعام، الآية: 133.

(3) التحرير والتنوير: 153/7؛ والبحر المحيط: 447/4؛ وأنوار التنزيل: 155/2؛ والتفسير القرآني للقرآن: 138/4؛ وزهرة التفاسير: 2679/5.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 21.

في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾[1]، فقوله: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: يطمعون أن يرحمهم الله ﷻ بفضله وإحسانه؛ في الدنيا بالتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم، وفي الآخرة بالخلود في جنات النعيم[2].

أما حينما ترد مضافة إلى ضمير ينوب عن اسم الجلالة فإنها تدل على المعنى الاسمي الذي تحيل دلالته على وسائل الرحمة التي يرحم بها الله ﷻ من يشاء من خلقه، إما بإيصال خير وإما بمنع شرٍّ، شريطة التجاوب مع تلك الوسائل؛ استجابةً لنداء الله ﷻ، وإيمانًا بما جاء به رسلُه عليهم السلام، واستقامةً على منهاج كتبه. قال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥﴾[3]. وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٞ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣﴾[4].

ومن نافلة القول، إن هذه الوسائل[5] هي رحَمات في حد ذاتها. ومما يثبت ذلك، نذكر على سبيل المثال رحْمةَ المطر (الماء) التي هي في نفس الوقت وسيلة لرحَمات أخرى كإيصال الرزق والحياة، أو منع الجدب والجوع؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٖ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرٗا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنْ أَعْنَابٖ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهٗا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ٩٩﴾[6]. هذه الآية الكريمة تؤكد على كون المطر نوعاً من أنواع الرحْمة ووسيلة من وسائل رحْمته ﷻ؛ ذلك بأنه إحسان وإنعام من الله ﷻ إلى عباده، جعل منه كلَّ شيء حيًّا، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾[7]، وبه رَحِمَ عباده من الجدب، ورزقهم ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 218.

(2) قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله ﷻ: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾، أي: يطمعون أن يرحَمهم الله فيدخلهم جنته بفضل رحْمته إياهم». [جامع البيان: 319/4]. ومثله في الحديث الشريف قوله ﷺ: «**رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى**»؛ أي: رحِمه الله. [صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم: 4335، وحديث رقم: 6291].

(3) سورة الأنعام، الآية: 154- 155.

(4) سورة الأعراف، الآية: 59- 74.

(5) منها: الإسلام، والنبوة، والكتب، والمطر، والعافية، والرقة، والمودة، والعصمة، والتوفيق، والمغفرة، والجنة، ... وغيرها.

(6) سورة الأنعام، الآية: 99.

(7) سورة الأنبياء، الآية: 30.

(1) سورة البقرة، الآية: 61.

إذن، فالماء في حد ذاته رحْمة ووسيلة لإيصال رحْمة الحياة، ورحْمة الخصوبة والرزق، ووسيلة لدفع شرّ الهلاك، وشرّ الجدب والمجاعة، وهكذا تظل كلُّ رحْمةٍ وسيلةً لأخرى وهلمَّ جرًّا.

د. وبالنسبة للتعدي واللزوم:

۞ يتعدى فعل (الرحْمة) بنفسه إلى مفعول واحد، وذلك وارد في القرآن والحديث من خلال سبعة وسبعين موضعا؛ ثمانية وعشرون منها في القرآن الكريم، وتسعة وأربعون منها في الحديث الشريف، وقد أسند الفعل في جُلِّ الموارد إلى اسم الجلالة ظاهرا أو مستترا، كما يتعدى المصدر نفسه إلى مفعوله بواسطة لام التعدية من خلال ستة عشر موضعا في القرآن الكريم، وخمسة مواطن في الحديث الشريف.

وبعد سَبْر أغوار النصوص، في الاستعمالين القرآني والحديثي لفعل (الرحْمة) تبين أن ثَمَّ تنوعاً على مستوى المفعول بحسب أنواع الرحمة: (رحمة جالبة للنفع أو رحْمة دافعة للضرّ)، مع أن الفاعل واحد وهو الله، ولعلَّ ذلك إشارة صريحة إلى وحدانية الراحم، وتَعددية الرحمة والمرحوم.

۞ تعدي المصدر (رحْمة) إلى مفعوله بواسطة لام الاختصاص من خلال ستة عشر موطنا في القرآن الكريم، وخمسة مواطن في الحديث الشريف، دلالةً على أن المختصين بالرحمة هم المنتفعون بما وُصف بالرحمة في القرآن والحديث؛ كالقرآن، والتوراة، والنبي ﷺ، والطاعون...[1]، سواء أدل المتوجه إليه بـــ(الرحْمة) على العموم كلفظ العالمين[1] أم دل على مخصوصين كالمؤمنين، والمحسنين، والموقنين، والمسلمين...[2].

---

(1) وُصف القرآن بالرحْمة في عدة آيات نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [سورة النمل، الآيات: 76–77]، وكذلك وُصفت التوراة في قوله تعالى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝١٥٤﴾ [سورة الأعراف، الآية: 154]، ووُصف النبي ﷺ بالرحْمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 107]، وفي قوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**» [سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، حديث رقم: 4659]، وجاء وصف الطاعون بالرحمة في قوله ﷺ: «**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**» [صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3474].

(1) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، وفي قوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**» [سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، حديث رقم: 4659].

(2) كما في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [سورة يونس، الآية: 57]، وقوله ﷺ: «**وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**» [البخاري: 3474]، وفي قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [سورة لقمان، الآية: 3]، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الجاثية، الآية: 20]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [سورة النحل، الآية: 89].

٥. في الإسناد:

أسندت إلى لفظ (الرحْمة) وظيفة الفاعلية من خلال ما أسند إليه من أفعال وهي: المجيء والغشيَة والإدراك، كما أسندت إليه وظيفة المفعولية، فورد مفعولا به في ستة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، وثلاثة وعشرين موضعاً في الحديث النبوي، وذلك من خلال الأفعال الواقعة عليه.

ومن خلال التدبر في سياق ورود لفظ (الرحْمة) فاعلا نخلص إلى أنه يدل على وسيلة لإيصال النفع إلى العبد تارة، اعتبارا للفعل المسند إليه، كفعلَي: (المجيء والغشيَة)[1]، ويدل على وسيلة لدفع الضر عن العبد تارة أخرى، باعتبار الفعل المسند إليه، كفعل (الإدراك)[2].

ونستنتج من خلال التأمل في سياق ورود لفظ (الرحْمة) مفعولا به أنه يدل على الخير الموصول إلى العبد تارة، باعتبار الفعل الواقع عليه، كأفعال (الجَعْل، والإذاقة، والإتيان، والكتابة، والنشر، والخلق، والإرسال، والإنزال، والفتح، والإعطاء، والوضع، والهبة)[3]، ويدل على الخير المطلوب إيصاله إلى المحتاج تارة أخرى، اعتبارا للفعل الواقع عليه، كأفعال (الرجاء، والإرادة، والسؤال، والإقراء)[1].

هذا، وقد وقعت على لفظ (الرحْمة) أفعالٌ دلَّت على أن الرحمة قد تزول من بين يدي المرحوم، أو تُمنعُ عن الوصول إليه، كفعل (النَّزْع، والقسمة)[2].

---

(1) كما جاء في قوله ﷻ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام:157]. وقوله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». سنن أبي داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في ثواب قراءة القرآن، حديث رقم: 1455.

(2) كما في قوله ﷺ: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**». سنن الترمذي، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2597.

(3) كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 21]. وفي قوله ﷺ، حين سَأَلَتْهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا: «**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**». صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3474.

(1) كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: 218]. وقوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: 57].

(2) كما في قول المولى ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف: 32]. وقول النَّبيّ ﷺ: «**للهِ ﷻ مِائَةُ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ**». مسند أحْمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 10670.

و. دلالات رسم التاء مربوطة ومبسوطة

اختلفت آراء العلماء والدارسين الذين أفردوا موضوع الرسم القرآني بالتأليف[1] حول دلالات رسم التاء في القرآن الكريم بين القبض والبسط ﴿ رَحْمَةِ، رَحْمَتِ ﴾؛ فذهب ابن البناء المراكشي[2] إلى أن التاء المقبوضة ﴿ رَحْمَةَ ﴾ تدل على المعنى العام للرحْمة المقابل لمعنى العذاب، ويشمل الرحْمة المدّخرة عند الله ﷻ التي سينعم بها عباده في أوقات لاحقة كالجنة. أما التاء المفتوحة ﴿ رَحْمَتَ ﴾ فتدل على رحْمة خاصة واقعية في حاضر الناس وآثارها ملموسة، كالرزق.

فيما ذهب بعض المحدثين[1] إلى أن التاء المغلقة ﴿ رَحْمَةَ ﴾ ترمز إلى اختصاص الرحْمة بمن نسبت إليه فقط، أما التاء المفتوحة ﴿ رَحْمَتَ ﴾ فترمز إلى سعة رحْمة الله وشمولها لجميع عباده. وذهب آخرون[2] إلى أن الرحْمة بالتاء المربوطة ﴿ رَحْمَةَ ﴾ هي رحْمة مرجوة لم تفتح للسائل بعد، أما التاء المبسوطة ﴿ رَحْمَتَ ﴾ فمفادها أنها رحْمة بسطت بعد قبضها وأتت بعد شدة.

---

(1) حيث تشير بعض المصادر إلى أن أشهر من ألف فيه عبد الله بن عامر اليحصبي (ت 118هـ) إمام القراءة بالشام، ألف فيه كتابين: (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، و(مقطوع القرآن وموصوله)، ثم توالت المؤلفات بعد ذلك لعدد من العلماء الذين تخصصوا في هذا العلم؛ منها كتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) و(المحكم في نقط المصاحف) لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ)، و(البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان) لأبي عبد الله الجهني (ت 442ه)، و(عقيلة أرباب القصائد في أسنى المقاصد) للشاطبي (ت590ه)، و(عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) لابن البناء المراكشي (ت721ه)، وفتح المنان شرح مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن) لابن عاشر (ت1040 ه)، و(سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين) و(تنبيه العطشان على مورد الظمآن) للشيخ علي بن محمد الضباع (ت 1380 هـ) شيخ المقارئ بالديار المصرية، وغيرهم. ولم ينقطع التأليف والبحث في هذا العلم، فلا تزال الجهود تبذل على مستوى العالم الإسلامي، ومنهم: محمد خلف الحسيني، ونافذ الشاعر، وأبو مسلم عبد المجيد العرابلي، ومحمد شملول، وغانم قدوري الحمد.

(2) في كتابه (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل)، حيث قال: «باب مد التاءات وقبضها، وهذا جاء في الاسم المفرد المضاف الذي فيه علامة التأنيث. وذلك أن هذه الأسماء لما كانت يلازمها الفعل صارت تعتبر اعتبارين: أحدهما من حيث هي أسماء وصفات، فهذا تقبض فيه التاء. والثاني من حيث يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود، فهذا تمد فيه التاء كما تمد في: قالت وحقت. وجهة الفعل والأثر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة»، عنوان الدليل: 109.

(1) ومنهم الدكتور نافذ الشاعر من خلال كتابه «إعجاز كتابة حروف القرآن في المصحف»، وغانم قدوري الحمد من خلال كتابه «الميسر في علم رسم المصحف وضبطه»، وغيرهما.

(2) كأبي مسلم عبد المجيد العرابلي من خلال كتابه «سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني»، ومحمد شملول من خلال كتابه «إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة»، ومن حذا حذوهما.

ولعل ما يتناسب وينسجم مع ما نتج عن الدراسة النصية والمفهومية للمصطلح هو الرأي الذي ذهب إليه ابن البناء المراكشي، حيث تبين من خلال تدبر الآيات التي وردت بها الرحْمة أنها حين تَرِد بالتاء المربوطة ﴿ رَحْمَةً ﴾ فهي توحي بالرحمة العامة، بينما الآيات التي وردت بها بالتاء المبسوطة ﴿ رَحْمَتَ ﴾ تعني رحْمة واقعية خاصة ببعض الخلق وهم:

المؤمنون والمهاجرون والمجاهدون في سبيل الله[1]، والمحسنون[2]، وأهل بيت إبراهيم[3]، وزكريا عليهما السلام[4]، والغيث الذي أحيا اللهُ به الأرضَ بعد موتها[5]، والقرآنُ الكريم؛ لَمَّا قال مشركو قريش: هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين مكة أو الطائف، أشرف من مُحَمَّدٍ ﷺ[6]، وكأنَّهم يقسمون إنزال القرآن بينهم، فيجعلون كرامة الله وفضله لِمن أرادوا[1].

ز. في المكونات الصوتية

بالنظر إلى المكونات الصوتية للفظ (الرحْمة) يمكن تسجيل الدلالات الآتية:

۞ خُلُوُّ أصوات مادة (رحم) من صفة الشدة، والإطباق، والاستعلاء، في مقابل صفة الرخاوة، والانفتاح، والاستفال، يتناسب تماماً مع طبيعة الرحْمة التي تخلو من صفة الغلظة، والعنف، والقهر، في مقابل صفة الرقة، والعطف، والبر؛ إذ الرحْمة تحمل في طياتها كل معاني الليونة والوسع[2].

---

(1) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴿٢١٨﴾ ﴾، سورة البقرة، الآية: 218.

(2) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾، سورة الأعراف، الآية: 56.

(3) في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ ﴿٧٣﴾ ﴾، سورة هود، الآية: 73.

(4) في قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾، سورة مريم، الآية: 2.

(5) في قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ ﴿٥٠﴾ ﴾، سورة الروم، الآية: 50.

(6) قال الطبري رحمه الله: «واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم، فقالوا: هلا نزل عليه هذا القرآن، فقال بعضهم: هلا نزل على الوليد بن المُغيرة المخزومي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف؟ وقال آخرون: بل عُني به هذا عُتْبةُ بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل الثقفي، من أهل الطائف». والراجح حسب ما ذكره الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ذكر من عُني بالعظيم فقال: «يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى ريحانة قريش، من أهل مكة، ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف»، ينظر: جامع البيان:592/21.

(1) في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ ﴿٣٢﴾ ﴾، سورة الزخرف، الآية: 32.

(2) كما جاء في المعنى اللغوي للفظ الرحمة، ينظر: الصفحة 25 من هذا البحث.

۞ تحتوي أصوات مادة (رحم) على صوتين متوسطين يمتازان بصفتي الانفتاح والاستفال، ولعل في ذلك إشارة واضحة إلى أن الرحْمة أساس من أسس ديننا الإسلامي الوسطي، القائم على العدل والاعتدال.

۞ تتميز مادة (رحم) بتنوع صوتي يتناسب مع تنوعها الاشتقاقي، حيث تكونت من أصوات ذات مخارج متنوعة، تشتمل على جميع الصفات العامة، وعلى ثلاث صفات خاصة؛ فتتوزع بين الجهر والهمس، والتوسط، والرخاوة، والذلاقة والإصمات، والانفتاح، والاستفال، والتكرار، والتفخيم والترقيق، وهذا ينسجم مع تنوع الرحْمة، ويؤكد على وسعها؛ لجميع المخلوقات في الدنيا والآخرة.

۞ المطلب الثالث: حد مصطلح الرحْمة في الاستعمالين القرآني والحديثي

المسلك الأول: المعاني والدلالات الجزئية

تبين من خلال تتبع دلالات مصطلح (الرَّحْمَة)[1]، والتدبُّر العميق والفهم المكين لمختلف موارده في القرآن الكريم والحديث الشريف، وملاحظة سياقاتِها الحاملة لَها، أن دلالات (الرَّحْمَة) تتوزع على معانٍ تعود كلها إلى معنى الإحسان، إما على وجه إيصال الخير والنفع أو على وجه منع الشرّ والضر، ويُمكن إجْمال هذه المعاني في الوحدات الدلالية الآتية:

المعنى الأول: صفة الله جَلَّجَلَالُهُ التي أوجب حصولَها إيجاب الفضل والكرم على نفسه ﷻ، منّة منه وإحسانا إلى عباده؛ يدل على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2]، فهو ﷻ ذو الرَّحْمَة التي عمَّت خلقه كلهم، فشملت جميعَ الكائنات: (الجن والإنس، والبهائم، والطير، والحيتان، وهوامّ الأرض، والطائع والعاصي، والمؤمن والكافر، وما استأثره الله ﷻ في علم الغيب عنده)، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

(1) مستعينا في ذلك بتتبع أقوال المفسرين وشرّاح الحديث، وعلماء مفردات القرآن الكريم، وأصحاب كتب الوجوه والنظائر...

(2) سورة الأنعام، الآية: 54.

(3) سورة الأعراف، الآية: 156.

المعنى الثاني: الإنعام بما من شأنه هداية العباد وإرشادهم إلى سبل الخير، وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم، وإنقاذهم من الضلال؛ كالإنعام بإنزال القرآن الكريم، وإرسال الرُّسُل عليهم السلام، وإنزال المطر، وتشريع الإسلام، والوعد بالجنة، وبسط الرزق، وغيرها من النعم التي لا يحصيها إلا الله عز وجل[1]. وفي هذا الصدد يقول الفيروز آبادي: «والرحْمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم»[2].

ويشهد لهذا المعنى جملة من النصوص التي دلَّ فيها لفظ (الرحْمة) صراحة أو ضمنا على: (القرآن الكريم)، و(النبوة)، و(المطر)، و(الإسلام)، و(الجنة)، و(الرزق)، و(العافية)، و(العصمة)..، نسوقها على الترتيب في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾[3].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[4].

---

(1) ولقد ذكر أهل التفسير وأصحاب كتب الوجوه والنظائر أن الرحمة في القرآن الكريم على ستة عشر وجها وهي: الجنة، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والقرآن، والمطر، والرزق، والنعمة، والعافية، والنصر، والمنة، والرقة، والمغفرة، والسعة، والمودة، والعصمة. يُنظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 331، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 226.

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 3/ 55.

(1) سورة يونس، الآية: 57- 58.

(2) سورة الزخرف، الآية: 31- 32.

(3) سورة الأعراف، الآية: 57.

(4) سورة البقرة، الآية: 105.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾[3].

وقال تعالى: ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[1].

المعنى الثالث: العصمة من الاختلاف والتوفيق إلى الاتّفاق على حُكم الله في العباد؛ يرشد إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾[2].

المعنى الرابع: إزالة السوء عن العبادِ مثل القحط والوباء والغرق وغيرها من المحن العاجلة؛ وهذا المعنى وارد في قوله تعالى: ﴿۞وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾[3].

المعنى الخامس: الوقاية عن السيئات من العقائد والأعمال الفاسدة في الدنيا، والإنقاذ من العذاب يوم القيامة؛ كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾[4].

المعنى السادس: الإنجاء من كيد المشركين وأذاهم، والتوفيق للإيمان والهداية والمعرفة؛ والحجة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[5].

---

(1) سورة الجاثية، الآية: 30.

(2) سورة الإسراء، الآية: 28.

(3) سورة الزمر، الآية: 38.

(1) سورة يوسف، الآية: 53.

(2) سورة هود، الآية: 118- 119.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 75.

(4) سورة غافر، الآية: 9.

(5) سورة آل عمران، الآية: 8.

المعنى السابع: الإنقاذ من العذاب والإخراج من النار والإدخال في الجنة؛ وهذا المعنى وارد في قوله ﷺ: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ قَالَ: فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حَمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**»[1].

يتضح – بعد هذه الجولة الدلالية في رحاب نصوص الرحْمة في القرآن الكريم والحديث الشريف – أن أكثر المعاني ورودا هي: الإحسان إلى العباد بدفع الضر عنهم حَالا ومآلا، بينما نجد أن المعاني التي تدل على الإحسان إلى العباد بإيصال الخير إليهم قليلة، ولعل تفسير ذلك هو، كما قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ، أن «الرحْمة مبنية على دفع الضرر وتحصيل النفع، ودفع الضرر مقدم على تحصيل النفع»[1]. وتعضد هذا الرأي القاعدة الفقهية: «دَرْءُ المَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ المَنَافِعِ»[2]. ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم أثناء الحديث عن جزاء الإيمان والعمل الصالح، في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ ﴾[3]. يقول الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهنا تتجلى العظمة الإلهية، حيث بدأ بتكفير السيئات وقدَّمها على إعطاء الحسنات لأن التخلية قبل التحلية، والقاعدة تقول: إن دَرْءَ المفسدة مُقدَّم على جَلْب المصلحة»[4].

ومن خلال هذه الوحدات الدلالية يمكن تجميع السمات الدلالية للمفهوم من خلال المعاني المشتركة التي لزمت (الرحْمة) في جَميع مواردها، وتأطيرها ضمن العناصر الآتية:

العنصر الأول: طبيعة (الرحْمة)، وهي – باتفاق العلماء[5]– صفة تكون ذاتية تارة وتكون فعلية تارة إذا تعلق الأمر بالمخلوق، أما حينما يتعلق بالخالق ﷻ فتكون ذاتية وفعلية.

العنصر الثاني: مصدر (الرحْمة)، وهو الراحم الذي يملك خزائن الخيرات وله القدرة على إيصالها إلى المحتاجين.

---

(1) سنن الترمذي، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2597.

(1) مفاتيح الغيب: 378/15.

(2) مجلة الأحكام العدلية: 19.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 7.

(4) تفسير الشعراوي: 18/ 11082.

(5) ينظر: الصفحة 27 من هذا البحث.

العنصر الثالث: مقتضى (الرحْمة)، وهو القصد أو الغاية من تقدم الراحم على المرحوم، سواء أكانت لإيصال نفع، أم لكشف ضرّ.

العنصر الرابع: متلقي (الرحْمة) أو المرحوم، وهو الذي ينتفع بما تفضل به الراحم عليه لقضاء حاجته.

العنصر الخامس: حدود (الرحْمة)، وهي المواطن أو الأوقات أو الحالات التي لا تخرج عنها الرحْمة وهي كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، بل يمكن القول: إن الرحْمة لا حدَّ لها، ولا يختص بها فرد دون آخر، ولا مخلوق دون آخر.

وعليه، فليس للرحْمة وقت مكتوب، أو فضاء محدود؛ إذ الرحْمة فيض إلهيّ متجدد ومستمر عبر الأزمنة والأمكنة، لا يفنى بفناء الدنيا بل يستمر إلى الآخرة، شريطة التجاوب مع الأسباب والوسائل المتاحة من لدن المولى جَلَّوَعَلَا[1].

وانطلاقا مما سبق من المعاني الجزئية التي دلّ عليها مصطلح (الرحْمة)، وبناء على تلكم العناصر، يمكن استخلاص المعنى الكلي الذي يجمع ما تفرق من جزئياته، وصياغة التعريف الآتي:

الرَّحْمَةُ هِيَ: صِفَةٌ إِلَهِيَّةٌ ثَابِتَةٌ تَقْتَضِي إِيصَالَ النَّفْعِ إِلَى العِبَادِ وَدَفْعَ الضَّرِّ عَنْهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

المسلك الثاني: شرح عناصر التعريف

يتكون التعريف من خَمسة عناصر أساسية، نُحلِّلُها بنوعٍ من التفصيل والتمثيل لَها على النحو الآتي:

قولنا: «**الرَّحْمَةُ صِفَةٌ إِلَهِيَّةٌ ثَابِتَةٌ**»: معناه أن مصدرها هو الله ﷻ على سبيل الإطلاق، أثبتها الله في ذاته العلية، وأوجبها على نفسه إيجاب الفضل والكرم: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾[2]؛ فهو وحده مٰلك خزائن الرَّحْمة بلا شريك، وهو وحده الرَّحْمٰن[3] بلا شريك، يقول المولى ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾[4]، وقال أيضاً وهو أعز من قائل جَلَّوَعَلَا: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾[5].

(1) ينظر: الصفحة 57 من هذا البحث.

(2) سورة الأنعام، الآية: 54.

(3) والرَّحْمٰن معناه: ذو الرحْمة الواسعة العامة الكاملة المطلقة، وسيأتي بيان مفهومه في الفصل المتعلق بالمشتقات.

(4) سورة الأنعام، الآية: 133.

(5) سورة الكهف، الآية: 58.

يقول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن ذا الرحْمة هو الذي ثبت أن له الرحْمة وصح أنها له صفة، وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم، أو قد رحم فانقضى ذلك منه»[1]. و﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ هنا تفيد الحصر، بمعنى أنه لا رحْمة إلا منه جَلَّ جَلَالُهُ، «لأنه واجب الوجود لذاته، وغيره ممكن لذاته، والممكن محتاج»[2]، فثبت بذلك أنه لا رحْمة إلا من الله عَزَّ وَجَلَّ، وكل ما عداه محتاج إليه في وجوده وبقائه.

قولنا: «**تَقْتَضِي إِيصَالَ النَّفْعِ إِلَى العِبَادِ وَدَفْعَ الضَّرِّ عَنْهُم**»: ذلك بأن مقتضى (الرحْمة)، هو أن يتفضّل الراحم على العباد بما ينفعهم من كل أنواع الخير، ودفع ما يضرهم من كل أنواع الشرّ. وكما أن الصفة ملازمة لصاحبها فهي أيضا تتضمن الإرادة، والإرادة تقتضي فعل الإيصال، بيد أنه لا يقدر على جلب نفع إلى العباد ولا على كشف ضرّ عنهم إلا ربّ العباد عَزَّ وَجَلَّ؛ المعطي المانع، والنافع الضار، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾[1]. فالله عَزَّ وَجَلَّ وحده مالك الرحْمة، يقسمها بين خلقه كيف يشاء، ولو كانت من عند غيره جَلَّ جَلَالُهُ لبخل واستغنى، ولما أقدم على إيصالها إلى العباد إلا من رحم ربُّنا جَلَّ وَعَلَا، قال المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾[2].

والجدير بالإشارة هنا أن كل رحْمةٍ تصدر من غير الله عَزَّ وَجَلَّ إنَّما تدخل في الرحْمة التي وضعها الله عَزَّ وَجَلَّ بين خلقه كما جاء في الحديث، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاحَمُونَ بِهَا وَعِنْدَ اللهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً**»[3]. أي أن الله عَزَّ وَجَلَّ أرسل في خلقه كلهم رحْمةً واحدةً يتعاطفون ويتراحَمون بها؛ فبها انتظمت مصالحهم، وحصلت مرافقهم، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وتعطف الوحش على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحْمة مائة.

---

(1) جامع البيان: 1/ 132.

(2) التفسير المنير: 8/ 51.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 66.

(2) سورة الإسراء، الآية: 100.

(3) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، حديث رقم: 3541.

وذكر ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن في هذا الحديث إشارة إلى أن الرحْمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحَمون بها أيضا، ونقل عن المهلب قوله: «الرحْمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم»[1].

وعليه فإن هذه الرحْمةَ المشتركة بين العباد تدخل في إطار الرحْمة الإلهية، ضمن عملية «إِيصَالَ النَّفْعِ إِلى العِبَادِ وَدَفْعَ الضَّرِّ عَنْهُم»؛ وذلك لكونها جزءٌ من رحْمته ﷻ جعلها في قلوب خلقه كلهم ليتراحَموا بها، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾[1]. والتَّواصي بالمَرْحَمَةِ هو أن يَحُثَّ بعضُهم بعضًا على أن يرحمَ عباد الله، «من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه»[2].

أما لفظ: «**العِبَادِ**»[3] فنقصد به ههنا جَميع مخلوقات الله ﷻ، التي تسبح بِحمده جَلَّجَلَالُهُ، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾[4]، يعني: وما من شيء من خلقه، أي: كل شيء؛ السماوات والأرض ومَن فيهن مِن الإنس والجن والملائكة والطير والدواب، إلا يسبح بحمده ﷻ. إذن فقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[5]، دليل واضح على أن رحمته وسعت كلَّ العباد باعتبار أن ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ يعني كلّ مخلوقات الله ﷻ.

---

(1) فتح الباري لابن حجر: 10/ 432، وشرح صحيح البخاري لابن بطال: 10/ 404.

(1) سورة البلد، الآية: 17.

(2) تيسير الكريم الرحمن: 925.

(3) وعباد الله أصناف في القرآن الكريم: فمنهم المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات: 81]، ومنهم المخلَصين كما في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الصافات: 40]، ومنهم الصالحين كما جاء في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 19]، ومنهم العلماء كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، ومنهم المصطفين كما في قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [سورة النمل، الآية: 59]. وهناك أيضا: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32]. يقول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آتينا القرآن لمن آمن بمحمد ﷺ وأخذوه منه وافترقوا فمنهم ظالم وهو المسيء ومنهم مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي أخلص العمل لله ﷻ وجرده عن السيئات»، [مفاتيح الغيب: 26/ 239].

(4) سورة الإسراء، الآية: 44.

(5) سورة الأعراف، الآية: 156.

وقولنا: «**فِي الدُنْيَا وَالآخِرَةِ**»: فيه مسائل: المسألة الأولى: أن الرحمة صفة خالدة؛ تتجدد في الدنيا وتستمر إلى الآخرة، أي أن الرحْمة لا تنتهي بانتهاء الحياة الدنيا، ولا تزول بزوالها بل تستمر إلى الحياة الآخرة ولا تنقضي أبدا، فهي تملأ الزمان والمكان وتستوعب المخلوقات جَميعاً في كل الأكوان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]. فالله ﷻ وضع في الدنيا رحْمةً واحدةً تَسَعُ كلَّ شيء، وتتجدد كلَّ حين بأمره، حتى إذا قامت القيامة، يضع المولى جَلَّجَلَالُهُ تسعًا وتسعين رحْمةً لتستمر على عباده الذين أخلصوا له العبادة والطاعة.

المسألة الثانية: أن الرحْمة على وجهين: عامة وخاصة، فالعامة رحْمة الدنيا التي تشمل جميع المخلوقات بلا استثناء وهي: استقامة الحال وسعة في الرزق والعيش، أما الخاصة فرحمة الآخرة التي خصّها الله ﷻ لعباده المؤمنين وهي الفوز بالجنة والنجاة من النار.

والملاحظ هنا أن المؤمن ينتفع بالرحْمة العامة والخاصة معا، بينما الكافر لا ينتفع إلا بالعامة فقط، وذلك لأن المؤمن قد استقام على طاعة الله ﷻ، واستمر على العمل الصالح، أما الكافر فقد طغى وآثر الحياة الدنيا و لم يعمل للآخرة، لذلك لا نصيب له فيها. قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

المسألة الثالثة: أن رحمة الدنيا بكافة صورها التي لا تحصى وسيلة للحصول على رحمة الآخرة؛ فمن تجاوب مع تلكم الوسيلة كما شرعه الشارع ﷻ، وانتفع بها ما شاء الله جَلَّوَعَلَا طوال حياته في الدنيا، فسيتأهل للرحْمة الخاصة بالدار الآخرة. وأما من أعرض عنها واتبع هواه، فسيُجزى بما كسب. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[3].

(1) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: 2752.

(2) سورة النحل، الآية: 97.

(3) سورة الإسراء، الآية: 7- 8.

ومن خلال هذا الشرح المفصَّل لتعريف الرحْمة، تبين بوضوح أن الأسس التي ينبني عليها التعريف هي تلك العناصر الخمسة المشار إليها قبل صياغته، حيث نخلص إلى أن طبيعة الرحْمة هي أنها صفة ذاتية فعلية، مصدرها هو الله ﷻ، ومقتضاها هو إيصال النفع ودفع الضر بشتى أنواع النعم والفضائل، وأن متلقيها هم كل مخلوقات الله ﷻ، ومواقعها متعددة لا حدود لها زمانًا ومكانا وحالاً، فهي عامة وخاصة، دنيوية وأخروية، ونوضح ذلك من خلال الخطاطة البيانية الآتية:

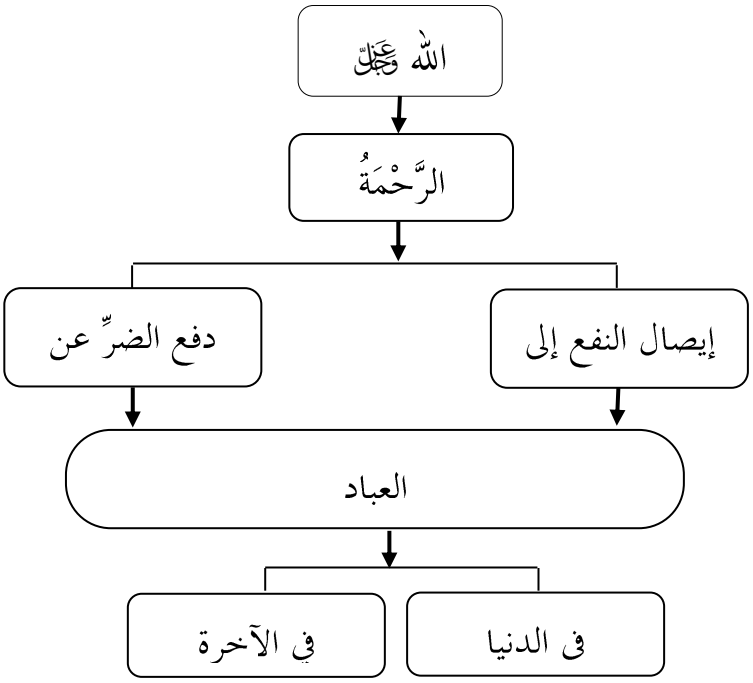

حاصل القول: إن كل ما سبق، يؤكد على أن (الرَّحْمَة) صفةٌ جامعةٌ لكل أنواع الخير والنفع، مانعةٌ لكل أنواع الشرِّ والضَرِّ العائدة على جميع المخلوقات في الدنيا والآخرة؛ «فكل ما هو من عند الله ﷻ متوجِّه إلى خلقه على وجه الإحسان يدخل في مسمى الرَّحْمَة»[1]، وهذا يعطي إشارة واضحة إلى أن الرَّحْمَة مصطلح مركزي في منظوم المصطلح الأصل؛ مصطلح القرآن والسنة البيان.

وانطلاقا من هذا التعريف الكلي الشامل لمصطلح (الرَّحْمَة) في القرآن الكريم والحديث الشريف، نشرع في بناء سائر الأركان والمقومات، وتشييد الامتدادات والتشعبات، ابتداءً من الخصائص والمميزات، والصفات والعلاقات، والضمائم والمشتقات، وانتهاء بالقضايا والموضوعات.

(1) مفهوم الهدى في القرآن الكريم: 188.

الفصل الثاني

مقومات لفظ الرحمة في القرآن والحديث

تمهيد

يتغيَّا البحث في هذا المقام تحرير القول في المقومات الذاتية للمفهوم، وذلك أن التعريف لا يكتمل إلا ببيان المميزات التي يتميز بِها المصطلح داخل النصوص المدروسة، تصنيفاً وبياناً وحكماً؛ من حيث مدى اصطلاحيته، ودرجة الاتساع أو الضيق في محتواه، وموقعه داخل النسق المفهومي الذي ينتسب إليه، ومدى قوته وضعفه في اصطلاحيته، ووظائفه التي يؤديها في مجاله، وكذلك الكشف عن أهم السمات التي جاء المصطلح واصفاً لها أو موصوفاً بِها...، وذلك كله يستفاد من كل المعطيات الإحصائية والمعجمية والمفهومية المتوفرة.

وبِما أن منهج الدراسة المصطلحية يقتضي – مِمَّا يقتضيه – الدقة في الكشف عن حقائق الأشياء بصورة تشريحية، نشير هنا إلى ضرورة التفريق بين نوعين من المقوِّمات، ألا وهُما: الخصائص والصفات؛ فأما الخصائص فهي المميزات التي تُصنِّف المصطلح وتُبيِّنه، وأما الصفات فهي السمات التي تُفيد حكماً على المصطلح تَحسيناً أو تقبيحاً، كالنعوت أو العيوب. وتَجدر الإشارة إلى أن مصطلح الرَّحْمَة لَم يردْ موصوفاً فقط وإنَّما ورد واصفاً كذلك لِمجموعة من المصطلحات، ولعل دراسة هذا الجانب من الوصف من شأنه أن يزيد للمفهوم وُضوحاً، ويسهم في إبراز الصورة الكاملة للمصطلح.

ولبيان ذلك نجعل نظمَ الكلام في هذا الفصل على مبحثين: مدارُ الأول منهما على الخصائص المميزة لِمصطلح (الرَّحْمَة)، وذلك من خلال ثلاثة مطالب: يتعلق الأول ببيان درجة اصطلاحية (الرَّحْمَة). ويتعلق الثاني بتحديد موقع مصطلح (الرَّحْمَة) داخل نسقه المفهومي، وجاء الثالث لبيان الوظائف التي يؤديها مصطلح (الرَّحْمَة) في موقعه من خلال السياق القرآني والحديثي. وخُصص المبحث الثاني للصفات، وذلك في مطلبين: المطلب الأول: نبين فيه ما جاء واصفاً لِمصطلح (الرَّحْمَة)، حيث انتظم تناول كل صفة في ثلاث خطوات: إيراد موطنها، ثُمَّ بيان معناها في اللغة، ثم في المتن المدروس. والثاني: خُصص لِما جاء موصوفاً بِمصطلح (الرَّحْمَة).

المبحث الأول
خصائص لفظ الرحْمة في القرآن والحديث

۞ المطلب الأول: درجة اصطلاحية الرحْمة

يتبيَّن – بالنظر إلى جوهر مصطلح (الرحْمة) – أنه من المصطلحات الكلية الأصول التي يتأسس عليها الدين، فهومصطلح يتميز بالتشعب والشمول بحيث يتصاهر مع مصطلحات عدة[1]، وتتفرع عنه مصطلحاتٌ أخرى، وله القدرة على استيعاب المصطلحات التي تدور معه في نصوصه، إضافة إلى أنه كثير الدوران في المتن المدروس، مما يدل على أنه مصطلح فسيح المدى دلالياً، جديد المعنى اصطلاحياً، قويّ الاستيعاب مجالياً وعلائقيا، والدليل على ذلك الأمور الآتية:

۞ **أولها: حجم الورود وشكله؛** ذلك بأن مصطلح (الرحْمة) في القرآن والحديث، كما سلف[2]، مصطلح ضخم، كثير النصوص، غزير الورود، متشعب الفروع، مما أثر على بنيته المفهومية كما يتجلى ذلك في وفرة صفاته، وشساعة علاقاته، وكثرة ضمائمه، وانبساط قضاياه داخل النصَّين القرآني والحديثي[3]. ولا جرم أن هذا الفيض الهائل قد وفَّر لمصطلح (الرحمة) طاقة كبرى في اصطلاحيته، الأمر الذي أكسب مفهومه امتدادا، وصفاته امتيازاً، وزاد امتداداته انبساطاً، واصطلاحيته اصطلاحاً.

إضافة إلى ذلك، فإن مصطلح (الرحْمة)، كما مضى[4]، تميز في نصوص القرآن والحديث بتنوع اشتقاقي كبير؛ حيث ورد بكل الأشكال والصيغ الاشتقاقية التي يمكن صوغها من مادته، بحيث يستجيب اشتقاقياً لمختلف التعابير المسعفة لغرض المتكلم، كما يستجيب تصريفياً لمختلف أقسام الزمن الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقل)، مما أفاد تنوعاً في معانيه ودلالاته[5] وامتدادا في معانيه، وأكد على قوة اصطلاحيته، وخصوبة دلالته، واتساع آماده.

---

(1) منها: الرأفة والإحسان والهدى والمغفرة والنعمة والفضل والشفاء والبركة والموعظة والبينة...

(2) في الإحصاء العام لحجم ورود (الرحْمة) ومشتقاته في القرآن الكريم والحديث الشريف: (يُنظر ص25) من هذا البحث.

(3) سيأتي التدليل علي هذا الأمر وإفراده بالقول في كل ركن آت من أركان الدراسة.

(4) في إحصاء لأشكال ورود (الرحْمة) ومشتقاته في القرآن الكريم والحديث الشريف: (يُنظر ص28) من هذا البحث.

(5) كما يتضح ذلك من خلال المعاني والدلالات الجزئية.

❁ **ثانيها: جدة الدلالة وقوتها**؛ وذلك أنه تبين عند الموازنة بين الاستعمالات اللغوية لمصطلح (الرحْمة)، والمعاني الأساسية المكونة للتعاريف الاصطلاحية العامة في المعاجم الاصطلاحية وفي مجالات علمية أخرى، واستعمالاته القرآنية والحديثية، أنه عرف في القرآن والحديث، وفي استعمالاته المختلفة في سياقاته المتنوعة، طفرة دلالية إعجازية للغة العربية، شأنه في ذلك شأن ألفاظ القرآن الكريم عامة، مما أضفى على معانيه قوة وثراء، وعلى موضوعاته جدة وانطلاقا.

❁ **ثالثها: سعة الدلالة واستيعابُها**؛ وتَحليل هذه الخصيصة يستدعي بسط الكلام في أمور:

الأول: امتداد معاني المصطلح، سواء كان بالصيغة المصدرية أو الاسمية إلى كل ما من شأنه أن ينال العبد النفع من جهة الإحْسَان والإنْعَام والإفضَال، ويزول عنه الضرّ من جهة الوقاية والعصمة والإنجاء. وبالرغم من أن ذلك واضح، كما سبقت الإشارة إليه في التعريف، ولكن سياق المثل لكل نمط من تلكم المعاني يستثير في الإنسان نوعاً من التأمل، لأنه كما يقال: «بالمثال يتضح المقال»!

فأما النمط الأول المتعلق بالإحْسَان والإنْعَام والإفضَال، فإن مصطلح (الرحْمة) يتوسع بهذه المعاني ليشمل جنس الرحْمة من غير تعيين، أي: كل أنواع الخير التي ينالها العباد في دينهم ودنياهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك؛ فهو بدلالته – مثلاً– على معنى: **الإنعام بما من شأنه هداية العباد وإرشادهم إلى سبل الخير، وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم وإنقاذهم من الضلال**، يستوعب جميع وسائل نيل الرحْمة في الدارين.

وأما النمط الثاني المتعلق بالوقاية والعصمة والإنجاء، فإن مصطلح (الرحْمة) ينفسح بِهذه المعاني إلى أبعد الآماد ليشمل كل موانع الشر والضر أحسية كانت أم معنوية؛ فحيث يجيء لفظ (الرحْمة) بمعنى: **الوقاية من السيئات من العقائد والأعمال الفاسدة في الدنيا، والإنقاذ من العذاب يوم القيامة**، فهو يستوعب الرحْمة المعنوية والحسية، وتتسع آماده باتساع الزمان والمكان، وذلك لتجدده في الدنيا واستمراره إلى الآخرة.

الثاني: اتساع جهازه المصطلحي ونسقه المفهومي، وخير دليل على ذلك: اتساع دائرة المصطلحات المتعالقة معه نوعاً من التعالق، كالتي تُبين مقوماته الذاتية، وتكشف عن طبيعة الشبكة الدلالية التي ينتمي إليها، أو تلك التي تكشف عن امتداداته الداخلية والخارجية؛ فمن الصنف الأول، نجد مصطلحات كبيرة قوية الدلالة تسهم في تقويم شخصيته وتقوية دعائمه وإبراز ذاته وصفياً، كمصطلحات: (السعة، والهَدِيَّة، والانتظار، والإله، والعالم، والإيمان...)، وعلائقياً، كمصطلحات: (المرحَمة، والرُحم، والرأفة، والإحسان، والهدى، والمغفرة...)[1].

ومن الصنف الثاني، نجد مصطلحات كلية أصولاً وفروعاً تضيف إلى معاني (الرحْمة) معاني جديدة، تسهم في امتداده؛ داخلياً، عبر ضمائمه كألفاظ (اسم الجلالة، والملائكة، والنبي...)[2]، وخارجياً عبر مشتقاته كألفاظ (الرَّحْمٰن، والرحِيم، الراحم، والمرحوم، وأرحم، والرَّحِم...)[3].

ولا جرم أن دراسة هذه المصطلحات وغيرها وتحليلها في المباحث التالية، ستزيد مفهوم الرحْمة وضوحاً وامتداداً، وسنحصل من خلال هذا الامتداد على شجرة مفهومية ثابتة الأصل، صلبة الجذع، متوغلة الجذور، مترامية الأطراف، وارفة الظلال، وهذا ما سنرسمه بعد حين.

۞ المطلب الثاني: موقع الرحْمة داخل أسرتها المفهومية

لئن كان تحديد الموقع الدقيق لمصطلح (الرحْمة) داخل النسق المفهومي العام للقرآن الكريم أو الحديث الشريف أمراً عسيراً[4]، فإننا، نهدف في هذا المقام إلى موقع المصطلح داخل أسرته المفهومية المكونة من المصطلحات التي تنتمي معه إلى نفس المجال الدلالي والنسق المفهومي الخاص. وعلى هذا الأساس فإن مصطلح (الرحْمة) – كما مر – من المصطلحات الضخمة المتشعبة ذات الفروع والجذوع؛ حيث يشكل مع المصطلحات المشتقة منه والمتفرعة عنه والمتعالقة معه في نصوصه شجرة مفهومية وارفة تغطي كل معالم الخيرات والبركات والنفع العائدة على جميع العباد.

(1) سيأتي دراستها في مبحث العلاقات.

(2) يأتي دراستها في مبحث الضمائم.

(3) سيتم بيان ذلك في مبحث المشتقات.

(4) إذ يتعذر تحديد موقع المصطلح داخل النسق المفهومي القرآني العام نظرا لعدم الإحاطة علما وفهما بمجموع المفاهيم القرآنية، فهو أمر لما يُنجز.

ولعل الوقوف على النسق الذي تنتظمه تلك المصطلحات من شأنه أن يسهم بشكل لافت في تجلية موقع (الرحْمة) داخل جهازه المصطلحي، وتحديد رتبته الأسرية ضمن مجاله المفهومي:

1. المصطلحات المصادر: اسم الجلالة (الله) كما في قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

2. المصطلحات الأسباب: الإيمان، والتقوى، والطاعة، والإحسان. كما جاء في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[4].

3. المصطلحات الوسائط: الكتب السمٰوية، والرسل عليهم السلام، والمؤمنون. كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾[5]، وقوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[7].

4. المصطلحات الهدف: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، والرضى. كما ورد في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾[8]، وفي قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[9]، وقوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[10].

5. المصطلحات الموانع: الكفر، والقنوط، والظلم. كما في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾[11]،

(1) سورة الأعراف، الآية: 156.
(2) سورة النساء، الآية: 175.
(3) سورة الأنعام، الآية: 155.
(4) سورة آل عمران، الآية: 132.
(5) سورة النمل، الآية: 76 – 77.
(6) سورة الأحقاف، الآية: 12.
(7) سورة الأنبياء، الآية: 107.
(8) سورة الجاثية، الآية: 30.
(9) سورة الأنعام، الآية: 15 – 16.
(10) سورة الفتح، الآية: 29.
(11) سورة فصلت، الآية: 49 - 50.

وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[2].

6. المصطلحات المخالفة: العذاب، والضر، والسوء، والهلاك. كما جاء في قوله سبحانه: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[6].

7. المصطلحات المتداخلة معه: كشف الضر. كما في قوله ﷻ: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾[7].

ويلاحظ من خلال هذا التصنيف أن مصطلح (الرحْمة) «أكسب كثيراً من المصطلحات الكلية الأصول أحكاماً تَخدم مفهومه المتضمن في التعريف، ومن ثَمَّ فهو يَحظى بمركزية وقوة اصطلاحية داخل نسقه، وبذلك يُعتبر مصطلحا كلياً وأصلاً من بين الأصول التي ترجع إليها فروع مصطلحية أخرى، يُعتبر رصدُ مجموعها ممهداً لضبط حقيقة النسق المفهومي القرآني والحديثي»[8].

وبهذا يدخل مصطلح (الرحْمة) ضمن مصطلحات الصدارة، حيث يتجلى ذلك في كونه المفتاح الأول والباب الرئيس لفهم كل المصطلحات المنتمية إلى أسرته الاصطلاحية، الأمر الذي يؤكد أنه قوي الاصطلاحية وقطعيها، من حيث سعة مفهومه البارز في معناه من خلال سياقاته المتنوعة وكثرة صفاته وعلاقاته، كما يبرز اتساعه داخليا عبر الضمائم، وخارجيا عبر المشتقات.

والجدير بالذكر أنَّ الذاتَ الإلهيةَ العليّةَ تستجمعُ كلَّ صفاتِ الكمالِ، وأن ٱلرَّحْمَةَ تتصدرُ كل تلك الصفات، وهو دليل قاطع على صدارتها المطلقة ومركزيتها العتيدة بين كل المصطلحات.

(1) سورة الحجر، الآية: 55 – 56.
(2) سورة الإنسان، الآية: 31.
(3) سورة الإسراء، الآية: 54.
(4) سورة الروم، الآية: 33.
(5) سورة الأحزاب، الآية: 17.
(6) سورة الملك، الآية: 28.
(7) سورة المؤمنون، الآية: 75.
(8) مفهوم الهدى في القرآن الكريم: 141.

۞ المطلب الثالث: وظائف الرحْمة

نستلهم، من خلال التأمل في معاني الآيات والأحاديث التي ورد فيها لفظ (الرحْمة) ومشتقاته، وظائف متنوعة ومتباينة للرحْمة نتيجة التفاعل الحاصل بين طرفيها ولا سيَّما: الراحم والمرحوم، نذكرها مصنفةً فيما يلي:

1. **ترسيخ عقيدة التوحيد:**

تتجلى هذه الوظيفة أساساً في الإقرار الجازم بأن الرحَمات كلها لله ﷻ مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾[2]، وقول المصطفى ﷺ: «**للهِ ﷻ مِائَةُ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ**»[3].

ويتجلى أيضاً في النهي القاطع عن القنوط من الرحْمة وذلك لقوله ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾[5]، وقول رسول الله ﷺ: «**فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ**»[6].

2. **تثبيت الإيْمان بالله في القلب:**

لئن كان من أعظم أسباب دخول العبد في رحْمة الله تحقيق الإيمان بالله مصداقا لقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾[7]، فإن الإيمان الحقيقي لا يتأتى إلا برحْمة من الله ﷻ، ولولا رحمته لما استقر الإيمان في قلب الإنسان ولكان من الغاوين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾[8].

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 133.

(2)سورة الحشر، الآية: 22.

(3) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 10670.

(4) سورة الزمر، الآية: 53.

(5) سورة الحجر، الآية: 55 – 56.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث رقم: 6469.

(7) سورة النساء، الآية: 175.

(8) سورة النساء، الآية: 83.

3. **تليين القلب:**

ذلك أن الرحْمة تذيب الفظاظة والغلظة عن القلب، وتزوده بالرفق والحلم؛ كما يتجلى ذلك في تليين قلب الرسول ﷺ، حين خالف بعضُ الصحابة رضي الله عنهم أمره ﷺ، أثناء غزوة أُحُد في حفظ مراكزهم والبقاء فيها. ولما كان عفو الله عنهم يُعرف في معاملة الرسول ﷺ إيّاهم، ألان الله لهم خُلُقَ الرسول ﷺ في حين كانت أحوالهم مستوجبة الغلظ عليهم، فعاملهم بالرفق تحقيقًا لرحمة الله وعفوه، فقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

وقد روت أمُّ المؤمنينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها، أن أعرابيًّا فظًّا عديمِ الرحْمة جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ[2]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟**»[3].

ويُستفاد مما سبق أن الرحْمة هي التي تؤدي وظيفة تليين القلب ليكون الإنسان لطيفاً رقيقاً رحيماً.

4. **التزكية:**

إن من وظائف الرحْمة تزكية العبد من الدنس، و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾[4]! والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[5].

ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله ﷻ رحْمةً يتزكى بها، كما جاء في قوله ﷺ حين فرغ من صلاته ليلةً: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[6].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) والهمزة الاستفهامية الإنكارية للاستبعاد، والفاء للاستكبار والاستحقار، أي: إن كنتم تقبلوهم فما نقبلهم. مرقاة المفاتيح: 7/ 3100.

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5998.

(4) سورة الأعلى، الآية: 14.

(5) سورة النور، الآية: 21.

(6) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة، حديث رقم: 3419.

5. **الإنجاء من العذاب:**

تتجلى هذه الوظيفة في إنجاء بعض الرسل عليهم السلام من عذاب أقوامهم، كنجاة هود عليه السلام، كما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾[1]. ونجاة صالح عليه السلام كما في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾[2]. ونجاة شعيب عليه السلام كما قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾[3].

هذه الوظيفة الإنقاذية لا تقتصر على إنقاذ الأنبياء في الدنيا فقط، وإنما تستمر إلى الآخرة حيث ينجي الله عز وجل بها عباده من عذابه الأليم، كما رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**»[4]، و﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[5].

6. **الوقاية عن السيئات:**

تدخل وقاية العباد عن سوء عاقبة سيئاتهم يوم القيامة ضمن وظائف الرحْمة ويشهد لذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[6]، وهذه الآية تشريف إلهي وتكريم ملائكي من أفضل الملائكة وهم حملة العرش ومن حوله للمؤمنين، يستغفرون للمؤمنين، ويسألون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم الجنة والرحْمة والحماية من العذاب أو العقاب، وما أحوج الإنسان إلى رحْمة الله وفضله! وما أكرم المؤمن الذي يحظى بدعاء الملائكة المقربين!.

وإذ تبين مما سبق أن (الرحْمة) مصطلح يتميز بهوية مصطلحية قوية؛ من حيث اصطلاحيته وموقعه النسقي، ووظائفه التي يلج من خلالها إلى قضايا كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وتشهد لهذه الهوية وتؤكدها صفات حاكمة ألبست المصطلح لباس السموّ والعلو والجلال والكمال والنبل والشمول. وذلك ما سنوضحه في المبحث الموالي بتوفيق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(1) سورة هود، الآية: 58.

(2) سورة هود، الآية: 66.

(3) سورة هود، الآية: 94.

(4) سنن الترمذي، في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2597.

(5) سورة الأنعام الآيتين: 16.

(6) سورة غافر، الآية: 9.

المَبْحَثُ الثَّانِي
صِفَاتُ لَفْظِ الرَّحْمَةِ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ

❁ المطلب الأول: لفظ (الرحْمة) موصوفاً

ورد لفظ (الرَّحمة) في القرآن الكريم والحديث الشريف موصوفاً بست صفات: ثلاث منها جاءت بألفاظ مفردةٍ، وهي: السعة والهديَّة والانتظار، وثلاث جاءت بألفاظ مركبةٍ تركيباً وصفياً، يُفهم من خلالها معنى الإلَهية والعالَمية والإيمانية، يأتي تفصيل ذلك فيما يلي:

المسلك الأول: وصفه بمفرد.

1. **الوصف بالسَعة:**

وردت كلمة «واسعة»، وهي اسم فاعل من السعة مشتق من مادّة (وسع)[1]، وصفاً للرحمة في قوله ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[3]. وفي قول النبي ﷺ: «**مَا تَقُولُونَ؟ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟ لَقَدْ حَظَرَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً تَعَاطَفَ بِهَا الْخَلَائِقُ جِنُّهَا وَإِنْسُهَا وَبَهَائِمُهَا، وَعِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟**»[4].

---

(1) وقد ورد من هذه المادة في القرآن اثنان وثلاثون موضعا من خلال خمس مشتقات، ضمن إحدى وثلاثين آية مفرقة في خمس عشرة سورة؛ تسع منها مكية، وست مدنية، وذلك على النحو الآتي: ثلاث عشرة مرة اسم فاعل (واسع) مشتقا من الثلاثي المجرد؛ تسع مرات مذكرا، وأربع مرات مؤنثا كلها نكرة، وذلك ضمن ثلاث عشرة آية مفرقة في تسع سور؛ أربع منها مكية وهي: الأنعام: 147، والعنكبوت: 56، والزمر: 10، والنجم: 32، وخمس منها مدنية وهي: البقرة: 115، 247، 261، 268، وآل عمران: 73، والنساء: 97، 130، والمائدة: 54، والنور: 32. وورد مرتين اسم فاعل من باب «أَفْعَلَ» (موسع)؛ مرة مفرداً ومرة جمعاً، وذلك في الآية 236 من سورة البقرة، وفي الآية 47 من سورة الذاريات. كما ورد ست مرات اسمًا بصيغة «سَعَة»؛ خمس مرات نكرة، ومرة معرفا بالألف واللام، وذلك من خلال أربع سور كلها مدنية وهي: البقرة: 247، والنساء: 100، 130، والنور: 22، والطلاق: 7. وورد خمس مرات اسمًا بصيغة «وُسْع» مضافا إلى (النفس) عن طريق الإضمار، وذلك من خلال أربع سور؛ ثلاث منها مكية وهي: الأنعام: 152، والأعراف: 42، والمؤمنون: 62، وواحدة مدنية وهي: البقرة: 233، 286. وورد ست مرات فعلًا من الثلاثي المجرد بصيغة الماضي (وسع)، وذلك من خلال خمس سور؛ أربع منها مكية وهي: الأنعام: 80، والأعراف: 89، 156، وطه: 98، وغافر: 7، وسورة مدنية وهي: البقرة: 25.

(2) سورة الأنعام، الآية: 147.

(3) سورة الأعراف، الآية: 156.

(4) مسند أحمد، مسند الكوفيين، حديث جندب، حديث رقم: 18799.

1.1. مفهوم السعة في اللغة:

تدور مادة (وسع) في المعاجم اللغوية على الغنى، والجدة والطاقة، وخلاف الضيق والعسر[1]. والأصل في السعة: الانفساح والانبساط في الأمكنة[2]. وهو مأخوذ حسيا من قولهم: «توسعوا في المجلس، أي تفسحوا»[3]؛ ومنه قول النابغة الذبياني:

تَسَعُ البِلادُ إِذَا أَتَيْتُك زَائِراً وَإِذَا هَجَرْتُك ضَاقَ عَنِّى مَقْعَدِي[4].

أي تتفسح لي البلاد وتتوسع، وهو نقيض التضييق. ومن المجاز قولهم في الحال: أوسع الرجل واستوسع: اتسعت حاله، فهو في عيش واسع. وفي الفعل كالرَّحْمة والقدرة: لا يسعني أن أفعل كذا، ووسعت رَحْمته كل شيء، ولا تكلف نفسٌ إلا ما تسع[5]؛ قال الأخطل التغلبي:

فَاليَومَ أَجْهَدُ نَفسِي مَا وَسِعْتُ لَكُم وَهَل تُكَلَّفُ نَفسٌ فَوقَ مَا تَسَعُ[6].

1.2. مفهوم السعة في القرآن والحديث:

يفيد تدبّر الصفة من خلال مقام ومقال ورودها في القرآن الكريم والحديث الشريف أنها في آية «سورة الأنعام» جاءت في سياق الردّ على المشركين المكذبين لرسول الله ﷺ، فيما أخبرهم عن المولى جَلَّوَعَلَا مما حرم عليهم وما أحل لهم؛ ترغيباً لهم في ابتغاء رحْمة الله الواسعة، واتباع رسوله ﷺ، وترهيباً لهم من مخالفتهم الرسول ﷺ خاتم النبيين[7].

---

(1) العين، والتهذيب، والمقاييس، واللسان، والصحاح/ وسع.

(2) المعجم الاشتقاقي، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والبصائر/ وسع.

(3) البصائر: 214/5.

(4) البيت من الكامل وهو للنابغة الذبياني في وصف المتجردة زوجة النعمان، جمهرة أشعار العرب: 77.

(5) وقيل: إن السعة تكون في الأمكنة وهو الأصل، ثم تقال مجازا في الحال، وفي الفعل كالرحمة والقدرة؛ ففي المكان نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: 97]، وفي الحال نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: 7]، وفي الفعل نحو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، والوُسْعُ من القدرة: ما يفضل عن قدر المكلّف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة/ 286] تنبيها أنه يكلّف عبده ما ينوء به قدرته، وقيل: معناه يكلّفه ما يثمر له السَّعَة في الدنيا (الرزق)، والآخرة (الجنة): ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾». ويُنظر: في الأساس، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والبصائر/ وسع.

(6) البيت من البسيط وهو للأخطل التغلبي في مدح بشر بن مروان بن الحكم الأموي، ديوان الأخطل: 204.

(7) تفسير القرآن العظيم: 357/3.

وجاء معمول (**قُلْ**) بالاقتران بين الترغيب والترهيب من خلال جملتين: الأولى اسمية: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، والثانية فعلية: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾، فجيء بالجملة الاسميَّة للتعبير عن رحمة الله ﷻ، وبالفعليَّة للتعبير عن بأسه جَلَّ وَعَلَا؛ تنبيها على مبالغة سعة الرحْمة؛ إذ الجملة الاسمية أبلغ في الإخبار من الجملة الفعلية؛ لأن الاسمية أدل على الثبوت والتوكيد من الفعلية[1]، فناسبت الأبلغية في الله ﷻ بالرحْمة الواسعة، وأكدت على أن رحْمته تغلب بأسه[2]، فلم يكن التركيب «ذو رحْمة وذو بأس» لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين.

وفي آية «سورة الأعراف» جاءت جواباً لدعاء نبيِّ الله موسى عليه السلام؛ لما جعل الله توبة عَبَدَة العجل بقتلهم أنفسهم، اشتد على موسى عليه السلام القلق والاضطراب، وأخذ يبالغ في الدعاء، طالباً الغفران والرحْمة والحسنة في الدارين له ولأمته خاصة، خشية من طول غضب الله ﷻ على من يشفق عليه من ذلك، فأجابه ﷻ بأسلوب عجيب، وطريق بديع على الأسلوب الحكيم[3]، فقال سبحانه: عذابي شأنه أن أصيب به من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه، وقومك ممن تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي، أما رحمتي فشأنها أن تسع في الدنيا كل ما يدخل تحته الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيباً منها في ضمن العذاب الدنيوي، وسأكتب الرحمة خالصة غير مشوبة بالعذاب للموصوفين بالتقوى[4].

وقد أشار الآلوسي إلى أن في نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع، ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأن الرحْمة مقتضى الذات، وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد، والمشيئة معتبرة في جانب الرحْمة أيضا، وعدم التصريح بها تعظيماً لأمر الرحْمة، وإشعاراً بغاية الظهور، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فإنه متفرع على اعتبار المشيئة، كما لا يخفى[5].

---

(1) البحر المحيط: 681/4، واللباب: 496/8.

(2) كما ورد في الحديث الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حِينَ خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**». وعَنْهُ أَيضاً رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**». سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، حديث رقم: 3543، وصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾، حديث رقم: 3194.

(3)«يُقصد بأسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى». جواهر البلاغة: 319.

(4) روح المعاني: 5/ 72، وإرشاد العقل السليم: 3/ 278.

(5) روح المعاني: 5/ 72.

أما في الحديث الشريف، فقد جاءت الصفة في سياق الرد على الأعرابي الذي حظر ما وسّعه الله من رحمته، وخص نفسه بالدعاء دون غيره بُخلاً، وجهلا بشمول رحمة الله وسَعتها على جميع خلقه. وأصل الحظر: المنع؛ فدعا بأن يرحمه الله ﷻ ولا يرحم الباقين[1]. ولا جرم أن ذلك يتنافى مع مفهوم السَعة التي وصف بها المولى ﷻ رحْمتَه بأنها واسعة شاملة؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

وتنكير (رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) للتعظيم والتعميم والتكثير، للدلالة على كمال رحمة الله ﷻ وتعدد مراتبها وأنواعها، وكذلك للدلالة على عدم محدودية مقدارها؛ لأن الرحمةَ واسعةٌ بلا حدود[3]، وتعمُّ جميع المخلوقات بلا استثناء، ويتفاوت مقدارها حسب درجة التجاوب مع موجباتها وموانعها.

وحقيق بالذكر أن الوصف بالسَعَة لم يقتصر على لفظ (الرحمة) فقط، بل وُصف به أيضاً لفظ الجلالة (الله) ولفظ (الأرض). وفي ما يلي موارد وصف هذين اللفظين بالسعة مع دلالة ذلك:

۞ لفظ الجلالة:

وُصف اسم الجلالة (الله) بالسعة في تسع آيات من القرآن الكريم[4]. ويقود التدبر العميق لتلك الآيات البينات إلى أن وصفه جَلَّجَلَالُهُ بالواسع يدل على المعاني الآتية:

أولا: أن فيه إرشاد إلى سعة رحْمته ﷻ وأنه يوسع على من يشاء من عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم[5].

---

(1) معالم السنن: 116/1، وشرح ابن بطال: 220/9، وطرح التثريب: 136/2، وشرح العيني: 211/2، ومرقاة المفاتيح: 3049/7، وشرح الزرقاني: 252/1.

(2) سورة الأعراف، الآية: 156.

(3) فقد جاء في الحديث الشريف: عَنْ سَلْمَانَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**». أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم:2753/21.

(4) في البقرة، الآيات: 115، 247، 261، 268، وآل عمران: 73، والنساء: 130، والمائدة: 54، والنور: 32، والنجم: 32.

(5) فتح البيان: 1/ 260، وفتح القدير: 1/ 153، والهداية: 1/ 412، ومدارك التنزيل: 1/ 123.

ثانيا: أن الله ﷻ واسِعٌ بإحاطته بالأشياء ملكا وخلقا وعطاء وتدبيرا وعُلُوًّا، وأنه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده والتيسير عليهم في كل ما يحتاجون إليه في دينهم لا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه[1].

ثالثا: أن الله ﷻ واسع الفضل والرزق والرحمة، «يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير»[2].

والمتأمل في تلك المعاني يلاحظ أنها تؤول إلى معنى واحد هو: أنه جَلَّجَلَالُهُ واسع الذات والصفات والملك والرحمة والعلم والفضل والجود والكرم والعطاء والتدبير، محيطٌ بكل العوالِم والآفاقِ؛ فلا يَحويه مكان، ولا يَحده زمان، ولا يخفى عليه شيء في الأكوان، يَسَعُ بسَعَته ما يشاء من خلقه، كما وسعت رحْمته كل شيء، و﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[3].

فلئن وُصف الله ﷻ بالواسع، وهو مصدر الرحمة بلا شريك، فلا جَرَمَ أن تكون رحمته واسعة بلا نظير، ذلك لأنَّ الرحمة صفته جَلَّوَعَلَا، أوجبها على ذاته المقدسة تفضلاً وإحساناً[4]، وحسبنا من الدليل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾[5].

ولهذا فإن الاقتران التلازمي القائم بين اسم الجلالة وبين الوصف بالسعة كفيل بسعة الرحمة. ومن ثم حُقَّ للرحمة أن توصف بالسعة، لأنها تكتسب هذا الوصف، وإن لم يذكر لفظا[6]، من خلال إضافتها إلى الله؛ إذ في إضافتها إليه سعةٌ لأنه ﷻ هو الواسع الحق المطلق[7].

---

(1) روح البيان: 1/ 210، ومفاتيح الغيب: 6/ 505، والتفسير المنير: 1/ 281.

(2) جامع البيان: 2/ 537، والكشف والبيان: 1/ 263.

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

(4) روح المعاني: 4/ 99.

(5) سورة الأنعام، الآية: 12.

(6) وقد تبين من خلال معطى الإحصاء، أن لفظ (الرحمة) لم يوصف بالسعة لفظا سوى مرتين في المتن المدروس؛ مرة في القرآن، ومرة في الحديث.

(7) البحر المحيط: 9/ 212.

وعلى الجُمْلة، فالرحْمة باعتبارها صفةً إلهية، هي كسائر صفات الله ﷻ؛ فهي كلها من السعة ما يجعلها محيطة بكل شيء، مهيمنة عليه، لا يغيب عنها شيء، تامة كاملة، مثل العلم الذي يقترن دائما بالسعة في القرآن الكريم «ليدل على أن سعة علم الله مزدوجة مع سعة فضله وتصريفه وقيوميته»[1]، كما قال ﷻ في معرض الكلام عن مضاعفة الأجور: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[2]. ولذلك كان من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى التي نص عليها في القرآن الكريم (الواسع).

والذي نتوسَّله بالمثال السابق المضروب أنَّ وصف اسم الله الأعظم بالسعة جعل صفةَ (الرحْمة) كسائر الصفات الإلهية واسعة بالأصالة. وبما أن الرحمة واسعة، فقد نَهى الله ﷻ عباده جميعاً عن القنوط واليأس منها؛ إذ «كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق وكل سعة تنتهي إلى طرف»[3] إلا الرحْمة فهي لله ﷻ ولا تنقضي أبدا. قال ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[4]. وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾[5].

وعليه، فإن القنوط من رحمة الله من المهالك التي لا نجاة منها، لأنه محض سوء ظن بالله ﷻ، الواسع ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾، كما أنه جهل بسعة رحمته التي ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6]! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ»**[7].

---

(1) أسرار الأقدار: 22.

(2) سورة البقرة، الآية:261. وقال عن هبة الملك: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ (البقرة: 247)، وقال عن هبة المغفرة والفضل: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦٨﴾ (البقرة:268)، وهكذا جاء حتى في آية وردت فيها صفة الواسع مضافا قرن بالعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ (لنجم:32)، فقد قرن تعالى في هذه الآية بين سعة مغفرته وبين علمه بخلقه.

(3) المقصد الأسنى: 119.

(4) سورة الزمر، الآية: 53.

(5) سورة الحجر، الآية: 56.

(6) سورة الأعراف، الآية: 156.

(7) الحديث بالكامل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**»، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث رقم: 6469.

۞ لفظ الأرض:

وُصف لفظ (الأرض) بالسعة في ثلاث آيات من الذكر الحكيم[1]، ورد لفظ (الأرض) فيها مضافا إلى الله، وفي موضع واحد من الحديث الشريف[2]، ورد فيه مضافا إلى الجنة.

والأرض في اللغة: «الجِرمُ الكثيفُ السفليُّ المقابلُ للسَّماءِ»[3]، كهذه الأرض التي نحن عليها؛ فهي كثيفة الجرم، حيث تحمل كل ما عليها، وتقابل السماء[4]، وتطلق كلمة أرض ويعبَّر بها عن أسفل الشيء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه[5]. قال الشاعر:

وَأَحْمَرَ كَالدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ فَرَيَّا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحُولُ[6].

أي سماؤه: أعاليه، وأرضه: قوائمه. كما تُطلق أيضا ويراد بها موطئ الأقدام في الجنة[7]. والذي ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من لفظ (الأرض) يدل على هذه الأرض التي نعيش عليها، أو بقعة خاصة منها يُعيّنها السياق[8]، أو أرض الجنة.

والظاهر في معاني الآيات أن الإنسان حين يتعسر عليه التوفر على التقوى والإحسان وإقامة شعائر دينه على الوجه المطلوب في وطنه، أو علم أنه في غير وطنه يكون أقوم بواجبه وأدوم على العبادة، وتنطلق فيه الحرية الفكرية والعملية بأوسع مداها، مما يتيح له مجال المعرفة الحرة والسلوك

---

(1) قوله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾، النساء: 97، وقوله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾، العنكبوت: 56، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾، الزمر: 10.

(2) عن أبي أيُّوبَ الأَنْصَارِي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: «**مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**». مسند أحمد، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث أبي أيوب الأنصاري، حديث رقم: 38/ 533.

(3) عمدة الحفاظ/ أرض.

(4) المعجم الاشتقاقي المؤصل:/ أرض.

(5) المقاييس، والمفردات/ أرض.

(6) البيت من الطويل وهو لطفيل بن عوف بن كعب الغنوي في وصف فرس، ملحقات شعره: 62، وشمس العلوم 1/ 72.

(7) كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾، الزمر: 74، وكذلك في سورة الأنبياء: 105؛ حيث السياق يجزم بأنها أرض الجنة، ينظر البحر المحيط: 318/6.

(8) المعجم الاشتقاقي المؤصل/ أرض.

الحر[1]، فالهجرة إلى أرض أخرى حرة حيث يتمكن من ذلك، في مناكب أرض الله الواسعة واجب لا نفل فيه، ولا عذر له في التفريط[2].

وهذا ما صاغه الإمام محي الدين ابن عربي رَحِمَهُ اللَّهُ صياغة بديعة بقوله: «المكان الذي لا يؤنث، لا يعول عليه»[3]، أي المكان الذي لا يجد المرءُ فيه المكانة اللائقة به ليقوم بواجباته الإيمانية والإنسانية لا يُركَن له ولا يُنتَحب عليه. وأنشد أبو العَتاهِية:

مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ عَنْ كُلِّ وَجْهٍ مُضَيَّقٍ وَجْهٌ مُنْفَرِجُ[4].

ومن ثمة فإن أَرْضَ اللهِ هي الأرض بالإطلاق[5]، أي كل بقعة من البقاع التي تصلح للعيش فيها، فهي أرض واسعة تحتمل جميع المعاني، مادية كانت أم معنوية، فلئن كانت الهجرة هنا تعني الانتقال من أرض ضاقت بما تحمله النفس من رغبة للإصلاح والتمسك بالمبادئ والدين، فهي تعني أيضا ترك كل ما يوقف الإنسان من عوائق وعثرات وحزن ويأس، فمهما ضاقت الأرضُ على الإنسان وضاقت عليه نفسُه، فهناك من المؤكد أرض أخرى لا تضيق عليه، لأن أرض الله واسعة.

ومن جهة أخرى، يرشدنا سياقُ مقامِ الحديث الشريف[6] ودلالةُ مقالِه إلى أن ثمة أرضاً أوسع مما نحن عليها، وهي أرضُ الجنة، ويفهم ذلك من خلال وجهين:

أولهما: أن الجنة أوسع من السمٰوات والأرض، وبذلك يستحيل أن تتساوى سعة أرض الجنة بسعة الأرض التي تقع أسفل الكون. قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[7]. فالمراد بالعرض هاهنا، هو عبارة عن السعة، كما تقول العرب: بلاد عريضة، أي: واسعة عظيمة، «والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق، وما

(1) من وحي القرآن: 7/ 418.

(2) أضواء البيان: 6/ 355، وإرشاد العقل السليم: 7/ 246، والتفسير المنير: 5/ 228.

(3) رسالة الذي لا يعول عليه: 17.

(4) البيت من البسيط وهو لأبي العتاهية، ترتيب الأمالي الخميسية: 2/ 262.

(5) المحرر الوجيز: 2/ 100.

(6) الذي ورد فيه وصف الأرض بالسعة، (أرض الجنة).

(7) سورة آل عمران، الآية: 133.

ضاق عرضه دق»[1]، فخُصَّ العرض بالذكر كناية عن السعة، ومبالغة في وصف مدى اتساعها وانفساحها وانبساطها على طريقة التمثيل، لأن العرض في العادة أدنى من الطول[2].

كما ورد أيضاً في السنة النبوية ما يدل معناه على أرض سعة الجنة وذلك في قوله ﷺ عن أَبي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**»[3]؛ فما وُصف به الفرس: (الجواد الْمُضَمَّر السَّرِيع)، دالٌّ على أنه يبلغ منتهي السرعة، ومع ذلك لا يبلغ إِلَى مُنْتَهى أغصانِ الشجرة لامتداد مساحته المترامية الأطراف بشكل خارق للعادة[4]؛ تلك مساحة شجرة، فماذا عن مساحة أرض الجنة بأكملها؟! إذ مهما يتخيّل الإنسان سعة الجنّة إلا أنّها أعظم ممّا يتخيّله، بل إن القليل مما اكتشفه العلم الحديث من أبعاد السمٰوات والأرض يدعو إلى العجب ويفوق قدرة التخيل لدى البشر، فأنى لنا بتصور سعة الجنة؟!

ثانياً: بغضّ النظر عن سعة الجنة، فقد وُصفت أرضُها بالسعة فيما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أسري به مرَّ على خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال له: «**مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُواْ مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ**»، فالحثُّ على الإكثارِ مِن غِراسِ الجنَّةِ، يكفي دليلاً على عظم سعتها، لأنه مهما كثر غراسها فأرضها واسعة تسع كل ما غُرس فيها من الشجر. ولهذا فإن وصف أرض الجنة بالسعة تأكيد على شساعتها التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

يتضح مما سبق أن الأرض، كل الأرض لله عز وجل، وهي واسعة مبدئيا، لأن الله هو الواسع. ومن جهة أخرى، فإن اتصاف الأرض بصفة السعة يشير إلى نعم وبركات الهجرة في الحياة الدنيا، ويوضح مدى عظمة الثواب والأجر اللذين ينالهما المهاجر، فيحضُّ العبد على الهجرة في سبيل الله ابتغاء فضله ورحْمته إلى المكان الذي يمكن فيه تحقيق الحق وتطبيقه والعمل به، حيث سيجد في هذه الأرض الواسعة، الكثير من النقاط الآمنة ليستقر فيها، فإن لم يصل إلى المكان المستهدف في أرض هذه الدنيا ليتمتع فيه بحرية العمل بواجباته، ويفقد حياته في الطريق، فأرض الجنة أوسع[5].

(1) مفاتيح الغيب: 9/ 365.

(2) إرشاد العقل السليم: 2/ 85.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم: 3251.

(4) عمدة القاري: 23/ 121.

(5) تفسير الأمثل: 5/ 232.

وخير دليل على ما تقدم قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾[1].

وحاصل القول، في هذه المسألة، أن وصف الله ﷻ رحْمته بأنها واسعة أكّد على رفعةِ مكانتها وسمو مترلتها وعِظَم شأنِها وجلالة مصدرها، وصرّح بشمولِها كلَّ شَيْءٍ وعدمِ احتمال خروجِ أيِّ شَيْءٍ عنها، وهو ما يُثبت أن مفهوم الرحْمة مفهومٌ مفتاحي محوري لفهمِ الوحي الإلهي، حيث إن (الرحْمة) تشكّل شبكةَ نسيجٍ دلالي تتسعُ لتغطي كلَّ ما ورد في الكتاب والسنة، مما يحقق صلاح الخلائق جمعاء وسعادتها في الدنيا والآخرة.

2. الوصف بالهديّة:

جاءت كلمة «مُهداة»، وهي اسم مفعول من الهديَّة مشتق من مادّة (هدى)، وصفاً للرحمة في موضع واحد من الحديث الشريف وهو قوله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[2].

2.1. مفهوم الهديَّة في اللغة:

الهاء والدال والحرف المعتل أصلان: أحدهما التقدم للإرشاد (الهُدَى)، والآخر بعثة لطف (الهَدِيَّة)[3]. والهَدِيَّةُ: ما يُقدَّم لشخصٍ ذي مودة من لطف وبرٍّ، إكرامًا له وحُبًّا فيه[4]، ويجمع: هدايا. والإهداء: أن تُهديَ إلى إنسانٍ مديحاً أو هجاءً (شعراً)[5]. وكلّ شيء تُهديه من مالٍ أو مَتاعٍ فهو هَديّة؛ يقال: أَهْدَيْتُ أُهْدِي هديَّةً؛ قال المتنبي:

فَجَعَلْتُ مَا تُهدِي إِلَيَّ هَـدِيَّةً مِنّي إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَـأْمِيلا[6].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[7]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[8].

---

(1) سورة النساء، الآية: 100.

(2) سنن الدارمي، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ، حديث رقم: 15.

(3) المقاييس/ هدى، بتصرف يسير.

(4) العين، والمجمل، والمفردات/ هدى.

(5) العين/ هدى.

(6) البيت من الكامل وهو لأبي الطيب المتنبي في مدح صديق له في صباه، ديوان المتنبي: 70.

(7) سورة النمل، الآية: 35.

(8) سورة النمل، الآية: 36.

2.2. مفهوم الهَديَّة في القرآن والحديث:

حسبنا في هذا المقام أن نقف بين يدي مقام ورود الصفة في القرآن والحديث ومقاله، من أجل الكشف عن اللطائف الكامنة في هذه الصفة مما يزيد التعريف قوةً وتثبيتاً. ومن خلال التدبر في دلالة الحديث نرى أنه جاء بياناً لقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، أي: رَحْمةً مهداةً للمخلوقات جَميعاً[1]؛ فالرسول ﷺ ليس رَحْمةً محجوزةً عن طائفة أو مخصوصةً لزمرة، بل إنه ﷺ رَحْمةٌ عامة شاملة مبسوطة من لدن ربِّ العالمين ﷻ إلى العالمين!

إن مجيء الهديَّة وصفاً للرَّحْمة أضفى على التعريف المقترح نصاعةً ووضوحاً؛ ذلك أن من مزايا الهديَّة إيصال النفع إلى المُهدَى إليه، وهذا يتناسب تماما مع مقتضى (الرَّحْمة)، وبما أن الأمر كذلك، كان من البديهيّ أن توصف الرَّحْمةُ بكونها مهداة. كما أن هذا الوصف دليلٌ واضح على أن النبي ﷺ جاء لإيصال النفع إلى العباد ودفع الضر عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2].

فالنبيُّ محمدٌ ﷺ بُعِثَ إلى العالَمين مَفْطُورًا على الرحْمةِ، ليُخرجهم من الظلماتِ إلى النُّورِ، فكانت ذاتُه رحمة، وشريعته ومنهاجه رحمة، وبكمالِ رَحْمتهِ ﷺ، جعله الله ﷻ سببًا لدخول العالمين في رَحْمة ربهم جَلَّجَلَالُهُ، وتجنبهم مسالك الهلاك، فحصَل لعموم العالَمين النفعُ برسالتِه؛ فالذين قَبلوا رحْمة اللهِ وهديَّتَه فازوا وأفلحوا ونالوا بها كرامةَ الدُّنيا والآخِرَة، والذين ردُّوها وأعرضوا عنها خابوا وخسروا، ولم ينالوا بها إلا متاع الدنيا والإمهال عن العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾[3]؛ فكان ﷺ رَحْمةً مُهداةً من اللهِ ﷻ للعالمين في تنفيذ شريعته.

(1) يُنظر: التحرير والتنوير: 166/17، وتفسير السمعاني: 413/3، والتفسير القرآني للقرآن: 963/9، وتفسير القرطبي: 63/4.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) سورة الأنفال، الآية: 33.

3. الوصف بالانتظار:

ورد لفظ (الرحمة) موصوفاً بكلمة «منتظرة»، وهي اسم مفعول من الانتظار مشتق من مادّة (نظر)، في موضعين من الحديث النبوي الشريف، هما قوله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ، وَجَلِيسُ الْمَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَخٍ مُسْتَفَادٍ، أَوْ كَلِمَةٍ مُحْكَمَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ مُنْتَظَرَةٍ**»[1].

وقوله ﷺ: عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَدَامَ الِاخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ آيَةً مُحْكَمَةً، أَوْ رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، أَوْ عِلْمًا مُسْتَطْرَفًا، أَوْ كَلِمَةً تَدَعُوهُ إِلَى الْهُدَى، أَوْ تَصْرِفُهُ عَنِ الرَّدَى، أَوْ يَدَعُ الذُّنُوبَ خَشْيَةً أَوْ حَيَاءً**»[2].

3.1. مفهوم الانتظار في اللغة:

تدور مادة (نظر) في المعاجم اللغوية على عدة معانٍ[3]، منها: **الرؤية والالتقاط**؛ وفيه النَّظر وهي محاولة التقاط الشيء بالعين ورؤيته. **والتأمل والتفحص**، وفيه المناظرة، وهي: محاولة الإقناع بالأفكار بعد تأمل وتفحص. **والإمهال والتأخير**، وفيه الإنظار، وهي: إمهال أمر أو تأخيره إلى أجل مسمى، وقد جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾[4].

ثُم **الترقب والمعاينة**، وفيه الانتظار وهذا المعنى مأخوذ اشتقاقيًّا من الترقب في استغراق الزمن؛ فيقال: نظرت فلاناً وانتظرته انتظاراً، أي: ارتقبت مجيئه، كأنه يتحين الوقت الذي يأتي فيه. قال امرؤ القيس:

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِيَ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ[5].

---

(1) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 9424.

(2) أخرجه البزار في مسند الحسن بن علي رضي الله عنه، حديث رقم: 2750.

(3) العين، والصحاح، والمقاييس، والمعجم الاشتقاقي المؤصل/ نظر.

(4) سورة الأعراف، الآية: 14، 15.

(5) البيت من الطويل وهو لامرئ القيس في قصة نقد أم جندب لامرئ القيس وعلقمة الفحل، ديوان امرئ القيس: 41.

3.2. مفهوم الانتظار في القرآن والحديث:

جاء الحديثان اللذان وردت فيهما الصفة في سياق الحثِّ على ملازمة المساجد وكثرة الخطى إليها، حيث بيّن النبيُّ ﷺ أن الجالس في المسجد ينال من الخصال ما يمحو الله بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات؛ إذ هي غنيمة كبرى ينبغي للمسلم اللبيب الحرص على اغتنامها، كسماع تلاوة القرآن الكريم، أو حضور مجالس العلم، أو الاستفادة من رأي رجلٍ عاقلٍ صالحٍ، أو نيل رحمة مُنتظَرة، كاستغفار الملائكة له[1].

ويستفاد من معنى الحديثين أن مجيءَ الانتظار وصفا للرحمة تأكيد على أن المخلُوق في حاجة دائمة ومُستمرة إلى رحمة خالقه ﷻ في هذه الدنيا الواسعة؛ لأنه لولا رَحمته ﷻ لعاش طوال حياته في ذُلّ التسول أمام الكائنات، ومهانة الخوف أمام الحادثات. فمهما بلغ من غنى وقوة، يظل فقيرا وعاجزا ومحتاجا إلى رَحْمة الله بلا نهاية، ذلك بأن رزقه وصحته وحياته كلها بيد الله عَزَّوَجَلَّ. ومادام الأمر هكذا؛ فعليه أن ينضم إلى صفوف المرابطين الذين يرابطون في المساجد وينتظرون مجيء رَحْمة ربِّهم إليهم، وذلك هو الرباط الحقيقي كما جاء في قوله ﷺ: «**فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[2].

فالرحمة إذن كَنْزٌ عظيمٌ لا يفنى أبداً؛ إذ هي واسعة مطلقة أوسع من الكائنات، وحُقَّ لها أن توصف بأنها منتظرة ما دام العبد في حاجة دائمة متجددة ومستمرة إليها، وعليه أن يرتقب مجيئها كل حين مرابطا بصالح الأعمال، والإحسان إلى العباد؛ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[3].

---

(1) الفتح الرباني: 50/3.

(2) جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم: 251. وأصل معنى الرباط يستعمل في ملازمة الثغور، وهي البلاد أو الأرض أو النواحي التي يُتخوَّف منها العدو، فيكون المرابط قبالة العدو أو بلادهم، فهو ينتظر؛ لا يذهب ولا ينتقل إلى أرض أخرى، كالإنسان الذي يمكث في المسجد ينتظر الصلاة. فقوله: «فذلكم الرباط»، كأنه يفهم منه أن ذلك هو الرباط الكامل، يعني: أنه ما تحقق فيه الوصف الكامل من هذه الحقيقة التي هي الرباط، يعني: هذا هو الرباط الأتم والأوفى، وإن كان غيره يسمى رباطاً، وهو المكث في الثغور في مقابلة العدو، فمن الرباط العناية بالصلاة وانتظارها، كلما فرغ من صلاة تكون على باله الصلاة الأخرى ينتظرها ويعزم على أدائها في الجماعة، فهو معتن بها محافظ عليها متأثر بها، كما أن الرباط في الثغور جهاد وعمل صالح ضد الأعداء، فهكذا الرباط في انتظار الصلوات والعناية بالصلوات في أوقاتها وفي أدائها في الجماعة كله رباط فيه الأجر العظيم.

(3) سورة الأعراف، الآية: 56.

المسلك الثاني: وصفه بمركب.

ورد لفظ (الرَّحْمة) موصوفاً بمركبات حاملةٍ لمعانٍ واصفة، وهي: الإلهية والعالمية والإيمانية.

1. **الوصف بأنها من الله (الرَّحْمة الإلهيَّة):**

يُفهم هذا المعنى من خلال مجموعة من التراكيب التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف من قبيل: قوله ﷻ: ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿مِنْهُ رَحْمَةً﴾[7]، وقول رسول الله ﷺ: «**رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ**»[8].

1.1. **مفهوم الإله في اللغة:**

كلمة (إله) مأخوذة من لفظة الجلالة (الله) وهو اسم علم من أَلِهَ يَأْلَهُ (إِلَهً)، والإله [فِعال] بمعنى مفعول، أي المعبود بالحق[9]، كما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[10]، أي معبود فيهما، ولذلك تعلق به الجار. و(ال) في (الله) بدل من همزة (إله) كما في قول الشاعر:

مَعَاذَ الإلهِ أَنْ تَكُونَ كظَبْيَةٍ وَلا دُمْيَةٍ وَلا عَقِلَةِ رَبْرَبِ[11].

---

(1) ورد مرتين في القرآن الكريم في سورة آل عمران: 157، 159، ومرتين في الحديث الشريف في صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: 2055، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم: 2817.

(2) ورد ثمان مرات في القرآن، وهي: الأعراف: 72، وهود: 58، 66، 94، ومريم: 21، ويس: 44، وص: 43، وفصلت: 50.

(3) ورد مرتين في القرآن الكريم في سورتي النساء: 175، والتوبة: 21.

(4) ورد مرتين في القرآن الكريم في سورة الكهف: 65، والانبياء:84.

(5) ورد مرتين في القرآن الكريم في سورة الكهف: 82، والقصص:46.

(6) ورد مرة في القرآن الكريم في سورة الكهف: 98.

(7) ورد مرتين في القرآن الكريم في سورة هود: 63، والروم: 33، ومرتين في الحديث الشريف في صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم: 2816، و2816/74، وفي إعراب (مِنْهُ رَحْمَةً) ورد في كتاب «إعراب القرآن وبيانه»: 503/7، لمحيي الدين درويش: «ومنه حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة ورحمة مفعول به ثان».

(8) ورد مرة في الحديث الشريف في سنن أبي داود، كتاب الطب، باب كيف الرقي، حديث رقم: 3892.

(9) المفردات، والمقاييس، وعمدة الحفاظ/ أله.

(10) سورة الزخرف، الآية: 84.

(11) البيت من الطويل وهو أحد أبيات للبعيث بن حريث، مما أورده أبو تَمام الطائي في ديوان الحماسة. الخزانة: 277/2.

أي: معاذ اللهِ أن تكون كظبيةٍ، فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التعريف، وأدغم اللامان فصارت الكلمة (الله)، ولذلك قيل في النداء: يا الله بالقطع.

فلفظ الجلالة (الله) هو اسم عَلَم، لا يُوصَف به، والأسماء الحسنى الأخرى كلها هي صفات تجرِي على هذا الاسم العظيم، فهي أسماء تدل على صفات. وتسند إِلَيه أفعال تلك الأسماء، فيقال فيما يشتق من اسم (ٱلرَّحْمٰن) مثلاً: رحم الله فلانا، ويرحَمه الله، واللهم ارحم فلانا. كما تضاف إِلَيه مصادر الأسماء الأخرى، فَيقال: رَحْمة الله وربوبِيته ومغفرته.

إذن، الإلهية صفة لكل ما نُسب إلى الإله أي: الله جَلَّجَلَالُهُ؛ تضاف الياء إليها للدلالة على النسب، ولابد من مطابقة الصفة للموصوف في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث، فيقال عن رَحْمة الله: الرحمة الإلهية.

1.2. مفهوم الوصف في القرآن والحديث:

لعل اتصاف (الرحْمة) بصفة الإلهية، أي: أنها من الله الذي له الكمالُ كلُّه، دليلٌ صريح على كمالها وعظمتها، وتوكيدٌ على علوّ قدرها وفخامة ذاتها، وذلك أن الرحْمَة صفة الله ﷻ الحائز لجميع الكمال، وليست إلا منه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا يُسمى رحيما إلا من أفاض الله عليه الرحْمة؛ فبذلك تكون رحْمة الله هي المؤثرة في صيرورة الراحِمين رُحَماء[1]. وهذا ما أثبته التعريف المقترح سابقاً عند قولنا: **الرحْمة صفة إلهية**، أي: أن مصدرها هو الله ﷻ.

2. الوصف بأنها للعالمين (الرَّحْمة العالميَّة):

فُهِم هذا المعنى من خلال التراكيب التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف من قبيل قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

(1) التحرير والتنوير: 214/8، وإرشاد العقل السليم: 240/3، مفاتيح الغيب: 407/9.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107، وورد مرة في الحديث الشريف في سنن أبي داود: 4659.

2.1. مفهوم العالم في اللغة:

تدور مادة (علم) في اللغة على: ما دل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره[1]، والعالم: الأنام، يعني: الخلق كلّه، وهو مأخوذ من العلم والعلامة، لأنه دال على موجده ومدبره؛ «وذلك أن كل جنس من الخلق فهو في نفسه مَعْلَمٌ وَعَلَمٌ»[2]، والعالمون: أصناف الخلق[3]؛ أنشد جرير:

تَنَصَّفُهُ البَرِيَّةُ وَهوَ سَامٍ وَيُمْسِي العَالَمُونَ لَهُ عِيَالا[4].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾[5]. فالعالَم اسم لكل ما عُلِمَ به الخالق ﷻ من جميع مخلوقاته[6]. والعالمية صفة لكل ما نسب إلى العالم، فيقال عن رحْمة العالم: الرحْمة العالمية.

2.2. مفهوم الوصف في القرآن والحديث:

إن تدبر الآية في مقامها من السورة يفيد أنها سيقت لمخاطبة النبي ﷺ، إظهاراً لشرفه وإعلاءً لقدره، وتعظيماً لرسالته، وبياناً لفضله، وإخباراً بأنه ﷺ رحْمةٌ رحم الله ﷻ بها عمومَ العالمين، أي: كُلَّ ما سوى الله ﷻ؛ أهلَ السَّمٰوات وأهلَ الأرض من عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الجماد، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وغيرهم، طائعهم، وعاصيهم، وحصل لهم النفع برسالته ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قبل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة، انتفع بها وسعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدها، خسر الدنيا والآخرة[7].

---

(1) العين، والتهذيب، والمقاييس/ علم.

(2) المقاييس/ علم.

(3) الصحاح، واللسان، والمختار/ علم.

(4) البيت من الوافر وهو لجرير بن عطية الخَطَفي في مدح بني تميم، الحماسة المغربية: 62/1.

(5) سورة الشعراء، الآية: 23- 24.

(6) الكشاف: 1/ 11.

(7) يُنظر: جامع البيان: 18/ 551، وبحر العلوم: 2/ 445، وتفسير القرطبي: 11/ 350، وأنوار التنزيل: 4/ 62، والتسهيل: 2/ 31، وتفسير الشعراوي: 16/ 9675، والمنير: 17/ 144،

إن اتصافَ الرحْمة (النبي ﷺ) بصفة العالمية، تأييد وتأكيد لما أثبته التعريف المقترح من كون مقتضى الرحمة إيصال النفع إلى العباد – كلّ العباد – ودفع الضر عنهم، وهذا يضفي على لفظ (الرحمة) قوة اصطلاحية خاصة.

وحَرِيٌّ بالذِّكْرِ أن عالمية رحْمة النبي ﷺ لا تنحصر في الدنيا فحسب بل تستمر إلى الآخرة، وهذا ما أشار إليه البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض الكلام عن معنى ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بقوله: «ومن أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يُجمع الأولون والآخرون، وتقوم الملائكة صفوفاً والثقلان وسطهم، ويموج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه، يطلبون من يشفع لهم في أن يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب إما إلى جنة أو نار، فيقصدون أكابر الأنبياء نبياً نبياً عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فيحيل بعضهم على بعض، وكل منهم يقول: لست لها، حتى يأتوه ﷺ فيقول: أنا لها، ويقوم ومعه لواء الحمد فيشفعه الله وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون»[1].

ولهذا ينبغي للعبد أن يبادر إلى اغتنام فرصة الحياة الدنيا بِما فيها من رحْمة الله، للظفر بنعيم الآخرة، فالرحْمة عامة، لكن لا ينتفع بها في الدنيا والآخرة إلا من قبلها، أما من ردها فقد خسر، وهذا لا يمنع أن تكون الرحمة عالمية، فكما يقال: «هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمل لم يخرج عن كونه دواء لذلك المرض»[2].

3. الوصف بأنها للمؤمنين (الرَّحْمة الإيمانيَّة):

فُهِم هذا المعنى من خلال التراكيب التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف من قبيل قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، و﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4]، و﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

---

(1) نظم الدرر: 12/ 508.

(2) التفسير القيم: 382.

(3) ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم في سورة يونس، الآية: 57، وسورة الإسراء، الآية: 82، وسورة النمل، الآية: 77، وورد مرتين في الحديث الشريف في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3474، وفي كتاب القدر، باب ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾، حديث رقم: 6619.

(4) ورد مرة في القرآن الكريم في سورة التوبة، الآية: 61.

(5) ورد أربع مرات في القرآن الكريم في سورة الأعراف، الآيتين: 52، 203، ويوسف، الآية: 111، والنحل، الآية: 64.

3.1. مفهوم الإيمان في اللغة:

الإيمان مصدر آمن يؤمن إِيْمَاناً فهو مؤمن[1]، وأصل آمن (أأمن) بهمزتين لينت الثانية[2]، وهو مشتق من الأمن؛ وأصله في اللغة على القرار والطمأنينة[3]، ضد الخوف[4]، أي: طمأنينة النفس وزوال الخوف[5].

وللفعل (آمن) في اللغة استعمالان: الأول: أن يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، يقال: آمنه يأْمَنُه أَمْناً وأَمَاناً؛ أي: جعل له الأمن، ضد أخافه، وفي الكتاب العزيز قوله ﷻ: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾[6]، فالأمن هنا ضد الخوف، والمأمَن: مَوْضع الأمن[7]، والمؤمن هٰهنا: هو الذي يعطي الأمان لمن استجار به واستعان[8]، ومنه قول النَّابغة:

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ والسَّنَدِ[9].

والثاني: أن يتعدى بالباء أو اللام فيكون معناه الإقرار والتصديق، يقال: آمن له إِيْماناً، أي: صدَّقه وأقرَّه، وفى قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾[10]، أي: وما أنت بمصدق لنا.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ أن الإِيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها النبي محمّد ﷺ، ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مقرّا بالله ﷻ وبنبوته ﷺ. وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول والصدق والعمل الصالح: إيمان، إِلاَّ أَن الإِيمان هو التصديق الذى معه الأَمن[11].

---

(1) التهذيب/ أمن.

(2) الصحاح/ أمن.

(3) الصارم المسلول: 519.

(4) العين، والصحاح، والقاموس المحيط/ أمن.

(5) المفردات/ أمن.

(6) سورة قريش، الآية: 4.

(7) العين/ أمن.

(8) والله ﷻ المؤمن؛ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [سورة الحشر، الآية: 23]. وقال بعض أهل العلم: إِنَّ (المؤمن) في صفات الله ﷻ هو أن يؤمِن أولياءه عذابَه ولا يظلمهم. [المقاييس/ أمن].

(9) البيت من البسيط، وهو للنابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر، وقوله: والمؤمن، يقصد الله الذي أمن الطير العائذة بحرم مكة. ديوانه: 76.

(10) سورة يوسف، الآية: 17.

(11) المفردات، والبصائر، والتاج/ أمن.

3.2. مفهوم الوصف في القرآن والحديث:

يستفاد من تدبر سياقات النصوص الحاملة للمصطلح الموصوف؛ حيث جاء لفظ (الرحْمة) واصفاً وموصوفاً[1]، أن وصف (الرحْمة) بالإيمانية يدلُّ على أنَّ رحْمة الله المتمثلة في القرآن الكريم والمتجلية في شخصية الرسول ﷺ، والكامنة في بعض الابتلاءات حسبما تقتضيه حكمة الله ﷻ، كالطاعون، هي رحْمة مخصوصة للمُؤمنين الراسخين في الإيمان؛ المنتفعين بما جاء به رسول الله ﷺ عن الله من خلال القرآن الكريم[2]، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[3].

فبمقتضى سعة رحْمته الواسعة المتسعة لعموم مظاهره ومصنوعاته يرحم الله جميع الخلائق، وبموجب التجاوب والاستنارة بنور شريعته يَختص برحْمته طائفةً خاصةً من عباده وهم المؤمنون؛ فيرحمهم الله ﷻ في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم، ويثبتهم عليه، ويدافع عنهم ضنك العيش، ويرزقهم الحياة الطيبة، ويبارك لهم فيها، ويمدهم بالصبر واليقين عند المصائب، ويغفر لهم ذنوبهم، ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم والرضا عنهم والإنعام عليهم بدخولهم الجنة ونجاتهم من عذابه ونقمته؛ ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾[4].

وفي ضوء ما سبق، نلحظ أن الرحمة قد اتصفت بصفات مدح وكمال مما تُثبت لها الكمال والعظمة، ذلك أن تلكم الصفات منها ما اتصف بها المولى ﷻ **كالسعة**، ومنها ما وصف الله بها نبيَّه ﷺ **كالعالمية**، ومنها ما وُصف بها عباده الرُّحَماء **كالإيمانية**، ومنها ما يدل معناها على إفاضة الخير والنفع للعالمين **كالهديَّة**، ومنها ما أفادت أن الرحْمة خالدة متجددة في الدنيا، ومستمرة إلى الآخرة كصفة **الانتظار**، بل يكفي الرحْمة شرفاً وقدراً أنها صفة ملازمة لذات الله ﷻ؛ إذ إن وصْف الرحْمة **بالإلهية** يغني عن كل الصفات الأخرى التي اتصفت بها الرحْمة، لأنها تصف شيئاً منسوباً إلى الله المتَّصِف بصفات الكمال والمتفرِّد بنعوت الجَلال والجَمال ﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[5].

---

(1) واصفاً للقرآن الكريم، والنبي محمد ﷺ...، وموصوفاً بأنها رحْمةٌ للمؤمنين، كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [سورة يونس، الآية: 57].

(2) مفاتيح الغيب: 14/ 253، والجامع لأحكام القرآن: 7/ 217، والفواتح الإلهية: 1/ 336، ونظم الدرر: 11/ 497.

(3) سورة البقرة، الآية: 105.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 43.

(5) سورة الرحمن، الآية: 78.

فلئن كان الموصوف أشرف من الصفة[1]، وتشرف الصفة بشرف موصوفها[2]، فإن الرحْمةَ تنال عِزَّةً وعُلوًّا، وتتسم بالعظمة والكمال، وتتحلى بالرفعة والخلود، لسببين:

أولاً: أن الرَّحْمة **صفة إلَهية**، ومعلومٌ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]، و﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، أي: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾[5]، فشَرُفت الرحْمةُ بشرف موصوفها و﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[6].

ثانياً: أن الرحْمة تتصف بأوصافٍ ذات مصدر إلهي مثلها؛ إذ وُصفت الرحْمة **بالسعة**، والله ﷻ ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾، واتصفت **بالعالمية**، والله ﷻ هو ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7]، ووُصفت **بالإيمانية**، والله ﷻ هو ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾[8] الذي آمن عبادَه المؤمنين فجعل رحمته ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[9]، كما وُصفت **بالهديَّة**، في حين أن الله ﷻ هو الذي أرسل رسوله ﷺ «رَحْمَةً مُهْدَاةً»[10] إلى العالمين، واتصفت أيضاً **بالانتظار**، والله ﷻ هو الذي أمر عباده أن ينتظروا رحْمته التي تسع الزمان والمكان ولا ييأسوا منها فقال ﷻ: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾، فإنها ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾.

ومجمل القول، تبين من خلال التأمل في دلالات ومعاني هذِه الصفات أن الرحْمة المقصودة في القرآن الكريم والحديث الشريف هي: **رَحْمَةُ اللهِ الوَاسِعَةُ الَّتِي أَهْدَاهَا لِلعَالَمِين لِيَنْتَفِعُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا وَخَصَّهَا المُؤْمِنِين فَيَنْتَظِرُونَهَا إِلَى الآخِرَةِ**. فهي إذن، أوصاف تؤكد دلالة الرَّحْمة وتضفي على معناه لطائف وإيحاءات من شأنها أن تقوي موقعها داخل النسق المفهومي الذي تنتسب إليه.

وبِما أن لفظ (الرحْمة) ورد في بعض نصوصه واصفاً كذلك، فإن بيان الدلالات الكامنة في اقتران الصفة بِموصوفاتها يفيد غاية الإفادة في تقريب المدى إلى قوة اصطلاحية المصطلح.

---

(1) مشارق أنوار اليقين: 37.

(2) الفواكه الدواني: 309/1.

(3) سورة محمد، الآية: 19.

(4) سورة الحشر، الآية: 22.

(5) سورة الأنعام، الآية: 133، وسورة الكهف، الآية: 58.

(6) سورة الحشر، الآية: 23.

(7) وردت في أربع وثلاثين آية من القرآن الكريم.

(8) سورة الحشر، الآية: 23.

(9) سورة يونس، الآية: 57.

(10) سنن الدارمي، حديث رقم: 15.

❁ المطلب الثاني: لفظ (الرَّحْمة) واصفا

المسلك الأول: المعطى الإحصائي والشكلي

1. المعطى الإحصائي:

ورد لفظ (الرحمة) واصفاً في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم؛ وُصف به القرآن الكريم نفسه سبع عشرة مرة، والتوراة خمس مرات، ومُحمَّد ﷺ مرتين، وعيسى عليه السلام مرة واحدة، والعفو عن القصاص مرة واحدة، كما ورد واصفاً لِمُحمَّدٍ ﷺ من خلال موضعين من الحديث الشريف، يأتي تفصيل ذلك في الجدول الآتي:

الموصوفات	شكل الورود	موضع الورود	العدد
القرآن الكريم	﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	النمل: 77.	17
	﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	الأعراف: 203.	
	﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾	الجاثية: 20.	
	﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾	الأعراف: 52.	
	﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	الأنعام: 157.	
	﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾	يونس: 57.	
	﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾	يونس: 58.	
	﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾	يوسف: 111.	
	﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾	النحل: 89.	
	﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾	النحل: 64.	
	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾	الإسراء: 82.	
	﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	القصص: 46.	
	﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	العنكبوت: 51.	
	﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾	لقمان: 2- 3.	
	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾	الزخرف: 32.	
	﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	الزخرف: 32.	
	﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾	الدخان: 6.	

الموصوفات	شكل الورود	موضع الورود	العدد
التوراة	﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ﴾	هود: 17.	5
	﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾	الأحقاف: 12.	
	﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	القصص: 43.	
	﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾	الأعراف: 154.	
	﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾	الأنعام: 154.	
مُحَمَّدٌ ﷺ	﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ﴾	التوبة: 61.	4
	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	الأنبياء: 107.	
	«وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».	أبو داود: 4659.	
	«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».	مسلم: 2599.	
عيسى عليه السلام	﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾	مريم: 21.	1
العفو	﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	البقرة: 178.	1
المجموع			28

2. المعطى الشكلي

ورد لفظ (الرحْمة) في أغلب حالاته نكرة منوناً، وذلك في خمس وعشرين حالة، وفي ثلاث حالات ورد معرفا بالإضافة إلى اسم الجلالة. وفي كل الحلات يؤدي وظيفته الوصفية بصيغة المصدر خلافا للأصل. كما ورد واصفاً إلى جانب صفات أخرى للموصوف ذاته في مواضع كثيرة عن طريق التعاطف بأداة «الواو»[1].

وغنيٌّ عن البيان أن الصفة لا تدلّ بمجرّدها على الموصوف إلا أن يكون مذكوراً ظاهراً أو معروفاً مقدّراً[2]: فالظاهر كقوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[3]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[4]؛ فإذا أُفردت الصفة عن الموصوف؛ فقيل: (المجيد) و(الكريم) انصرف المعنى إلى ما هو أقرب إلى الذهن.

(1) وهذه الصفات هي: هدى (ثلاث عشرة مرة)، بصائر (ثلاث مرات)، شفاء (مرتين)، إماماً (مرتين)، تفصيلا (مرتين)، بينة (مرة واحدة)، آية (مرة واحدة)، تخفيف (مرة واحدة)، موعظة (مرة واحدة)، فضلا (مرة واحدة)، ذكرى (مرة واحدة)، تبيانا (مرة واحدة)، تماما (مرة واحدة)، بشرى (مرة واحدة)، ستتم دراسة اقتران لفظ (الرحمة) مع هذه الصفات وبيان دلالته في مقامه إن شاء الله، وذلك في مبحث العلاقات.

(2) المقاييس: 448/5.

(3) سورة ق، الآية: 1.

(4) سورة الواقعة، الآية: 77.

أما المقدّر فنحو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[1]، على القول إن مرجع اسم الإشارة إلى القرآن الكريم وهو أحد القولين في تفسير هذه الآية[2].

وعليه فقد ورد لفظ (الرَّحْمة) واصفاً لموصوفٍ مذكورٍ ظاهرٍ ثماني مرات، وورد واصفا لموصوف معروف مقدّر عشرين مرة.

المسلك الثاني: تحليل المعطيات

1. الكتب السَّماوية (القرآن والتوراة):

اللافت حين التأمل في آيات الكتاب الحكيم، أن الكتب السَّمٰوية بِما فيها القرآن والتوراة لم توصف بصفة أو تقترن بأية كلمة ذات دلالة تهديدية أو تعذيبية، بل وُصفت بأوصاف عديدة، تحمل من المعاني الجليلة والآثار العظيمة ما يدل على سموّ هدفها، ونبل مقصدها، وجلال عظمتها، وعلو قدرها، وعظم شأنها، وكمال رسالتها، وشرف غايتها التي لأجلها نزلت.

وحريّ بالذكر أن تلك الصفات تتضمن في دلالاتها ما يدل على أن (الرحْمة) من أَخَصّ الصفات التأثيرية التي تشير إلى علاقة كتب الله ﷻ بمخلوقاته. وتكمن خصوصيتها في تطابق المقاصد والغايات بينها وبين الرحْمة[3]، وتنوع أشكالها بين إفرادها وقرنها بغيرها من الصفات الجليلة العظيمة الجامعة لمعان عظيمة تثبت أن الرحْمة من أهم مقاصد إنزال الكتب[4].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 138.

(2) اختلف المفسرون في المعنى الذي أشير إليه بـــ﴿هَٰذَا﴾، فقال بعضهم كابن كثير: 126/2، والقرطبي: 216/4، والبغوي: 109/2، وغيرهم: عني بقوله ﴿هَٰذَا﴾، القرآن الكريم، وقال آخرون كالفخر الرازي: 370/9، وأبي حيان الأندلسي: 352/3، وأبي السعود: 88/2، وغيرهم: إن ﴿هَٰذَا﴾، إشارة إلى ما سلف من قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: 137].

(3) إذ الهدف منها جلب النفع للعباد ودفع الضر عنهم. ومما يستنهض همة العقل في هذا الصدد، اقتران القرآن الكريم بصيغة الفعل المضارع المبني للمجهول (تُرحَمون)، والذي يفيد استمرارية الرحْمة إلى زمن المتلقي، مما يضفي على التلقي حيوية وراهنية، ويوحي بالمشاركة الوجدانية، خاصة أنه سُبق بصيغة الأمر التي تتوجه مباشرة إلى جمهور المتلقين (فاتَّبعوه) ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155]، و(فاستمعوا له) ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204]، فيلاحظ أن هذه الأفعال لم تأتِ معزولة عن القرآن الكريم، بل التصق بها ضمير يدل عليه (فاتبعوه، فاستمعوا له)؛ إذ إن اتباع تعاليم القرآن الكريم والاستماع له من الطرق المؤدية إلى الرحْمة، فكأن صيغة الأمر تتغطى بصيغة الشرط: إن تتبعوا القرآن وتسمعوه بقلوبكم وعقولكم تُرحَموا، من هنا جاءت صيغة الاحتمال، فالرحمة مشروطة، لن يستطيع المرء العيش في ظلالها إلا بعد أن يتبع القرآن بعد فهمه والإصغاء إليه. ينظر: جامع البيان: 7/ 231.

(4) تأتلف (الرحمة) مع تلك الصفات ضربا من الائتلاف، يأتي الكشف عن شبكة الترابط المفهومية في مبحث العلاقات.

بناء على ما سبق فإن اتصاف القرآن والتوراة بالرحْمة لمن أوضح الأدلة على أن الكتب السماوية كتب إلهية تقتضي إيصال النفع إلى العالمين، ودفع الضر عنهم في الحياة وبعد الممات، وذلك لما تضمنته من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. كما أن مجيء صفة (الرحْمة) بصيغة المصدر يدل على مبالغة تَمكينها وتَمامها وثباتها في كل موصوفاتها، وكونها رحْمة في ذاتها راحِمة لغيرها على وجه الإطلاق[1].

2. **الرُّسُل (مُحَمَّد ﷺ وعيسى عليه السلام)**:

إن مما تقتضي حكمة الله ﷻ البالغة في إرسال الرسل إلى العالَمين أن يرحمهم بهم؛ فجعل شرائعَه ومناهجَه رحْمة، وفَطَر رُسُلَه عليهم السلام على الرحْمةِ، فكان كل نبيٍّ رحْمةً لأمته[2]. لذلك وصف كتبه بالرحْمة، كما سبق بالنسبة للقرآن والتوراة، ووصف أنبياءَه بالرحْمة كما جاء في وصف مُحَمَّدٍ ﷺ وعيسى عليه السلام، في القرآن والحديث.

وإذا ما سبرنا الكتاب المبين فإنّنا نصل إلى أن الله ﷻ وصف المرسلين بالرحْمة، وخصَّ بالذكر النبيَّ محمداً ﷺ والنبيَّ عيسى عليه السلام، فبين أن الرحْمة صفة لازمة لهما، وسمتهما التي يُعرفان بِها، حيث تكمن رحْمتهما في معالم كثيرة تتجلى في مظهرين: الأول: تَخلقهما بِخلق الرحْمة[3]، والثاني: إحاطة الرحْمة بتصاريف شرائعهما[4].

---

(1) التحرير والتنوير: 26/ 24.

(2) فتح القدير: 3/ 387.

(3) قال القاضي عياض في هذا الصدد: «قال أبو بكر محمد بن طاهر القيسي الإشبيلي: زين الله ﷻ محمدًا ﷺ بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، فكانت حياته رحْمة ومماته رحْمة كما قال ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ (...)، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ**»، [البحر الزخار: 5/ 308، والشفا: 16/1، والتحرير والتنوير: 17/ 166]. وقد كان عيسى عليه السلام رحْمة للعالمين حيثما حل وارتحل، ويؤكد ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم: 31]. فكان مباركا على الناس بحيث يحصل بسبب دعائه إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، [مفاتيح الغيب: 21/ 535].

(4) ذلك أن الكتب المنَزَّلة على أنبياء الله عليهم السلام، المتضمنة ركائز شرائعهم هي رحْمة في ذاتها وراحِمة للمتمسكين بها؛ ولهذا وُصفت بالرحْمة.

والمتأمل في مبنى ومعنى النصوص الحاملة لهذه الصفة في القرآن والحديث، يلحظ مجيء لفظ الرحْمة في تلك الموارد نكرةً، ما يدل على التعظيم والشمول والعموم والدوام، ويؤكد على ذلك كونها رحْمة للعالمين، كما وُصف بها النبي محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، ورحْمة للناس كما جاء في وصف النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ﴾[2].

3. العفوُ عن القصاص:

لقد شرع الله ﷻ القصاص في قتل العمد وجعله الحق الأصلي لورثة المقتول فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾[3]، وبين الحكمة من تشريع القصاص فقال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[4]، وذلك بأن تشريع القصاص وتنفيذه من أسباب انكفاء الناس عن القتل؛ لأن الإنسان إذا تذكَّر أنه سيُقتل بقتل غيره انكفَّ عن القتل؛ كما تقول العرب: «القَتْلُ أَوْقَى لِلْقَتْلِ»[5]، وذلك لكونه سبباً للارتداع[6]، فتحيا بذلك أرواح كثيرة.

وبالرغم من إعطاء الشرع حق القصاص للورثة فإنه رغَّبهم في العفو عن القصاص إلى الدية وأمر الله ﷻ مَن تنازل عن القصاص إلى الدية أن يطلب الدية بالمعروف أي فلا يطلب أكثر مما يستحق[7]. وأمر الجاني ومَن معه أن يؤدوا الدية المطلوبة منهم بإحسان فلا يماطلوهم ولا يعنتوهم في استيفاء الذي لهم. فقال تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[8].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(2) سورة مريم، الآية: 21.

(3) سورة البقرة، الآية: 178.

(4) سورة البقرة، الآية: 179.

(5) البحر المحيط: 2/ 154، اللباب: 3/ 230.

(6) تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 381.

(7) مدارك التنزيل: 1/ 156.

(8) سورة البقرة، الآية: 178.

فجعل العفو والتنازل عن القصاص تخفيفاً ورحْمةً، ترغيباً فيه وحثاً عليه لما في شرعية (العفو) تسهيل على القاتل، وفي شرعية (الدية) نفع لأولياء المقتول؛ فقد رُوي أن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة، وحرّم العفو وأخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفو مطلقا، وحرّم القصاص والدية، وخيرت هذه الأمّة بين الثلاث: القصاص والدية والعفو، توسعةً عليهم وتيسيراً لهم، وتتريلا للحكم على حسب المنازل[1]. ولهذا حذر الشارع ﷻ من الاعتداء والانتقام من القاتل بعد العفو وأخذ الدية فقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾[2].

ومن هنا، وُصف العفو بالرحْمة لأنه يوصل النفع إلى أولياء القتيل بالدية، ويمنع الضر عن القاتل بالعفو عن القصاص. وأما التخفيف في الحكم فهو من أثر الرحْمة؛ إذ هو التخيير بين الأخذ بالقصاص وبين الأخذ بالعفو، فمن أخذ بالقصاص فقد عدل، ومن أخذ بالعفو فقد رحم[3].

هذا وقد تجلى بوضوح – من خلال دراسة المقومات الذاتية للمصطلح – شخصية الرَّحْمة البارزة والمستقلة بخصائصها وصفاتها. وغني عن البيان، أن من كمال التعريف بالمصطلح، والتدقيق في إيضاحه، والتفصيل في خصائصه؛ النظر في العلاقات الواصلة له بسواه والفاصلة له عن سواه، وذلك للكشف عن شبكة الترابط المفهومية بينه وبين غيره من المصطلحات، ومسالكه الدلالية المشتركة بينه وبين سواه، وعلى هذا مدار الفصل الثالث من هذا البحث.

(1) الكشاف: 1/ 222، ومفاتيح الغيب: 5/ 225.

(2) سورة البقرة، الآية: 178.

(3) التحرير والتنوير: 2/ 143.

الفصل الثالث

علاقات لفظ الرحمة في القرآن والحديث

تمهيد

يرمي البحثُ في هذا الفصل إلى تدقيق فهم مصطلح (الرَّحْمة)؛ من خلال الكشف عن طبيعة الشبكة الدلالية التي ينتمي إليها، وأنواع الصلات التي تربط بينه وبين المصطلحات الدائرة معه في نصوصه؛ ائتلافاً أو اختلافاً، مع ضبط الدلالات الفارقة أو الواصلة بين الألفاظ في نسق الكلام، وبيان السمات المميزة لكل مصطلح.

وقد أسفرت دراسة نصوص مصطلح (الرحْمة) – قرآناً وحديثاً – عن علاقات متعددة ومتنوعة، وذلك بتنوع المصطلحات التي تأتلف معه أو تختلف من خلال نسق النصوص وسياقها، حيث نجد أن هناك ثلاثة أنواع لعلاقات الائتلاف وهي:

أولاً: علاقة الترادف: ونقصد بها هنا العلاقة التي تجمع بين مصطلحين أو أكثر عن طريق اختلاف الألفاظ واتحاد المعنى، بحيث قد يصل إلى درجة التطابق التام في الدلالة، أو التقارب المعنوي في المفهوم، وهو ما سنبينه من خلال دراسة علاقة مصطلح الرحْمة بمصطلحات: المرحَمة، والرُّحم، والرأفة، والإحسان، والفضل، والغيث.

ثانياً: علاقة التعاطف: ونعني بذلك اقتران المصطلح المدروس بمصطلحات أخرى على سبيل التبعية، بواسطة أحد حروف العطف، سواء عُطف المصطلحُ على غيرِه أو عُطف عليه غيرُه حسب السياق، كالتعاطف بين الرحْمة والمغفرة – مثلا – حيث التعاطف متبادلٌ بين المصطلحين.

ثالثاً: علاقة التناظر: وهي أن يرد المصطلح المدروس مشابها ومماثلا لمصطلحات أخرى على سبيل التقارب، أو الترادف، أو التقاطع، كالتناظر بين الرحمة والفوز والتربية والرشد والمرفق.

أما علاقات الاختلاف، فترد في نصوص الرَّحْمة على نوعين: أحدهما: **علاقة التناقض،** وهي التي يكون التنافي التام والمخالفة الشديدة بين معنى المصطلح ومعاني المصطلحات الأخرى، بحيث لا يكون وسط بينها غالبا. والثاني: **علاقة التقابل،** وهي اقتران المصطلح بمصطلحات أخرى لها اختلاف تام في المعنى، وائتلاف في النظم من خلال بعض الوجوه؛ كالصيغة الصرفية، والعطف، والإسناد، والاقتران بالمقابلة. وسنبين هذين النوعين من خلال دراسة مصطلحات: العذاب، والهلاك، والضر، والسوء، والسيِّئَة.

وبناء على ما سبق جعلنا نظم الكلام في هذا الفصل على مبحثين، الأول منهما مخصص لدراسة علاقات الائتلاف، ومدار الثاني على دراسة علاقات الاختلاف.

المبحث الأول
علاقات الائتلاف

۞ المطلب الأول: علاقة الترادف

المسلك الأول: المرحَمة

كلمة (المرحَمة) مصدر ميمي من رَحِمَ يَرْحَمُ رَحْمَةً ومَرْحَمَةً، بمعنى الرَّحْمَة، وجمعها (مَرَاحِم)[1]. وقيل: المرحَمة زيادة في الرحْمة[2]، وذلك لأنها بصيغة المصدر الميمي الذي يدل على قوة دلالته على الحدث وتأكيدها[3]؛ فالمصدر الميمي إذن أبلغ من جهة زيادة المبنى[4].

وقد وردت (المرحَمة) في القرآن الكريم بهذه الصيغة في موضع واحد، وذلك قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾[5]. ومعنى (المرحَمَة) في الآية الكريمة: الرحْمة العظيمة؛ يقول البقاعي: «﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: الرحْمة العظيمة بحسب زمانها ومكانها بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحْمة العظيمة التي توجب لهم الحب في الله ﷻ والبغض فيه لأنهم كانوا قبل الإيمان خالصين عن الرياء والإعجاب متهيئين للتزكية فزكاهم الإيمان، فصاروا في غاية النورانية والعرفان»[6]. وقيل: المراد بالمرحَمة: هو التراحم والتعاطف بين الناس[7].

---

(1) العين، والتهذيب، والمختار، وشمس العلوم، والوسيط/ رحم.

(2) أضواء البيان: 8/ 535.

(3) جاء في كتاب النحو الوافي لعباس حسن: «يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي قياسية، تلازم الإفراد والتذكير، وتؤدي ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد ومن العمل لكنها تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها» [النحو الوافي: 231/3، 236]، فالمصدر الميمي يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر العام، وهو الدلالة على الحدث المجرد، ويفوقه في أنَّ دلالتَه على الحدث أقوى من دلالة المصدر العام، ومعناه آكدُ من معناه، ولعل هذا هو السبب في كثرة ورود المصدر الميمي في القرآن الكريم. ينظر أيضاً: [تذليل التصريف: 2/ 84].

(4) التحرير والتنوير: 2/ 344.

(5) سورة البلد، الآية: 17.

(6) نظم الدرر: 22/ 66.

(7) محاسن التأويل: 9/ 479، وبحر العلوم: 3/ 584، وتفسير القرآن العزيز: 5/ 135، والنكت والعيون: 6/ 280، والمحرر الوجيز: 5/ 486، والجواهر الحسان: 5/ 593، وروح البيان: 10/ 439.

وقال آخرون[1]: هي كل ما يؤدي إلى رحْمة الله ﷻ، أي: أسباب وموجبات رحْمته من الخيرات، وفي ذلك قِوَامُ الناس ولو لم يتراحموا جملة لهلكوا[2].

وفي الآية نكتة لطيفة وهي أن الله ﷻ ذكر التواصي بدل الوصية، والمرحْمة بدل الرحْمة؛ ولعل السرّ وراء استعمال اللفظين هو أن التواصي عبارة عن إلحاح المرء على نفسه بالتمسك بما يوصى به أولاً ثم إشاعة الشعور بواجب التحلي به في صفوف الجماعة عن طريق التحاضِّ عليه، واتخاذه واجبا جماعيا وفرديا في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع[3].

كما أن المرحَمة عبارة عن تفاعل وتبادل وتعاون بين أفراد المجتمع بالرحْمة، أي: التراحم بينهم، وبالتالي فقد انسجمت صيغة فعل التواصي الدالة على التعاون والتفاعل بصيغة المصدر الميمي الدالة على قوة دلالته على الحدث وتأكيدها في سياق الكلام عن التعاون بالصبر والرحْمة.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمرحَمة ملاك صلاح الجامعة الإسلامية قال تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[4]، والتواصي بالرحْمة فضيلة عظيمة، وهو أيضا كناية عن اتصافهم بالمرحَمة لأن من يوصي بالمرحَمة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها»[5].

ومن ثم، فإن المرحَمة هي رحْمة تشاركية تعاونية تفاعلية بين أفراد المجتمع الواحد؛ بحيث يتحاضُّون على التحلي والتمسك بما من شأنه أن ينالوا رحْمة الله ﷻ في الدنيا والآخرة. وبهذا يمكن القول: **إنَّ المرحَمَةَ اسمٌ جامعٌ لكل وسائل وأسباب وموجبات الرَّحْمَة**[6].

ويتحصل مما سبق أن المرحَمة ترادف الرحْمة ترادفاً تطابقياً لما لهما من تساوٍ في المعاني والدلالات، غير أن المرحَمة تتميز بالتشارك والتعاون والتفاعل؛ فهي عملية تراحم بين العباد بحيث يكون الجميع رُحَماء ومرحومين في آن واحد، وذلك أن كلاًّ يرحم غيره بحسب القدرة والحاجة.

---

(1) منهم: الزمخشري، والآلوسي، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي، وأبو السعود، والزحلي.

(2) الكشاف: 4/ 757، وروح المعاني: 15/ 355، وأنوار التنزيل: 5/ 314، والبحر المحيط: 10/ 483، وإرشاد العقل السليم: 9/ 162، والوسيط: 3/ 2881.

(3) غرائب القرآن: 6/ 505، والتفسير القرآني للقرآن: 16/ 1580، وفي ظلال القرآن: 6/ 3913.

(4) سورة الفتح، الآية: 29.

(5) التحرير والتنوير: 30/ 361.

(6) سيأتي الحديث عن أسباب وموجبات الرحْمة وموانعها في الركن المتعلق بالقضايا إن شاء الله تعالى.

المسلك الثاني: الرُحم

الرُّحْمُ مصدر من رَحِمَ يَرْحَمُ رَحْمَةً ورُحْماً، بمعنى الرَّحْمة[1]، يقال: ما أقرب رُحْمَ فلان إذا كان ذا مرحَمة وبر، أَي مَا أرحَمهُ وأبرَّه[2]. قال رؤبة ابن العجاج:

يا مُنْزِلَ الرُّحْمِ عَلى إدْرِيسَ ومُنْزِلَ اللَّعْنِ عَلى إبْلِيسَ[3].

وقيل: الرُّحْمُ المنفعة والتعطف[4]، ومنه قول الشاعر:

وَكَيْفَ بظُلْمِ جارِيةٍ وَمِنْهَا اللينُ والرُّحْمُ[5].

وقد وردت هذه الصيغة في موضعين من نصوص (الرَّحْمة) قرآناً وسنةً؛ ففي القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾[6]، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الأَفْرَاخِ فِرَاخَهَا؟»[7]. وبالنظر إلى أقوال المفسرين وشراح الحديث نجدهم يفسرون ويشرحون لفظ (الرُّحْم) بمعنى (الرَّحْمَة)، أي: أن الرُحم والرحمة مرادفان بمعنى واحد[8].

وحقيقٌ بالذكر أنه يتضح من خلال التدبر في مقام ورود لفظ (الرُّحْم) سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم في الحديث الشريف، أن معناه يتجه أساساً نحو معاني الرحْمة المتمثلة في العلاقة بين الولد والوالدين؛ فإذا كان (الرُّحْمُ) من جهة الولد كان معناه البر والإحسان، كما هو صريح في الآية الكريمة، أما إذا كان من جهة الوالِدَيْن كان معناه العطف والشفقة، كما تبين من خلال الحديث الشريف، على أن كل تلك المعاني تدل على الرحْمة.

---

(1) المقاييس، والصحاح، واللسان/ رحم.

(2) المحكم/ رحم.

(3) البيت من الرجز وهو لرؤبة بن العجاج، انظر: ديوانه: 175، والمحرر الوجيز: 9/ 193، واللسان: 3/ 1613.

(4) شمس العلوم، واللسان/ رحم.

(5) اللسان/ رحم.

(6) سورة الكهف، الآية: 81.

(7) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب، حديث رقم: 3089.

(8) يُنظر من التفاسير: أيسر التفاسير: 3/ 278، وفتح القدير: 3/ 360، وفي ظلال القرآن: 4/ 2281، وروح المعاني: 8/ 334. ومن شروح الحديث: مرقاة المفاتيح: 4/ 1648، وشرح سنن أبي داود: 361/ 3.

المسلك الثالث: الرأفة

3.1 الرأفة في اللغة

الرَّأْفَةُ مصدر رَؤُفَ يَرْؤُفُ رَأْفَةً، بمعنى: الرَّحْمَةُ[1]، وقد رأفه واسترأفه؛ أي: استرحمه. ويتراءفون: يتراحمون[2]. وقيل: الرَأْفَةُ أشدُّ الرَّحْمَةِ وأرق منها[3]، أو هي أخص من الرحْمة[4]؛ لأنها لا تكاد تقع في الكراهية، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة[5]. قال الحارث بن حلزة:

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الغَلْ لاقِ لاَ رَأفَةٌ وَلاَ إبْقَاءُ[6].

وقوله (لا رأفة ولا إبقاء) أي ليس لأصحاب الغلاق رحْمة لهم ولا إبقاء عليهم[7]. وفي القرآن الحكيم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[8]؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: «أَي لا ترحَموهما فتُسقِطوا عنهما ما أمر الله به من الحدِّ»[9]. والرأفة في الأصل مأخوذة من رَفْو الثوب لإصلاح شَقِّه[10].

---

(1) العين، والمفردات، والمقاييس، والمُجمل، والمحكم، والشمس/ رأف.

(2) الأساس/ رأف.

(3) الصحاح، والمختار، والقاموس/ رأف.

(4) التهذيب، وعمدة الحفاظ/ رأف.

(5) اللسان، والتاج، والنهاية/ رأف. ويؤكد ذلك ما جاء في تعريف ابن قيم الجوزية للرحْمة حين قال: «ومما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك. فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويريحه. (...) ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته: من رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه». ينظر: إغاثة اللهفان: 174/2.

(6) البيت من الخفيف وهو للحارث بن حلزة بن مكروه اليشكري، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، أحد أصحاب المعلقات، كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند ملك الحيرة جمع فيها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم.

(7) شرح القصائد العشر: 275.

(8) سورة النور، الآية: 2.

(9) جامع البيان: 19/ 90، وبحر العلوم: 2/ 495.

(10) روح المعاني: 6/ 49.

3.2 الرأفة في الاصطلاح العام

تعددت الآراء والعبارات في المعاجم الاصطلاحية وكتب التفسير حول تعريف (الرأفة)، حيث عرفها بعضهم بأنَّها: «**مبالغة في رحْمة مخصوصة؛ هي دفع المكروه وإزالة الضر**»[1]، أي: أن الرأفة جزء من الرحْمة وهو دفع الضرِّ. وقد أضاف العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ أن الرأفة لا تنشأ إلا عند مشاهدة ضرٍّ بالمرؤوف[2].

أما أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ، فيرى أن بينهما تقابلاً، حيث يرى أن الرحْمة مختصة لإيصال النفع، والرأفة مختصة لدفع الضر، فيقول: «والرحْمة هي أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي أن يدفع عنك المضار، والرأفة إنما تكون باعتبار إفاضة الكمالات والسعادات التي بِها يستحق الثواب، فالرحْمة من باب التزكية، والرأفة من باب التخلية»[3].

ومنه استخلص الإمام أبو بكر القفال رَحِمَهُ اللَّهُ أن هناك فرقاً بين الرحْمة والرأفة، مشيرا إلى أن بينهما عموما وخصوصا مطلقا فقال: «الفرق بين الرأفة والرحْمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأما الرَّحْمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام»[4].

وقد نَحا أبو الحسن الحرالِّي رَحِمَهُ اللَّهُ منحى أبي بكر القفال رَحِمَهُ اللَّهُ إلا أنه قيد تعريفه بجعل الرأفة خاصة بذوي القربى فقال: «الرأفة: عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة فهي رحْمة ذي الصلة بالراحم، والرحْمة تعم من لا صلة له بالرحم»[5].

من هنا تبين أن الرأفة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة مفسرة بالرحْمة، أي: أنها تطابق الرحْمة مطابقة تامة، بينما خصَّ بعضُ المحققين من أولي العلم[6] الرأفةَ بمعنى رحْمة خاصة متعلقة بدفع الضر، أي أنها جزء من الرحْمة، كما أشار بعضُهم إلى أن بين الرأفة والرحْمة عموما وخصوصا مطلقا. فبأي المعاني استُعمِل لفظُ (الرأفة) في القرآن الكريم؟

---

(1) مفاتيح الغيب: 4/ 93، ونظم الدرر: 13/ 205.

(2) التحرير والتنوير: 18/ 150.

(3) الكليات: 471.

(4) مفاتيح الغيب: 4/ 93، ونظم الدرر: 13/ 205، ولباب التأويل: 1/ 88.

(5) تراث الحرالي: 563، والتوقيف على مهمات التعاريف: 173.

(6) من العلماء المفسرين، وأصحاب المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

3.3 الرأفة في الاستعمال القرآني

وردت مادة «رأف» في القرآن الكريم من خلال مشتقين في ثلاثة عشر موضعاً: مرتين[1] بصيغة المصدر النكرة: مرة مقرونة بلفظ «الرحْمة»: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ومرة منفردة: ﴿رَأْفَةً﴾. وإحدى عشرة مرة بصيغة المبالغة النكرة؛ تسع منها[2] مصاحبة للفظ «الرَحيم»، والنظم في هذه المواضع أن يتقدم «الرءوف» على «الرَحيم»: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ومرتين[3] منفردا: ﴿رَءُوفٌ﴾، وكلها وردت في سياقات متعددة.

وفي محاولة لاستنطاق هذه النصوص، تبين أن الرأفة والرحْمة قد تلتقيان في المعنى العام؛ بحيث تكاد الرأفة تطابق مفهوم الرحْمة مطابقة تامة، غير أن هناك فرقاً طفيفاً بينهما قد يجعل الرأفة أحياناً تُرادف الرحْمة على سبيل التّقريب، ذلك كون الرأفة تقتضي دفع الضر عن المرؤوف به قبل وقوعه؛ وهي الرأفة التي تحدث عنها أبو هلال العسكري بأنها صافية عن الألم، إذ قال: «الرأفة عبارة عن إيصال النِّعم صافية عن الألم، والرَّحْمَة عبارة عن إيصال النعم مطلقا، وقد يكون مع الكراهة والألم للمصلحة كقطع العضو المجذوم»[4]. وعلى هذا الأساس فللرأفة طابع وقائي.

فلفظ (الرأفة) إذن، قد يكون مرادفاً مطابقاً للفظ (الرحْمة) إذا اصطبغ بالصبغة الإلهية كما وصف الله بها ذاتَه العلية فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[5]، أي: بالغ الرحْمة بالعباد[6]. أو بالصبغة النبوية كما وصف الله بها رسولَه ﷺ فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[7]، أي: شديد الرحْمة، وقال ﷻ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعميماً لرحْمته ﷺ كما هو اللائق بشريف منصبه وعظيم خُلُقه[8].

---

(1) الأولى في سورة الحديد، الآية: 27، والثانية في سورة النور، الآية: 2.

(2) في سورة البقرة، الآية: 143، وسورة التوبة، الآية: 117، 128، وسورة النحل، الآية: 7، 47، وسورة الحج، الآية: 65، وسورة النور، الآية: 20، وسورة الحديد، الآية: 9، وسورة الحشر، الآية: 10.

(3) في سورة البقرة، الآية: 207، وسورة آل عمران، الآية: 30. سيأتي دراسة هذه الصيغة في ركن المشتقات عند دراسة علاقات (الرحيم).

(4) الفروق اللغوية: 246/1.

(5) سورة البقرة، الآية: 207، وسورة آل عمران، الآية: 30.

(6) نظم الدرر: 3/ 177.

(7) سورة التوبة، الآية: 128.

(8) نظم الدرر: 9/ 56.

وقد يكون مرادفاً مطابقاً للرحْمة أيضاً، إذا اصطبغ بالصبغة الإيمانية كما جعلها الله ﷻ في قلوب أتباع عيسى عليه السلام، في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[1]، أي: «جعلنا ذلك في قلوبهم فهم يرأف بعضهم ببعض ويرحم بعضهم بعضا، ونظيره في شأن أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾»[2]، وأضاف الإمام الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرأفة في المشهور الرحْمة لكن قال بعض الأفاضل: إنها إذا ذكرت معها يراد بالرأفة ما فيه درء الشر ورأب الصدع، وبالرحْمة ما فيه جلب الخير ولذا ترى في الأغلب تقديم الرأفة على الرحْمة وذلك لأن درء المفاسد أهم من جلب المصالح»[3].

إذن فمهما يكن فإن الرأفة تعني الرحْمة إما بالتطابق وإما بالتقريب. وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن عاشور، إذ يقول: «وأيا ما كان معنى الرأفة، وعلى اعتبار تفسير المحققين لمعنى الرأفة والرحْمة فالجمع بينهما في الآية يفيد توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة»[4].

وأما إذا تميزت الرأفة بالطابع البشري؛ بحيث قد تمنع من إيصال نفع أو إقامة حدٍّ شفقةً وحَميةً، فإنها ترادف (الرحمة) ترادفاً تقريبياً، وذلك بأن الرأفة هنا لا ترقى إلى درجة الرحْمة التامة، كما جاء في الآية[5] حيث تبين أن الرأفة قد تتأثر بالانفعالات البشرية فلا تدفع الضر المحتم فتصير رحمة ناقصة وذلك مصداقا لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[6].

يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنهي عن أن تأخذهم رأفة كناية عن النهي عن أثر ذلك وهو ترك الحد أو نقصه. وأما الرأفة فتقع في النفس بدون اختيار فلا يتعلق بها النهي فعلى المسلم أن يروض نفسه على دفع الرأفة في المواضع المذمومة فيها الرأفة. وعلق بالرأفة قوله: في دين الله لإفادة أنها رأفة غير محمودة لأنها تعطل دين الله، أي أحكامه، وإنما شرع الله الحد استصلاحا فكانت الرأفة»[7].

---

(1) سورة الحديد، الآية: 27.

(2) سورة الفتح، الآية: 29، وتفسير الشعراوي: 9/ 5614.

(3) روح المعاني: 14/ 189.

(4) التحرير والتنوير: 2/ 25.

(5) هي الآية الثانية من سورة النور حيث جاء الحديث عن حد الزنا، والنهي عن ترك الحد أو نقصه رحْمةً بالزانية أو الزاني.

(6) سورة النور، الآية: 2.

(7) التحرير والتنوير: 18/ 150.

ومجمل القول: إن الرأفة ترادف الرحْمة إما بالتطابق وإما بالتقريب؛ فحينما تصطبغ الرأفة بالصبغة الإلهية أو بالصبغة النبوية التي تستهدي بهدي الوحي الإلهي، أو بالصبغة الإيمانية التي تستنير بنور رسالات الله، فإنها تُطابق الرحْمة مطابقة تامة، أي أن الرأفة تسمو وترقى إلى درجة الرَّحْمة. أما حينما تنطبع بالطابع الإنساني المتأثر بالانفعالات البشرية فإنها لا تتساوى مع الرحْمة في الدلالة تماماً، وبذلك ترادفها ترادفا تقريبياً.

المسلك الرابع: الإحسان

4.1 الإحسان في اللغة

الإحْسَان مصدر أحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَاناً، أي جاء بفعل حسن وهو ضِدُّ الإساءة، والحَسَنة ضِدُّ السَّيِّئَة [1]. يقال: رجلٌ مُحْسِنٌ ومِحْسانٌ[2].

وأصل كلمة الإحسان من حَسُنَ الشَيْءُ يَحْسُن حُسْناً وحَسَناً[3]، والحُسْن أو الحَسَن نَعْت لما حَسُن[4]؛ فالحُسْن ضد القُبْح، والحَسَن ضد القَبِيح[5]. وبزيادة الهمزة في أحسن للتعدية، والصيرورة؛ فالتعدية: يتعدى بنفسه؛ كقولك أحسنت كذا أي حسّنته وكمّلته، ويتعدى بحرف جر؛ كقولك أحسنت إلى فلان، وأحسنت بفلان، وأحسنت لفلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به. والصيرورة: يقال أحسن الرجل إذا صار حسناً أو دخل في شيء حسن[6].

وحاصل كلام أهل اللغة في معنى (الإحسان)، أنه التفضل إلى الغير بما ينتفع به. وبهذا المعنى يكون الإحسان يفيد معنى (الرحْمة).

---

(1) يقول الراغب: «الحُسْنُ: عبارة عن كلّ مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ، والحسنةُ يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادّها»، المفردات/ حسن.

(2) التهذيب، والفروق اللغوية/ حسن.

(3) العين/ حسن.

(4) التهذيب، واللسان/ حسن.

(5) الجمهرة، والمقاييس/ حسن.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 10/ 166.

4.2 الإحسان في الاصطلاح العام

بالرجوع إلى أقوال العلماء الذين عرَّفوا الإحسان، سواء أصحاب المعاجم الاصطلاحية أو أهل التفسير أو أصحاب كتب أخرى مختصة، تبيَّن أنهم عرَّفوا الإحسان بحسب القرائن والسياقات التي يرد فيها في الكتاب والسنة، لذلك نجد أن تلك التعاريف كلها تنبني على معنيين رئيسين هُما:

المعنى الأول: أن يقترن الإحسان بشيء من حقوق الله ﷻ وما يجب له من العبادة، فيكون المراد به ما عرَّفه به النبي ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1]، والمراد: أن الإحسان هو كما قال الإمام القرطبي رحمه الله: «إتقان العبادة ومراعاتِها بأدائها المصَحَّحَة والمكمَّلَة، ومراقبة الحقِّ فيها واستحضار عظمته وجلاله حالةَ الشروع وحالةَ الاستمرار»[2]، أي: أن يعبد المؤمن ربه ﷻ في الدنيا على هذه الصفة، وهو استحضار قربه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم[3].

المعنى الثاني: أن لا يقترن لفظ الإحسان بشيء من حقوق الله ﷻ أو ما يجب له من الطاعة مطلقاً، فيكون المراد به: فعل ما ينبغي فعله من الخير؛ وهو على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في الفعل؛ بحيث يصير به الفاعل حسناً في نفسه وعمله[4].

وانطلاقا من هذين المعنيين السابقين عرَّف العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله الإحسانَ بقوله: «وَأَمَّا الإِحْسَانُ فَهُوَ مُعَامَلَةٌ بِالحُسْنَى مِمَّنْ لا يَلْزَمُهُ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهَا. وَالحَسَنُ: مَا كَانَ مَحْبُوبًا عِنْدَ المُعَامَلِ بِهِ وَلَم يَكُنْ لازِمًا لِفَاعِلِهِ، وَأَعْلاهُ مَا كَانَ فِي جَانِبِ اللهِ تَعَالى مِمَّا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: **«الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**. وَدُونَ ذَلِكَ التَّقَرُّبُ إِلى اللهِ بِالنَّوَافِلِ. ثُمَّ الإِحْسَانُ فِي المُعَامَلَةِ فِيمَا زَادَ عَلَى العَدْلِ الوَاجِبِ، وَهُوَ يَدْخُلُ فِي جَمِيعِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَمَعَ سَائِرِ الأَصْنَافِ إِلا مَا حَرَّمَ الإِحْسَانَ بِحُكْمِ الشَّرْعِ»[5].

من هنا نلاحظ أن الإحسان لا يقتصر فقط على العلاقة التعبدية التي بين العبد وربه، أو على مجال من مجالات الحياة فحسب، بل يشملها كلها. وفي هذا الصدد يقول سيد قطب رحمه الله:

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، حديث رقم: 50.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 10/ 167.

(3) جامع العلوم والحكم: 1/ 128، وفتح الباري لابن رجب: 1/ 211.

(4) الكليات، والتعريفات، ودستور العلماء، والمفردات، والتاج/ حسن.

(5) التحرير والتنوير: 14/ 255.

«والإحسان أوسع مدلولاً، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعاً»[1].

4.3 الإحسان في الاستعمال القرآني

وردت مادة «حسن» في القرآن الكريم من خلال تسع مشتقات في أربع وتسعين ومائة موضع: اثنتا عشرة مرةً بصيغة المصدر «الإحسان»[2]؛ تسع مراتٍ نكرة، وثلاث مراتٍ معرفاً بـــ(ال)، وتسع وثلاثين مرةً بصيغة اسم الفاعل «المحسن»، كلها بصيغة الجمع؛ ست مراتٍ نكرةً، وثلاث وثلاثين مرةً معرفاً بـــ(ال)، وأربع وخمسين مرةً بصيغة اسم التفضيل: ست وثلاثين منها مذكراً «أَحْسَن»، وثماني عشرة مؤنثاً «حُسْنَى»، واثنتين وخمسين مرة اسمًا: وإحدى وعشرين منها مذكراً «حَسَن»، وإحدى وثلاثين مؤنثاً «حَسَنَة»، وثلاث عشرة مرة اسمًا بصيغة «حُسْن»، وثلاث مرات فعلاً من الثلاثي المجرد، وإحدى وعشرين مرة فعلاً من باب «أَفْعَلَ».

وقد استُعمل لفظ الإحسان في القرآن الكريم بمعانٍ ودلالات مختلفة كلها تعود إلى المعنيين الاصطلاحيين وذلك بحسب القرائن والسياقات التي ورد فيها الإحسان في الآيات الكريمة. ومن خلال التدبر العميق للنصوص التي ورد فيها الإحسان وبالرجوع إلى كتب التفسير، يمكن رصد تلك القرائن والسياقات وتصنيفها على النحو الآتي:

أولاً: بعض القرائن التي يُستفاد منها أن الإحسان يفيد المعنى الأول:

1. اقتران الإحسان بالإيمان:

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾[3]، أي: جمعوا بين الإيمان بكل أركانه، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات؛ فلما كان الإيمان هو الإذعان للأوامر، عطف عليه ما يحقق ذلك وهو العمل الصالح بالإخلاص لله ﷻ، ومتابعة شرع الله، وذلك هو إحسان العمل[4].

---

(1) في ظلال القرآن: 4/ 2190.

(2) الأولى في سورة البقرة: 83، 178، 229، وسورة النساء: 36، 62، وسورة الأنعام: 151، وسورة التوبة: 100، وسورة النحل: 90، وسورة الإسراء: 23، وسورة الأحقاف: 15، وسورة الرحمن: 60.

(3) سورة الكهف، الآية: 30.

(4) نظم الدرر: 12/ 54، وتيسير الكريم الرحمن: 476.

2. اقتران الإحسان بالإسلام:

بدليل قوله ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1]. أي: مَن أخلص لله وحده لا شريك له، وهو - مع إخلاصه - محسنٌ في عمله، باتباع ما جاء به الرسول محمد ﷺ في كل أقواله وأعماله، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم[2].

3. اقتران الإحسان بالتقوى:

يرشد إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[3]. أي: الذين أطاعوا الله ﷻ والرسول ﷺ بامتثال الأوامر من بعد ما نالهم الجراح يوم أحد، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. وقد ذهب الألوسي ومعه غير واحد إلى أن (من) للبيان وليس للتبعيض، وأن المقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد، أي: الذين استجابوا لله والرسول المحسن المتقي لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون[4].

4. اقتران الإحسان بالعمل الصالح:

يشهد لذلك قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[5]. أي: ليعاملكم ربكم معاملة من يختبركم، أيكم أخلص عملاً وأصوبه؛ والخالص إذا كان لله ﷻ والصواب إذا كان على سنة رسوله ﷺ[6]. قال الشوكاني رحمه الله: «و(أيكم) في الآية مبتدأ وخبره أحسن، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح لا إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين»[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 112.

(2) تيسير الكريم الرحمن: 63.

(3) سورة آل عمران، الآية: 172.

(4) روح المعاني: 2/ 336.

(5) سورة الملك، الآية: 2.

(6) روح المعاني: 15/ 6، وفتح البيان: 14/ 230.

(7) فتح القدير: 5/ 308.

وقد يرد الإحسان منفرداً إلا أنه من خلال السياق يُعرف اقترانُه بالعمل الصالح، والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1]، أي: إن أخلصتم أعمالكم سواء أكانت لازمة لأنفسكم أم متعدية للغير؛ أي: عملتموها على الوجه المستحسن اللائق أو فعلتم الإحسان، أحسنتم لأنفسكم، أي: لنفعها بما يترتب على ذلك من الثواب[2].

ثانياً: بعض السياقات التي يُستدل بها على أن الإحسان يفيد المعنى الثاني:

1. الإحسان إلى الوالدين وغيرهما ممن له حق عليه:

والحجة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[3]، وفي الآية الكريمة دلالة صريحة على الأمر بالإنعام على الوالدين وفعل المعروف لهما أولاً، ثم لبقية الأصناف الثمانية.

2. الإحسان في ردِّ التحية:

بدليل قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[4]، أمر الله ﷻ المؤمنين أنهم إذا حُيّوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن وأجمل منها لفظا وبشاشة، أو مثلها في ذلك[5]، وهذا إنعام على الغير ومعروف وصنع جميل به.

3. الإحسان في الأقوال:

والدليل على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[6]، أي: وقولوا للناس أطيب الكلام باللين وحسن الخلق؛ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

(1) سورة الإسراء، الآية: 7.
(2) روح المعاني: 8/ 19.
(3) سورة النساء، الآية: 36.
(4) سورة النساء، الآية: 86.
(5) تيسير الكريم الرحمن: 191.
(6) سورة البقرة، الآية: 83.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار»[1]، وتنكير (حسناً) يفيد التكثير والتعظيم والمبالغة.

4. الإحسان في أداء الدية عند العفو:

والشاهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾[2]، أي: على القاتل أن يؤدي ما عليه من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان[3].

يتبين مما سبق أن الإحسان في كل أحواله يفيد الرحْمة، ذلك بأن الإنسان إذا أحسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد والعبادة لله ﷻ فقد استجلب لنفسه الرحْمة، وكذلك إذا أحسن إلى غيره بالقول أو الفعل فإنه قد رحِمه، وأيًّا ما كان المعنى في كلا الحالتين فإن ذلك يثمر للمحسن الحسنى في الدارين، لأن الحسن من شأنه أن يسُرَّ من يتحلى به في الدنيا والآخرة، وذلك مقتضى الرحْمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾[4]. وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾[5].

وعليه فإن الائتلاف بين الرحْمة والإحسان واضح من حيث الدلالة والاستعمال؛ إذ يترادف الإحسان مع الرحْمة على سبيل التقريب باعتبار الفوارق الدلالية الكامنة في معانيهما. فمع كون الإحسان فعلاً نافذاً للرحْمة؛ به يتم إيصال الخير ودفع الضر، فهو أيضاً يلازم الرحْمة في كونه مفتاحاً من مفاتح أبواب رحْمة الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾[6].

(1) تيسير الكريم الرحمن: 57، والتحرير والتنوير: 583/1.
(2) سورة البقرة، الآية: 178.
(3) تيسير الكريم الرحمن: 84.
(4) سورة الأعراف، الآية: 56.
(5) سورة يونس، الآية: 26.
(6) سورة الأعراف، الآية: 56.

المسلك الخامس: الفضل

5.1 الفضل في اللغة

الفَضْلُ: مصدر فَضَلَ يَفْضُلُ فَضلاً، فهو فَاضِلٌ: ذو فضل، وفَضَّالٌ: كثير الفَضْلِ، ومفعوله مَفْضُولٌ: مغلوب بالفضل[1]، والفَضِيلَةُ: الدَّرَجة الرَّفِيعة في الفَضْلِ، والإفضال: الإحسان[2]، وتفضّل فلان على فلان وأفضل عليه إفضالا: أناله من فضله وأحسن إليه[3]. والمُتَفَضِّلُ: الذي يدَّعي الفضل على أقرانه[4]، ومنه قوله ﷻ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[5]؛ معناه يريد أن يكون له الفضل عليكم في القدر والمنْزِلَةِ، وليس من التفضل الذي هو بمعنى الإفضال والتطول[6]، ومنه قول الشنفري:

وَمَا ذَاكَ إلا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[7].

وفاضلت فلانا ففضلته، إذا ذكرتما محاسنكما فكنت أكثر محاسن منه، وامرأة مفضالة على قومها، إذا كانت ذات فضل سمحة[8].

والتحقيق: أنّ مدار الفضل في اللغة على الزِّيادة من مادة الشيء متميزة عنه[9]؛ أي الزِّيادة على اللازم المقرّر، لا مطلقا، كفضل الإزار، وفواضل المالِ، وفُضُول الغنائم، فهو خلاف النَّقْص. وهو مأخوذ حسياً من فَضْل الإزار، أي: ما زاد على اللازم فيَجُرُّه الإنسان على الأرض تكبُّراً[10]. وبهذا اللحاظ يُطلق الفضلُ على الرَّحْمة والخير، والفضيلة على الشرف، والإفضال على الإحسان، والفضل من الله ﷻ: عبارة عن عطائه زائدا على ما هو اللازم المقرّر في مقام تأمين المعاش المادّي والروحانيّ، وذلك هو الرحْمة، والأجر العظيم، والرضوان منه ﷻ، ورفيع المقام تكوينا أو تشريعا.

---

(1) الصحاح، والأساس، والمختار، واللسان/ فضل.

(2) المقاييس، والمجمل، والصحاح، والمختار، واللسان، والمغرب في ترتيب المعرب/ فضل.

(3) العين، والصحاح، والمختار، واللسان/ فضل.

(4) المقاييس، والصحاح، والمختار، واللسان/ فضل.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 24.

(6) اللسان/ فضل.

(7) البيت من الطويل وهو للشنفري، من لاميته التي بين فيها مفاخرته بنفسه وبأخلاقه وشجاعته. ديوان الشنفري: 19.

(8) الصحاح، والمختار، واللسان/ فضل.

(9) التهذيب، والمقاييس، والمعجم الاشتقاقي/ فضل، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم: 106/9.

(10) المعجم الاشتقاقي/ فضل.

5.2 الفضل في الاصطلاح العام

يرتبط معنى الفضل في الاصطلاح ارتباطا وثيقا بمعناه اللغوي الدال على الزيادة في الشيء، ضد النقص؛ ومن ذلك الزيادة في الإحسان[1]، كما جاء في تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفضل: الزيادة على ما وجب»[2]. أي: ما زادت على الكفاية، ومنها ما زادت على محاسن الإنسان[3].

وقال الكفوي: «كل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل»[4]. وهذا المعنى ذاته هو الذي ذكره أبو هلال العسكري في معرض كلامه عن الفرق بين الفضل والإحسان، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفضل لا يكون واجبا على أحد وإنما هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه»[5]، وقال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفضل: الإحسان الذي ليس بواجب على فاعله»[6]، وقيل: «الفضل: ابتداء إحسان بلا علة»[7].

يتحصل من هذه التعاريف أن الفضل هو: الزيادة في الإحسان إلى الآخرين والإنعام عليهم، منة ونحلة، ومنه فضل الله على عباده في الدنيا ولآخرة. ومن هنا يتضح وجه الائتلاف بين الفضل والرحْمة وذلك كون الفضل عبارة عن إيصال الخير إلى الغير من غير سبب أو استحقاق وهذا من أخص خصائص الرحْمة. ولذلك لا يفرق العلماء بين الفضل والرحْمة، بل يعتبرونهما شيئاً واحدا؛ كما قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد من الفضل والرحْمة شيء واحد»[8].

5.3 الفضل في الاستعمال القرآني

وردت مادة «فضل» في القرآن الكريم من خلال ثلاثة تراكيب في أربعة ومائة موضع: تسع عشرة مرة من باب «التَّفْضِيل»، وأربع وثمانين مرة من باب «الفَضْل»، إحدى عشرة منها[9] ورد الفضل فيها مقترنا بالرحْمة ومضافين إلى اسم الجلالة، ومرة من باب «التَّفَضُّل».

---

(1) المفردات/ فضل.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 1/ 439.

(3) الوجوه والنظائر للعسكري: 385.

(4) المفردات/ فضل، والكليات: 675، والتوقيف: 261.

(5) الفروق اللغوية: 194.

(6) لطائف الإشارات: 2/ 102.

(7) التعريفات: 167، ودستور العلماء: 3/ 25، والتوقيف: 261.

(8) روح المعاني: 3/ 91.

(9) وهي: البقرة: 64، والنساء: 83، 113، 175، ويونس: 58، والنور: 10، 14، 20، 21، والإسراء: 87، الروم: 46.

وباستقراء الآيات الحاملة لمفهوم الفضل، والتدبر في مختلف سياقاته، يتبين أن الفضل قد ورد في القرآن الكريم بمعاني عدة[1] تعود كلها إلى معنى الزيادة في الخير حسّية أو معنويّة؛ وذلك بحسب اقتضاء المورد والمناسبة.

وللمفسّرين في التفريق بين الفضل والرحْمة أقوالٌ كثيرة أشار الثعلبي إلى بعضها أثناء تفسيره لقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[2]، فقال: «قال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحْمته أن جعلكم من أهله. وقال ابن عمر: فضل الله الإسلام، وبرحْمَتِهِ تزيينه في القلب. خالد بن معدان: فضل الله الإسلام، وبرَحْمَتِهِ السنّة. الكسائي: فضل الله النعم الظاهرة، ورحْمته النعم الباطنة. بيانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3]. أبو بكر الوراق: فضل الله النعماء وهو ما أعطى وجنى، ورحْمته الآلاء وهي ما صرف. وروى ابن عُيَيْنة: فضل الله التوفيق، ورحْمته العصمة. الحسين بن الفضل: فضل الله الإيمان، ورحمته الجنة. ذو النون المصري: فضل الله دخول الجنان، ورحمته النجاة من النيران. عمر بن عثمان الصدفي: فضل الله كشف الغطاء، ورحْمته الرؤية واللقاء. وقال هلال بن يساف ومجاهد وقتادة: فضل الله الإيمان ورحْمته القرآن»[4].

يتجلى بوضوح أنَّ هذه المعاني لا تضادَّ بينها، ويمكن أن تجمع جميعها في المفهوم الجامع للفضل والرحمة. وهذا يؤكد أن الفضل يرادف الرحْمة على وجه التقريب نظرا للفروق الدلالية التي بينهما، وأيضاً كون الرحْمة أعمّ من الفضل في الاستعمال. ولعل ما يعزز ما ذهبنا إليه، اقتران الفضل والرحْمة في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾[5]، حيث إن هذه الآية تتضمن وعدا للمؤمنين بالله المعتصمين به، بإدخالهم في رَحْمته وفضله، وهدايتهم إلى النهج القويم في حياتهم. ويُراد بالرَّحْمة: الجنة، والفضل: ما يتفضل به الله على المؤمنين في الجنة من النعيم، فتبين أن هناك تطابقاً بين معاني الرحمة والفضل.

---

(1) ذكر أهل التفسير وأصحاب كتب الوجوه والنظائر أن الفضل في القرآن الكريم على ثمانية أوجه وهي: الإنعام بالإسلام، والإنعام بالنبوة، والرزق في الدنيا، والرزق في الجنة، والإنعام بالجنة، والمنة والنعمة، والغنيمة، والتجاوز، وهذه المعاني كلها مردها إلى الرحْمة، فهي من آثار رحْمة الله ﷻ. يُنظر: الوجوه والنظائر: 385، ونزهة الأعين النواظر: 471.

(2) سورة يونس، الآية: 58.

(3) سورة لقمان، الآية: 20.

(4) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 5/ 135.

(5) النساء: 175. وفي قوله ﷺ: «**إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**». البخاري، كتاب المرضى، حديث رقم: 5673.

المسلك السادس: الغيث

6.1 الغيث في اللغة

الغَيْثُ: مصدر غَاثَ يَغِيثُ غَيْثاً، فهو مُغِيثٌ، والمفعول مَغِيثٌ، والجَمْعُ: أَغْيَاثٌ وغُيوثٌ؛ وهو المَطَرُ الذي يَأتي بعد الجفاف، ويجلب الخير والنفع[1]؛ سمي غيثا لأن به يُغاث المضطرون[2]، يُقَالُ: غَاثَ اللهُ البلادَ إذا أنزل بها الغَيْثَ، وغيثَتِ الأرضُ: أصابَها الْغَيْثُ[3]؛ وَمِنْهُ قول ذي الرُّمَّة:

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلاَلاً[4].

وقد يُطلق الغيثُ مجازًا على مَا يَنْبُتُ بِهِ من الشجر والكلإِ، أو السحاب والرياح الحاملة له.

6.2 الغيث في الاستعمال القرآني

وردت مادة «غيث» في القرآن الكريم من خلال مشتقين في أربعة مواضع: ثلاثة منها اسماً؛ حيث ورد في موضعين مُعرَّفاً بالألف واللام: ﴿ٱلْغَيْثَ﴾، وفي موضع واحد نكرةً: ﴿غَيْثٍ﴾، وفي موضع واحد فعلاً مضارعاً مبنياً لغير فاعله: ﴿يُغَاثُ﴾.

ومن خلال التأمل في هذه الموارد نجد أن القرآن الكريم قد استخدم لفظ الغيث فيما يدلُّ على النفع والرَّحْمة والنعمة، ودفع شرِّ الهلاك عن العباد وإيصال نعمة الحياة إليهم، ولهذا سماه الله رَحْمةً في أكثر من موضع في كتابه العزيز، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾[5].

والمرادُ بالرَّحْمَة كما ذهب إليه أغلبُ المفسرين: الغَيْثُ؛ سُمِّي رَحْمةً لما يترتب عليه من المنافع[6].

---

(1) العين، والمقاييس، والصحاح/ غيث.

(2) التحرير والتنوير: 25/ 95.

(3) اللسان/ غيث.

(4) البيت من الوافر، وهو لذي الرُّمَةِ، من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وهو في ديوانه: 528.

(5) سورة الفرقان، الآيتان: 48- 49. والمواضع الأخرى: قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: 57]، وقوله ﷻ: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: 63]. وقوله ﷻ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: 46].

(6) يُنظر: جامع البيان: 12/ 492، وبحر العلوم: 1/ 522، ومعالم التنزيل: 2/ 199، والمحرر الوجيز: 2/ 412، والوجيز: 398، ومفاتيح الغيب: 466/24، وروح المعاني: 384/4، والتحرير والتنوير: 8/ 178، والخواطر: 4183/7.

وعند التدبر في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[1]، حيث اقتران الغيث بالرَّحْمة، يُلفِتُنا ذِكرُ المطر باسمين: الغيث والرحْمة؛ قدَّم القِنَّوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيراً لذلك فقال: «فذُكِر المطرُ باسمين: الغيث لأنه يغيث من الشدائد، والرحْمة لأنه رأفة وإحسان»[2].

وقيل: الغيث: المطر الذي يغيثهم من الجدب، والرحْمة: بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب[3]. وقال أبو حيان: «وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَحْمَتَهُ نَشْرُهَا أَعَمُّ مِمَّا فِي الْغَيْثِ»[4].

وأيًّا كان المعنى، فإن (الغيث والرحْمة) يأتلفان في كونهما وسيلتين لدفع الضرِّ عن العباد، وجلب النفع لَهم. ولذلك أَمَرَ اللهُ عبادَه أن ينظروا نظرة تدبُّر وتعقُّل واتِّعاظ واستبصار، إلى الآثار المترتبة على إنزال الغيث، من إحياء الأرض بعد موتها بالجفاف، وإخراج الأقوات للناس وبهائمهم، وذلك بعد أن بَيَّن استبشارَ النَّاس بنُزُولِه من بعد قنوطهم ويأسهم عند احتباس القطر عنهم. فقال أصدق القائلين ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[5].

وأخرَجَ الإمامُ أحْمَدُ قولَ النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ طويلٍ، وَفِيهِ: «**عَلِمَ اللهُ يَوْمَ الْغَيْثِ أَنَّهُ لَيُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ غِيَرَكُمْ إِلَى قُرْبٍ**»[6]؛ أي أنَّ الله ﷻ يَعجَبُ مِن قُنُوطِ عِبَادِهِ عِنْدَ احْتِبَاسِ القَطْرِ عَنْهُم، وقَد اقْتَرَبَ وَقْتُ فَرَجِهِ ورَحْمَتِهِ لهم، وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ. فقَالَ ﷻ: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾[7].

ونخلص مما سبق إلى أن الغيث هو: **رَحْمةٌ مِن الله يرحم بِهَا العِبَـاد والبلاد، بإحيَـاء الأرض بعد موتها، فتنتفع بذلك كل المخلوقات في البر والبحر، وهذا من عظائم نعم الله الدنيوية على الخلق.**

وبهذا التعريف تتضح علاقة الاتلاف بين لفظي الغيث والرحْمة عن طريق الترادف التقريبي بينهما.

---

(1) سورة الشورى، الآية: 28.

(2) فتح البيان: 12/ 303.

(3) الكشاف: 4/ 224، ومفاتيح الغيب: 27/ 599، ومدارك التنزيل: 3/ 255، ولباب التأويل: 4/ 100.

(4) البحر المحيط: 9/ 338.

(5) سورة الروم، الآية: 48- 50.

(6) مسند أحْمد، مسند المدنيين، حديث أبي رزين العقيلي، حديث رقم: 16206. وجامع العلوم والحكم: 1/ 490.

(7) سورة الروم، الآية: 48- 49.

۞ المطلب الثاني: علاقة التعاطف

من خلال النظر في موارد لفظ (الرحْمة) في القرآن الكريم والحديث الشريف، تبين أنه يتعاطف مع مجموعة من الألفاظ يمكن استخلاص معطياتها وبيانها على النحو الآتي:

أ. في القرآن الكريم:

الألفاظ المتعاطفة مع لفظ (الرحْمة)	حجم الورود	موقعها من لفظ (الرحْمة)		موضع الورود	مجال الورود		أداة التعاطف
		قبل	بعد		مكي	مدني	
هُدى	13	*		[الأنعام: 154]	*		الواو في جَميع الموارد
		*		[الأنعام: 157]	*		
		*		[الأعراف: 52]	*		
		*		[الأعراف: 154]	*		
		*		[الأعراف: 203]	*		
		*		[يونس: 57]	*		
		*		[يوسف: 111]	*		
		*		[النحل: 64]	*		
		*		[النحل: 89]	*		
		*		[النمل:77]	*		
		*		[القصص: 43]	*		
		*		[لقمان: 3]	*		
		*		[الجاثية: 20]	*		
مغفرة	10	*		[البقرة: 286]		*	
		*		[آل عمران: 157]		*	
		*		[النساء: 96]		*	
		*		[الأعراف: 23]	*		
			*	[الأعراف: 149]	*		
		*		[الأعراف: 151]	*		
		*		[الأعراف: 155]	*		
		*		[هود: 47]	*		
		*		[المؤمنون: 109]	*		
		*		[المؤمنون: 118]	*		

الألفاظ المتعاطفة مع لفظ (الرحْمة)	حجم الورود	موقعها من لفظ (الرحْمة)		موضع الورود	مجال الورود		أداة التعاطف
		قبل	بعد		مكي	مدني	
بصائر	3	*		[الأعراف: 203]	*		الواو في جَميع الموارد
		*		[القصص: 43]	*		
		*		[الجاثية: 20]	*		
بيِّنة	3	*		[الأنعام: 157]	*		
		*		[هود: 28]	*		
		*		[هود: 63]	*		
ذكرى	3		*	[الأنبياء: 84]	*		
			*	[العنكبوت: 51]	*		
			*	[ص: 43]	*		
شفاء	2	*		[يونس: 57]	*		
		*		[الإسراء: 82]	*		
إماماً	2	*		[هود: 17]	*		
		*		[الأحقاف: 12]	*		
بشرى	2		*	[النحل: 89]	*		
			*	[الأحقاف: 12]	*		
تفصيل	2	*		[الأنعام: 154]	*		
		*		[يوسف: 111]	*		
علم	2		*	[الكهف: 65]	*		
			*	[غافر: 7]	*		
آية	1	*		[مريم: 21]	*		
مودة	1	*		[الروم: 21]	*		
موعظة	1	*		[يونس: 57]	*		
تَماماً	1	*		[الأنعام: 154]	*		
تخفيف	1	*		[البقرة: 178]		*	
صلوات	1	*		[البقرة: 157]		*	
رضوان وجنات	1		*	[التوبة: 21]		*	
متاعاً	1		*	[يس: 44]	*		
العفو	1	*		[البقرة: 286]		*	
تبياناً	1	*		[النحل: 89]	*		
المجموع	51	42	9	51	44	7	

ب. في الحديث الشريف:

الألفاظ المتعاطفة مع لفظ (الرحْمة)	حجم الورود	موقعها من لفظ (الرحْمة)		موضع الورود	أداة التعاطف
		قبل	بعد		
المغفرة	6	*		[أبو داود في كتاب الجنائز، حديث رقم: 3180].	الواو في جَميع الموارد
		*		[البخاري في كتاب الرقاق، حديث رقم: 6467].	
		*		[مسلم في كتاب صفة القيامة، حديث رقم: 2816/73].	
		*		[النسائي في كتاب الجهاد، حديث رقم: 3126].	
		*		[البخاري في كتاب الدعوات، حديث رقم: 6326].	
		*		[ابن ماجة في كتاب الجنائز، حديث رقم: 1499].	
فضل	1	*		[البخاري في كتاب المرضى، حديث رقم: 5673].	
شفاء	1		*	[أبو داود في كتاب الطب، حديث رقم: 3892].	
زكاة	1	*		[مسلم في كتاب البر والصلة، حديث رقم: 2601].	
العصمَة	1	*		[أبو داود في كتاب السنة، حديث رقم: 4751].	
الْمجموع	11	10	1	11	

جدول يبين موارد الألفاظ المتعاطفة مع لفظ (الرحْمة) ومواضع ورودها في القرآن والحديث.

وفي ضوء هذا الجدول نستخلص الملاحظات التالية:

- لفظ الهدى هو أكثر الألفاظ تعاطفا مع لفظ (الرحْمة) في القرآن الكريم، حيث بلغ عدد مرات التعاطف ثلاث عشرة مرة، يليه لفظ المغفرة بعشر مرات، ثم ألفاظ: (البصائر والبيِّنة والذكرى) بثلاث مرات، ثم ألفاظ: (شفاء وإماماً وبشرى وتفصيل وعلم) مرتين والباقي ورد مرة واحدة. أما في الحديث الشريف فأكثر الألفاظ تعاطفاً مع لفظ (الرحْمة) هو لفظ المغفرة، وذلك بست مرات والباقي ورد مرة واحدة.
- أداة التعاطف في جميع الحالات هي (الواو).
- التعاطف في المرحلة المكية أكثر منه في المرحلة المدنية.

۞ ألفاظ (الذكرى والبشرى والعلم والرضوان والجنات) لم ترد إلا بعد لفظ (الرحْمة) في جميع حالات ورودها متعاطفة معه.

۞ عدد الألفاظ الواردة قبل لفظ (الرحْمة) أكثر من عدد الألفاظ الواردة بعده.

۞ مجموع الألفاظ المتعاطفة مع لفظ (الرحْمة) في القرآن الكريم والحديث الشريف هو ثلاثةٌ وعشرون لفظا.

وفي سبيل البحث في الألفاظ المتعاطفة والتعرف على دلالة هذا التعاطف وتحليل معطياتها في القرآن الكريم والحديث الشريف، سنعرج على معاني كل لفظ في اللغة تسهيلا للمقصود.

المسلك الأول: الهدى

1.1 الهدى في اللغة

الهدى مصدر من هَدَى يَهْدِي هُدًى وهِدَايَةً، ومداره في اللغة على الإرشاد[1]، وهو مأخوذ مادياً من قولهم: هداه الطريق هداية، أي تقدمه ليرشده. ومنه سميت العصا هادية، لأنها تتقدم ممسكها كأنها ترشده[2]. والهادي من كل شيء أوله وما تقدم منه[3]؛ قال الأعشى:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلا دِ صَدْرُ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا[4].

2.1 الهدى في الاستعمال القرآني

وردت مادة «هدى» في القرآن الكريم من خلال تسعة مشتقات[5] تتوزع على اثني عشر وثلاثمائة موضع، مفرقة في ستين سورة إحدى وأربعين منها مكية وتسع عشرة مدنية.

---

(1) العين، والتهذيب، والمقاييس، والصحاح/ هدى، ومفهوم الهدى للدكتور الحبيب مغراوي: 63.

(2) العين، والمقاييس، والمجمل/ هدى.

(3) غريب الحديث للقاسم بن سلام: 1/ 251.

(4) البيت من المتقارب، وهو للأعشى يمدح هوذة بن علي الحنفي، ديوانه: 109.

(5) التي تشترك مع الهدى في نفس المجال الدلالي وهي: المصدر «هُدى» تسعون مرة، والفعل الماضي الأصل «هَدى» اثنان وأربعون مرة، والفعل المضارع الأصل «يهدي» مائة مرة، والفعل الأمر الأصل «اهد» ثلاث مرات، واسم الفاعل الأصل «هادي» عشر مرات، واسم التفضيل الأصل «أهْدَى» سبع مرات، والفعل الماضي المطاوع «اهتدى» ثلاث عشرة مرة، والفعل المضارع المطاوع «يهتدي» ست وعشرون مرة، واسم الفاعل المطاوع «مهتد» إحدى وعشرون مرة. أما مشتقا «هَدِيَّة» و«هَدْي» فلا يدخلان في دائرة (الهدى) باعتبار الاختلاف الدلالي.

ومن خلال البحث في دلالات موارد لفظ (الهدى) في القرآن الكريم تبين أنه قد استُعمل بمعنيين: أولهما: «الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب؛ سواء حصل الإيصال أم لَم يحصل»، وهذا المعنى هو الأصل في استعمال لفظ (الهدى). والمعنى الثاني: «الدلالة الموصلة إلى المطلوب»، ويندرج تحته ما شاع في استعمال لفظ (الهدى) مجازا كالتوفيق والعصمة والإدخال إلى الجنة[1].

وانطلاقا من هذين المعنيين حدد الدكتور الحبيب مغراوي تعريفاً كلياً شاملاً مستوعباً ومستجمعاً لمختلف وجوه الاستعمال القرآني للفظ الهدى فعرَّفه بقوله: «**الهدى: إرشادٌ ربانيٌّ عامٌّ يتضمن الإيصال إلى كل خير بالقوة، ويختص بإخراج هذا الإيصال من القوة إلى الفعل**»[2].

ويُفهم من هذا التعريف أن الهدى إرشادٌ إلى كل ما من شأنه أن يوصل العبد إلى المطلوب وهو رحْمة الله، وعلى هذا الأساس فإن الهدى وسيلة من وسائل الرحْمة، وذلك كون الهدى دلالة يهتدي بها من قصد الطريق الموصلة إلى الرحْمة. وكذلك كون الهدى صفة لبعض وسائل الرحْمة، كالكتب المنَزَّلة على أنبياء الله عليهم السلام؛ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾[3].

3.1 موارد العطف بين لفظي الهدى و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الهدى في ثلاث عشرة آية من الكتاب الحكيم وهي:

- ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥﴾[4].
- ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ۝١٥٧﴾[5].
- ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾[6].

---

(1) يوجد في كتاب (مفهوم الهدى في القرآن الكرم) للدكتور الحبيب مغراوي، شرح مستفيض لاستعمال لفظ (الهدى) في القرآن الكرم والحديث الشريف، يُنظر من صفحة: 86 إلى 129.

(2) مفهوم الهدى في القرآن الكرم: 129.

(3)سورة آل عمران، الآية: 3-4.

(4) سورة الأنعام، الآية: 154- 155.

(5) سورة الأنعام، الآية: 157.

(6) سورة الأعراف، الآية: 51- 52.

- ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾[1].
- ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾[2].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[3].
- ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[4].
- ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥﴾[5].
- ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[6].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾[7].
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 53- 154.

(2) سورة الأعراف، الآية: 203 - 204.

(3)سورة يونس، الآية: 57 - 58.

(4) سورة يوسف، الآية: 111.

(5) سورة النحل، الآية: 64.

(6) سورة النحل، الآية: 89.

(7) سورة النمل، الآية: 76- 79.

(8) سورة القصص، الآية: 43.

- ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[1].
- ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾[2].

من خلال هذه النصوص يتبين ما يلي:

* تقدم لفظ «الهدى» على لفظ «الرحْمة» في كل النصوص.

* جاور لفظ «الهدى» لفظ «الرحْمة» مباشرة دون فاصل يفصلهما في كل الآيات.

* جاء لفظا الهدى و(الرحْمة) واصفين للكتب السمٰوية، وخاصة كتابي التوراة والقرآن، وقد وُصفا بصفات أخرى إلى جانب الهدى و(الرحْمة)، وهي: (تفصيل، بينة، بصائر، موعظة، شفاء، تصديق، تبياناً، تَماماً). وفي كل الآيات ورد لفظ «الرحْمة» متأخراً عن كل هذه الصفات ومتجاوراً مع لفظ الهدى.

* كل الآيات التي ورد فيها لفظ (الرحْمة) متعاطفاً مع لفظ الهدى تنتمي إلى سور مكية.

وانطلاقا من هذه المؤشرات، والتأمل في مواطن العلاقة، والموازنة بين تعريفي (الرحْمة) والهدى، يتبين أن عطف الرحْمة على الهدى من عطف العامّ على الخاصّ، ذلك بأن الهدى بشقيه العام والخاص وسيلة من وسائل حصول الرحْمة؛ فالهدى العام متضمن هدى الإرشاد والدلالة، والهدى الخاص متضمن هدى التوفيق إلى حصول مقصود المرشد الدال، والكتب السمٰوية -بِما فيها القرآن الكريم- إرشاد ودلالة، وهي صالحة لحصول المقصود إذا تلقاها المخاطَبون بها بِما يليق بحقها، وأخذوها مقبلين عليها، فإذا حصل ذلك كان لهم رحْمة في الدنيا والآخرة، وهو تمام الرحْمة، ولا ينالُها إلا المؤمنون، وبذلك كانت الرحْمة مرتبة على هدى التوفيق الذي هو مرتب على هدى الدلالة والإرشاد.

(1) سورة لقمان، الآية: 1- 5.

(2) سورة الجاثية، الآية: 20.

والخلاصة: إن مفهوم الرحْمة مفهومٌ غائيٌّ بالنسبة لمفهوم الهدى، أي أن الرحْمة غاية للهدى ونتيجة لها[1]، وذلك بأن الهدى العام يفضي إلى رحْمة عامة (رحْمة للعالمين)، من حيث هو إرشاد ودلالة، والهدى الخاص يتغيّا رحْمة خاصة (رحْمة للمؤمنين)، من حيث انتفاعهم بهداياته مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[2].

المسلك الثاني: المغفرة

2.1 **المغفرة في اللغة**

المغفرة مصدر من غَفَر يَغْفِرِ غَفْرًا ومَغْفِرَةً وغُفْرَاناً؛ والأصل في الغفر: الستر والتغطية[3]، وهو مأخوذ حسياً من قول العرب: قد غفرت المتاع أغفره غفرا، إذا جعلته في وعاء. ويقال: اغفر متاعك، أي: غطه في الوعاء. وكل شيء سترته وغطيته فقد غفرته، ومنه سمي المغفر لأنه يغفر الرأس أي يلبسه ويغطيه[4]. ويقال: اصبغ ثوبك بالسواد فإنه أغفر للوسخ، أي: أستر له[5].

ومنه قولهم: غفر الله ذنبه غَفرا ومغفرة: أي ستره وغطاه فلم يؤاخذه به، ولم يفضحه به على رؤوس الملأ[6]. واستغفر الله من ذَنبه: طلب مِنْهُ أن يغطي عليه ذنبه[7]، وتغافر الرجلان: دَعَا كل وَاحِد مِنْهُمَا لصَاحبه بالمَغفرة[8]. وتقول العرب: قد غفر الرجل في مرضه يغفر غفراً إذا نُكِسَ في مرضه، فكأن المرض غطَّى عليه. واحتج بقول الشاعر:

خَلِيليَّ إِنَّ الدَّارَ غَفْرٌ لِذِي الهَوَى كَمَا يَغْفِرُ المَحْمُومُ أَوْ صَاحِبُ الكَلْمِ[9].

(1) مفهوم الهدى في القرآن الكرم: 190.

(2) سورة البقرة، الآية: 105.

(3) العين، والمقاييس، وشمس العلوم، والمختار، واللسان، والقاموس، والمصباح/ غفر.

(4) غريب الحديث للقاسم بن سلام: 3/ 348، والجمهرة/ غفر.

(5) التهذيب، والصحاح، والمجمل/ غفر.

(6) شمس العلوم/ غفر.

(7) الزاهر: 1/ 16، والفاخر: 134.

(8) المحكم، والتاج/ غفر.

(9) البيت من الطويل، وهو للمرار الفقعسي الاسدي، ديوانه: 482.

2.2 المغفرة في الاستعمال القرآني والحديثي

وردت مادة «غفر» في القرآن الكريم من خلال ثماني مشتقات في أربع وثلاثين ومائتي موضع: مرتان اسم فاعل مشتقًا من الثلاثي المجرد (غافر)، ومرتان اسمًا مشتقًا من باب «اسْتَفْعَلَ»؛ أحدهما مصدر (استغفار) والثاني اسم فاعل (مستغفر)، وإحدى وتسعون مرة صيغة مبالغة (غَفُور)، وخمس مرات بصيغة «غَفّار» للمبالغة أيضاً، ومرة اسمًا بصيغة «غُفْران»، وثماني وعشرون مرة اسمًا بصيغة «مَغْفِرَة»، وخمس وستون مرة فعلا من الثلاثي المجرد (غَفَر)، وأربعون مرة فعلا من باب «اسْتَفْعَلَ» (استغفَر). وكل ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من هذه المادة هو من مغفرة الذنوب، أي: تغطية ذنوب العباد صغيرها وكبيرها، قديمها وحديثها، سرها وعلانيتها[1].

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن من خلال تتبع سياقات ورود المغفرة في نصوص الكتاب والسنة تبين أن لفظ المغفرة يقتضي – مما يقتضي – ستر الذنب وإسقاط العقاب بإيجاب الثواب، ولا يستحق ذلك إلا المؤمنون الذين إذا ظلموا أنفسهم يستغفرون الله ﷻ الغفور الرحيم، ولا يستغفرون إلا هو ﷻ لأنه لا يُستعمل المغفرة إلا في الله ﷻ؛ إذ يُقال غفر الله لك ولا يقال غفر فلانٌ لك، فلا يتصرف في صفات العبد كما يتصرف في صفات الله ﷻ[2].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[3].

2.3 موارد العطف بين لفظي المغفرة و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ المغفرة في عشرة مواضع في القرآن الكريم، وستة مواضع في الحديث الشريف وهي:

أ. في القرآن الكريم:

- ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[4].

---

(1) المعجم الاشتقاقي: 261/2.

(2) الفروق اللغوية: 235.

(3) سورة آل عمران، الآية: 135 – 136.

(4) سورة البقرة، الآية: 286.

- ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (1).
- ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ (2).
- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (3).
- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (4).
- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ (5).
- ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (6).
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (7).
- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (8).
- ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (9).

ب. وفي الحديث الشريف:

- قال النَّبي ﷺ: «**الرَّاكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا، وَأَمَامَهَا، وَعَنْ يَمِينِهَا، وَعَنْ يَسَارِهَا قَرِيبًا مِنْهَا، وَالسِّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ**»(10).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 157.

(2) سورة النساء، الآية: 96.

(3) سورة الأعراف، الآية: 23.

(4) سورة الأعراف، الآية: 149.

(5) سورة الأعراف، الآية: 151.

(6) سورة الأعراف، الآية: 155.

(7) سورة هود، الآية: 47.

(8) سورة المؤمنون، الآية: 109.

(9) سورة المؤمنون، الآية: 117- 118.

(10) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب المشي أمام الجنازة، حديث رقم: 3180.

- وقال ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»(1).
- وقال ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»(2).
- وقال ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ، إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ**»(3).
- وقال ﷺ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(4).
- وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(5).

من خلال هذه النصوص نسجل الملاحظات الآتية:

* تقدم لفظ المغفرة على «الرحْمة» في كل النصوص إلا في موضع واحد من القرآن(6).
* جاور لفظ «مغفرة» لفظ «رحْمة» مباشرة دون فاصل يفصلهما في كل الموارد.
* كل المواطن التي ورد فيها لفظ (الرحْمة) متعاطفاً مع لفظ المغفرة في القرآن الكريم تنتمي إلى سور مكية.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: 6467.

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم: 2816/73.

(3) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب: ثواب السرية التي تخفق، حديث رقم: 3126.

(4) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم: 6326، وكتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، حديث رقم: 834، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء، الآية: 134]، حديث رقم: 7387.

(5) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، حديث رقم: 1499.

(6) وهو في الآية التاسعة والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف.

ويتحصل من التدبر والتعمق في معاني الآيات والأحاديث، مواطن العلاقة، والتأمل في الدلالة اللغوية لكل من المغفرة والرحمة أن كلاً منهما قد وُضع في موضعه من الآية وناسب سياقه، وإذ تبين أن الرحْمة تتجاوز المغفرة إلى الإنعام والإثابة والإحسان، فهي أعم وأشمل من المغفرة، على أن الرحْمة من وجه آخر قد تكون سبب المغفرة، وقد تكون المغفرة أولى بالطبع، لأن المغفرة سلامة، والرحْمة غنِيمةٍ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة؛ ألا ترى قوله ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «**يَا عَمْرُو إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ وَجْهًا يُسَلِّمُكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، فَارْغَبْ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً**»[1]، فهذا من الترتيب البديع حيث بدأ بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب.

فعطف الرحْمة على المغفرة من عطف العامّ على الخاصّ، وذلك بأن المغفرة تقتضي ستر الذنب بمحوها من الصحيفة أو سترها عن أعين الملائكة، والرحْمة تقتضي الإحسان بإسقاط العذاب والإنجاء منه، والإنعام بالنعيم المقيم؛ وهو شامل لتكفير السيئات ورفع الدرجات وغيرهما من أنواع النعم[2].

المسلك الثالث: العفو

3.1 **العفو في اللغة**

العَفْوُ: مصدر من عَفَا يَعْفُو عَفْوًا، فهو عافٍ وعَفُوٌّ، بمعنى التَّجاوُزُ والتَّرْكُ[3]، وأصلُه في اللغة المَحْوُ والطَّمْسُ، وهو مأخوذ حسيا من قَوْلِهِمْ: عفَت الرياحُ الآثارَ إذا طَمَسَتْها ومَحَتْها[4]، ثم استعمل في الصفح عن الجاني والتَّجاوُز عن الذَّنب وتَرْك العِقاب عليه، فكلُّ مَن استحقَّ عقوبةً فتركتَها فقد عفوت عنه[5]، وأنشد أبو الأسود الدؤلي:

خُذي العَفوَ مِنِّي تَسْتَدِيْمِي مَوَدَّتِي وَلا تَنْطُقِي في سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ[6].

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 467.

(2) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود: 4/ 84، بتصرف.

(3) العين، والمقاييس، وشمس العلوم، واللسان، والمصباح/ عفو.

(4) التهذيب، والنهاية، واللسان، والمعجم الاشتقاقي/ عفو.

(5) المقاييس، واللسان، والقاموس، والتاج، وعمدة الحفاظ/ عفو.

(6) البيت من الطويل، وهو لأبي الأسود الدؤلي، يوصي زوجته، وقيل يوصي ابنته ليلة البناء، ديوانه: 381.

ومنه قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾[1]، وقوله ﷺ: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ**»[2]. والعفو بمعنى الصفح[3].

وبهذا المعنى يُستعمل العفو لافتتاح الكلام عند العِتاب تبجيلاً وتعظيماً لشَأْن المعاتَب عليه، وقد كانت من عادة العَرَب في مُخاطبتِهم لأكابرهم أن يقولوا: عفا اللهُ عنك أيُّها الأمِير، أو أصلح الله الأمير ونحو ذلك، ومنه قول علي بن الجهم مخاطبا الخليفة العباسي المتوكل:

عَفَا اللهُ عَنْكَ أَلا حُرْمَةٌ تَعُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدَا[4].

وفي التنْزيل قوله ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾[5].

واستُعمل الْعَفْوُ أيضاً بمعنى التَّيسير وَالتَّسْهِيل، والعَفْو من المال: ما سَهُلَ وتيسَّر إنفاقه مما يكون فاضلا عن الكفاية، يُقال: خذ ما عفا لك، أي ما تيسَّر[6]، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾[7]، أي: ما سهل وتيسر، و لم يشق على القلب[8].

يلاحظ مما سبق أن العفو قريب من المغفرة من حث الدلالة، لكن النظر إلى أصل كل منهما يقضي بأن المغفرة فيها لطف وتكريم، لأن استعمالها في العطية الحسية يقصد بها الحفظ والتغطية كما في المِغْفَر وقولهم: «اصْبُغ ثوبك بالسواد فإنه أغفر لوسخه»، والعفو الترك كأنه تَرْك الشيء مغطًّى بغطائه لما لم يُؤْخَذ منه[9]. والخلاصة: أن العفو هو الترك، والمغفرة هي الستر.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 199.

(2) سنن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، مسألة المعافاة، حديث رقم: 10651.

(3) عمدة الحفاظ، والأساس/ عفو.

(4) البيت من وهو لعلي بن الجهم يخاطب به المتوكل لما حبسه وأمر بنفيه، ديوانه: 77.

(5) سورة التوبة، الآية: 43.

(6) المختار، وعمدة الحفاظ/ عفو.

(7) سورة البقرة، الآية: 219.

(8) مفاتيح الغيب: 6/ 402.

(9) المعجم الاشتقاقي/ عفو.

3.2 العفو في الاستعمال القرآني

وردت مادة «عفو» في القرآن الكريم من خلال أربع مشتقات في خَمسة وثلاثين موضعاً: مرةً اسم فاعل مشتقًا من الثلاثي المجرد «العافي»، وخمسَ مراتٍ اسمًا بصيغة «عَفُوّ»، ومرتين اسمًا بصيغة «عَفْو»، وسبعاً وعشرين مرة فعلاً من الثلاثي المجرد.

وقد ذكر أصحاب كتب الوجوه والنظائر[1] أن (العفو) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الأول: الترك؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[2]، أي: إلا أن يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق أو يعفو الزوج بترك المهر ويعطيه كاملا، ومثله قوله ﷻ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾[3].

والثاني: الفضل من المال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾[4]، يعني: ما يفضل عن أموالهم ويسهل عليهم إنفاقه ينفقونه؛ وهذا قريب من معنى الأول.

والثالث: التجاوز عن الذنب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۚ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ﴾[6]، أي: ولقد تجاوز الله عنهم فلم يؤاخذهم و لم يعاجلهم بالعقوبة[7].

والرابع: الكثرة، ومنه قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[8]، أي: كثروا.

3.3 موارد العطف بين لفظي العفو و(الرحْمة):

ورد فعل الرحْمة معطوفاً على فعل العفو، حيث يفصلهما فعل المغفرة، في موضع واحد من القرآن الكريم وفي آية مدنية من سورة البقرة وهي قوله ﷻ:

- ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[9].

---

(1) الوجوه والنظائر: 348، ونزهة الأعين النواظر: 437.

(2) سورة البقرة، الآية: 237.

(3) سورة البقرة، الآية: 178.

(4) سورة البقرة، الآية: 219.

(5) سورة آل عمران، الآية: 152.

(6) سورة آل عمران، الآية: 155.

(7) التفسير الميسر: 1/ 70.

(8) سورة الأعراف، الآية: 95.

(9) سورة البقرة، الآية: 286.

جاءت الآية الكريمة بأسلوبٍ طلبيٍّ بليغ بعد الكلام عن إيمان الرسول محمد ﷺ والمؤمنين بالكتب السمٰوية وبالرسل عليهم السلام دون تفريق أو تفضيل في أصل الرسالة والتشريع، وإبداء ما تفضل الله به على هذه الأمة من التكاليف السمحة السهلة التي لا ضيق ولا حرج فيها[1]، فكان مسك الختام الدعاء بأن يترك الله ﷻ ذنوبنا وأن يسترنا ولا يفضحنا بالمؤاخذة، وأن يتفضل برحمة منه علينا ويعطف بنا[2]؛ ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾.

يقول ابن جُزَيّ رحمه الله أن العفو والمغفرة والرحْمة «ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أنّ العفو ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر، والرحْمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام»[3].

ويلاحظ أن عدم المؤاخذة على النسيان والخطأ يستتبع العفو، وعدم حمل الإصر يستوجب المغفرة، وعدم تحميل ما لا يطاق يتطلب الرحْمة. لذلك يقول أبو حيان رحمه الله: «و لم يأت في هذه الجمل الثلاث بلفظ رَبَّنا لأنها نتائج ما تقدم من الجمل التي افتتحت بذلك فجاء ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ مقابلا لقوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾، ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ لقوله عز شأنه: ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ لأن من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ العفو، ومن آثار عدم حمل الإصر عليهم المغفرة ومن آثار عدم تحميل ما لا يطاق الرحْمة ولا يخفي حسن الترتيب»[4].

إذن، فعطف الرحْمة على العفو والمغفرة دال على علاقة لزوم بين المفاهيم الثلاثة، ذلك لأن فيها إسقاط الذنب الذي يستلزم الستر صونا له من عذاب التخجيل والفضيحة، ثم صلاح الأمور بعده[5]، فكأن الداع يقول: أطلب منك الخلاص من العذاب، والخلاص من الفضيحة، وأطلب الثواب من نعيم الجنة ولذاتها وطيباتها[6].

(1) التفسير المنير: 3/ 132.
(2) فتح البيان: 2/ 166، وفتح القدير: 1/ 354.
(3) التسهيل: 1/ 143.
(4) روح المعاني: 2/ 68.
(5) تيسير الكريم الرحمن: 121.
(6) مفاتيح الغيب: 7/ 124.

المسلك الرابع: بصائر

6.1 البصائر في اللغة

البصائر جمع البصيرة بمعنى الفطنة؛ تقولُ العربُ: أعْمَى الله بصائرَهم أي فِطَنَهم. وحُكي عن ابن عباس أنه دخل على معاوية بعدما عمي، وكان أبوه قد عمي في آخر عمره، وكذلك جده عبد المطلب، فقال له معاوية: «ما لكم يا بني هاشم، تصابون في أبصاركم؟ فقال له ابن عباس: وما لكم يا بني أمية، تصابون في بصائركم»[1]. وتستعمل البصيرة بمعان عدة، منها: عقيدة القلب والمعرفة الثابتة باليقين، أو اليقين في العلم بالشيء والعبرة والشاهد، أو الشهيد المثبت للأمر، والحجة أو البرهان، أو القوة التي تدرك بها الحقائق العلمية[2]. وجاء في الشعر قول الأسعر الجُعْفِيِّ:

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى[3].

وقد فسر أصحاب اللغة «البصيرة» هنا بأنها القطعة من الدَّم تستدير على الأَرْض أَو على الثَّوْب كالترس الصَّغِير[4]. وقيل هي الدم ما لم يسل، يعني: الدم الذي في الأبدان[5]، وقيل هي مقدار الدراهم التي تؤدى بها الدية من الدم[6].

والتحقيق: أن البصيرةُ في اللغة اسمٌ للإدراكِ التّامِّ الحاصِلِ في القلب، أي: تكامل العلم والمعرفة والتحقق[7]. وهي مأخوذة حسيا من البصر: الجارحة الناظرة أو حاسة الرؤية (العين)[8]؛ فالبصيرة للقلب بِمَنْزِلَةِ البصر للعين، يبصر بها المعلومات، والحقائق كما هي، فهي عين القلب،

---

(1) التهذيب، والصحاح، والمحكم، واللسان/ بصر. وتفسير السمعاني: 3/ 445.

(2) العين، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، واللسان/ بصر.

(3) اليت من الكامل، وهو للأسعر الجعفي عير فيها إخوته لأبيه، وذلك أن أباه قتل وهو غلام، فأخذ إخوته لأبيه الدية فأكلوها، فلما شب الأسعر، أدرك بثأر أبيه. يُنظر: الأصمعيات: 23، والوحشيات: 58، والمخصص: 160/1.

(4) الجمهرة، والمجمل، والمقاييس/ بصر.

(5) التهذيب/ بصر.

(6) التاج/ بصر.

(7) العين، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والبصائر، والمعجم الاشتقاقي، والفروق اللغوية/ بصر.

(8) العين، والمفردات/ بصر.

كما أن البصر عين البدن؛ فكأن صاحب البصيرة قد بلغ من المعرفة العقلية، والنظر الفكري، والحكمة الثاقبة حداً يصل إلى درجة المشاهد المحسوس[1].

6.2 البصائر في الاستعمال القرآني

ورد لفظ البصائر في القرآن الكريم في سبعة مواضع؛ خمس مرات بصيغة الجمع ومرتين بصيغة المفرد. ومن خلال التبصُّر في سياق الآيات، تبين أنه استُعمل بمعنى عقلي وهو الحُجَّة البَيِّنَة النَيِّرَة والبرهان الواضح الجليّ[2]. ومما يؤكد صحة هذه المعاني الإشارة إلى الوحي بلفظ (بصائر)[3] وهذا يعني أن الوحي هو مصدر البصائر والجامع لها، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن الوحي في حقيقته حجة وبيان، وهي من المعاني الأساسية للفظ البصيرة في القرآن الكريم. وكذلك الإشارة إلى الجوارح بلفظ (بصيرة)[4] وذلك لكونها حججاً وبراهين شاهِدةً على الإنسان بما صدر عنه من الأعمال؛ قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[5].

ولعل الخوض في غمار مواطن العلاقة يفضي بنا إلى دلالات التعاطف بين البصائر والرحمة.

6.3 موارد العطف بين لفظي البصائر و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ البصائر في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي:

- ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[6].
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[7].

---

(1) وقد عرف الشريف الجرجاني البصيرة أنها: «قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء: العاقلة النظرية، والقوة القدسية». التعريفات/ البصيرة.

(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة: 203/1، وجامع البيان: 12/ 24، وتفسير ابن كثير: 3/ 312.

(3) كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: 203].

(4) كما في قوله ﷻ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: 13 - 14].

(5) سورة يس، الآية: 65.

(6) سورة الأعراف، الآية: 203- 204.

(7) سورة القصص، الآية: 43.

۞ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

من خلال هذه النصوص نسجل الملاحظات الآتية:

* ورد لفظ بصائر مقدماً على لفظي هدى و«رحْمة» في الآيات الثلاث كلها.

* لم يُجاور لفظ بصائر لفظ «الرحْمة» مباشرة بل يفصلهما لفظ «هدى» في كل الموارد.

* اشتركت الألفاظ الثلاثة في وظيفة الوصف مع اختلاف بين الآيات في الموصوف، حيث وُصف بها القرآن الكريم في آيتي الأعراف والجاثية، في حين وُصفت بها التوراة في آية القصص.

* وُصف لفظ بصائر بمركبين وصفيين هما: (للناس) في آيتي القصص والجاثية، و(من ربكم) في آية الأعراف.

* ورد لفظ بصائر بصيغة الجمع بينما ورد لفظا هدى ورحْمة بصيغة المفرد.

* كل الآيات الثلاث التي ورد فيها الألفاظ الثلاثة متعاطفة تنتمي إلى سور مكية.

وإذ يتضح في ضوء ما سبق من الدلالات أن ثمة علاقة عموم وخصوص بين المفهومين نلحظها على مستويين:

المستوى الأول: أن البصائر هي الدلائل الواضحة على وسائل الرحْمة، ويتضح ذلك من خلال وصف القرآن الكريم والتوراة بالبصائر مقترنا بالهدى والرحْمة؛ فلما كانت الكتب السمٰوية سببًا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، أُطلق عليها اسم البصائر؛ فهو بذلك من باب تسمية السبب باسم المسبب. قال المولى ﷻ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

المستوى الثاني: أن البصائر هي الوسائل التي نتبين من خلالها الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، والضلال من الهدى، وتضع لنا الإطار العام الذي من خلاله نستطيع أن نميّز بين الحسن والأحسن، وذلك مكمن الهدى؛ إذ لا يستقيم الإنسان على غير هدى، ولا يهتدي إلا ببصائر من ربه، وتلك البصائر هي من رَحْمة الله ﷻ على عباده متمثلة في كتبه ورسله.

(1) سورة الجاثية، الآية: 20.

(2) سورة الجاثية، الآية: 20.

والخلاصة: إن عطف الرحْمة على البصائر من عطف العام على الخاص، ويؤكد هذا الحكم حقيقة كون الرحْمة غاية ونتيجة للبصائر، ذلك بأن وسائل الرحْمة من الكتب السمٰوية والرسل عليهم السلام هي منابع البصائر المتنوعة التي تنضوي تحت لواء الهدى بينما الهدى فردٌ من أفراد الرحْمة[1].

وفي هذا الصدد يقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: «وإنما جُمع «البصائر» لأن في القرآن أنواعا من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا، والتحذير من مهاوي الخسران. وأُفرد الهدى والرحْمة لأنهما جنسان عامان يشملان أنواع البصائر؛ فالهدى يقارن البصائر، والرحْمة غاية للبصائر، والمراد بالرَّحْمَةِ ما يشمل رَحْمَة الدنيا وهي استقامة أحوال الجماعة وانتظام المدنية، ورَحْمَة الآخرة وهي الفوز بالنعيم الدائم كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2]»[3].

المسلك الخامس: بيِّنة

5.1 البيِّنة في اللغة

البَيِّنَةُ صفة مشبهة باسم فاعل البيان اللازم، ومداره في اللغة على الظهور والوضوح والانكشاف[4]؛ يقال: بَانَ يَبِين بَيَاناً فهو بَيِّنٌ، والأنثى بَيِّنَةٌ، أي: ظاهرة واضحة وهي صفة لمحذوف أي: الدلالة البينة أو العلامة البينة[5]، وفلان أبين من فلان، أي: أوضح كلاما منه[6]. وقيل: «البَيِّنَة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة»[7].

(1) مفهوم الهدى: 191.

(2) سورة النحل، الآية: 97.

(3) التحرير والتنوير: 9/ 238.

(4) العين، والمقاييس/ بين.

(5) المطلع: 492.

(6) الصحاح، والمقاييس/ بين.

(7) المفردات، والتاج، ومعجم اللغة العربية المعاصرة/ بين.

5.2 البينة في الاستعمال القرآني

ورد لفظ «البَيِّنَة» في القرآن الكريم، في واحد وسبعين موضعاً؛ ثمانية عشر موضعاً مفردا، مفرقة في اثنتي عشرة آية مكية وست آيات مدنية، مرتين محلى بالألف واللام، وست عشرة مرة نكرة. وثلاثة وخمسين موضعا جمعاً، مفرقة في سبع وعشرين آية مكية وخمس وعشرين آية مدنية، خمس وثلاثين مرة محلى بالألف واللام، وثماني عشرة مرة نكرة.

وبالنظر إلى النصوص من حيث المقام والمقال تبين أن المصطلح قد ورد في أغلب الموارد في سياق استعراض قصص الأنبياء مع أقوامهم وإعلان الشعار الموحد لجميع الرسالات السمٰوية، وذلك بمعنى: المعجزة الظاهرة والحجة الواضحة على صدق الرسول المبعوث وحقيَّة ما دعا إليه وهو توحيد الله ﷻ، ومما يشهد لذلك:

قوله تعالى حكاية عن جدال نبيه نوح عليه السلام مع قومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

قوله تعالى حكاية عن جدال نبيه هود عليه السلام مع قوم عاد: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾[2].

وقوله تعالى حكاية عن دعوة نبيه صالح عليه السلام لقوم ثمود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[3].

---

(1) سورة هود، الآية: 25-28.

(2) سورة هود، الآية: 50- 54.

(3) سورة الأعراف، الآية: 73.

وقوله تعالى حكاية عن دعوة نبيه شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1].

وقوله تعالى حكاية عن دعوة نبيه موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

وقوله تعالى حكاية عن جدال نبيه محمد ﷺ مع المشركين: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾[3].

ولما كان القرآن الكريم هو الحجَّة البالِغة والمعجزة الخالدة على صدق النبي ﷺ، ودليل شاهد بحقيَّة ما دعا إليه، وبه تقوم حجة الله على المعتذرين بالأعذار الباطلة والعلل الساقطة، كان هو المقصود بالبينة في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[4].

وبما أن الرسول ﷺ هو المبيِّن الذي يبين للناس حقائق ما أنزل الله من أمر ونهي ويقيم الحجة على الكافرين، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ﴾[5]، فهو بذلك بينة واضحة جلية ولهذا جاءت «البينة» بمعنى الرسول المبيِّن المبلِّغ وذلك في قول المولى جَلَّوَعَلَا في مستهل سورة البيِّنة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾[6].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 85.

(2) سورة الأعراف، الآية: 103- 105.

(3) سورة الأنعام، الآية: 56- 57.

(4) سورة الأنعام، الآية: 155- 157.

(5) سورة النساء، الآية: 165.

(6) سورة البينة، الآية: 1-4.

5.3 موارد العطف بين لفظي البينة و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ البينة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي:

- ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2].
- ﴿* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾[3].

ويلاحظ من خلال التأمل في مبنى ومعنى هذه الآيات أن لفظ البينة يدل على الحجة الواضحة الدالَّة على صدْق الرسالات كما في الموضع الأول، حيث ورد واصفا للقرآن الكريم باعتباره بيِّنة على نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأطلق على المعجزة الإلهية التي تُظهر الحجَّة ودلائل صدق الرسالة، كما في الموضعين الثاني والثالث، حيث ورد لفظ البينة دالاً على معجزات الرسل عليهم السلام.

وعلى هذا الأساس فإن عطف (الرحْمة) على (البينة)، كما قال الطاهر بن عاشور رحمه الله، «يقتضي المغايرة بينهما، وهي مغايرة بالعموم والخصوص لأن الرَّحْمة أعم من البينة، إذ البينة على صدقه من جُملة الرحْمة به، ولذلك لما أعيد الضمير في قوله: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾[4] أعيد على (الرحْمة) لأنها أعم»[5]. وعليه، فإن البينة هي الآيات الإلهية المبينة للحجة على ربوبيته ﷻ موجبها الرحْمة.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 157.

(2) سورة هود، الآية: 28.

(3) سورة هود، الآية: 63.

(4) من قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: 28].

(5) التحرير والتنوير: 12/ 51.

المسلك السادس: ذكرى

6.1 الذكرى في اللغة

الذِّكْرَى: اسم مصدرٍ التَّذَكُّرُ والتَّذْكِرَةُ، وهي نفسها مصدرُ ذَكَرَ يَذْكُرُ ذِكْرًا وذِكْرَى[1]، بمعنى كثرة الذّكر، وهو أبلغ من الذّكر[2]، والذِّكْر: خلاف النّسيان، ثُمَّ حُمل عليه الذِّكْرُ بالقلب، والذكر باللّسان[3]؛ يُقال: ذَكَرتُ الشيءَ وهو مني على ذُكْرٍ، أي لا أنْسَه[4]. واستذكر بدراسته، طلب بِها الحفظ[5].

قال الحارث ابن حرجة الفزاريّ:

فَأَبلِغْ دُرَيداً وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَتى مَا تُذَكِّرهُ يَسْتَذْكِرُ[6].

فالذكرى إذن، مصدر يفيد مبالغة الذِّكْر بالقلب وباللّسان؛ كلاهما خلاف النسيان، وقد يفيد التذكر. وذكر التهانوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه: «لَمْ يَجئ مصدرٌ على فعلى غير هذا»[7]، أي: الذكرى.

6.2 الذكرى في الاستعمال القرآني

ورد لفظ «الذكرى» بِهذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة؛ أربع عشرة مرة نكرة، وتسع مرات معرفة. وبتتبع مواطن اللفظ في نصوص القرآن الكريم نجد أنه في كل موارده يدل على المعنى اللغوي الدال على التذكير خلاف النسيان، ونلاحظ ذلك من خلال الآيات الآتية:

يقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[8].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل هذه الآية: «وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثُمَّ ذكرت ذلك، فقم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لَهم الخوضُ فيه بِما خاضوا به فيه»[9].

---

(1) الجمهرة، والمحكم، والمختار، واللسان، والصحاح/ ذكر.

(2) المفردات/ ذكر.

(3) المقاييس/ ذكر.

(4) العين، والمقاييس، وشمس العلوم/ ذكر.

(5) الأساس: 1/ 314.

(6) البيت من المتقارب، وهو للحارث بن عمرو الفزاري، شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية: 313.

(7) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/ ذكر.

(8) سورة الأنعام، الآية: 68.

(9) جامع البيان: 11/ 436.

ويقول الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣﴾[1]. يقول الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بِما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم؟ والحال أنَّهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم من ذلك في إيجابِهما حيث جاءهم رسولٌ عظيمُ الشأن ظاهرٌ أمرُ رسالته بالآيات والمعجزات التي تَخر لَها صم الجبال أو مظهر لَهم مناهج الحق بذلك»[2].

ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾[3]، أي: ولا تدع التذكير والموعظة فإن الذِّكرى تؤثر في الذين آمنوا فينتفعون[4]. ويقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يتعلق بانتفاع المؤمنين: «والنفع الحاصل من الذكرى هو رسوخ العلم بإعادة التذكير لما سمعوه واستفادة علم جديد فيما لم يسمعوه أو غفلوا عنه، ولظهور حجة المؤمنين على الكافرين يوما فيوما ويتكرر عجز المشركين عن المعارضة ووفرة الكلام المعجز»[5]. وقال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكّر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمرى، وذكّر المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة، وذكّر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي، وذكّر الأغنياء ما أتحت لهم من إحساني وعطائي، وذكّر الفقراء ما أوجبت لهم من صرف الدنيا عنهم وأعددت لهم من لقائي»[6].

والجدير بالإشارة ههنا أن المنتفعين بالذكرى هم المؤمنون الذَّاكرون العابدون الراسخون في العلم أولو الألباب، الذين وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بأنهم يَخْشون الله عَزَّ وَجَلَّ وسوء العاقبة، كما في قول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾[7]. فهؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾[8]، يقبلون التذكرة وينتفعون بها فينظرون ويفكرون حتى يقودهم النظر إلى اتباع الحق.

---

(1) سورة الدخان، الآية: 13.

(2) روح المعاني: 13/ 118.

(3) سورة الذاريات، الآية: 55.

(4) الكشاف: 4/ 405، وجامع البيان: 22/ 443، وأنوار التنزيل: 5/ 151.

(5) التحرير والتنوير: 27/ 24.

(6) لطائف الإشارات: 3/ 469.

(7) سورة الأعلى، الآية: 9 – 11.

(8) سورة الأنبياء، الآية: 49، وفاطر: 18، والملك: 12.

6.3 موارد العطف بين لفظي الذكرى و(الرحْمة):

ورد لفظ الذكرى معطوفاً على لفظ (الرحْمة) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي:

- ﴿* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].
- ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[2].
- ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[3].

من خلال هذه النصوص نسجل الملاحظات الآتية:

* ورد لفظ ذكرى متأخراً عن لفظ «رحْمة» في الموارد الثلاث كلها.

* ورد اللفظان نكرتين موصوفتين بمركبات وصفية مختلفة: ففي الموضع الأول وُصف لفظ (الرحْمة) بالمركب الوصفي (من عندنا) وفي الموضع الثاني وُصف بالمركب الوصفي (لقوم يؤمنون) بينما ورد في الموضع الثالث موصوفا بالمركب الوصفي (منا). أما لفظ ذكرى فقد وُصف في الموضع الأول بالمركب الوصفي (للعابدين)، وفي الموضع الثاني وُصف بالمركب الوصفي (لقوم يؤمنون)، في حين وُصف في الموضع الثالث بالمركب الوصفي (لأولي الألباب).

* كل الآيات الثلاث التي ورد فيها اللفظان متعاطفين تنتمي إلى سور مكية.

ويتبين من خلال النظر في مبنى ومعنى الآيات، والموازنة بين المفهومين أن الذكرى وسيلة من وسائل الرحْمة ومتضمنة فيها؛ ذلك أن بالتذكر يرجع العاصون عن مخالفة أمر الله ﷻ، ويزداد المطيعون طاعة وعبادة[4]، فيحصلون بذلك رحْمة ربهم جَلَّ وَعَلَا.

وعليه فإن مفهوم الرحْمة أعم من مفهوم الذكرى وبذلك يكون العطف بينهما من عطف الخاص على العام. وكما أن النظم يقتضي تقديم النتيجة على الوسيلة، تقدمت الذكرى على الرحْمة في كل الموارد تعجيلا لما يَسُرُّ المخاطَب.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 83 - 84.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 51.

(3) سورة ص، الآية: 41 - 44.

(4) لطائف الإشارات: 3/ 469.

المسلك السابع: شفاء

7.1 الشفاء في اللغة

الشِّفَاءُ: مصدر شَفي يَشْفِي شِفَاءً، وهو ما يبرئ من السَّقم[1]؛ يُقال: شفاه الله، أي أبرأه مما أَلَمَّ به. واستشفي فلان، إذا طلب الشفاء. وأشفيت فلاناً، إذا وهبت له شفاءً من الدواء، أو إذا وصفت له دواءً يكون شفاؤه فيه[2]، وشفاه بكل شيء تَشْفِيَةً، أي: عالجه بكل ما يُشْتَفي به[3].

ومن خلال ما ورد في المعاجم اللغوية، نلاحظ أن للشفاء في اللغة أصلين: أصلٌ ماديٌّ مأخوذ من **الإِشْفي** وهو: المِثْقَب أو المِخْرَز أو المِخْصَف الذي يستعمله الخرَّاز لِخَصْف النَّعْل[4]، أي: خيطه وإصلاحه؛ فأُخذ من هذا المعنى ما يدل على البرء من الأسقام الجسمانيَّة والأوجاع البدنية التي تَلِمُّ بالبشر. وهناك أصل معنوي مأخوذ من قولهم: **أَشْفي** إِذَا أَشرف عَلَى وصِيَّةٍ أَو وَديعةٍ[5]؛ فأُخذ من هذا المعنى ما يدل على البُرْء من الأمراض الروحانيَّة والأدواء القلبية، من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة، والعُقَد النفسية. قال عنترة بن شداد:

وَلَقَدْ شَفي نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا[6] قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[7].

7.2 الشفاء في الاستعمال القرآني

ورد لفظ «الشِفاء» بهذه الصيغة في القرآن الكريم في ستة مواضع؛ أربعة منها مصدرا نكرة موصوفة بمركبات وصفية من قبيل (للمؤمنين، للناس، للذين آمنوا، لما في الصدور)، وفي موضعين فعلا مضارعاً مسنداً إلى الله ﷻ. وإذ تبين من خلال تتبع هذه الموارد في القرآن الكريم بمختلف سياقاتها أنه تارة يدل على البرء من الأمراض والعلل والشكوك، كما جاء في قول المولى جَلَّوَعَلَا:

---

(1) العين، والتهذيب/ شفي.

(2) العين، والتهذيب، والصحاح، واللسان، والمحكم، والتاج/ شفي- شفو.

(3) التاج/ شفو.

(4) المعجم الاشتقاقي/ شفي- شفو.

(5) التهذيب، واللسان/ شفي، والتاج/ شفو. والمقاييس/ شفي.

(6) كان عنترة يعاني من عقدة أنه أسود ولذلك لم يعترف به أبوه وجعله عبدا عنده، فعندما ينادي عليه الفَوَارِس وسط المعركة ويستنجدون به ويعْتمدون عليه ويلجؤون إليه كان ذلك يشفي نفسه ويذهب حزنه ويشعره كأنه قد شفي من عقدته.

(7) البيت من الكامل، وهو لعنترة بن شداد العبسي من معلقته التي نظمها بعد أن شتمه رجل وعايره بسواده، ديوانه: 146.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[1]، وتارة يدل على ما يكون سبب البرء من الأمراض والأسقام وهو الدواء، وذلك نحو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[2].

7.3 موارد العطف بين لفظي الشفاء و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الشفاء في موضعين في القرآن الكريم وموضع واحد في الحديث الشريف وهي:

أ. في القرآن الكريم:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[3].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[4].

ب. في الحديث الشريف:

- قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا، أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأُ**»[5].

يلاحظ من خلال هذه النصوص ما يلي:

- تقدم لفظ الشفاء على لفظ (الرحْمة) في الآيتين الكريمتين، وتأخر عنه في الحديث الشريف.
- يشترك اللفظان في كونهما وردا في القرآن الكريم في آيتين مكيتين، موصوفين بمركب وصفي: (للمؤمنين)، وواصفين للقرآن الكريم.
- ورد اللفظان في جميع النصوص نكرة.

---

(1) سورة فصلت، الآية: 44.

(2) سورة النحل، الآية: 69.

(3) سورة يونس، الآية: 57.

(4) سورة الإسراء، الآية: 82.

(5) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب كيف الرقي، حديث رقم: 3892.

❁ وُصف اللفظان في الحديث بأنهما من الله، كما في قوله ﷺ: (**مِنْ رَحْمَتِكَ**) و(**مِنْ شِفَائِكَ**).

تبين من خلال التأمّل في هذه النصوص قرآناً وحديثاً أن الشفاء نظير الرحْمة من حيث المصدر، وذلك كونهما يصدران من نور الله جَلَّجَلَالُهُ الشافي، ذي الرحْمة، كما أنهما مقصدان من مقاصد القرآن المجيد. أما من حيث الوظيفة فإن الشفاء فرد من أفراد الرحْمة، ويتجلى ذلك من قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[1].

يقول الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة، والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة، والرحمة إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراق إلى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة، فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخر ذكره»[2].

يؤكد كلام الرازي أن الموعظة للعوام، والشفاء للخواص، وهم الذين أخذوا بالموعظة، والهدى لخاص الخاص، وهم الذين تطهروا من الأمراض القلبية، والرحمة لجميعهم؛ فلولا رحمته ﷻ لما تلقى أحدٌ الموعظة، ولا حصل الشفاء والهدى، فتبين من ذلك أن الرحمة أعم من الشفاء، وأن تقديم الشفاء على الرحمة هو الترتيب الأنسب للمقام.

وعلى هدي ما جاء في آية سورة الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، حاول الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كشفَ السرّ في عطف الرحْمة على الشفاء فقال: «والقرآن قسمان: بعضهما يفيد الخلاص عن شبهات الضالين وتمويهات المبطلين وهو الشفاء. وبعضهما يفيد تعليم كيفية اكتساب العلوم العالية، والأخلاق الفاضلة التي بها يصل الإنسان إلى جوار رب العالمين، والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو الرحمة، ولما كان إزالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة لا جرم بدأ الله تعالى في هذه الآية بذكر الشِّفَاء ثُمَّ أتبعه بذكرِ الرَّحْمة»[4].

---

(1) سورة يونس، الآية: 57. وقوله ﷻ: ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مجاز مرسل من قبيل إطلاق المحل وإرادة الحالّ، أي شفاء للقلوب التي في الصدور، التفسير المنير: 11/ 199.

(2) مفاتيح الغيب: 17/ 268.

(3) سورة الإسراء، الآية: 82.

(4) مفاتيح الغيب: 21/ 389.

لكننا نلاحظ أن في نصِّ الحديث الشريف تقدم (الرحْمة) على الشفاء على عكس ما ورد في القرآن الكريم، وربما يرجع ذلك إلى كون الرحمة تحتل أعلى وأسمى مرتبة لدفع الضر عن العباد، وهي بذلك أعم من الشفاء، ولهذا قال الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو تخصيص بعد تعميم»[1]، أي: هو من تقديم العام على الخاص.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنه يتضح من خلال مقام ومقال النصوص، أن المنتفعين بهذا الشفاء الرباني هم المؤمنون الذين يؤمنون بما أُنزل إلى رسول الله ﷺ من القرآن الكريم، مصداقاً لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، «وذلك الشفاء يحصل بتطهير الباطن بعد التخلي عن الأخلاق الذميمة بالتحلي بالصفات الحميدة ليصير الباطن سالماً عن العقائد الفاسدة والأخلاق الناقصة كما سلم البدن من الأفعال الدنية»[4]، وبهذا الاعتبار فإن الشفاء مهيء لأسباب الفوز برحْمة الله عَزَّوَجَلَّ، لأن الشفاء تخلية وتحلية، فدل ذلك على أنه مسهل للظفر بالرحْمة.

(1) مرقاة المفاتيح: 3/ 1136.

(2) سورة فصلت، الآية: 44.

(3) سورة الإسراء، الآية: 82.

(4) نظم الدرر: 9/ 144.

المسلك الثامن: إماماً

8.1 الإمام في اللغة

الإِمَامُ: اسم من أَمَّ يؤُمُّ إمامةً فهو إمامٌ، والإمام: ما ائْتُمَّ به، أي: اتُّبِع واقتُدِيَ به وَقُدِّمَ في الأمور إنساناً كان أو غيره[1]، والجمع أَئِمَّةٌ وأيمة[2]، ومداره في اللغة على القصد؛ قال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمي الإمام إماماً؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله، وقيل للخليفة: إمام؛ لأنك تقصد قصد أوامره، أو لأنه يتقدم، فتتبع أثره، والطريق: إمام؛ لأنه يُقصد. (...) وأمُّ الشيء: أصله، ترجع إلى هذا؛ لأن كل من يريد الشيءَ فإنما يقصد أصلَه، فيبتدئ به في أكثر الحال. وسميت الأمُّ أماً؛ لأن ولدها يتبعها. وسميت سورة الحمد: أم الكتاب؛ لأنها تتقدم الكتاب، فهو تابع لها كما يتبع الولد أمه»[3].

يتبين مما سبق أن لفظ (الإمام) مأخوذ حسياً من التقدم؛ يُقال: أَمَّ القومَ وأَمَّ بِهم، أي: تقدَّمَهُم[4]. يقول أبو هلال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإمام: مأخوذ من التقدم، فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء بغيره، وفرض طاعته فيما تقدم فيه»[5].

فالإمام إذن: **اسم لما يُقدَّم ويُقْتدى به في الأمور سواءٌ كان المقتدى به إنساناً أو غيره.**

---

(1) التهذيب، والمقاييس، والصحاح، وعمدة الحفاظ، والمحكم، والمُغْرِبُ، والمختار/ أمم.

(2) اختلف علماء اللغة في أصله؛ حيث ذهب الجوهري إلى أن أصله (آمِمَة) على فاعلة، مثل إناء وآنية، وإله وآلهة، فأدغمت الميم فنقلت حركتها إلى ما قبلها، فلما حُركت بالكسر جُعلت ياء وصار (أيمة). ويرى ابن سيده أن أصله (أئمة)، قلبت الهمزةُ ياءً لثقلها لأنَّها حرف سفل في الحلق وبعُدَ عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به تكلُّفًا «فإذا كرهت الهمزةُ الواحدةُ فهم باستكراهِ الثِّنتَينِ ورفضِهما لاسيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاءً وعيناً أو عيناً ولاماً أحرى، فلهذا لم تأتِ في الكلام لفظةٌ توالت فيها همزتان أصلان البتَّةَ». أما الأَخفش فيرى أن أصله (أيمة)، جُعلت الهمزةُ ياءً لأنها في موضع كسْر وما قبلها مفتُوحٌ فلم يهمِزُوا لاجتماع الهمزتين. وأما أَبو إِسحق فذهب إلى أن أصله (أَأْمِمَة) لأنه جمع إمام مثل مثال وأمْثِلة ولكنَّ الميمَيْن لما اجتمَعَتا أُدغمت الأُولى في الثَّانيَةِ وأُلقيت حركتُها على الهمزةِ، فقيل أَئِمَّة، فأَبدلت العربُ من الهمزةِ المكسورةِ الياء. يُنظر: الصحاح، والمحكم/ أمم.

(3) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 27.

(4) العين/ أمم.

(5) الفروق اللغوية: 222.

8.2 الإمام في الاستعمال القرآني

ورد لفظ «إمام» بهذه الصيغة اثنتا عشرة مرة في القرآن الكريم، سبع مرات منها مفردة نكرة إلا في موضع واحد جاء مضافا إلى ضمير، وخمس مرات جمعا نكرة إلا في موضع واحد جاء معرفا بالإضافة. وذكر أهل التفسير أن الإمام في القرآن على ثلاثة أوجه: أحدها: الرجل المتقدم، المقتدَى به في شيءٍ، حَقًا أَو باطلاً كما يُشير إليه قول الله ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]، يعني: قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقْتدى بك في أفعالك وأخلاقك. وقوله ﷻ: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[2]، «أَي: قاتلوا رؤساءَ الكفر وقادتَهم الذين ضُعَفاؤهم تَبَعٌ لَهُمْ»[3]. والثاني: الكتاب، ومنه قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[4]، «أي: بكتابهم الذي فيه أعمالهم»[5]. والثالث: الطَّريق الواضِح، كما في قوله ﷻ: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾[6]، «أي: بطريق واضح تمرون عليها في أسفاركم، يعني: القريتين المهلكتين؛ قرية قوم لوط وأصحاب الأيكة»[7].

8.3 موارد العطف بين لفظي الإمام و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الإمام في موضعين في القرآن الكريم وهما: قوله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[8]. وقوله ﷻ: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾[9].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 124.

(2) سورة التوبة، الآية: 12.

(3) التهذيب، واللسان/ أمم.

(4) سورة الإسراء، الآية: 71.

(5) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 29.

(6) سورة الحجر، الآية: 79.

(7) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 30.

(8) سورة هود، الآية: 17.

(9) سورة الأحقاف، الآية: 12.

يلاحظ من خلال هذين النصين ما يلي:

- تقدم لفظ الإمام على لفظ (الرحْمة) في الآيتين الكريمتين.
- يشترك اللفظان في كونهما وردا في آيتين مكيتين، واصفين للتوراة.
- ورد اللفظان في كلا النصين نكرة.

وإذ تبين من خلال مبنى ومعنى الآيتين أن الإمام يدل على التوراة وهي سلة من وسائل نيل الرَّحْمة، ولذلك فإن هذا العطف فيه إبراز كون الإمام سبباً لِحصول (الرحْمة)؛ يقول الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلَمْ أنه تعالى وَصَفَ كتابَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونِه إمامًا ورحْمةً، ومعنى كونِه إمامًا أنه كان مُقْتَدى العالِمِينَ، وإمامًا لهم يرجعون إليه في معرفة الدِّينِ والشَّرائعِ، وأمّا كونُه رحْمةً فلأنه يهدِي إلى الحقِّ في الدُّنْيا والدِّينِ، وذلك سببٌ لحصولِ الرَّحْمَةِ والثَّوابِ، فلمَّا كان سببًا للرَّحْمَةِ أطلَقَ اسمَ الرَّحْمَةِ عليه إطلاقًا لاسمِ المُسَبَّبِ على السَّبَبِ»[1].

وحاصِلُ الكَلامِ أنَّ الرحْمة ثمرة عظيمة للمقتدين بالإمام (كتاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، المهتدين بنور هدايته، وعليه فإن الإمام سببٌ واصل إلى الرحْمة، وهي ذروة سامقة له.

المسلك التاسع: بشرى

9.1 البشرى في اللغة

البُشْرَى: اسم من بَشَّرَ يُبَشِّر بِشارةً وتَبْشِيرًا، فهو بَشِيرٌ ومُبشِّرٌ، والبِشَارَةُ: ما بُشِّرتَ به، والبَشِيرُ: المُبَشِّرُ الَّذي يُبَشِّرُ القوم بأمرٍ خَيْرٍ أَو شَرٍّ، والبُشَارَةُ: حَقُّ ما يُعطَى البَشِيرَ، كالعُمَالَةِ للعَامِلِ، وفي حديثِ توبة كَعْب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ يُبَشِّرُنِي، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ فَرَسِهِ، فَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبَيَّ بُشَارَةً**»[2]، ومعنى يَبْشُرُ يَسُرُّ ويُفْرِحُ. وبَشَرْتُ الرجلَ أَبْشُرُهُ بَشْراً وبُشوراً، إذا أفرحته. وبَشِرَ يَبْشَرُ إذا فَرِحَ، من البِشارة، وكذلك الإِبْشارُ والتَبْشيرُ[3]. وتَبَاشَرَ القوم، أي بَشَّرَ بعضُهم بعضاً. والمبَشِّراتُ: الرِّياحُ التي تَهُبُّ بالسَّحاب وتُبَشِّرُ بالغيثِ، وفي التنْزيلِ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾[4]؛ وفيه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا﴾[5].

(1) مفاتيح الغيب: 17/ 330.

(2) مسند أحمد، حديث كعب بن مالك، حديث رقم: 27175.

(3) العين، والتهذيب، والجمهرة، والصحاح، والمحكم/ بشر.

(4) سورة الروم، الآية: 46.

(5) سورة الاعراف، الآية: 57، وسورة الفرقان، الآية: 48.

ومدار البشرى في اللغة على ظهور الشَّيءِ مع حُسْنٍ وجَمالٍ[1]، وهو مأخوذ حسياً من بَشَرَةِ الإنسان حين تَنبَسِطُ عند السُّرُورِ؛ ومن هذا قولهم: فُلانٌ يَلقاني ببِشْرٍ، أَي بوجهٍ مُنبَسِطٍ. ويُقال: أَبْشَرْتُ بكَذَا إذا فَرِحْت به عند رؤيته[2]؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

ثُمَّ أَبْشَرْتُ إِذْ رَأَيْتُ سَواماً وبُيُوتاً مَبْثُوثَةً وجِلالا[3].

يُفهم من المعنى اللغوي أن استعمال البُشْرَى والبِشَارَة في الخبر السار فقط واستعماله في غيره من الشَّرِّ استعارة من جنس التبكيت والتهديد والتقريع، كقوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]. ومن هذا المنطلق، يقول أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البشارة: اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا، سارا كان أو محزنا، إلا أنه غلب استعمالها في الأول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره»[5].

9.2 البشرى في الاستعمال القرآني

استُعمل لفظ البشرى في جل نصوصه في القرآن الكريم بمعنى الخبر السارّ، كما قال ﷻ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[6]، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾[7]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾[8]، ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾[9]، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾[10].

---

(1) المقاييس/ بشر.

(2) اللسان/ بشر.

(3) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في اللسان، والتاج/ بشر.

(4) سورة لقمان، الآية: 7.

(5) الكليات: 239.

(6) سورة يونس، الآية: 64.

(7) سورة الفرقان، الآية: 22.

(8) سورة هود، الآية: 69.

(9) سورة يوسف، الآية: 19.

(10) سورة الأنفال، الآية: 10.

واستُعمل اللفظُ في بعض النصوص على سبيل التهكم، كما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾[1]، ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾[2]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾[3].

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاستعارة ذلك تنبيه أنّ أسرّ ما يسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب، وذلك نحو قول الشاعر: تحيّة بينهم ضرب وجيع[4]! ويصحّ أن يكون على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾[5]»[6].

9.3 موارد العطف بين لفظي البشرى و(الرحْمة):

ورد لفظ البشرى معطوفاً على لفظ (الرحمة) في موضعين في القرآن الكريم وهما: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[7].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾[8].

ويُفهم من دليل خطاب هاتين الآيتين الكريمتين، أن القرآن الكريم جاء ليكون بياناً بليغاً شاملاً لكل ما يحتاج إليه العباد، وليكون هداية للناس إلى طريق الحق والخير، ورحْمة لهم بما سنَّ لهم من العدل والحق وغير ذلك، وبشرى للمسلمين الذين أسلموا وجوههم لله عَزَّ وَجَلَّ فأطاعوه وأنابوا إليه، وانقادوا له في أمره ونهيه، وأحسنوا القول والعمل، بالنعيم المقيم، والخير العميم، والأجر العظيم، والنصر العزيز والفوز المبين في الدنيا والآخرة[9].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 21.

(2) سورة النساء، الآية: 138.

(3) سورة التوبة، الآية: 3.

(4) عجز بيت من الوافر، لعمرو بن معد يكرب، وهو قوله: **وَخَيْلٍ قدْ دَلَفْتُ لَها بِخَيْلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ.**
يُنظر: نوادر أبي زيد: 150، وخزانة الأدب: 4/ 53.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 30.

(6) المفردات: 125.

(7) سورة النحل، الآية: 89.

(8) سورة الأحقاف، الآية: 12.

(9) التفسير الوسيط: 8/ 218، والتفسير المنير: 14/ 207، والتفسير البياني: 179، والمنتخب: 400، وأيسر التفاسير: 3/ 149.

ولما كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء انتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحْمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة[1]، فوعدهم ربهم بنعمة منه ﷻ، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[2].

قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخص بالذكر الهدى والرحمة والبشرى لأهميتها فالهدى ما يرجع من التبيان إلى تقويم العقائد والأفهام والإنقاذ من الضلال. والرحمة ما يرجع منه إلى سعادة الحياتين الدنيا والأخرى، والبشرى ما فيه من الوعد بالحسنيين الدنيوية والأخروية. وكل ذلك للمسلمين دون غيرهم لأن غيرهم لما أعرضوا عنه حرموا أنفسهم الانتفاع بخواصه كلها»[3].

ومن هنا نلاحظ أن البشرى يؤدي وظيفةً تَحفيزيةً كبيرةً على سبيل الترغيب لرفع معنويات المسلمين وتشجيعهم وحَثِّهم على الثبات والدوام على الحق والاستقامة، والسير على الطريق المستقيم والاستكثار من الطاعات وعمل الصالحات، وذلك من خلال الوعد بالخير العميم، والثواب الجزيل في الدارين لمن خضع لله ﷻ، وامتثل لما جاء في كتابه العزيز، بفعل المأمور وترك المحظور، والإحسان في العمل.

وبناء على ما سلف فإن البشرى حافزٌ على الرحْمة والثبات على اتباع وسائلها باستمرار، ومددٌ روحانيٌّ يقوي العزائم، ويشد القوائم، ويستحث الهمم، ويثبت الأقدام، ويدفع للعمل! ووعدٌ ربانيٌّ يغذي اليقين، ويبعث الأمل والتفاؤل والطمأنينة والانشراح في النفوس، ألا ييأسوا من رحْمة الله في الدنيا والآخرة، وهذا في حد ذاته رحْمة. وعليه تُعتبر البشرى فردا من أفراد الرَّحْمَة المقتصرة على المنتفعين بوسائلها بقرينة قوله ﷻ: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(1) قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح، والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة». تيسير الكريم الرحمن: 447.

(2) سورة التوبة، الآية: 21.

(3) التحرير والتنوير: 14/ 254.

المسلك العاشر: تفصيل

10.1 التفصيل في اللغة

التَفْصِيلُ: مصدر فَصَّلَ يُفَصِّلُ تَفْصِيلاً، بمعنى التبيين والتوضيح[1]، وهو مشتق من الفصل؛ والفَصلُ هو: «بَوْنُ ما بين الشَّيئين»[2]، أي: فصلُ الشيءِ عن الشيءِ حتى يباينه، «وكل شيء بانَ عَن شَيْء فقد فاصله»[3]، كالقضاء بين الحقِّ والباطِل. ومدار التفصيل في اللغة على التفريق[4]؛ يُقال: فَصَّلْتُ الشَّيْءَ تَفْصِيلاً، أي فرَّقتُه، بمعنى تَميّزه عن غيره مع تمامٍ أو ما هو من بابه وإِبانَته عنه: كتميّز كلٍّ من عُضوَيْ المَفْصِل، وكلٍّ من أعضاء الجَزور، ومنه تفصيل الشيء: تبيينه أي تمييز أجزائه وتوضيح جزئياته[5].

10.2 التفصيل في الاستعمال القرآني

ورد لفظ التفصيل بهذه الصيغة في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ خمسة منها مصدرا وموضع واحد اسم مفعول. وقد ذكر أهل التفسير وأصحاب الوجوه والنظائر أن التفصيل في القرآن الكريم على وجهين: أحدهما: التفريق، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾[6]، أي: متفرقات بعضها من بعض، متميزات الواحدة بعد الأخرى وواضحات[7]. والثاني: البيان، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَتَفْصِيلَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[8]، أي: بياناً لأحكامه وأوامره على النبي ﷺ وأمته، ومُفَصِّلاً لكلِّ ما يحتاج إليه العباد في دِينهم ودنياهم[9].

---

(1) المختار/ فصل.

(2) العين، والتهذيب/ فصل.

(3) الجمهرة/ فصل.

(4) نزهة الأعين النواظر: 212.

(5) المقاييس، والمعجم الاشتقاقي/ فصل.

(6) سورة الأعراف، الآية: 133.

(7) المعجم الاشتقاقي/ فصل، ونزهة الأعين النواظر: 212.

(8) سورة الأعراف، الآية: 145.

(9) نزهة الأعين النواظر: 212.

والناظر في هذين المعنيين يلاحظ أنهما متلازمان ومتواصلان، ذلك أن التفصيل يتم به التفريق بين شيئين أو أكثر قصد التمييز ومن ثَمَّ التبيين والتوضيح، ولهذا فإنهما عائدان إلى معنى التفصيل. وقد بسط العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ الكلامَ في هذه المسألة فقال: «والتفصيل: التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء. ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضا تسمية الإيضاح تبيينا وإبانة، فإن أصل الإبانة القطع. والمراد بالتفصيل الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة الدلالة على المقصود منها»[1].

وبهذا المعنى ورد التفصيل في الآيتين اللتين تعاطف فيهما مع لفظ (الرحْمة).

10.3 موارد العطف بين لفظي التفصيل و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ التفصيل في موضعين في القرآن الكريم وهما:

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[2].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[3].

ومن خلال هذين النصين نسجل الملاحظات التالية:

- تقدم لفظ التفصيل على لفظ (الرحْمة) في الآيتين الكريمتين.
- يشترك اللفظان في كونهما وردا في آيتين مكيتين، واصفين للتوراة.
- ورد اللفظان في كلا النصين نكرة، وأداة العطف فيهما هي الواو.
- لم يُجاور لفظ التفصيل لفظ «الرحْمة» مباشرة بل يفصلهما لفظ «الهدى» في كل الموارد.

---

(1) التحرير والتنوير: 7/ 260.

(2) سورة الأنعام، الآية: 154.

(3) سورة يوسف، الآية: 111.

يستدعي فصل القول في دلالة عطف (الرحْمة) على التفصيل استحضار مفهوم التفصيل[1] ومفهوم الهدى في الاستعمال القرآني، إضافة إلى ما جاء في كلام العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث نستنتج من خلال التأمل في ذلك كله أن التفصيل شرط لحصول الاهتداء، وسبق أن علمنا أن الهدى وسيلة لحصول الرَّحْمة، وعليه نخلص إلى أن التفصيل الذي هو تبيين بليغ وتوضيح لكل الحقائق التي من شأنها الاهتداء إلى سواء السبيل يُعتبر شرطاً ضرورياً لحصول الرَّحْمة أيضاً، ويقوي هذا انتظامُ الألفاظ الثلاثة على ترتيب متسق ونظم بديع بدءًا بالتفصيل، ثُمَّ (الهدى)، ثُمَّ (الرَّحمة)؛ أي من الشرط، ثم الوسيلة، ثم النتيجة والغاية! ومن هذا يدل على أن ثَمَّ تداخلاً وتكاملاً بين المفاهيم الثلاثة.

(1) يقول الألوسي: «﴿وَتَفْصِيلَ﴾ أي تبيين، ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ قيل: أي مما يحتاج إليه في الدين؛ إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط، وقال ابن الكمال: إن كُلٍّ للتكثير والتفخيم لا للإحاطة والتعميم كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 23]، ومن لم يتنبه لهذا احتاج إلى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين (...) و لم يدر أن عبارة التفصيل لا تتحمل هذا التأويل ورد بأنه متى أمكن حَمل كلمة (كل) على الاستغراق الحقيقي لا يحمل على غيره، والتخصيص مما لا بأس به على أنه نفسه قد ارتكب ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وكون عبارة التفصيل لا تتحمل ذلك التأويل في حيز المنع ومن الناس من حَمل (كل) على الاستغراق من غير تخصيص ذاهبا إلى أن في القرآن تبيين كل شيء من أمور الدين والدنيا وغير ذلك مما شاء الله تعالى ولكن مراتب التبيين متفاوتة حسب تفاوت ذوي العلم وليس ذلك بالبعيد عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد». روح المعاني: 7/ 69.

فالتفصيل بشكل عام هو التوضيح والبيان، وكل شيء مفصَّل، أي واضح، بيِّن، يقول المولى عَزَّوَجَلَّ في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: 12]. هذه الآية تفيد أن (كل شيء) قد فصّله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والإطلاق واضح في الآية، وليس محصورا في الآيات الكونية بدلالة السياق كما قد يُتَصوَّر، ولكن ليس التفصيل الجاهز إلى الحد الاقصى، بل هو البيان والوضوح الذي يهيئ لنا فرصة الاكتشاف. ولهذا قدَّر الله لكل شيء قانونا يسير عليه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 49]، والقدر هنا مفهوم واسع يصدق على كل شيء في هذا الوجود حسب نص الآية الكريمة، وهكذا، فكون كل شيء بقدر تفصيلاً وبياناً له. فالأشياء مفصَّلة إذن، أي هناك مداخل للدخول في عالمها، لاكتشافها، لملاحظتها ثم تسجيل معلوماتٍ وتصوراتٍ وأفكارٍ عنها؛ فكلما كان الأمر واضحاً مفصّلاً، دقيقاً منظَّماً، كان التعامل معه مريحاً بيّناً، وتنفيذه واضحاً مفهوماً، وبذلك يصلُ إلى الغاية المنشودة والهدف المقصود. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24].

المسلك الحادي عشر: العلم

11.1 العلم في اللغة

العِلْمُ: مصدر عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِلَ[1]؛ يُقَال: عَلِمْتُ الشَّيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عرفته. ورجل عَالِمٌ وعَلاَّمَةٌ، أي: عالِمٌ جدًّا، وأُدخلت التاء في علامة للمبالغة، كأنهم يريدون به داهيةً[2]، والله ﷻ هو العَلاَّمُ العَلِيمُ. وشيء معلوم: مَا أَدْرَكَه عِلْمُك[3]. وَيُقَال: تَعَلَّمْتُ الشَّيء، إذا عَلِمتُه، والعرب تقول: تَعَلَّمْ أَنَّه كذا، بمعنى اعْلَمْ[4]؛ قال قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لاَ يَرِيمُ[5].

ومدار العِلْمِ في اللغة على الظهور والدلالة، وهو مأخوذ حسياً من العَلَم[6]: وهو كلُّ شيءٍ يكون مَعْلَمًا، أي: علامة ودلالة، والمَعْلَم: الموضع الظاهر المعروف، خِلافُ المَجْهَلِ[7]. وأعلام الشيء دلائله، لأنها تدلُّ بظهورها عليه[8]؛ كما يدلُّ العَلَم في الصحراء على الاتِّجاهات، والطُرُق، والمَوَاقِع، وكما يُتَّخَذ الجَبَلُ عَلَمًا على مثل ذلك[9]، وسادات القَوْم: أعلامهم.

ومن ثَمَّ استُعمل العِلْمُ للدلالة على: إدراك الشيء على حقيقته، وذكر الراغب الأصفهاني أنه ضربان: «أحدهما: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه. فالأوّل: هو المتعدّي إلى مفعول واحد نحو: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، والثاني: المتعدّي إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: 10]»[10].

---

(1) العين/ علم.

(2) الصحاح/ علم

(3) الجمهرة/ علم.

(4)المجمل، والمقاييس/ علم.

(5) البيت من البسيط، وهو لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، يرثي مقتوله حَمل بن بدر، ديوانه: 33.

(6) والعَلَم: عَلَم الطَّرِيق، أي آثارها المستدلّ بها عليها، وَهُوَ كل ما يُنْصَبُ في الطّريق ليكون علامةً يُهْتَدَى بها، من الحِجَارَة وغيرها. والعَلَم أيضاً: الجَبَل الأشم، أو أعلى مَوضِع فيه، أو أعلى ما يلحقهُ البصرُ منه. ومنه قول الخنساء:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ. والجمع: الأعلام، ومنه قول الفرزدق :

قَالَ ابْنُ صَانِعَةِ الزُّرُوبِ لِقَوْمِهِ: لاَ أَسْتَطِيعُ رَوَاسِيَ الأَعْلاَمِ. يُنظر: العين، والتهذيب، والمقاييس، والأساس/ علم.

(7) المقاييس/ علم.

(8) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 340.

(9) المعجم الاشتقاقي/ علم.

(10) المفردات: 580.

11.2 مورد العطف بين لفظي العلم و(الرحْمة):

ورد لفظ العلم معطوفاً على لفظ (الرحْمة) في آيتين مكيتين؛ إحداهما في سورة الكهف، وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[1].

والثانية في سورة غافر، وهي قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[2].

جاءت الآية الأولى ضمن القصة الثالثة التي ذكرها الله ﷻ في سورة الكهف بعد قصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين والأموال، وكلها تلتقي في التزهيد بالدنيا وما فيها من نعيم خادع ومتاع زائل، ونبذ الافتخار والتكبر والتعالي على الآخرين بالمال والبنين، والإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واليوم الآخر، ليكون ذلك درسا بليغا وعظة وعبرة للذين كانوا يفتخرون على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار، ويستبعدون المستضعفين من الجلوس معهم في مجلس النبي ﷺ أنفةً وكبرياءً واستعلاءً[3]، وتنبيها على أن النبي لا يلزم أن يكون عالما بجميع القصص والأخبار؛ فالنبي موسى عليه السلام مع كثرة علمه[4]، وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى العبد الصالح الخضر وتواضع له لأجل طلب ما لم يُؤتَ من العلم، فدل ذلك على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه[5].

---

(1) سورة الكهف، الآية: 62 - 66.

(2) سورة غافر، الآية: 7- 9.

(3) صفوة التفاسير: 2/ 180، والتفسير الوسيط للزحيلي: 2/ 1441.

(4) وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك. تيسير الكريم الرحمن: 482.

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 4/ 444.

فوصف الله ﷻ عبده الصالح الذي قصده موسي متعلماً بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، أي وجد موسى عليه السلام وفتاه عند الصخرة التي استراحا عليها، ونسيا الحوت عندها، عَبْداً كاملاً في العبودية والعرفان من خُلَّص عباد الله الصالحين وخيارهم[1]، أُوتي نعمةً عظيمةً وفضلاً كبيراً؛ ومنها الكرامات التي أظهرها الله على يديه، فكان بتلك الرَّحْمَة[2] مرحوما، وراحِماً على عباد الله؛ إذ يفعل ما يكون فيه صالحهم قابلاً، وإن لم يعلموه عاجلاً. وعَلَّمَهُ الله ﷻ من لدُنه عِلْماً خاصاً استأثر به، لا يُعلم إلا بتوفيقه وهو العلم بعواقب الأمور، بالإدراك الباطني، الذي يتحصل بلا وسائل الكسب والتعلم والطلب والاستفادة بل بطريق التوفيق والإلهام دون التكلف بالتَّطلُّب[3].

---

(1) والمراد بالعبد حسب أقوال جمهور المفسرين، وما دلت عليه الأحاديث الصحيحة: هو الخَضِرُ عليه السلام، ووصفُه بأنَّهُ من عباد الله تشريف له، كما في قوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسْرَاء: 1]، وعدل عن الإضافة إلى التَّنكير والصِّفة لأنَّه لَم يسبِقْ ما يقتضِي تعريفَه. ولا ريب أن هذا الوصف يضفى على صاحبه من الألطاف الربانية ما يرفع مقامه إلى أعلى عليّين، حيث يشهد من عالم الغيب ما لم يظهر الله سبحانه عليه أحدا إلا من ارتضى من عباده؛ فإذا سمى الله إنسانا بأنه عبده جعله من الخواص. يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: 8/ 551، والتفسير القرآني للقرآن: 8/ 651.

(2) اختلف المفسرون في معنى الرحْمة الواردة في هذه الآية التي نحن بصددها، فقيل: معناه: الوحي، والنبوة؛ يدل عليه قوله ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]، وقوله ﷻ في نهاية هذه القصة؛ على لسان الخضر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: 82]، أي إنما فعلت ما فعلت بوحي من الله تعالى. وقيل: إنها الولاية، وكشف الحجاب. وقيل المراد بها: الرزق الحلال والعيش الرغد. وقيل: العزلة عن الناس وعدم الاحتياج إليهم. وقيل: طول الحياة مع سلامة البنية. والذي أراه ويقتضيه السياق والمقال: أنها كل خير وبركة أعطاها الله إياه من الحكمة والشفقة، فصار بها مَرْحُومًا، وذلك بأن رفق الله به في أحواله، أو صار سببَ رَحْمَةٍ بأن صرَّفه تصرُّفًا يجلب الرَّحْمَةَ العامَّةَ؛ كالتي كانت منه على أهل السفينة؛ بخرقها، وقتل ذلك الغلام الذي قتله؛ إشفاقًا منه على والديه أو على الناس، وإقامة الجدار الذي كاد أن ينقض فأقامه، وأمثاله... يُنظر: أوضح التفاسير: 1/ 360، وتأويلات أهل السنة: 7/ 195، وروح المعاني: 8/ 302.

(3) وقد وازن بعض المفسرين بين علم موسى عليه السلام، وعلم العبد الصالح الخضر، فقال: علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، أي ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها. وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم. والحق أنه يضاف إلى ذلك أن علم الخضر علم الأسباب في بواعثها، وعلم موسى علم الأسباب في واقعها، كما جاء ذلك في المجاوبة التي كانت بينهما. يُنظر: زهرة التفاسير: 9/ 4559، ولطائف الإشارات: 2/ 407، والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 1/ 486، وفي ظلال القرآن: 4/ 2279.

قال العلامة محمد علي الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى ويسمى (العلم اللدُنِّي) يورثه الله لمن أخلص العبودية له، ولا ينال بالكسب والمشقة وإنما هو هبة الرحمن لمن خصَّه الله بالقرب والولاية والكرامة»[1].

والتنكير في «عَبْداً» للتفخيم، والإضافة في «عِبادِنَا» للتشريف والتكريم والاختصاص، أي عبداً جليلَ الشأن ممن اختص بنا وشرف بالإضافة إلينا. وفي قوله «مِنْ لَدُنَّا عِلْماً» تفخيم لشأن ذلك العلم وتعظيم له[2]. و(عِنْدَ) و(لَدُنْ) كلاهُما اسم مكانٍ قريب، ويُستعملانِ مجازًا في اختصاصِ المضافِ إليه بموصوفِهما. و(مِن) ابتدائِيَّةٌ، أي آتيْناه رَحْمَةً صدرت من مكان القربِ، وهو قربُ تشريفٍ بالانتسابِ إلى اللهِ، وعلمًا صدر منه أيضًا، فالعندية واللدنية من الله مباشرة[3].

أما الآية الثانية فجاءت في معرض الكلام عن محبة الملائكة حملة العرش للمؤمنين ودعائهم الخاشع المنيب لهم، حيث توسلوا إلى الله ﷻ بالثَّناءِ له بربوبيته في قولهم: ﴿رَبَّنَا﴾، لأنه أدخَل في التضرُّع وأرجى للإجابة، وبسعة رَحْمَتِه وعِلْمِه في قولهم: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، لأن سَعَةَ الرَّحْمةِ مما يُطمِع باستجابة الغُفران، وذلك أنّ الرَّحْمَةَ إشارةٌ إلى أنَّ جانبَ الخيرِ والإحْسانِ راجحٌ على جانبِ الضُّرِّ، وأن الله ﷻ إنَّما خلق الخلق للرَّحْمَةِ والخيرِ، لا للإضرارِ والشَّرِّ، وأما سَعَةَ العلمِ فتتعلَّقُ بثبوتِ عِلم الله ﷻ بجميع المعلوماتِ الَّتي لا نهاية لها من الكُلِّيّاتِ والجُزْئِيّاتِ؛ لأنه إذا جاز أن يخرجَ عن عِلمِه بعضُ الأشياءِ، فعلى هذا التَّقديرِ لا يعرفُ هذا الدّاعي أنَّ الله ﷻ يَعْلَمُهُ ويَعْلَمُ دُعاءَه[4]. وفي ذلك إشارة إلى أن الرحمة الواسعة والعلم الشامل يقتضيان أن ينال هؤلاء الفوز العظيم والقسط الأعلى من الرضوان[5]؛ أي كأن المَلائِكَةَ قالوا: بمقتضى سَعَة رحْمتك وعلمك ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾[6].

---

(1) صفوة التفاسير: 2/ 182.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن: 8/ 79، وفتح القدير: 3/ 354، والمنتخب: 437.

(3) التحرير والتنوير: 15/ 369.

(4)التحرير والتنوير: 24/ 90.

(5) روح المعاني: 12/ 301.

(6) نظم الدرر: 17/ 13، والتفسير الوسيط: 12/ 265.

وقد كان مقتضى الظاهر في تركيب الآية ونظمها أن يُقال: وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمتُكَ وعِلْمُكَ، لأن الأصل في المعنى: أن الرَّحْمَةَ والعِلْمَ هُما اللذان وَسِعَا كلَّ شيء، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أُسند الفعلُ إلى صاحب الرَّحْمةِ والعِلمِ، وأُخرجا منصوبين على التَّمييز والتَّفسيرِ للإغراق والمبالغة في وصفه ﷻ بالرحْمة والعلم[1]؛ كأن ذاتَه رحْمةٌ وعلمٌ واسعان كلَّ شيء[2].

والملاحظ – من خلال النظر في مبنى الآيتين – أن لفظ (الرحْمة) تقدم على لفظ العلم، وأسندت الأفعال الواقعة على لفظي الرحمة والعلم إلى الله ﷻ وهي الإتيان والتعليم والسعة، وهذا النظم الجليل له معنى ودلالة كشف عنها بعض المفسرين، نبين ذلك فيما يلي:

11.3 دلالة التعاطف بين لفظي العلم و(الرحْمة) في الآيتين عند المفسرين:

يرشدنا معنى الآية الأولى إلى أن الرحْمة أصل للعلم، والأصل مقدم على الفرع، ولهذا اقتضى الترتيب الحكيم أن تُقَدَّمَ الرحْمةُ على العلم تنبيهاً على أن الرحْمةَ أساسُ العلم؛ فإذا غابت الرحْمة انعدم العلم، وسكن الجهلُ القلبَ وإن سُمِّيَ باسم العلم، وذلك أن الرحمة أساس كل خير ينال الإنسان، والعلم جزء منه يستمد قوته من أرحم الراحمين، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ التزكية، لا تتأتى إلا برحمة من الله، قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[3].

---

(1) قال العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجيء في وصفه تعالى بالرحمة الواسعة والعلم الواسع بأسلوب التمييز المحول عن النسبة لما في تركيبه من المبالغة بإسناد السعة إلى الذات ظاهرا حتى كأن ذاته هي التي وسعت، فذلك إجمال يستشرف به السامع إلى ما يرد بعده فيجيء بعده التمييز المبين لنسبة السعة أنها من جانب الرحمة وجانب العلم، وهي فائدة تمييز النسبة في كلام العرب، لأن للتفصيل بعد الإجمال تمكينا للصفة في النفس كما في قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]. والمراد أن الرحمة والعلم وسعا كل موجود، الآن، أي في الدنيا وذلك هو سياق الدعاء كما تقدم آنفا، فما من موجود في الدنيا إلا وقد نالته قسمة من رحمة الله سواء في ذلك المؤمن والكافر والإنسان والحيوان. وكل شيء كل موجود، وهو عام مخصوص بالعقل بالنسبة للرحمة، أي كل شيء محتاج إلى الرحمة، وتلك هي الموجودات التي لها إدراك تدرك به الملائم والمنافر والنافع والضار، من الإنسان والحيوان، إذ لا فائدة في تعلق الرحمة بالحجر والشجر ونحوهما. وأما بالنسبة إلى العلم فالعموم على بابه قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: 14]. ولما كان سياق هذا الدعاء أنه واقع في الدنيا كما تقدم اندفع ما عسى أن يقال إن رحمة الله لا تسع المشركين يوم القيامة إذ هم في عذاب خالد فلا حاجة إلى تخصيص عموم كل شيء بالنسبة إلى سعة الرحمة بمخصصات الأدلة المنفصلة القاضية بعدم سعة رحمة الله للمشركين بعد الحساب. وتفرع على هذه التوطئة بمناجاة الله تعالى ما هو المتوسل إليه منها وهو طلب المغفرة للذين تابوا لأنه إذا كان قد علم صدق توبة من تاب منهم وكانت رحمته وسعت كل شيء فقد استحقوا أن تشملهم رحمته لأنهم أحرياء بها». التحرير والتنوير: 24/ 90.

(2) الكشاف: 4/ 153، ومدارك التنزيل: 3/ 201، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 227، وروح المعاني: 12/ 301.

(3) سورة النور، الآية: 21.

أما بالنسبة للآية الثانية، فيرى بعضُ المفسرين[1] أن تقديم الرَّحْمَة على العلمِ هو المقصود بالذات في هذا المقام؛ فالمطلوب هو أن يرحم الله المؤمنين، والرحمة هنا تتضمن المغفرةَ، والوقاية من السَّيِّئَاتِ، ودخول الجنة...؛ فكأنهم قالوا: «ربنا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الدين»[2].

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الآيةِ دقيقةٌ أخرى، وهي أنَّ الملائكةَ قدَّموا ذكرَ الرَّحْمَةِ على ذكرِ العِلْمِ فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ وذلك لأنَّ مطلوبَهم إيصالُ الرَّحْمَةِ وأن يتجاوزَ عمَّا عَلِمَهُ منهم من أنواعِ الذُّنوبِ، فالمطلوبُ بالذَّاتِ هو الرَّحْمَةُ، والمطلوبُ بالعرضِ أن يتجاوز عَمّا عَلِمَهُ مِنهم، والمطلوبُ بالذَّاتِ مُقَدَّمٌ على المطلوبِ بالعرضِ (...) فكذا هاهنا المطلوبُ بالذَّاتِ هو الرَّحْمَةُ، وأمّا التَّجاوُزُ عَمّا عَلِمَهُ منهم من أنواعِ الذُّنُوبِ فَهو مطلوبٌ بالعَرضِ؛ لأجْلِ أنَّ حصولَ الرَّحْمَةِ على سبيلِ الكمالِ لا يَحصلُ إلا بالتَّجاوُزِ عن الذُّنُوبِ، فلهذا السَّبَبِ وقع ذكرُ الرَّحْمَةِ سابقًا على ذكرِ العِلمِ»[3].

ومجمل القول، تبين من خلال ما سبق أن الرحْمَةَ والعِلْمَ مفهومان متلازمان في شؤون الله التدبيرية والتكليفية[4]، ذلك لأن العلمَ بدون رحْمة يؤدي إلى مهالك، والرحْمة بدون علم تظل مجرد عاطفة بلا عمل. وعليه فلابد للعلم أن ينبني على أساس الرحْمة، كما ينبغي للرحْمة أن تنتظم بنظام العلم وقواعده، لهذا وسع ربُنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلَ شيء رَحْمَةً وعِلْماً ليحصل التوازن في كل شيء تدبيراً وتكليفاً. ولذلك كانت رسالة الرسول محمَّد ﷺ مبنية على الرَّحْمةِ، ومحاطة بالعلم، لأنه إنما بُعث رَحمَةً للعالمين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[5].

---

(1) كالنسفي، وأبي السعود، والقِنَّوجي، والنيسابوري، وابن عاشور.

(2) للتفصيل، يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 5/ 52، وإرشاد العقل السليم: 7/ 267، وفتح البيان: 12/ 164، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 24.

(3) مفاتيح الغيب: 27/ 491.

(4) فأما الشؤون التدبيرية فتتضمن: الشؤون المتعلقة بالخلق والتكوين، والشؤون المتعلقة بالحكم والقضاء، والشؤون المتعلقة بالتدبير والتصريف، ويشهد لهذا المفهوم من قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرَّحْمٰنُ: 1- 4]، وقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7]. وأما الشؤون التكليفية فهي تتعلق بتكاليف العباد من الملائكة، والنبيين، والصالحين، وغيرهم، كما في قوله ﷻ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: 65].

(5) سورة الأنبياء، الآية: 107.

المسلك الثاني عشر: آية

12.1 الآية في اللغة

الآيَةُ: مشتقة من التأيي. ومدارها في اللغة على العلامة الدالة على الشيء[1]؛ قال الشاعر:

أَلاَ أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بِآيَةِ مَا تُحِبُّونَ الطَّعَامَا[2].

وهذا المعنى مأخوذ حسيا من العلامة الظاهرة على الطريق، ثم استعيرت للدلالة على الحجج الواضحة والأدلة الصادقة للمعلومات الدقيقة باعتبارها علامة على ذلك[3]، كما قال النبي ﷺ: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**[4].

من هنا نخلص إلى أن الآية في المعاجم اللغوية قد استعملت بمعنى «العلامة الظاهرة الملازمة للشيء حسياً كان أو معنوياً»[5]. ومن نفس المأخذ الذي أخذ منه هذا المعنى اللغوي، أخذ معنى الآية في الاصطلاح العام، فصارت تطلق على الجزء المركب من القرآن من حيث إنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدّى بها[6].

12.2 الآية في الاستعمال القرآني

ورد لفظ الآيَة في القرآن الكريم في ثلاثة وثمانين وثلاثمائة موضع، كلها بالصيغة الاسمية، ست وتسعين ومائتي مرة منها جمعاً، ومرة مثنى، وست وثمانين مرة مفرداً. ويفيد تتبع اللفظ في نصوصه أنه حيثما ورد بصيغة الجمع، فإن معناه ينصرف إلى المعنى الاصطلاحي الدال على الجزء المركب من القرآن الكريم، كما جاء في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾[7]. أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم[8].

---

(1) العين، والجمهرة، والصحاح، واللسان/ أيا، والمقاييس/ أيّ.

(2) اليت من الوافر، وهو ليزيد بن عمرو بن الصعق يعير بني تَميم بحب الطعام، خزانة الأدب: 512/6.

(3) قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والآية: هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات». المفردات/ أي.

(4) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم: 33.

(5) مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف: 71.

(6) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 76.

(7) سورة يوسف، الآية: 1.

(8) فتح القدير: 3/ 6.

وحيثما ورد مفرداً أو مثنى، فإن معناه ينصرف إلى معنى العلامة أو المعجزة، نَحو قوله ﷻ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾[1]. أي وإن يشاهدوا ويبصروا كل علامة ومعجزة دالة على صدق الرسول ﷺ؛ كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتكثير القليل من الطعام وما أشبه ذلك، لا يُؤْمِنُوا بِها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم[2]. وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾[3]، أي: علامتين دالتين على أن الله ﷻ هو الرب المستحق أن يُعبَد وحده، ولا يُشرك معه غيره[4].

وتجدر الإشارة هٰهنا إلى أن الآية حيثما وردت بمعنى العلامة الظاهرة أو المعجزة، فإنها تكون إما آية نعمة ورحْمة وإما آية نقمة واستئصال.

12.3 مورد العطف بين لفظي الآية و(الرحْمة):

وقد ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الآية في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله ﷻ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[5]. وهذه الآية الكريمة جاءت في معرض الكلام عن خلق سيدنا عيسى عليه السلام حيث خلقه الله ﷻ بلا أب ليجعله ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي علامةً وبرهاناً للنَّاسِ جميعهم يستدلون به على كمالِ قدرة الله ﷻ على البعثِ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ عظيمة مِنه ﷻ لمن آمن به في أوَّلِ زمانه، ولأكثر الخلق بالإيمان والإنجاءِ من المِحنِ في آخرِ زمانه، لا كآيةِ صالحٍ عليه السلام لأنَّها كانت آيةَ اسْتِئْصالٍ لأهلِ الضَّلالِ[6].

ولما كان عيسى عليه السلام آية نعمة ورحْمة للناس، كان عطفُ الرَّحْمة عليها هنا بياناً وتوكيداً لجنسها، كما أن الآية باعتبارها جزءاً من القرآن الكريم الذي هو وسيلة لحصول الرحْمة، فهي أداة من الأدوات الإعجازية التي يوظفها القرآن الكريم في تبليغ رسالته التي من تَمسك بِها من العباد فاز برَحْمَة ربه جَلَّوَعَلَا، ومن ثَمَّ فإن الآية فرع من فروع الرَّحْمَة الإلَهية، ووسيلة لَها.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 146.

(2) روح المعاني: 4/ 119.

(3) سورة الإسراء، الآية: 12.

(4) أضواء البيان: 3/ 55.

(5) سورة مريم، الآية: 21.

(6) روح المعاني: 8/ 397، وفتح البيان: 8/ 149،

المسلك الثالث عشر: مودة

13.1 المودة في اللغة

المَودّة: مصدر وَدَّ يَوَدُّ وُدًّا ومَوَدَّةً، بمعنى المَحبَّة[1]؛ يُقال: وَدِدْتُ الرَّجلَ مَوَدَّةً: إذا أحببته. قال الشاعر:

وَأَتَى صَوَاحِبُهَا فَقُلْنَ هَذَا الَّذِي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرَنَا وَجَفَانَا[2].

والوُدُّ والوِدَادُ: الحب والصداقة، وَهُوَ وَدِيدُ فُلانٍ، أَيْ حبيبه، يُحِبُّهُ[3]. وقال ابن سيده: «الود: الحب يكون في جَميع مداخل الخير»[4]، ثُمَّ استعير للتَّمَنِّي، فيُقال: وَدَّ فلان أن الأمر وقع: إذا تَمنَّى وُقوعه، ويَوَدُّ فلانٌ لو فعل الشيء: يتمنى لو فعله[5]، قال الشَّاعِرُ:

وَدَّ الْمُصَدِّقُ مِنْ بَنِي غُبَرَ أَنَّ الْقَبَائِلَ كُلَّهَا غَنَمُ[6].

وجاء أيضاً في قوله ﷻ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[7]، أي يتمنى أن يعيش طويلاً. وقد جمع الراغب بين المعنيين في المفردات قال: «الودّ: محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ»[8].

13.2 المودة في الاستعمال القرآني

ورد من مادة «ودد» في القرآن الكريم تسع وعشرون مرة: مرةً عَلَمًا «وَدًّا»، وسبع مراتٍ مصدراً «مَوَدَّة»، ومرتين صيغة مبالغة «وَدُود»، ومرةً اسمًا بصيغة «وُدّ». وسبع عشرة مرة فعلاً من الثلاثي المجرد؛ سبع مرات منها ماضياً، وعشر مرات مضارعاً.

---

(1) العين، والمقاييس/ ودد.

(2) البيت من الكامل، وهُو لِجميل بن معمر، لقب بجميل بُثَيْنَة لحبه الشديد لها، ومعنى البيت: جاءه صواحب حبيبته، فقلن مشيرات إليه، ومستفهمات عنه: أهذا الذي أعطى المحبة غيرنا، وأعرض عنا؟ أي: بئس المحب وبئس ما فعل. ديوانه: 196.

(3) المقاييس/ ودد.

(4) المحكم/ ودد.

(5) شمس العلوم: 11/ 7038، والتاج/ودد.

(6) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة، ويذكر الشاعر فيه مُصَدِّقًا كان ساعيًا عليهم. التهذيب، والأساس/ صدق.

(7) سورة البقرة، الآية: 96.

(8) المفردات/ ودد.

وبالنظر إلى هذه الموارد نَجد أن للفظ المَوَدَّة في الاستعمال القرآني ثلاثة معان هي: المَحَبَّة، والتمني، والمُوالاة؛ فحيثما ورد مصدراً كان بمعنى المحبة، وحيثما ورد فعلاً كان بمعنى التمني إلا في موضع واحد دل على الموالاة.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ في المفردات: «وفي المودّة التي تقتضي المَحَبَّة المجرّدة في قوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾[2]، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[3]، فالودود يتضمّن ما دخل في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[4]، (...) ومن المودّة التي تقتضي معنى التَّمَنِّي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾[5]، (...) وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[6]، فنهي عن موالاة الكفّار وعن مظاهرتهم، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[7]، أي: بأسباب المحبّة من النّصيحة ونحوها»[8].

13.3 مورد العطف بين لفظي المودة و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ المودة في آية واحدة في كتاب الله وهي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[9].

---

(1) سورة الشورى، الآية: 23.

(2) سورة البروج، الآية: 14.

(3) سورة هود، الآية: 90.

(4) سورة المائدة، الآية: 54.

(5) سورة آل عمران الآية: 69.

(6) سورة المجادلة، الآية: 22.

(7) سورة الممتحنة، الآية: 1.

(8) المفردات: 860، ونقل عنه الفيروزآبادي بتصرف في كتابه بصائر ذوي التمييز: 5/ 184.

(9) سورة الروم، الآية: 21.

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن واحدة من أهم فعاليات سنة الحياة البشرية وهي الزواج الذي رَسَمَه القرآن الكريم على أنه آية من آيات اللهِ الباهِرةِ الدَّالَّةِ على آثار الله ﷻ في نظام عالم الوجود، وأنّ الرابطة التي أرادها الله ﷻ أن تكون حاضنة لهذا الزواج تشكّلت من مكونين أساسين، هما: المَوَدَّة والرَّحْمَة، فجعل الله الهدف من الزواج الاطمئنان والسكن، وهذا الاطمئنان أو السكن ينشأ من أن هذين الجنسين يكمل بعضهما بعضاً، وكل منهما أساس النشاط والنماء لصاحبه، بحيث يعد كل منهما ناقصاً بغير صاحبه، فمن الطبيعي أن تكون بين الزوجين مثل هذه الجاذبيّة القوية. ولهذا جاء في التعبير الربّاني البليغ قولُه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ وليس (وجعل لكم)، وذلك ليدل على أن المسألة تبادلية، أي: يتبادلها الزوجان ولا يمكن أن تكون من طرف واحد، فهي توادٌّ وتراحمٌ، كما ورد في الحديث الشريف من قوله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[1].

ونستخلص من أقوال بعض المفسرين[2] الفرقَ بين المَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ، وهو أن المودة هي الباعثة على الارتباط في بداية الأمر بين الزوجين، ولكن حين يضعف أحد الزوجين تأخذ الرَّحْمَةُ مكان المودة وتحلّ محلها، والمودّة، غالباً ما يكون فيها تقابل بين الطرفين، فهي بمثابة الفعل ورد الفعل، غير أن الرحمة قد تكون من جانب واحد، نابعة من إيثارٍ وعطف ولا يلزم فيها المقابلة بين الطرفين، لأنّه قد لا يحتاج إلى الخدمات المتقابلة أحياناً، فأساس بقاء المجتمع هو المودة ولكن قد يحتاج إلى الخدمات بلا عوض، فهو الايثار والرحْمة. فالمودة مطلوبة في السراء والرحْمة في الضراء[3]؛ ولعل هذه هي حكمة اجتماع الكلمتين في أمر الزواج، وفيها إشارة إلى أن الزوجين سيواجهان صعوبات الحياة معاً، وسيعيشان أياماً يسيرة سارّة وأياماً عسيرة محزنة.

فالمودة إذن، فرع من الرحْمة وتكون في حالات التفاهم والاستقرار ثُمَّ تُفضي إلى الرَّحْمَةِ في حالات الشدائد والمشاكل. وعليه، فإن عطف الرحمة على المودة من عطف الأصل على الفرع.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: 2586.

(2) ينظر: روح المعاني: 11/ 32، وإعراب القرآن للنحاس: 3/ 183، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 12/ 495.

(3) وتتجلى **المَوَدَّةُ** في: اللين، والبشاشة، والمؤانسة، والبساطة، والتواضع، والصفاء، والرقة، والألفة، وإظهار الميل، والرغبة، والانجذاب، والتعبير عن الاشتياق، وفي ذلك اكتمال السرور والانشراح والبهجة. أما **الرَّحْمَة** فتتجلى في: التسامح، والمغفرة، وسعة الصدر، والتفهّم، والتنازل، والعطف، والشفقة، والاحتواء، والحماية، والصبر، وكظم الغيظ، والسيطرة على الغضب، والعطاء بلا حدود وبدون مقابل، والتحمّل، والتجرّد من الأنانية والغرور، وذلك ذروة سنام الحب.

المسلك الرابع عشر: موعظة

14.1 الموعظة في اللغة

المَوْعِظَةُ: مصدر ميميّ على وزن مَفْعِلة من وعَظَ يَعِظُ عِظَةً ومَوْعِظَةً، ومعناه في اللّغة: التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[1]؛ يُقال: وَعَظْتُ الرّجلَ فاتَّعَظَ، أي قبِلَ المَوْعِظَةَ، وهو تذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[2].

وأصل هذا المعنى في اللغة «النُصْح والتذكير بالعواقب»[3]، وهو مأخوذ من التخويف[4]، واستُعمل في الزجر عما له عواقب سيئة، ومنه قول محمد حسن جبل رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف الوعظ بأنه: «**كلام أو عمل يُنَبَّه به الإنسانُ إلى عواقب ما يفعله أو ما هو مُقْدِم عليه ليتوقَّفَ عنه**»[5]، ثم عُمِّم في الحضّ على ما له ثواب، ومنه عرف القاضي عبد النبي الأحمد نكري رَحِمَهُ اللَّهُ الموعظة بقوله: «**تليين القلوب القاسية وتدميع العيون الجامدة وإصلاح الأعمال الفاسدة**»[6].

14.2 الموعظة في الاستعمال القرآني

وردت مادة «وعظ» في القرآن الكريم من خلال ثلاثة مشتقات في خمسة وعشرين موضعاً: مرة اسم فاعل «واعظ»، وتسع مرات مصدر «مَوْعِظَة»، وخمس عشرة مرة فعلاً من الثلاثي المجرد؛ مرة ماضياً، واثنتي عشرة مرة مضارعاً، ومرتين أمراً.

ويتبين من خلال التتبع لموارد لفظ الموعظة في القرآن الكريم أنه استعمل في مخاطبة وجدان الإنسان وأحاسيسه ومشاعره بمعنى التذكير والتنبيه تارة، وبمعنى الترهيب والزجر تارة أخرى؛ فالمعنى الأول: يتجه نَحو التذكير بالخَيْرِ بِما يرِقُّ لَهُ القَلبُ ويستثير أحاسيسه الخيرة ويوقظها[7]، أما المعنى الثاني: فيتجه أساسا نَحو الترهيب من الشرِّ، والتحذير من مغبة الانحراف وسوء العواقب[8].

---

(1) العين، والتهذيب، والمقاييس/ وعظ.

(2) المحكم، والفرق بين الضاد والظاء/ وعظ.

(3) الصحاح، والمختار، واللسان/ وعظ.

(4) المقاييس، وعمدة الحفاظ/ وعظ.

(5) المعجم الاشتقاقي/ وعظ.

(6) دستور العلماء: 3/ 265.

(7) البحر المحيط: 1/ 388.

(8) التحرير والتنوير: 1/ 546.

فمما جاء في معنى التذكير والتنبيه ترغيباً، قوله ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

ومما جاء في معنى الترهيب والزجر ترهيباً، قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾[2].

وانطلاقا مما سبق من هذه المعاني استخلص الشيخ عبد الرحمن الميداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى كليا جامعا، فعَرَّف الموعظة بأنها: «**الترغيب بالعاقبة الحسنة، والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة، والشقاوة والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربه، بشرط عرضها بأسلوبٍ حسنٍ جميلٍ مقبولٍ لا تنفر منه الطباع السوية**»[3].

14.3 مورد العطف بين لفظي الموعظة و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الموعظة في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[4].

وردت الآية الكريمة في سياق التعريف بشأن القُرْآن العَظِيمِ وهديه، وبيان ما فيه من المنافع الصالحة؛ فوصفه الله ﷻ بأربع صِفاتٍ شَرِيفَةٍ: أوَّلُها: كونُه مَوْعِظَةً من عندِه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وثانيها: كونُه شِفَاءً لما في الصدورِ، وثالثُها: كونُه هُدًى، ورابعُها: كونُه رَحْمَةً للمؤمنين. ولكلٍّ واحِدٍ من هذه الصِّفَاتِ فائدةٌ مخصوصةٌ، ولترتيبها سرٌّ مكنونٌ، نحاول الكشف عن كل ذلك في ما يلي:

(1) سورة هود، الآية: 120.

(2) سورة البقرة، الآية: 275.

(3) فقه الدعوة إلى الله: 609/1.

(4) سورة يونس، الآية: 57- 58.

يقول القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ[1] في تفسير هذه الآية: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أي: تَزْكِيَةٌ لِنُفُوسِكم بِالوَعْدِ والوَعِيدِ، والإنذارِ والبِشارَةِ، والزَّجْرِ عن الذُّنُوبِ المُوَرِّطَةِ في العِقابِ، والتَّحْرِيضِ على الأعمالِ المُوجِبَةِ لِلثَّوابِ، لتعمَلُوا على الخَوفِ والرَّجاءِ ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، أي القُلُوبِ مِن أمْراضِها، كالشَّكِّ والنِّفاقِ، والغِلِّ والغِشِّ، وأمْثالِ ذَلِكَ، بِتَعْلِيمِ الحَقائِقِ، والحِكَمِ المُوجِبَةِ لِلْيَقِينِ، وتَصْفِيَتِها بِقَبُولِ المَعارِفِ، والتَّنَوُّرِ بِنُورِ التَّوْحِيدِ ﴿وَهُدٗى﴾، أيْ لِنُفُوسِكم مِنَ الضَّلالَةِ ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي لِمَن آمَن به، بالنَّجاةِ مِن العذابِ والارْتِقاءِ إلى دَرَجاتِ النَّعِيمِ»[2].

نستفيد من هذا النص، أن هذه الصفات الأربع هي أصول كمال القرآن وخصائصه، وتشرح وتُبيِّن أربع مراحل من مراحل تربية وتكامل الإنسان في ظل القرآن الكريم[3]، بدءا بمرحلة الموعظة والنصيحة، فمرحلة تطهير روح الإنسان من مختلف أنواع الرذائل الأخلاقية، فمرحلة الهداية التي تجري بعد مرحلة التطهير، فمرحلة الرّحْمة وهي: المرحلة التي يصل فيها الإنسان إلى أن يكون لائقاً لأن تشمله رحْمة الله عَزَّوَجَلَّ. وكل مرحلة من هذه المراحل تأتي بعد المرحلة السابقة لها.

---

(1) هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الادب. الأعلام: 2/ 135.

(2) محاسن التأويل: 6/ 35، ويُنظر أيضاً: روح المعاني: 6/ 164.

(3) يوضح العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة فيقول: «وقد أوْمَأ وصفُ القرآنِ بالشِّفاء إلى تَمثيلِ حالِ النُّفُوسِ بالنِّسبةِ إلى القرآنِ، وإلى ما جاء به بحالِ المُعْتَلِّ السَّقِيمِ الَّذِي تَغَيَّرَ نظامُ مِزاجِهِ عَنْ حالَةِ الاسْتِقامَةِ فَأصْبَحَ مُضْطَرِبَ الأحْوالِ خائِرَ القُوى فَهو يَتَرَقَّبُ الطَّبِيبَ الَّذِي يُدَبِّرُ لَهُ بالشِّفاءِ، ولا بُدَّ لِلطَّبِيبِ مِن مَوْعِظَةٍ لِلْمَرِيضِ يُحَذِّرُهُ بها مِمّا هو سَبَبُ نَشْءِ عِلَّتِهِ ودَوامِها، ثُمَّ يَنْعَتُ لَهُ الدَّواءَ الَّذِي بِهِ شِفاؤُهُ مِنَ العِلَّةِ، ثُمَّ يَصِفُ لَهُ النِّظامَ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ سُلُوكُهُ لِتَدُومَ لَهُ الصِّحَّةُ والسَّلامَةُ ولا يَنْتَكِسَ لَهُ المَرَضُ، فَإنْ هو انْتَصَحَ بِنَصائِحِ الطَّبِيبِ أصْبَحَ مُعافًى سَلِيمًا وحَيِيَ حَياةً طَيِّبَةً لا يَعْتَوِرُهُ ألَمٌ ولا يَشْتَكِي وصَبًا، وقَدْ كانَ هَذا التَّمْثِيلُ لِكَمالِهِ قابِلاً لِتَفْرِيقِ تَشْبِيهِ أجْزاءِ الهَيْئَةِ المُشَبَّهَةِ بِأجْزاءِ الهَيْئَةِ المُشَبَّهِ بِها، فَزَواجِرُ القُرْآنِ ومَواعِظُهُ يُشَبَّهُ بِنُصْحِ الطَّبِيبِ عَلى وجْهِ المَكْنِيَّةِ، وإبْطالُهُ العَقائِدَ الضّالَّةَ يُشَبَّهُ بِنَعْتِ الدَّواءِ لِلشِّفاءِ مِنَ المَضارِّ عَلى وجْهِ التَّصْرِيحِيَّةِ، وتَعالِيمُهُ الدِّينِيَّةُ وآدابُهُ تُشَبَّهُ بِقَواعِدِ حِفْظِ الصِّحَّةِ عَلى وجْهِ المَكْنِيَّةِ، وعُبِّرَ عَنْها بِالهُدى، ورَحْمَتُهُ لِلْعالَمِينَ تُشَبَّهُ بِالعَيْشِ في سَلامَةٍ عَلى وجْهِ المَكْنِيَّةِ. (...) ثُمَّ إنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ تَشْبِيهَ شَأْنِ باعِثِ القُرْآنِ بِالطَّبِيبِ العَلِيمِ بِالأدْواءِ وأدْوِيَتِها، ويَقُومُ مِن ذَلِكَ تَشْبِيهُ هَيْئَةِ تَلَقِّي النّاسِ لِلْقُرْآنِ وانْتِفاعِهِمْ بِهِ ومُعالَجَةِ الرَّسُولِ ﷺ إيّاهم بِتَكْرِيرِ النُّصْحِ والإرْشادِ بِهَيْئَةِ المَرْضى بَيْنَ يَدَيِ الطَّبِيبِ وهو يَصِفُ لَهم ما فِيهِ بُرْؤُهم وصَلاحُ أمْزِجَتِهِمْ فَمِنهُمُ القابِلُ المُنْتَفِعُ ومِنهُمُ المُتَعاصِي المُمْتَنِعُ». التحرير والتنوير: 11/ 202. وانظر أيضاً في مفاتيح الغيب: 17/ 268، حيث قدم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ شرحاً مستفيضا لهذه الآية الكريمة.

واللافت في هذا الأمر أنّ هذه المراحل تتمُّ جميعاً في ظلِّ نور القرآن الكريم وتوجيهاته؛ فالقرآن الكريم هو الذي يعظ البشر، ويغسل قلوبهم من تبعات الذنوب والصفات القبيحة، ويشعل نور الهداية في القلوب ليضيئها، ويجلب النعم الإلهية على الفرد والمجتمع.

وبما أن الموعظة هي الممهِّدة لتلقي الشفاء، والشفاء ممهِّد لتلقي الهداية، وهذه الثلاثة ممهِّدات للظفر بالرحْمة والنعمة، كان هذا الترتيب البديع أنسب وأبلغ؛ ولهذا فإن التعاطف بين الموعظة والرحْمة من عطف الغاية على الوسيلة.

المسلك الخامس عشر: تَماماً

15.1 التمام في اللغة

التَّمَامُ: مصدر تَمَّ يَتِمُّ تَمَاماً وتَتِمَّةً، وهو دليل الكمال؛ يُقال تَمَّ الشَّيءُ إذا كَمَلَ وانتَهَى[1]. وتَتِمَّةُ كلّ شيءٍ ما يكون تَماماً لغايته كقولك: هذه الدراهِمُ تَمام هذه المائة، وتَتِمَّةُ هذه المائة[2]. «ومن هذا البابِ التَّمِيمَةُ: كأنَّهم يريدون أنَّها تَمامُ الدَّواءِ والشِّفاءِ المطلوبِ»[3]. وفي الحَدِيثِ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ**»[4].

فالتَّمَامُ: «ضد النقصان، وهو عبارة عن انتهاء الشيء إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والناقص: ما لم ينته إلى ذلك»[5]، وأصل التمام في اللغة العربية: استيفاء جرم الشيء حجمه، وهو مأخوذ حسيًّا من استيفاء القمر حَجْمه ليلة البدْر[6]، ولهذا سُميت تلك الليلة: «لَيْلَةُ اَلتَّمَامِ» أي: ليلة اكتمال القمر؛ وهي ليلة أَربَع عشرةَ من الشهر القمريّ حين يستوي القمرُ فيصير بدراً، ويُقال أيضاً: «لَيْلُ التَّمَامِ»، وهو أطول ليالي الشتاء، ومنه قول النابغة الذبياني:

يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِي النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ[7].

---

(1) المقاييس/ تم.

(2) العين، والتهذيب/ تم، والجمهرة، والصحاح/ تمم.

(3) المقاييس/ تم.

(4) سنن البيهقي، جماع أبواب كسب الحجام، باب التمائم، حديث رقم: 19605.

(5) عمدة الحفاظ/ تمم.

(6) المعجم الاشتقاقي/ تمم

(7) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر إليه، ويهجو مُرَّةَ بن ربيعة، ديوان العرب: 33.

15.2 التمام في الاستعمال القرآني

وردت مادة «تمم» في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعاً: مرة اسم فاعل «مُتِمُّ»، ومرة مصدراً «تَمَامًا»، وأربع مرات فعلاً ماضياً من الثلاثي المجرد «تَمَّ»، وست عشرة مرة فعلا مزيداً من باب «أَفْعَلَ»؛ خمس مرات منها ماضياً «أَتَمَّ»، وسبع مرات مضارعاً «يُتِمَّ»، وأربع مرات أمراً «أَتْمِمْ».

ويتبين من خلال تتبع هذه الموارد أن التَّمَامَ يرد في القرآن الكريم بمعنى الكمال، والبلوغ إلى الغاية، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾[1]، «أيْ: مُبْلِغُهُ إلى غايَتِهِ بِنَشْرِهِ في الآفاقِ وإعْلائِهِ»[2]، وقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3]، أي: بلَغها كاملة[4]، وقال ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[5]، أي: بلغت الغاية وكَمُلَت[6]. وهنا العلامة الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعرف التمام بقوله: «والتَّمَامَ: هو حُصُولُ جَمِيعِ ما لِلشَّيْءِ مِن كَيْفِيَّةٍ أو كَمِّيَّةٍ»[7]، أي: استيفاء الشيء حَجْمه كاملا شكلا ومضمونا بحيث يتميز عن غيره بسبب كماله كقمر التمام.

15.3 مورد العطف بين لفظي التمام و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ التَّمَامُ في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[8].

---

(1) سورة الصف، الآية: 8.

(2) إرشاد العقل السليم: 8/ 244.

(3) سورة الأعراف، الآية: 142.

(4) إرشاد العقل السليم: 3/ 269، والتحرير والتنوير: 9/ 87.

(5) سورة الأنعام، الآية: 115.

(6) السراج المنير: 1/ 446، ومحاسن التأويل: 4/ 473.

(7) التحرير والتنوير: 28/ 190.

(8) سورة الأنعام، الآية: 154.

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن خصائص التوراة، والغاية المقصودة من إنزالها، حيث وصفها الله ﷻ بالتمام بالإضافة إلى صفات أخرى جاءت بعده، وهي: «تفصيلاً»، و«هدى»، و«رحْمة»، وفي سبيل البحث في دلالة التعاطف بين اللفظين نتبين معنى التمام في الآية عند المفسرين.

يقول الزمخشري رحمه الله: «﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾، أي تامًّا كامِلاً على أحسن ما تَكُونُ عليه الكُتُبُ، أي على الوَجْهِ والطريق الَّذِي هو أحْسَنُ»[1].

في حين يقول ابن جزي رحمه الله: «﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات: أحدها: أن المعنى تَمَاماً للنعمة على الذي أحسَنَ من قوم موسى عليه السلام، ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي، والذي أحسن يراد به جنس المحسنين، والآخر: أن المعنى تَمَاماً أي تفضلاً، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام، والذي صفة لعمل موسى، والثالث: تَماماً أي إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى»[2].

والوَجْهُ الذي نراه منسجماً مع سياق المقال ما ورد في التأويل الأول من كلام ابن جزي، أي: أن المعنى: تَمَامًا لِلنِّعْمَةِ والكَرامَةِ، وكمالاً للإحسَانِ والصَّلاحِ تفضُّلاً على من أَحْسَنَ قبوله والقيام به كائناً من كان من أُمة موسى عليه السلام، ولَم ينقصْ عمَّا يُصلِحُهم شَيئاً؛ ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن مسعود: (تَمامًا عَلى الَّذِينَ أحْسَنُوا)[3].

وللعلامة الطاهر ابن عاشور كلامٌ يؤيد هذا التأويل فيقول رحمه الله: «وتَماماً حالٌ من الكتابِ، والتَّمَامُ الكمالُ، أي: كان ذلك الكتابُ كمالاً لما في بني إسرائيلَ من الصَّلاحِ الذي هو بقيَّةٌ مما تلقَّوهُ عن أسلافهم: من صلاحِ إبراهيمَ، وما كان عليه إسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ عليهم السلام، فكانت التَّوْرَاةُ مُكَمِّلَةً لصلاحِهم، ومُزِيلَةً لما اعتراهم من الفسادِ، وأنَّ إزالةَ الفساد تكمِلَةٌ للصَّلاحِ.

(1) الكشاف: 2/ 81.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل: 1/ 281. وانظر أيضاً: البحر المديد لابن عجيبة: 2/ 188.

(3) جامع البيان: 12/ 234.

ووصفُ التَّوْرَاةِ بالتَّمَامِ مُبالَغةٌ في معنى المُتَمِّ. والموصولُ في قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ مُرَادٌ به الجِنسُ، فلذلك استَوَى مُفْرَدُهُ وَجَمْعُهُ. والمرادُ به هنا الفريقُ المُحْسِنُ، أي: تَمَامًا لإحسَانِ المُحْسِنِينَ من بني إسرائيلَ، فالفِعلُ مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةَ اللاَّزمِ، أي: الذي اتَّصَفَ بالإحْسَانِ»[1].

نستنتج مما سبق أن الله ﷻ أنعم على المحسنين من قوم موسى عليه السلام بنِعَمٍ لا حصر لها، أَتَمُّها إنزال التوراة عليهم؛ فتمت عليهم نعمة الله وإحسانه، ومن ثَمَّ فإن وصف التوراة بالتمام أعمّ من وصفها بالرحْمة، ويؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، أي: بَيَانًا مُفَصَّلاً لكل ما يحتاجون في أحوال الدين والدنيا، فدلَّ ذلك على العموم، وبالتالي فكونها رحْمة دليل على تَمامها.

المسلك السادس عشر: تخفيف

16.1 التخفيف في اللغة

التخفيفُ مصدر خَفَّفَ يُخَفِّفُ تَخْفِيفاً، فهو خَفِيفٌ، من الخِفَّة: ضِدّ الثِّقَلِ والرُّجُوحِ، يكون في الجسمِ والعقلِ والعملِ[2]. ومداره في اللغة على «قلة كثافة الشيء في نفسه أو قلة كثافته وتركزه على حامله»[3]، وهو مأخوذ حسياً من خُفِّ البعير؛ «فإن انبساطه يوسع المساحة التي تحمل ثِقْله فيخف ولا يغوص في الرمل بعكس الحافر»[4]. فالتَخْفِيفُ: التسهيل ضد التثقيل[5]. والخَفِيف: ضد الثّقيل، والخِفُّ: من الخَفِيفُ، وهو كلُّ شيءٍ خَفَّ مَحْمَلُه[6]؛ قال امْرُؤُ الْقَيْسِ:

يَزِلُّ الغُلامُ الخِفُّ عَنْ صَهَواتِه ويُلْوِي بأَثْوابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ[7].

---

(1) التحرير والتنوير: 8-أ/ 176.

(2) اللسان/ خفف. قال الراغب الأصفهاني: «ويقال ذلك تارة باعتبار المضايفة بالوزن، وقياس شيئين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خفيف، ودرهم ثقيل. والثاني: يقال باعتبار مضايفة الزّمان، نحو: فرس خفيف، وفرس ثقيل: إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال خفيف فيما يستحليه الناس، وثقيل فيما يستوخمه، فيكون الخفيف مدحا، والثقيل ذمّا. (...) الرّابع: يقال خفيف فيمن يطيش، وثقيل فيما فيه وقار، فيكون الخفيف ذمّا، والثقيل مدحا. الخامس: يقال خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجحن إلى أسفل كالأرض والماء». المفردات/ خف.

(3) المعجم الاشتقاقي/ خفف.

(4) المعجم الاشتقاقي/ خفف.

(5) الصحاح/ خفف.

(6) العين/ خف، واللسان/ خفف.

(7) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس، من معلقته، البيت 54، ديوانه: 20.

16.2 التخفيف في الاستعمال القرآني

وردت مادة «خفف» في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً: مرة مصدراً «تَخْفِيفٌ»، ومرتين صفة مشبهة «خَفِيف»، وثلاث مرات فعلاً من الثلاثي المجرد «خَفَّ»، وثلاث مرات فعلاً من باب «اسْتَفْعَلَ»؛ مرة ماضيا «اسْتَخَفَّ»، ومرتين مضارعاً «يَسْتَخِفُّ». وثماني مرات فعلا من باب «فَعَّلَ»؛ مرة ماضياً «خَفَّفَ»، وسبع مرات مضارعاً «يُخَفِّفُ». وكل ما في القرآن الكريم من هذه المادة هو بمعنى التيسير والتسهيل والتَّخفيف، ضد التعسير والتثقيل، ومنه قول الحق ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾[1]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[2].

16.3 مورد العطف بين لفظي التخفيف و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحمة) معطوفاً على لفظ التخفيف في آية واحدة من كتاب الله وهو قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾[3].

وردت الآية الكريمة في سياق الكلام عن مشروعية القصاص في القتل العمْدِ وحكمته حيث شُرع لأمة مُحمَّدٍ ﷺ التخيير بين القِصاص والعفو وأخْذ الدِّيَةِ، خلافاً لِمَا كان محتُومًا على الأمم السابقة من القتلِ أو العفوِ[4]؛ وخُيِّرت هذه الأُمَّة بين الثلاث تَوسِعَةً عليهم وتَيْسيراً لما في شرعية العفو من تسهيل على القاتل، وفي شرعية الدية من نفع لأولياء المقتول، وتَنْزِيلاً للحكم على حسب المراتب والمنازل[5].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 189.

(2) سورة الأنفال، الآية: 66.

(3) سورة البقرة، الآية: 178.

(4) يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل كُتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية، وعلى النصارى العفو على الإطلاق وحرم عليهم القصاص والدية، وخُيِّرت هذه الأمة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتَنْزِيلاً للحكم على حسب المنازل». إرشاد العقل السليم: 1/ 196. وانظر أيضاً: أنوار التَّنْزِيل: 1/ 122، والسراج المنير: 1/ 116.

(5) تفسير القرآن العظيم: 1/ 491، وروح المعاني: 1/ 447، ومفاتيح الغيب: 5/ 225.

وهكذا، وصف الله جَلَّوَعَلَا قبولَ العفو وإحسان الأداء والعدول عن القصاص بأنَّها تخْفِيفٌ منه ﷻ على الناس ورَحْمَةٌ بِهم، ومتى أنعمنا النَّظر وجدنا أن بين مصطلحي التخفيف والرحْمة تعاضد مفهومي ومضموني، وذلك أن التخفيف وجه من أوجه الرحْمة لكونه يتعلق بالمكلفين من المسلمين في التشريع خاصة، بينما الرحْمة تشمل جميع المخلوقات، ولا تقتصر على التكاليف؛ وإنما تتسع لتشمل حركة الانسان في حياته كلها بجميع جوانبها الخاصة والعامة، وفي كل أحواله في السراء والضراء. لهذا فإن علاقة التخفيف بالرحْمة علاقة الجزئي بالكلي.

ومن خلال التأمل في معنى الآية، تبين أن التخفيفَ يتضمن التخيير بين الأحكام المشروعة، والرحْمةَ تتضمن التنازل عن القصاص واستبقاء روح القاتل بالعفو أو أخذ الدية [1]. وتبين أيضاً أن القاتلَ لا يَخرُجُ عن مُسمَّى الإيمانِ؛ للوصفِ بالإيمانِ بعد وُجودِ القتلِ، ولبَقاءِ الأُخوَّةِ الثَّابتةِ بالإيمانِ، ولاستِحقاقِ التَّخْفيفِ والرَّحْمةِ[2]، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الأمَّةَ الإسلاميَّةَ أمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، كما قال ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ...»[3]، ومُخفَّفٌ عنها في الأحكامِ، فَضلاً من اللهِ ﷻ عليها.

وفيما يتعلق بالاقتران بين التخفيف والرحْمة، يقول أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعطفُ وَرَحْمَةٌ على تَخْفِيفٌ لأنَّ من اسْتَبْقَى مُهجتك بعد استحقاق إتلافها فقد رحِمَك. وأيُّ: رَحْمَةٍ أعظم من ذلك؟ ولعلَّ القاتلَ المَعفُوَّ عنه يستقلُّ من الأعمالِ الصَّالحةِ في المدَّةِ الَّتي عاشها بعد استحقاق قتله ما يمحو به هذه الفِعْلَةَ الشَّنعاءَ، فمن الرَّحْمَةِ إمهالُه لعلَّه يُصلِحُ أعماله»[4].

---

(1) وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك حين قال: «فالأخذ بالقصاص عدل والأخذ بالعفو رحْمة. ولما كانت مشروعية القصاص كافية في تحقيق مقصد الشريعة في شرع القصاص من ازدجار الناس عن قتل النفوس وتحقيق حفظ حق المقتول بكون الخيرة للولي كان الإذن في العفو إن تراضيا عليه رحمة من الله بالجانبين، فالعدل مقدم والرحمة تأتي بعده». التحرير والتنوير: 2/ 143.

(2) تحدث بعضُ المفسرين عن هذه المسألة منهم الثعلبي والبغوي والمظهري والقِنَّوجي، وبينوا أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل، والدليل على ذلك أن الله ﷻ خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾، فسماه مؤمناً حال ما وجب عليه من القصاص، فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن، وأنه تعالى أثبت الأخوة الإيمانية بين القاتل وولي المقتول في آخر الآية فقال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾، وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل، فلولا أن الإيمان باق على القاتل لم تثبت له الأخوة، وأيضاً ندب إلى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا عن المؤمن لا عن الكافر. يُنظر: الكشف والبيان: 3/ 362، ومعالم التنزيل: 1/ 210، والتفسير المظهري: 1/ 184، وفتح البيان: 1/ 354.

(3) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل، حديث رقم: 4278.

(4) البحر المحيط: 2/ 152.

ومجمل القول: إنَّ موقع الرحْمة في نظم الآية منسجمٌ مع واقع تَنْزِيل الحكم حسب المنازل؛ حيث إن وليَّ المقتول يقوم باختيار الحكم الذي يرتضيه على القاتل ابتداءً وذلك هو التخفيف، فإن أخذ بالقصاص فذاك عدلٌ، وإن أخذ بالعفو فذاك رحْمة. إذن فالرحْمة هنا نتيجة للتخفيف، فناسب تقديم التخفيف عليها.

المسلك السابع عشر: صلوات

17.1 الصلوات في اللغة

الصَّلَوَاتُ: جَمْعُ الصَّلاَة، وهي مصدر صَلَّى يُصَلِّي صَلاَةً. ومداره في اللغة على الدُّعَاءِ، يُقالُ: صَلَّى على فلانٍ إذا دَعَا لَهُ وزَكَّاهُ[1]؛ وَمِنْه قولُ الأَعْشَى:

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا[2].

معناه: عليكِ مثلُ دعائكِ أي ينالكِ من الخيرِ مثلُ الَّذي دعوتِ به لي[3]. وقال النبيُّ ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ**»[4]، أي: فليدعُ لأربابِ الطَّعامِ بالخيرِ والبركةِ[5]. والصَّلاةُ من الله ﷻ: الرَّحْمَةُ، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»[6]. يُرِيدُ بِذَلِكَ الرَّحْمَةَ، أي اللَّهُمَّ ارْحَمْهم[7]. وقال الرَّاعِي النُّمَيْرِيّ:

صَلَّى عَلَى عَزَّةَ الرَّحْمَنُ وابْنَتِها لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جاراتِها الأُخَرِ[8].

وهذا المعنى مأخوذ حسيًّا من تليين العصا بتعريضها للنار حيث يُمكن بذلك تقويمها إن كانت معوجّة، ويُمكن أيضًا ثَنْي طرفها ليكون مَقْبِضًا لها[9]، فيقال: صَلَّى عَصاهُ بِالنَّارِ تَصْلِيَةً، إذا ليَّنها وقوَّمها[10]. ومنه قول قيس بن زُهير العبسيّ:

---

(1) التاج: / صلو.

(2) البيت من البسيط، وهو للأعشى، يمدح هَوْذَةَ بن عليٍّ الحنفي، ديوانه: 101.

(3) اللسان/ صلا.

(4) السنن البيهقي، جماع أبواب الوليمة، باب يجيب المدعو صائما كان أو مفطرا وما يفعل كلاهما، حديث رقم: 14532.

(5) اللسان/ صلا.

(6) مسند أحمد، بَقِيَّةُ حديثِ عَبدِ الله بن أَبي أَوفى، عن النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: 19111.

(7) الاستذكار: 2/ 299.

(8) البيت من البسيط، وهو للرَّاعِي النُّمَيْرِيّ، ديوانه: 134.

(9) المعجم الاشتقاقي/ صلو- صلى.

(10) الصحاح/ صلا.

وَلاَ تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْهُ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمُسْتَدِيمِ[1].

فمن لين العصا ورخاوتها مجازًا بمعنى خشوع الباطن استعملت في الدعاء الذي هو تضرع لاسْتِنْزَالِ الرضا أو الفضل، ومنه جُعل الدعاءُ الأصل في تسمية الصلاة ذات الركوع والسجود وهي أهم صور التضرع لله ﷻ؛ لأن المصلِّي متعرضٌ تعرّضَ الداعي فيلين بالخشوع[2].

17.2 الصلوات في الاستعمال القرآني

وردت مادة «صلو» في القرآن الكريم من خلال أربع مشتقات في تسعة وتسعين موضعاً: ثلاث مرات اسم فاعل «المُصَلِّينَ»، وثلاثاً وثمانين مرة مصدراً؛ ثماني وسبعين مرة مفرداً «الصَّلاَةَ»، وخَمسَ مرات جَمعاً «الصَّلَوَاتِ»، ومرةً اسْمًا بصيغة «مُصَلًّى»، واثنتي عشرة مرة فعلاً؛ ثلاث مرات ماضيا «صَلَّىٰ»، وست مرات مضارعا «يُصَلِّي»، وثلاث مرات أمرا «صَلِّ».

وذكر أهل التفسير أن الصلاة في القرآن على عدة أوجه: أحدها: الصلاة الشرعية المعروفة؛ الناهية عن الفحشاء والمنكر، قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[3]. ومنها: صلاة الجمعة، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[4]، وصلاة العصر، كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[5]، وصلاة الجنازة، في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ﴾[6]، وكذلك كل صلاة مقترنة بالزكاة، كقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[7].

والثاني: الرحمة والمغفرة والاستغفار؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[8]، أي: يرحمكم ويغفر لكم، ويستغفر لكم ملائكته، فالصَّلاَةُ من الله ﷻ: الرَّحْمَةُ والمغفرة، ومن المَلائكة: الاسْتِغْفَارُ للمؤمنينَ[9].

---

(1) البيت من البسيط، وهو لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، يرثي قتلى جفر الهباءة، ديوانه: 33.

(2) المعجم الاشتقاقي/ صلو- صلى.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 45.

(4) سورة الجمعة، الآية: 9.

(5) سورة المائدة، الآية: 106.

(6) سورة التوبة، الآية: 84.

(7) سورة المائدة، الآية: 55.

(8) سورة الأحزاب، الآية: 43.

(9) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 868، ومعالم التنزيل: 6/ 360، ومفاتيح الغيب: 25/ 172.

والثالث: الدعاء؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[1]، أي: ادع لَهم إن دعاءَك مِمَّا يسكنهم وتطمئن إليه قلوبُهم، وقيل: معناه استغفر لَهم، ومعناهُما قريب[2].

والرابع: الدين؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[3]، أي: أ دينك يأمرك بذلك؟، لما كانت الصلاة أظهر شعار الدين ذكروا الصلاةَ كنايةً عن الدين[4]؛ فقالوا له ذلك لما أنكروا ما يدعوهم إليه من مُخالفة دينهم، كما يُقال لرجل صالِح يُنكر منه أمرٌ: أ صلاحك أمرك بهذا؟ وهو يريد نهيه عن ذلك وإنكاره عليه.

والخامس: موضع الصلاة؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[5]، فصَوامِعُ جمع صومَعة، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان، والبِيَعُ جمع بِيعة، وهي كنائس النصارى، والصلوات كنائس اليهود، وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها مواضع الصلوات، والمساجد للمسلمين[6]، والمعنى: «لولا دفع الله بعض الناس ببعض بتسليط مؤمني هذه الأمة على كفارها لَهُدِّمَتِ المُتَعَبَّداتُ المذكورة إلا أنه تعالى سلط المؤمنين على الكافرين فبقيت هذه المُتَعَبَّداتُ بعضها للمؤمنين وبعضها لمن في حِمايتهم من أهل الذمة»[7].

17.3 مورد العطف بين لفظي الصلوات و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) معطوفاً على لفظ الصلوات في موضع واحد من القرآن الحكيم وهو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[8].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 103.

(2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 394، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 288.

(3) سورة هود، الآية: 87.

(4) مفاتيح الغيب: 18/ 387.

(5) سورة الحج، الآية: 40.

(6) التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 41.

(7) روح المعاني: 9/ 155.

(8) سورة البقرة، الآية: 155- 157.

هذه الآية تتحدث عن الألطاف الإلهية الكبرى، التّي تشمل الصَّابرين الصَّامدين المحتسبين المتخرجين بنجاح من الامتحانات الإلهية، حيث بشَّرهم ربُّهم ﷻ بالصَّلوات والرَّحْمة التي تجعلهم على بصيرة من أمرهم، في مسيرتهم الحياتية المحفوفة بالمزالق والأخطار.

وإذ تبين من خلال البحث في معنى لفظ (الصلوات) الوارد في الآية الكريمة أن هناك اختلافاً بين المفسرين باعتبار تفسيرهم للفظ الصلاة المسند إلى الله ﷻ: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾، وعليه، يرى الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن معناها الثناء والمدح والتعظيم، فيقول: «فاعلم أن الصلاة من الله هي: الثناء والمدح والتعظيم، وأما رحمته فهي: النعم التي أنزلها به عاجلا ثم آجلا»[1]، في حين فسَّرها محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنها التكريم والنجاح وذلك بقوله: «فأما الصلوات فالمراد بها أنواع التكريم والنجاح، وإعلاء المَنْزِلَة عند الله والناس، وعن ابن عباس: «أنَّها المغفرة لذنوبِهم» وأما الرَّحْمة فهي ما يكون لَهم في نفس المصيبة من حسن العزاء، وبرد الرضى والتسليم للقضاء»[2].

وفي مقابل ذلك، يرى بعضُهم أن الصلاة مُرَادِف الرحْمة؛ ومنهم البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «﴿صَلَوَٰتٌ﴾ أي: رَحْمَةٌ؛ فإنَّ الصَّلاةَ من الله الرَّحْمَةُ، ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ ذكرها الله تأكيداً وجميع الصَّلَوَاتِ، أي: رَحْمَةٌ بعد رَحْمَةٍ»[3]. ونَحَا القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المنحى فقال: «وصلاة الله على عبده: عفوه ورحْمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة. (...) وكرر الرحْمة لما اختلف اللفظ تأكيدا وإشباعا للمعنى، كما قال: ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾»[4].

وإذا أمعنا النظر في هذه الأقوال كلِّها وجدنا أن جميع المعاني التي فُسِّر بها لفظُ الصلوات في الآية تعود إلى معنى الرحْمة، وهذا يوحي بأن هناك ترادفاً بين لفظي الصلوات والرحْمة أي: أن كلاهما بمعنى، غير أن بينهما فرقاً طفيفاً في الدلالة والاستعمال، وقد أشار إليه البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «والصَّلاَة: الإنعام بِما يقتضي التشريف، والرَّحْمة: الإنعام بِما يقتضي العطف والتَحنّن»[5].

---

(1) مفاتيح الغيب: 4/ 133.

(2) تفسير المنار: 2/ 34.

(3) معالم التنزيل: 1/ 170.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 2/ 177.

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 2/ 261. وللراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام في ذلك فيقول: «الصلاة وإن كانت في الأصل الدعاء، فهي من الله البركة على وجه، والمغفرة على وجه، وهي الرحْمة وإن كانتا متلازمتين فهما مفترقتان في الحقيقة». تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 354.

فتبين من كلام البقاعي أن عطف الرحْمة على الصلوات ليس تكراراً، وإنَّما هو من عطف الشَّيء على مرادفه[1] مُبالَغَةً وتأكيداً وإشباعاً للمعنى. ولما كانت الصلاة بمعنى «الإنعام بِما يقتضي التشريف»، عِلماً بأن مقتضيات التشريف كثيرة ومتنوعة[2]، قال: ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ على الجمعِ، تَنبيهاً على كَثْرَتِها وتَنَوُّعِها منه ﷻ وأنَّها حاصِلَةٌ في الدُّنْيا تَوْفِيقاً وإرْشاداً، وفي الآخِرَةِ ثَواباً ومغفِرةً[3].

المسلك الثامن عشر: رِضْوَان وجَنَّات

18.1 الرضوان في اللغة

الرِّضْوَانُ: مصدر رَضِيَ يَرْضَى رِضًى ورِضْواناً ومَرْضاةً، فهو رَاضٍ، ومفعُولُه مَرْضِيٌّ عنه[4]. ومداره على خِلافِ السَّخَطِ[5]، ومنه دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»[6]. وقيل إن الرِّضْوَانَ أبلغُ من الرِّضَى ولهذا خُصَّ في القرآن الكريم بِما يكون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى[7]؛ قال ﷻ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[8]. وقال الحَرَالِّي: «الرِّضْوَانُ: اسم مبالغة في معنى الرِّضَى»[9]، أي: أن الرِّضْوَان بمعنى الرضى الكثير[10]، ومنه قول عبد الله بن المبارك:

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا[11].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 305.

(2) قال السمرقندي: «والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أشياء: توفيق الطاعة، والعصمة عن المعصية، ومغفرة الذنوب جميعا، فبالصلاة الواحدة تتكون لهم هذه الأشياء الثلاثة، فقد وعد لهم الصلوات الكثيرة، ومقدار ذلك لا يعلمه إلا الله». بحر العلوم: 1/ 106.

(3) تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 354.

(4) العين/ رضو، والقاموس المحيط/ رضي.

(5) المقاييس، واللسان/ رضي.

(6) مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: 751.

(7) ينظر: المفردات/ رضي، والفروق اللغوية: 257، والتوقيف على مهمات التعاريف: 178.

(8) سورة التوبة، الآية:72.

(9) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 531، ونظم الدرر: 4/ 278، والكليات: 478.

(10) ينظر: المفردات/ رضي، والفروق اللغوية: 257، والتوقيف على مهمات التعاريف: 178.

(11) البيت من البسيط، وهو لعبد الله بن المبارك، معارضًا عِمْرَانَ بن حِطَّان الذي قال في رثاء عبد الرحمن بن ملجمٍ قاتلَ عليٍّ كرَّم الله وجهه: **يَا ضَرْبَةً مِنْ مُنِيبٍ مَا أَرَادَ بِهَا إِلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانَا**، ديوانه: 109.

18.2 الجنّات في اللغة

الجَنّاتُ: جمع الجَنَّةُ وهي مشتقة من مادة «جنن»، التي تدور على معنى السَّتْرِ والتَّستُّر[1]؛ ومنه الجَنَّة: البُستان السَّاتِر بأشجاره الأرضَ، وقد يُطلق على الأشجار نفسِها، ومنه قول زُهَيْر:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا[2].

فقوله: «جَنَّةً سُحُقَا»، يعني النَّخل الطَّويل، سُمي بذلك لستره بوَرَقِه الأرض. ومنه الجِنُّ: لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، لذلك سُمي مُقابلُهم بالإنس لأنهم يُؤنَسُون أي يُبصَرُون[3]، كما سُمِّي الجَنِينُ جنيناً لاستتاره في بطن أمه، ومنه جنون الليل أي اخْتِلاط ظلامه وستره لما فيه، والجُنَّة: الدِّرْعُ وكلُّ ما يحتمي به المرءُ من السلاح ويستتر به منه[4]، ثُمَّ أُطلق لفظ الجَنَّة على دار الكرامة التي أُعدَّت للمُؤمِنين في الآخِرة، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين؛ وهو ثَوابٌ مَستُورٌ عنهم اليوم، مما «**لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[5].

18.3 مورد العطف بين (الرحْمة) والرضوان والجنَّات:

ورد لفظ (الرحْمة) متعاطفا مع لفظي الرضوان والجنات في آية واحدة، وهي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢﴾[6].

وردت الآيات الكريمة في مقام الحديث عن فضل الإيمان والهِجْرَة والجِهاد في سَبيلِ اللهِ بالمالِ والنَّفسِ، وترجيح درجتها، وكامل ثَوابِها، وعلوِّ مكانتها ورُتبتها عند الله ﷻ، ردًّا على من رأى تفضيل السقاية وعمارة المسجد الحرام على الإيمان والهجرة والجهاد، فيصف رَبُّ العِزَّة تَبَارَكَ وَتَعَالَى المؤمنين المُجاهدين المهاجرين بأنَّهم ﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾، ويُبَشِّرهم بخيراتٍ عاليةٍ، وسعاداتٍ كاملةٍ، بدءاً بالأشرفِ فالأشرفِ؛ فأعلاها وأشرفُها كون تلك البِشارة حاصلةً من ربِّهم بالرَّحْمَةِ والرِّضْوانِ، ثُمَّ حصول المنافعِ العظيمة الدائمة الخالصة عن الانقطاع وهي جنَّات فيها نعيم دائم.

---

(1) المقاييس/ جن، والمعجم الاشتقاقي/ جنن – جنجن.

(2) البيت من البسيط، وهو لزهير بن أبي سُلْمى، يمدح هرم بن سنان، ديوانه: 72.

(3) عمدة الحفاظ/ جنن.

(4) العين، والمقاييس/ جن، والجمهرة/ جنن.

(5) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث رقم: 4328.

(6) سورة التوبة، الآية: 20 – 22.

قال أبو حيان الأندلسي: «ولَمَّا كانت الأوصافُ الَّتي تَحلَّوا بها وصاروا بها عبيدَه حقيقةً هي ثلاثةٌ: الإيمانُ، والهِجْرَةُ، والجِهادُ بالمالِ والنَّفْسِ، قُوبلوا في التَّبشير بثلاثةٍ: الرَّحْمَةِ، والرِّضْوانِ، والجَنّاتِ. فبدأ بالرَّحْمَةِ؛ لأنَّها الوصفُ الأعَمُّ النَّاشئُ عنها تيسيرُ الإيمانِ لهم، وثَنَّى بالرِّضْوَانِ؛ لأنَّه الغايةُ من إحسانِ الرَّبِّ لعبده وهو مُقابلُ الجِهاد، إذ هو بَذْلُ النَّفسِ والمالِ، وقُدِّمَ على الجنَّاتِ؛ لأنَّ رِضا الله عنِ العبدِ أفضلُ من إسكانهم الجَنَّةَ... وأتى ثالِثاً بقوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي دائمٌ لا ينقطِعُ. وهذا مُقابِلٌ لقولهِ: ﴿وَهَاجَرُواْ﴾؛ لأنَّهم تركوا أوطانَهم الَّتي نشؤُوا فيها وكانوا فيها مُنَعَّمِينَ، فآثروا الهِجْرَةَ على دارِ الكفرِ إلى مُسْتَقَرِّ الإيمانِ والرِّسالةِ، فقُوبلوا على ذلك بالجَنّاتِ ذواتِ النَّعِيمِ الدّائِمِ، فجاء التَّرْتِيبُ في أوصافهم على حسبِ الواقِعِ: الإيمانُ، ثُمَّ الهِجْرَةُ، ثُمَّ الجِهادُ. وجاء التَّرْتِيبُ في المُقابِلِ على حسبِ الأعَمِّ، ثُمَّ الأشْرَفِ، ثُمَّ التَّكْمِيلِ. قالَ التَّبْرِيزِيُّ: ونَكَّرَ الرَّحْمَةَ والرِّضْوانَ لِلتَّفْخِيمِ والتَّعْظِيمِ. ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ أيْ: رَحْمَةٍ لا يَبلُغُها وصفُ واصِفٍ»[1].

يستفاد مما سبق أنّ مقام الرضوان الذي هو من أعظم المواهب التي يهبها الله المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين في سبيله، هو شيءٌ غير الجنات والنعيم المقيم وغير رحْمته الواسعة؛ إذ هو أهم وأعظم جزاء، يفوق كل النعم والعطايا الأُخرى، فرضوان الله أكبر من أي نعمة من النعم. قال المولى ﷻ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

إنّ اللذة المعنوية والإحساس الروحي الذي يحس به الإنسان عند شعوره برضى الله ﷻ عنه لا يمكن أن يصفه أي بشر، لأنّ لحظة من هذه اللذة الروحية تفوق نعم الجنّة كلها ومواهبها المختلفة والمتنوعة واللامتناهية، غير أن إدراك هذه النعمة المعنوية والروحية الكبرى لا يتأتى إلا برحْمة منه ﷻ، بمعنى أن الرحمة ههنا وسيلة للوصول إلى رضى الله ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! ولهذا تقدمت الرحْمة على الرضوان لأن الوسيلة مقدمة على الغاية.

من هنا يتّضح أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الجزاء والعطاء الإلهي الذي سيناله المؤمنون الصالحون، لا يقتصر على النعم المادية فحسب، بل يتطرق أيضاً إلى النواحي المعنوية التي تدل على أن العطاء المعنوي، أسمى وأفضل من كل النعم المادية، كما تبين ذلك في شأن الرضوان.

(1) البحر المحيط: 5/ 390).

(2) سورة التوبة، الآية:72.

المسلك التاسع عشر: تِبْيَاناً

20.1 التِّبيان في اللغة

التِّبْيَانُ: مصدرُ بَيَّنَ يُبَيِّنُ تَبْيِينًا وتِبْيَاناً، فهو مُبَيِّنٌ، ومفعوله مُبَيَّنٌ، وهو شاذٌّ لأَن المصادر إِنَّما تَجيء على التَّفْعال، بفتح التاء، كالتَّذْكار والتَّكْرار، ولَم يجيءْ بالكسرِ إلاَّ حرفان نادِران وهما التِّبْيَان والتِّلْقَاء، ولا يُقاس عليهما[1]. ومداره في اللغة على الوضوح والظهور والكشف كالبيان، إلاَّ أن التِّبْيَان مبالغة في البيان باعتبار وزنه: [التِّفْعال]، وهو دال على المبالغة والتكثير في المصدرية؛ فيصير التِّبْيَان بِمنْزِلة قولك: البَيان البليغ الكثير، ومنه قيل: «التِّبْيَانُ: بَيَانٌ مع دليلٍ وبرهان»[2].

ومن هذا المنطلق فرَّق التهانوي بين البَيَان والتِّبْيَان قائلاً: «وقد يُفَرَّق بينهما بأنَّ التِّبْيَانَ يحتوي على كدِّ الخاطر وإعمال القلب، وقريبٌ منه ما قيل: التِّبْيَانُ بيان مع دليل وبرهان، فكأنّه مبني على أن زيادة المبنى لزيادة المعنى»[3]. لعلَّ التهانوي رَحِمَهُ اللَّهُ يشير بقوله: «كدِّ الخاطر وإعمال القلب» إلى أن التِّبْيَان يتجاوز بلاغة الإمتاع التي تهتم بفصاحة اللفظ وظهوره إلى بلاغة الإقناع التي تهتم بكشف المعاني وإيصالها بالأدلة الواضحة، والبراهين اللامعة، والحجج المنطقية المناسبة، ولذلك قال الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبَيَانُ ما يتعلق باللفظ، والتِّبْيَانُ ما يتعلق بالمعنى»[4]، ومنه عرَّف المَناوي رَحِمَهُ اللَّهُ التِّبْيَانَ بأنه: «كيفية ترتيب الكلام في كشف ما تريد من تفهيم المعاني وآدائها»[5].

20.2 مورد العطف بين لفظي التبيان و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) متعاطفاً مع لفظ التِّبْيَان في آية واحدة في القرآن الكريم وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[6].

---

(1) ينظر: التهذيب، واللسان، والصحاح، والمحكم، والمختار، والتاج/ بين.

(2) اللسان، والتاج/ بين، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 349.

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 349.

(4) الكليات: 231.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف: 90.

(6) سورة النحل، الآية: 89.

جاءت الآية الكريمة في سياق عرض مشهد من مشاهد القيامة حيث يُبعث نبيُّ كلِّ أُمَّةٍ ليشهد لها وعليها بالإيمان والكفر، ويجيء النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ شاهداً على أُمَّتِه بالخير والشرِّ، إتماماً للحجة وقطعاً للمعذرة. ومن أهم ما تطرقت له الآية الكريمة في هذا الصدد هو كون القرآن الكريم ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، وذلك لَمَّا كانت الشهادة تقوم على الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، أنزل الله ﷻ على نبيِّه ﷺ القرآنَ الكريم مُبَيِّناً بليغاً شاملاً لكل ما من شأنه «إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبيُّن الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية، وصدق الرسول ﷺ، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم»[1]، لكيلا تكون لهم حجة ومعذرة يعتذرون بها يومئذٍ، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]. وإن لم يشهد الرسول ﷺ فالله ﷻ يشهد بما أَنزَلَ على رسوله ﷺ؛ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[3].

ويُلاحظ من خلال النظر في مقال ومقام الآية أن لفظ التِّبْيَان ورد مفعولا لأجله ﴿تِبْيَٰنًا﴾، ثم أريد به اسم الفاعل (مُبَيِّناً)، فحصلت بذلك مبالغتان؛ إحداهُما كون التِّبْيَان مصدراً دالاً على المبالغة، والثانية كون اسم الفاعل أبلغ وأثبت من المفعول، فعمل (تِبْيَاناً) هنا عمل اسم الفاعل[4].

ولو أمعنا النظر في اقتران لفظ التِّبْيَان بألفاظ الهدى والرحْمة والبشرى لوجدنا أن ثَمَّة ارتباطاً منطقياً واضحاً بين هذه الألفاظ، فكلٌّ منها يرمز إلى مرحلة معينة، بدءًا بمرحلة شقِّ الطريق إلى الهداية التي تستلزم البيان والتعليم، وبعدها تأتي مرحلة الهداية، ومن ثمّ تأتي مرحلة العمل الموجب للرحْمة، وأخيراً مرحلة تلقي البشرى بالنعيم المقيم لمن سار على هذا النهج القويم.

---

(1) التحرير والتنوير: 14/ 253. يعضد ويؤكد هذا الكلام ما قاله السعدي: «وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس». تيسير الكريم الرحمن: 447.

(2) سورة النساء، الآية: 165.

(3) سورة النساء، الآية: 166.

(4) التحرير والتنوير: 14/ 253.

المسلك العشرون: مَتَاعاً

21.1 المَتَاعُ في اللغة

المَتَاعُ: مصدرُ مَتَّعَ يُمَتِّعُ مَتَاعاً، فهو مُمْتِعٌ. ومداره في اللُّغة على المَنْفَعَةِ، والتَّلَذُّذِ، والامْتِدَادِ، يقال: مَتَّعَهُ اللهُ بكذا، وأَمْتَعَهُ، وتَمَتَّعَ به، دام له ما يَستمِدُّه منه المُتْعَةَ، أي: اللذة والمنفعة الممتدة[1]. وهو مأخوذ حسيا من امتداد، ومنه قولُهم: جبلٌ ماتعٌ: طويلٌ شاهقٌ، أي مُمتد طولاً وارتفاعاً[2]، ومنه استُعمل في معنى الإبقاء دهراً مع الزاد ومستلزمات المعيشة، قال ﷻ: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

فالمَتَاعُ إذن: هو انْتِفَاعٌ مُمْتَدٌّ بِمَا فِيهِ لَذَّةٌ؛ فكلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ ويُتَلَذَّذُ بِهِ على وجه ما، ويُرغب في تزوُّده، من زينة أو عمر أو مال أو طَعام أو سِلعة، فهو مَتَاعٌ[4]، ومنه قول الأعشى:

حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحهَا ذُؤَالُ نَبْهَانَ يَبْغِي أَهْلَهُ مُتَعَا[5].

21.1 المتاع في الاستعمال القرآني:

وردت مادة «متع» في القرآن الكريم من خلال أربع مشتقات في سبعين موضعاً: خمس وثلاثين مرة مصدراً؛ أربع وثلاثين مرة مفرداً «مَتَاعٌ»، ومرة جَمعاً «أَمْتِعَة». وست مرات فعلا ماضيا من باب «اسْتَمْتَعَ». وثماني عشرة مرة فعلاً من باب «فَعَّلَ»؛ تسع مرات منها ماضيا «مَتَّعَ»، وسبع مرات مضارعا «يُمَتِّعُ»، ومرتين أمرا «مَتِّعْ». وإحدى عشرة مرة فعلا من باب «تَفَعَّلَ»؛ مرة ماضيا «تَمَتَّعَ»، وثلاث مرات مضارعا «يَتَمَتَّعُ»، وسبع مرات أمرا «تَمَتَّعْ».

وذكر أهل التفسير أن المتاع في القرآن على عدة أوجه[6]: أحدها: المدة؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[7].

والثاني: المنفعة؛ ومنه قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾[8].

---

(1) العين، والتهذيب، والمقاييس، واللسان، والتاج/ متع.

(2) المفردات، والمعجم الاشتقاقي/ متع.

(3) سورة يونس، الآية: 98.

(4) العين، والتهذيب، والمفردات/ متع.

(5) البيت من البسيط، وهو للأعشى يصف صيّاداً، ديوانه: 108. وقوله: «يَبْغِي أَهْلَهُ مُتَعَا»، يعني: يبغيهم صيداً يتمتعون به.

(6) يُنظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 454، ونزهة الأعين النواظر: 558.

(7) سورة البقرة، الآية: 36.

(8) سورة المائدة، الآية: 96.

والثالث: ما ينتفع به من آلة من حديد ورصاص وصفر ونحو ذلك؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾[1].

والرابع: نفقة المطلقة؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾[2].

والخامس: الرحل؛ ومنه قول الحق ﷻ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ﴾[3].

وإذا تأملنا هذه الوجوه وجدنا أنها تعود إلى المعنى اللغوي المتمثل في المنفعة الممتدة مع التلذذ، وإذا تدبرنا سياقات النصوص وجدنا أن المتاع يدل على الانتفاع بشيء مدةً منقطعةً، كالانتفاع بما في هذه الدنيا الفانية من طعام وأدوات ونفقات وغيرها من خيرات الدنيا الفانية[4].

21.2 مورد العطف بين لفظي المتاع و(الرحْمة):

ورد لفظ (الرحْمة) متعاطفاً مع لفظ المَتاع في آية واحدة في القرآن الكريم وهي قوله ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾[5].

وردت الآيات الكريمة في سياق عرض الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على القدرة الإلَهية الفائقة، في إخراج الزرع والثمار، وتعاقب الليل والنهار، وجريان الشمس والقمر، وإنقاذ عباده من مخاطر البَرِّ والبحر؛ فجاءت الآيات الكريمة لتصوِّر لنا مظهراً من مظاهر رَحْمَته الواسعة أكمل تصوير من خلال ذكر آية قدرته ﷻ في حَمل الناس في السفن المملوءة بالسلع والأمتعة في البحر الخضم دون أن يصيبهم أذى، وخلق وسائل أخرى للركوب مماثلة للسفن، كوسائل النقل الحديثة البرية والجوية. ولو شاء ﷻ لأغرقهم فلا مغيث ولا مجير لهم! ولكن اقتضت رحمته ﷻ إنقاذهم وإبقاءهم لينتفعوا بمتاع الدنيا إلى آجالِهم المرسومة، فيزيد من آمن إيماناً، ومن لَمْ يؤمنْ إثْماً[6]. بهذا تَبَيَّن أنَّ الرَّحْمَةَ تفيد إنقاذ المؤمن، والمتاع يفيد إمهال الكافر، وكلاهُما رحْمة، فناسب تقديم الرَّحْمة على المتاع لكونِها أعمّ؛ أي أن عطف المتاع على الرَّحْمة من عطف الخاص على العام.

---

(1) سورة الرعد، الآية: 17.

(2) سورة البقرة، الآية: 241.

(3) سورة يوسف، الآية: 65.

(4) نظم الدرر: 1/ 292.

(5) سورة يس، الآية: 41- 44.

(6) صفوة التفاسير: 14/3، والوسيط لطنطاوي: 12/ 37، والوسيط للزحيلي: 3/ 2152، ومفاتيح الغيب: 26/ 286.

۞ المطلب الثالث: علاقة التناظر

المسلك الأول: الفوز

1.1 الفَوْزُ في اللغة

الفَوْزُ مصدر فَازَ يَفُوزُ فَوْزاً ومَفازاً ومَفازَةً، ومداره في اللغة على الظَّفَر بالأُمْنِيَّة والخَيْر، والنجاة من الشرّ[1]؛ يقال: طوبى لمن فاز بالثواب، وفاز من العقاب، أَي ظفِر ونجا، وهو بمفَازة من العذاب[2]، أي: بمنْجاة منه، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[3]. ويُقالُ إذا تساهم القوم على المَيْسِرِ، كلما خرج قِدْح رجل أو قومٍ قيل: قد فازَ فَوْزاً؛ قال الطِّرِمّاح:

وابنِ سَبِيلٍ قَرَيْتُه أُصُلاً مِنْ فَوْزِ قِدْحٍ مَنْسُوبَةٍ تُلُدُهْ[4].

والمفازة: الفلاة، سُمِّيت بذلك تفاؤلا بالسلامة والنجاة لأنها مَهْلَكة[5]، وقيل: سمّيت بذلك إذا وصل بها إلى الْفَوْزِ لأنّ الفلاة كما تكون سببا للهلاك فقد تكون سببا للفوز، فيسمّى بكلّ واحد منهما حسبما يتصوّر منه ويعرض فيه[6]. ولهذا قيل أيضاً: الفَوْزُ: الهلاك؛ فَوَّزَ الرجل: مات، أي: صار في مَفازةٍ ما بين الدُّنيا والآخرة[7]، وذلك راجع إلى الفوز تصوّرا لمن هلك بأنه نجا من متاعب الدّنيا وحِبَالتها[8]؛ ومنه قول كعب بن زهير:

فَمَنْ للقَوافي شَانَها من يَحُوكُها إذا ما تَوى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[9].

ومن هنا اعتبر بعضُ العلماء، كابن فارس، أن الفوز من ألفاظ الأضداد في اللغة العربية[10]، وإذا كان الأمر كذلك –وهو كائن– فإن الأصل واحد، وهو الظفر والنجاة.

---

(1) العين، والتهذيب، والصحاح، والمجمل، والمقاييس، والمحكم/ فوز.

(2) بصائر ذوي التمييز: 4/ 219، والأساس/ فوز، مشارق الأنوار: 2/ 164.

(3) سورة آل عمران، الآية: 188.

(4) البيت من المنسرح، وهو للطرماح بن حكيم بن الحكم، ديوانه: 199.

(5) بصائر ذوي التمييز: 4/ 219.

(6) المفردات/ فوز.

(7) الصحاح/ فوز.

(8) المفردات/ فوز، وبصائر ذوي التمييز: 4/ 219.

(9) البيت من الطويل، وهو لكعب بن زهير بن أبي سلمى، ديوانه: 59.

(10) المقاييس/ فوز، وكتاب الأفعال: 2/ 490. ومن سُنَن العرب في الأَسماء أن يسمّوا المتضادَّين باسم واحد، واللفظ إذا وقع على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد. ينظر: الصاحبي: 60، والمفصل: 191/16.

1.2 موارد التناظر بين (الرحْمة) والفوز:

ورَدَ لفظ (الرحْمة) نظيراً للفظ (الفوز) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٢٧ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٣١﴾[3].

يلاحظ من خلال نظم الآيات الثلاثة أن لفظ الرحْمة ورد بصيغة الفعل الماضي المُسند إلى ضمير الغائب في آية سورة الأنعام وإلى ضمير المخاطب في آية سورة غافر، أما في أية سورة الجاثية فجاء بصيغة المصدر مضافا إلى ضمير الغائب، وكل هذه الضمائر عائدة على اسم الجلالة جَلَّوَعَلَا، وجاء لفظ (الفوز) مصدرا موصوفا بصفتي: البيان في آيتي الأنعام والجاثية، والعظمة في آية غافر[4].

ودَلَّت الآيات الكريمة على أنَّ الإنجاء من العقاب، والإنعام بالجنَّة، لا يتحصل إلا برحْمةٍ وفَضْلٍ وإحْسانٍ من اللهِ جَلَّوَعَلَا ابتداءً، كما يشهد لذلك ما جاء في الآيات الثلاثة من قوله ﷻ: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، وقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾، وقوله ﷻ: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، وذلك مُوافِقٌ لِما ورد في قولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلا أَنْتَ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ**»[5].

---

(1) سورة الأنعام الآيتين: 15- 16.

(2) سورة غافر، الآيات: 7- 9.

(3) سورة الجاثية، الآيات: 27 – 31.

(4) وُصف لفظ الفوز في القرآن الكريم بصفات العظمة: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، والكبر: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾، والبيان: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

(5) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: 11486.

فدلَّ لفظُ الرحْمة في الآيات الثلاث على **الصرف عن العذاب يوم القيامة، والوقاية عن السيئات، والإدخال في الجنة**، وهذه المعاني الجزئية المتضمنة للسمات الدلالية لمفهوم الرحْمة تُوحي بأن مفهوم الفوز في الآيات الكريمة يأتلف مع مفهوم الرحْمة من حيث الاقتضاء والمقصد، ذلك أن الرحْمة «**تقتضي إيصال الخير إلى العباد ودفع الضرِّ عنهم في الدنيا والآخرة**»[1]، كما أن الفوز **يقتضي الظَّفَر بالخَيْر، والنّجاة من الشّرّ**، وهذا يفضي بنا إلى أن هناك تناظرا بين الرحْمة والفوز على سبيل التقارب؛ نلاحظ ذلك عند التأمل في المفهومين حيث نجد أن الرحْمة تتعلق بفعل الراحم أساسا، باعتبار فعلي الإيصال والدفع، بينما الفوز يتعلق بما يتلقاه المرحوم نتيجة لفعل الراحم، فإيصال الخير من قبل الراحم ينتج الظفَر بالخير بالنسبة للمرحوم، ودفع الضرّ ينتج النجاة من الشرّ، يؤيد ذلك قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2]، فهذه المقابلة التي بين الزحزحة عن النَّار والإدخال في الجنَّة مُطابِقة تماما للمقابلة التي بين إيصال الخير ودفع الضرّ، وتلك التي بين الظفر بالخير والنجاة من الشرّ. ومنه قول أبي حيان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفَوْزُ: النَّجَاةُ مِمَّا يُحْذَرُ وَالظَّفَرُ بِمَا يُؤَمَّلُ»[3].

فمن خلال التأمل في النظيرين (الرحْمة والفوز) والموازنة بين مفهوميهما تبين أن الفَوْزَ هو الغاية القصوى التي يصبو إليها المرحوم، والهدف الأسْمَى الذي يسعى الراحم إلى تَحْقيقِه بالرَّحْمَةُ.

وعليه فإن الفوزَ مفهومٌ غائيٌّ مآليٌّ بالنسبة للرحْمة؛ فالرَّحْمَةُ هي شجرةٌ مزهرةٌ ناظرةٌ يافعةٌ، ثابتةُ الجذور، باسقةُ الفروع، يانعةُ الثمار، دانيةُ العطاء، طيبة الأكل، من تَلَقَّى قُطُوفَها العظيمة فقد ظَفِرَ بالنعيم المقيم، والفضل العميم، ونَجا من العذاب الأليم، وذلك هو الفَوْزَ العَظِيم.

---

(1) ينظر: التعريف المقترح لمفهوم الرحْمة في الاستعمالي القرآني والحديثي في الفصل الأول من هذا البحث.

(2) سورة آل عمران، الآية: 185. قال الإمام فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «واعلم أنه لا مقصود للإنسان وراء هذين الأمرين، الخلاص عن العذاب، والوصول إلى الثواب، فبين تعالى أن من وصل إلى هذين المطلوبين فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها». مفاتيح الغيب: 9/ 453. وفي حديث عن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو، أن رسُولُ الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَيَأْتِي إِلى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**». مسند أحمد، حديث رقم: 6807.

(3) البحر المحيط: 3/ 454.

المسلك الثاني: التَّرْبِيَةُ

2.1 التربية في اللغة

التَّرْبِيَةُ: مصدر رَبَّى يُرَبِّي تَرْبِيَةً، ومداره في اللغة على إصلاح الشيء والقيام عليه رعايةً[1]. يقال: ربَّى الأب ولده، أي: أحسن القيام عليه، ورعايته، وأصلحه حالاً فحالاً إلى حدّ التمام[2]؛ فتربية الولد: تعهّده بالرعاية بكل ما من شأنه أن يحقق نموه وقواه وتهذيبه في كل مجالات النمو الجسميّة والعقليّة والخلقيّة[3]، وقد ورد ذكر التربية بهذا المعنى في القرآن الكريم من خلال قوله ﷻ على لسان فرعون مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[4].

وتربية المال: تنميته وزيادته؛ يقال: ربَّى الشَّخصُ مالَه: زاده ونَمَّاه[5]. وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[6]، أي: يُنمِّي الصدقات ويكثرها، ويضاعف الأجر للمتصدقين، ويزيد فِيها ويثمرها، ويبارك لهم في أموالهم التي أخرجت منها الصدقة[7]. ومتى أُنْعِمَ النَّظَرُ في هذه المعاني كلها كان البابُ كلُّه قياساً واحداً.

2.2 مورد التناظر بين (الرحْمة) والتربية

ورد لفظ الرحْمة مناظرا للفظ التربية في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قول الله ﷻ: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[8].

---

(1) المقاييس: 2/ 381.

(2) الصحاح، واللسان/ ربا، والمحكم، والتاج/ رب ب، والمفردات: 336، والمخصص: 1/ 54.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة/ رب و.

(4) سورة الشعراء، الآية: 18.

(5) المختار/ رب ب.

(6) سورة البقرة، الآية: 276.

(7) الكشاف: 1/ 321، ونظم الدرر: 4/ 134، وروح البيان: 1/ 436، وفتح البيان: 2/ 141.

(8) سورة الإسراء، الآيتان: 23 - 24.

افتتحت الآية الكريمة بفعل القضاء المقتضي الإلزام والوجوب القطعي الذي لا رجعة فيه، وجعلت المقضي هو توحيد الله جَلَّوَعَلَا بالعبادة، والإحسان إلى الوالدين؛ فقرن المولى تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إفرادَه بالعبادة ببرِّ الوالدين[1]، كما قرن شكره ﷻ بشكرهِما في قوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[2]، وذلك لبيان أن الله ﷻ هو الخالق وحده والموجد الحقيقي للإنسان فاستحق العبادة وحده، وأن الأبوين هما السبب الظاهر لإيجاد الإنسان فاستحقا الإحسان إليهما. وبما أن الله ﷻ هو مصدرُ الرحْمةِ وجَميعِ النعم على الإنسان وجَبَلَ الوالدين على الشفقة والرحْمة فيندفعان بالفطرة إلى التضحية بكل شيء لرعاية ولدهما، قرن سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ رحْمته الواسعة بتربية الوالدين لولدهما، لبيان عظمة رحْمته جَلَّجَلَالُهُ، وعظمة تربية الوالدين لولدهما وقيمة برِّهِما عند الله، فكان مقتضى الرحْمة توحيد الله ﷻ بالعبادة، وكان مقتضى التربية مقابلة الوالدين بالإحسان ولا سيما في سنّ الكبر[3].

وبعبارات ندية، يستجيش القرآنُ الكريم وجدان البر والرحْمة في قلوب الأولاد فيأمرهم بأن يتذلّلوا ويتواضعوا رحْمةً بالوالدين، وإن كانت رحْمتهم بهما لا تَفِي بِما قدّماه لهم، ولا ترد لهما الجميل؛ لذلك فعليهم أن يطلبوا لهما الرحْمة الكبرى والمنَّة العظمى من الله ﷻ أن يرحَمهما رحْمةً تكافئ تربيتهما لهم: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[4]، لأن رحْمة الله أوسع، ورعايته أشْمل، وجنابه أرْحب، وثوابه أجزل، وهو أقدر على جزائهما بما لا يقدر الأبناء عليه[5].

نخلص مما سبق أن الرحْمة نظير التربية، نظراً لتطابقهما الدلالي والاستعمالي؛ ذلك بأن الرحْمةَ تقتضي إيصال الخير إلى الغير ودفع الضر عنه نِحْلَةً، والتربية هي اهتمام الوالدين بإيصال الخيراتِ إلى الولد، ودفع الآفاتِ عنه من ولادته إلى أن يبلغ أشده بلا استعاضة، ومعلوم أن إيصال الخير إلى الغير قد يكون لداعية إيصال الخير إليه، وإيصال الخير إلى الولد ليس لهذا الغرض، فثبت بذلك أنه ليس لأحدٍ من المخلوقين نعمةٌ على غيره مثل ما للوالدين على الولد. ولهذا كان الاقتران بين الرحْمة والتربية أنسب، والتناظر بينهما أتم وأكمل، إلا أن الرَّحمة أعم باعتبار مصدرها الإلهي.

---

(1) نظائرها في كتاب الله قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ البقرة: 83، وقوله ﷻ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ النساء: 36، وقوله ﷻ: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ الأنعام: 151.

(2) سورة لقمان، الآية: 14.

(3) مفاتيح الغيب: 20/ 321، والتحرير والتنوير: 15/ 65، والتفسير الوسيط: 2/ 1338.

(4) سورة الإسراء، الآيتان: 23 – 24.

(5) ينظر: في ظلال القرآن: 4/ 2221، وتفسير الشعراوي: 14/ 8466.

المسلك الثالث: الرَشَدُ

3.1 الرَّشَدُ في اللغة

الرَّشَدُ: مصدر رَشِد يَرْشَدُ رَشَداً، فهو رَاشِدٌ ورَشِيدٌ، ورَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً، لُغَةٌ فيه، ومداره في اللغة على الهدى والاستقامة، وهو مأخوذ من استقامة الطريق[1]؛ يُقال: رَشِد الرجل إذا أصاب وجْهَ الأمر والطريق[2]. فالرَّشَدِ والرُّشْدِ بمعنى واحدٌ، خِلافُ الغَيِّ[3]، قال أبو سفيان بن الحارث:

وكُنْتُ أَرَى سَبِيلَ الرَّشَدِ صَعْباً ونَجْدَ الغَيِّ مَوْرِدَهُ ذَلُولاً[4].

والطريق الأَرْشَدُ: الأقصد، والجمع مَراشد، والمَرَاشِدُ: مقاصِدُ الطُّرُق[5]؛ قال أسامةُ الهُذَلِيُّ:

تَوَقَّ أَبَا سَهْمٍ ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَه مِنَ الله واقٍ لَمْ تُصِبْهُ المَرَاشِدُ[6].

ويقال: قد رشدت أي: وُفقت للصَّواب والخير، وَمِنْه إرشاد الضال أَي: هدايته للطريق[7].

وقال رَبُّ العِزَّة تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[8]، قال الْحَرَالِّي رَحِمَهُ اللهُ: الرُّشْدُ: حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه، بحسب ما يثبت ويدوم، والغَيُّ: سوء التصرف في الشيء وإجراؤه على ما تسوء عاقبته[9].

---

(1) المقاييس، والتحرير، والمطلع، والتاج، والقاموس/ رشد.

(2) العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمخصص، والأساس، وشمس العلوم، واللسان، والقاموس/ رشد.

(3) ذهب بعضُ أصحاب المعاجم، كابن منظور، والزَّبيدي [في اللسان والتاج/ رشد]، إلى أن الرشد خلاف الضلال، وهذا لا يصح لأن الضلال هو: أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا، فهو في مقابلة الهدى الذي يقتضي الدلالة إلى الطريق الموصل إلى المقصد، والغي: أن لا يكون له إلى المقصد طريق مستقيم، فهو في مقابلة الرشد الذي يقتضي استقامة الطريق. ينظر: الكليات: 576.

(4) البيت بدون عزو، في الزاهر في معاني كلمات الناس: 2/ 111.

(5) الجمهرة، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، والمختار، والقاموس/ رشد.

(6) البيت من الطويل وهو لأسامةُ بن حبيبٍ الهُذَلِيُّ، يُنظر: ملحقات شرح أشعار الهذليين: 1350.

(7) مشارق الأنوار، والنهاية، واللسان/ رشد.

(8) سورة الأعراف، الآية: 146.

(9) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 446. بتصرف يسير.

3.2 مورد التناظر بين (الرحْمة) والرَّشَدُ

ورد لفظ الرحْمة مناظرا للفظ الرشد في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢﴾[1].

جاءت الآيات الكريمة في مستهل قصة أصحاب الكهف، وتحكي عن حالة الفتية لَمَّا لجؤوا إلى الكهف فارِّين من قومهم بدينهم، حيث تضرَّعوا واتجهوا إلى ربهم طالبين الرَّحْمَة والرَّشَد فقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: أعطنا من لدنك[2] رَحْمَةً عَظِيمَةً نابعة من خزائن رحْمتك وجلائل فضلك وإحسانك، لائقة بفضلك وواسع جودك، جَامِعَةً لخير الدنيا والآخرة، فالرحْمة هنا تشمل الثبات على دينهم، لئلا يكونوا فتنة للقوم الكافرين، والرزقَ كيلا يلاقوا في اغترابهم مشقة وألما، والحفظ مما هربوا خائفين منه من أذى قومهم، والمغفرة لذنوبهم. ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناوأة المشركين؛ فعبر عن ذلك التقدير بالتَّهْيِئَة التي هي التَّقْرِيبُ والتَّيْسِيرُ، أي: يَسِّرْ لَنا وقَرِّبْ لَنا مِن أمْرِنا رَشَدًا، والرَّشَدُ: الاهْتِداءُ إلى إصابة الخير والحق والنفع والصلاح والدَّيْمُومَةُ عليها. والأمر هنا: الشأن والحال الذي يكونون فيه، وهو مجموع الإيمان والاعتصام إلى محل العزلة عن أهل الشرك[3].

نستنتج مما سبق أن الرحْمة في الآية تدلُّ على دفع كلَّ ما من شأنه أن تلحق المضرة عليهم، وإيصال الخير الدائم إليهم من نصر وتمكين، والرشد يدلُّ على الاهتداء إلى إصابة تلك الرحْمة؛ وذلك في حدِّ ذاته نوع من الرَّحْمة. وهذا يوحي بأن الرحْمة تُناظر الرَّشد على سبيل التقارب.

---

(1) سورة الكهف، الآيات: 9- 12.

(2) يقول البقاعي: «ولما كانت الموجودات على ثلاث رُتَب: **حُكْمِيّاتٍ** جاريَةٍ على قوانينِ العاداتِ، و**عِنْدِيّاتٍ** خارِقَةٍ للمُطَّرِداتِ و**لَدُنِيّاتٍ** مُسْتَغْرِقَةٍ في الأُمُورِ الخارِقاتِ، طلبوا أعلاها فقالوا: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أي من مستبطن الأمور التي عندك ومستغربها ﴿رَحْمَةً﴾ أي إكراماً تكرمنا به كما يفعل الراحم بالمرحوم ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي جميعاً لا تخيب منا أحداً ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي وجهاً ترشدنا فيه إلى الخلاص في الدارين، لا جرم صارت قصتهم على حسب ما أجابهم ربهم بديعة الشأن فريدة في الزمان، يتحدث بها في سائر البلدان، في كل حين وأوان» نظم الدرر: 12/ 18.

(3) ينظر: بحر العلوم: 2/ 336، وأضواء البيان: 3/ 207، والتحرير والتنوير: 15/ 266، ومفاتيح الغيب: 21/ 429.

المسلك الرابع: المِرْفَقُ

1. المِرْفَقُ في اللغة

المِرْفَقُ: مصدر رَفَقَ يَرْفُقُ رِفْقاً ومِرْفَقاً، ومداره في اللغة على الانتفاع بشيء، وهو مأخوذ حسيا من الارتفاقُ، وهو التوكؤ على مِرفَقةٍ، وهي كل شيء يرتفق به، أَي: يُتّكأ عَلَيْه[1]. وفيه «أَيُّكم ابْنُ عَبْدِ المُطَّلب؟ قالوا: هو الأبيضُ المُرْتَفِقُ» أي المُتَّكئ على المِرْفَقَة وهي كالوسادة[2]. ثم استعمل المِرْفَق في كل شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافقةٍ[3]؛ يقال: هذا الأمر بكَ رَفِيقٌ ورافِقٌ: نافع[4]، ورفَقَ بالرجل وأرْفَقه أي نَفَعه.

فالمِرْفَقُ إذن: كل ما به يُرتفقُ ويُنْتَفَعُ ويُسْتعانُ؛ ومنه المرافق العامة للمدينة وهي ما يَنتَفِع به السكان عامَّة، كأجهزة النَّقْل، والإضاءة، والمدارس، والمستشفيات، والأسواق، والحدائق ...[5].

21.1 مورد التناظر بين (الرحْمة) والمرفق:

ورد لفظ الرحْمة مناظرا للفظ المرفق في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قول الله ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[6].

وردت الآية الكريمة في معرض الكلام عن منهج أصحاب الكهف في تحصين دينهم وإيمانهم من فتنة قومهم، وذلك بالاعتزال المادي بترك الديار والبلاد واللجوء إلى الكهف، والاعتزال المعنوي بمخالفتهم في دينهم وترك معبوداتهم المزعومة، والاستقلال بعبادة الله وحده[7]، وكما يقال: «العزلة عن غير الله توجب الوصلة بالله»[8].

---

(1) العين، والجمهرة/ رفق.

(2) النهاية: 2/ 246.

(3) المقاييس/ رفق.

(4) الجمهرة، والأساس، واللسان/ رفق.

(5) المختار، وشمس العلوم، والمغرب في ترتيب المعرب، واللسان، والوسيط/ رفق.

(6) سورة الكهف، الآية: 16.

(7) التفسير الوسيط للزحيلي: 2/ 1409.

(8) لطائف الإشارات: 2/ 382.

فلما اعتزلوا ما عُبد من دون الله ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾[1]، آواهم الحقّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى كنف رعايته، ومهد لهم مثوى في كهف عنايته، استجابة لدعائهم لَمَّا قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2]؛ قال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تبرّأ من اختياره في احتياله، وصدق رجوعه إلى الله في أحواله، ولم يستعن بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه إلى كنف أفضاله، وكفاه جميع أشغاله، وهيّأ له محلاً يتفيأ فيه في برد ضلاله، بكمال إقباله»[3].

وهنا يأتي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ نظير قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾، وذلك أن (نَشْر الرَّحْمَة) عبارة عن دفع الضر عنهم في الكهف من وحشة وضيق وصلابة وظلمة، فيجعله رحيباً فسيحاً رقيقاً مضيئاً، وتنتشر فيه مظاهر الرحْمة وتتسع خيوطها وتَمتدُّ ظلالها، و(تَهْيِئَة المِرْفَق) عبارة عن إيصال ما يَنْتَفِعُون به في حياتهم من أسباب العَيْشِ كالرفق والرخاء والراحة والاطمئنان والارتفاق والرضوان؛ فبالرَّحْمة تَمتدُّ عليهم ظلال السعة والانفساح، وبالمِرْفَق يُرتَّب لهم وسيلةٌ للطف واللين والراحة[4].

يتضح مما سبق حسب سياق الآية أن للرحْمة وظيفةً دفاعيةً، تتمثل في توفير الحماية والأمن والستر، فيما أن للمِرْفَق وظيفةً انتفاعيةً، متمثلة في تسهيل المأوى والإقامة وتيسير حاجات العيش، فكلاهما نظيران تحت ظلال الرحْمة الواسعة. وفي هذا تنبيهٌ من الله جَلَّ وَعَلَا على أن رحْمته وسعت كل شيء، بها وَسَّع ضيق كهف خشن مظلم في جبل صحراوي ليس به مُقوّم من مُقوّمات الحياة، وسخر فيه الراحة والاطمئنان، **فإذا الحدود الضيقة تنزاح، والجدران الصلدة ترق، والوحشة الموغلة تشف**[5]، ليصير مرقدا آمناً سخاءً لفتيةٍ آمنوا بربهم، وتوكّلوا عليه، والتجأوا إليه، ففارقوا أهلهم، واعتزلوا قومهم، وهاجروا ديارهم، وتجردوا من زينة الأرض ومتاع الدنيا تحصينا لعقيدتهم.

(1) سورة الكهف، الآية: 14.

(2) سورة الكهف، الآية: 10.

(3) لطائف الإشارات: 2/ 382.

(4) في ظلال القرآن: 4/ 2262، وفتح القدير: 3/ 324، وفتح البيان: 8/ 21، والتحرير والتنوير: 15/ 277.

(5) في ظلال القرآن: 4/ 2262، بتصرف يسير.

المبحث الثاني
علاقات الاختلاف

المسلك الأول: العذاب

1.1 العذاب في اللغة

العَذَابُ: مصدر عَذَّبَ يُعَذِّبُ عَذَاباً، وأصله في كلام العرب الضَّرب[1]، ومنه قول الشَاعر:

وَخَلْفَهَا سَائِقٌ يَحْدُو إِذَا خَشِيَتْ مِنْهُ الْعَذَابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ وَالْعُنُقَا[2].

ثم استُعمِل بمعنى النكال والعقوبة[3]، واستُعير للأمور الشاقة[4]، كالسفر[5]، والجوع[6].

والعذاب مأخوذ حسيا من التَّعْذِيب؛ وهو إكثارُ الضّرب بِعَذَبَةِ السّوطِ، أي: طرفها[7]، فمعناه المادّي أنَّه إهلاك وإفناء للقوة والغِلَظ والحَيَويَّة المنبثة في البدن، أي: تجريد منها بإيقاع الآلام المؤدية إلى ذلك كالضرب المبرح بصُوَره والجَلْد والكيّ بالنار وقَطْع الأعضاء، والإجاعة والإعطاش ونحوها، وكذلك يصدق بإيقاع الإهانة والإذلال لذوي الكبر والاعتزاز[8].

1.2 العذاب في الاستعمال القرآني

استُعمل لفظ (العذاب) في القرآن الكريم بمعانٍ عدة كلها تعود إلى المعنى اللغوي المتمثل في النكال والعقوبة والضرب؛ إذ يتفاوت في الأنواع والشِّدة والأثر بتفاوت فئات مستحقيه من العصاة والكفار...، فيتميز عذاب كل فئة بصفة معينة[9]، حسب ما اقترفه من صغيرة أو كبيرة.

---

(1) المقاييس، والمصباح، والمجمل/ عذب.

(2) البيت من البسيط، وهو لزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان المري، ديوانه: 39.

(3) المحكم، والمفردات/ عذب.

(4) العين، والمقاييس، والمصباح، واللسان/ عذب.

(5) كما قيل: السفر قطعة من العذاب. يُنظر: التوقيف: 239.

(6) يقال: يَعْذِبُ الرّجل إذا بات يمتنع من الأكل والشرب، لا صائم ولا مُفْطِرٌ. العين، والمحكم، والمفردات/ عذب.

(7) عَذَبَةُ السّوطِ واللّسانِ والشجرِ: أطرافُها، لذلك قال بعض أهل اللّغة: «التَّعْذِيبُ هو الضّربُ». يُنظر: المفردات: 554.

(8) المعجم الاشتقاقي/ عذب.

(9) من قبيل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 7، 10، 90، 126]، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: 93]، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٩﴾ [هود: 39]. واستُعمل في الجَلْد عقوبة الزنا في قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾، ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ﴾ [النور: 2، 8]، وكذلك ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: 25].

1.3 العلاقة من خلال المقام والمقال:

تقابل لفظ (الرحْمة) مع لفظ (العذاب) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وخمسة مواضع في الحديث الشريف من خلال أربعة أحاديث، نسوق هذه الموارد كلها على النحو الآتي:

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾[2].

وقوله ﷻ: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾[3].

وقول رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**»[4].

وقولُه ﷺ: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**»[5].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي «**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**»[6].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أُبَيُّ، إِنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ فَقِيلَ لِي: عَلَى حَرْفٍ، أَوْ حَرْفَيْنِ؟ فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعِي: قُلْ: عَلَى حَرْفَيْنِ، قُلْتُ: عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقِيلَ لِي: عَلَى حَرْفَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ؟ فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعِي: قُلْ: عَلَى ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: عَلَى ثَلَاثَةٍ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ، إِنْ قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ**»[7].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 21.

(2) سورة الإسراء، الآية: 54.

(3) سورة الحديد، الآية: 13.

(4) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث رقم: 6469.

(5) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، حديث رقم: 5097.

(6) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3474.

(7) سنن أبي داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: 1477.

ولعل التأمل في نظم مقال الآيات والأحاديث يمهد السبيل إلى الكشف عن شفرة هذه العلاقة وما يحمل مقام تزاوج الرحْمة مع العذاب من دلالة.

وعلى هذا الأساس، نلاحظ أن في آية سورة العنكبوت، قُدم العذاب في الذكر على الرحْمة مع أن رحْمته ﷻ سابقة كما قال ﷺ عنه ﷻ: «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**»[1]، بينما قُدمت الرحْمة على العذاب في آية سورة الإسراء. كما نلاحظ أن ثمَ تَآلُفاً بين (الرحْمة) و(العذاب) في الصيغة الصرفية، وهي الفعل المضارع، وتَخالُفاً في دلالة مقالهما، وتلازماً في مبنى نظمهما حيث تعاطف فعلا الرحْمة والتعذيب بأداة عطف، مع إسنادهِما إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، مقترنَيْن بفعل المشيئة. أما في آية سورة الحديد فقد ورد المصطلحان بالصيغة المصدرية معرفان بالألف واللام، وقد جاء نظم الآية بشكل بديع كما نلاحظه من خلال المقابلة بين الباطِن والظاهِر والرَّحْمَة والعَذاب.

وفي الحديث الشريف: ورد المصطلحان بالصيغة المصدرية معرفان بالألف واللام، في الحديثين الأول والثاني، حث قُدم ذكرُ الرَّحْمة على العذاب. أما في الحديثين الثالث والرابع فقد ورد المصطلحان بالصيغة المصدرية نكرة، وقُدم العذاب في الذكر على الرَّحْمَة في الحديث الثالث، أما في الحديث الرابع فقد وردا بالتناوب؛ مرة قُدم العذابُ، ومرة قُدمت الرَّحْمَةُ.

ولتحديد نوع العلاقة بين المصطلحَين ودلالتها من خلال الملاحظات السابقة، يستدعي الوقوف على سياقات ورودهما تبيُّناً لدلالة ذلك بالاستعانة بفُهُوم الراسخين في العلم من المفسرين وشراح الحديث.

جاءت الآية الأولى في مقام الحديث عن المعاد، على صُورة جُمَل معترضة في قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه؛ فيتعرض القرآن الكريم إلى إحدى المسائل المتعلقة بالمعاد، وهي مسألة الرحْمة والعذاب، ومع أنّ رحْمةَ الله مقدَّمَةٌ على غضبه -كما سبق-، إلاّ أن الآية هنا تبدأ بذكر العذاب أولاً ثمّ الرحْمة؛ لأنّها في مقام الترهيب، وتقديم العذاب أنسب بالمقام من الرحْمة[2]!.

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم: 7553، ومسند أحمد، حديث رقم: 7299.

(2) روح المعاني: 10/ 353، وإرشاد العقل السليم: 7/ 35، ومفاتيح الغيب: 25/ 42، واللباب: 15/ 333.

وجاءت الآية الثانية في سياق الحدث عن أسلوب مُخاطبة المخالفين، حيث يأمر اللهُ ﷻ رسولَه ﷺ بأن يبلِّغ عبادَ الله المؤمنين: أن يقولوا في مخاطبات المخالفين من المشركين وغيرهم أثناء حوارهم الكلامَ الأحسن[1]، وهو ألا يكون بيان الحجة مخلوطا بالشّتم والسّب والأذى، حتى لا يقابلوهم بمثله، ونظير هذه الآية قول أصدق القائلين تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[2]، فالأسلوب الأحسن هو أن يقال لهم: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾[3]، ولا يصرّح لهم بأنهم من أهل النّار، وأنهم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر[4]. ولما كان المقام مقام الترغيب كان تقديم الرحْمة أنسب بالمقام من العذاب، فقدم الرحْمة على العذاب كناية بهما عن الاهتداء والضلال، بقرينة مقارنته لقوله: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾[5] الذي هو كالمقدمة. وجيء بالعطف بِحرف (أو) الدالة على التقسيم لأن الرَّحْمة والعذاب لا يَجتمعان[6].

أما الآية الثالثة فوردت في معرض الكلام عن مشهدٍ عجيبٍ من مشاهد يوم القيامة، وهو حال المؤمنين والمنافقين في موقف القيامة، حين يشع نورُ المؤمنين منهم ويفيض بين أيديهم وبأيمانهم ليرشدهم إلى الجنة، فيتعلق المنافقون بأدبارهم ليلتمسوا نورهم، وهم في حيرة ومهانة وضلال وإهمال، فيُرَدُّون خائبين خاسرين يائسين! ويُفصل بينهم بجدار محيط محيل بين الجنَّة والنَّار، له باب باطنه من جهة المؤمنين فيه الرحْمة، وظاهره من جهة المنافقين فيه العذاب[7]. فكان النظم الإلهي في هذه الآية أن تتقدم الرحْمة على العذاب، والمقام يقتضي ذلك؛ لأنه بدأ بالكلام عن حالِ المؤمنين ثم حال المنافقين، فناسب ذلك تقديم النَّعِيم (الرحْمة) على الجَحِيم (العذاب).

---

(1) أي: إلانة القول، كما أمر الله ﷻ نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام بإلانة القول لفرعون؛ فقال أصدق القائلين تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: 44]، «لأن الشيطان يؤجج نيران النزاع، ويثير الفتنة والشر، ويوقع الخصام، ويغري بالمقاتلة، فلا يتحقق المطلوب، وتخيب المساعي، وتقع العداوة، وهو المراد بنزغ الشيطان للإنسان». التفسير المنير: 15/ 99.

(2) سورة النحل، الآية: 125.

(3) سورة الإسراء، الآية: 54.

(4) التفسير المنير: 15/ 99.

(5) ونظيره قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧﴾ [القلم: 7]

(6) التحرير والتنوير: 15/ 134.

(7) المنير: 27/ 307، وفي ظلال القرآن: 6/ 3486، ونظم الدرر: 19/ 275.

وفي الحديث الشريف: جاء الحديث الأول في مقام الدعوة إلى أن يحرص الإنسان في حال سيره إلى الله على أن يسير في جانبي الخوف والرجاء، حيث دلَّ الحديث على سعة رحْمة الله ﷻ وشدة عذابه، فاشتمل على الوعْد والوعِيد المقتضَيَيْنِ للرَّجاءِ والخوْف؛ فلا يَأمَن انْتِقَامه مَن يرجُو رَحْمَته، ولا يَيْأَس مِن رَحْمَته مَن يَخَاف انْتِقَامه، وذلك بَاعِث على مُجَانَبَة السَّيِّئَة ولَو كانت صغيرة وملازَمة الطَّاعَة ولو كانت قليلَة. كما قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[2].

ولما كان سِياق الحديث لترغِيب المُؤْمِن في سَعَة رَحْمَة الله الَّتي لو علِمَها الكافرُ الَّذي كُتِبَ عليه أنَّه لا حظَّ له في الرَّحْمَة لَتطاولَ إليها ولَمْ يَيْأَسْ مِنها، اقتضى النظم في هذا المقام تقديم ذكر الكافر إلى جانب الرَّحْمَة لأن سعتها تقتضي أن يطمع فيها كل أحد ثم ذكر المؤمن إلى جانب العذاب استطرادا، والتقدير: إذا كان ذلك حال الكافِر فكيف لا يطمع فيها المُؤمِنُ الَّذي هَدَاهُ الله لِلإِيمَانِ؟[3].

أما الحديث الثاني فجاء في مقام الحديث عن آيةٍ من آيات الله جَلَّ وَعَلَا، وجُندٍ مِن جنودِه، وهو الرِّيحُ، حيث جعل اللهُ فيها رَحْمةً، وجَعَل فيها عذابًا؛ فبين رسول الله ﷺ أن الرِّيحَ مِن رحْمةِ الله، يُرسِلُها لإغاثَةِ عباده المؤمنين، فيَنْزِلُ بسببها الغيثُ النَّافِعُ بسَوْقِها وتَجْميعِها للسَّحاب، كما قال الله ﷻ، وهو أعز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[4].

كما أنها من عَذاب الله، يترل الويل والثبور على الكافِرين لإهلاكِهم بذنوهم، كما جاء في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[5]. لذلك يحسُن بالمسلم إذا أدرَكها وأحس هبوبها، أن يلتجئ إلى الله ويتضرع إليه أن يُحقق له خيْرَ ما أُرسِلَت بهِ، ويستَعيذ باللهِ من شَرِّ ما أُرسِلَتْ بهِ[6].

---

(1) سورة السجدة، الآية:16.

(2) سورة الإسراء، الآية:57.

(3) يُنظر: فتح الباري لابن حجر: 11/ 302.

(4) سورة الأعراف، الآية: 57. ويُنظر: سورة الحجر، الآية: 22، وسورة النمل، الآية: 63، وسورة الروم، الآية: 46، 48.

(5) سورة فصلت، الآية: 16. وفي: سورة القمر، الآية: 19، وسورة آل عمران، الآية: 117، وسورة الأحقاف، الآية: 24.

(6) شرح رياض الصالحين: 6/ 469، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/ 545، وتطريز رياض الصالحين: 973.

والحديث الثالث جاء لبيان عِنايةِ الله ﷻ بهذه الأُمَّةِ، حيثُ جَعَل ما عُدَّ عَذابًا لغيرِهم رَحْمةً لهم كالطاعون؛ فبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الطَّاعونَ إنَّما هو عَذابٌ يَبعَثُه اللهُ على مَن يَشاءُ ليطهر الأرض من رجس الكَافرين وظلمهم، فيكون عبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]! وأنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَه رَحْمةً ورفعَ درجات للمؤمنينَ إذا وَقَعَ بهم؛ لأنَّه إذا وقَع في بَلَدٍ فيه مؤمن، فصَبَرَ مُحتسبًا لله ﷻ، فمات؛ فإنَّه يكونُ له مِثلُ أجرِ شَهيدِ المعركةِ في الآخِرةِ. وهذا دليل صريح على أن الله ﷻ جَعَل أمْرَ المؤمنِ كلَّه له خَيرًا، في السَّراءِ والضَّراءِ[2]؛ فشُكْرُه في السَّرَّاءِ يُوجِبُ له الأجرَ على شُكرِ النِّعمةِ، وصَبْرُه في الضَّرَّاءِ يُوجِبُ له الأجرَ على الصَّبرِ على البلاءِ[3].

أما الحديث الرابع فجاء في بيان وجه آخر مِن رحْمةِ الله ﷻ بهذه الأُمَّةِ، حيث يَسَّرَ لها كتابَهُ، وجعل لَها أوجُهًا يَجوزُ أن يُقْرأَ بها. فبين رسولُ الله ﷺ: أنَّه لَمَّا أُقْرِئَ القرآنَ، كان يستزيد أوجُهَ القراءة حتَّى بلغت سَبْعَةَ أَوْجُهٍ يَجوزُ أنْ يُقْرَأَ بِها، وليس مِنها إلا شافٍ كافٍ[4]، فإن قُلْتَ: سميعًا مكان عليمًا، أو عزيزًا مكان حكيمًا أَصَبْتَ؛ لأنَّهُ إبدالُ صِفةٍ بأُخْرى، واللهُ ﷻ مُتَّصِفٌ بجميع تلك الصفات، فلا يَجوز أن تَخْتِمَ آيةَ عذابٍ بآيةِ رَحْمةٍ، أو آيةَ رَحْمةٍ بآيةِ عذابٍ[5]، كأن تقول: (والله عزيز غفور) بدل قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[6]، أو (إن العاقبة للكافرين) بدل: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[7]، فهذا لا يَصْلُحُ؛ لأنَّه يُخِلُّ بالنَّظْمِ ويُغيِّرُ المعنى[8].

فتبين مما سبق أن العلاقة بين الرحْمة والعَذاب علاقة تناقض نظرا للتنافي التام بين معنييهما.

---

(1) سورة ق، الآية: 37.

(2) استناداً إلى قول النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: 2999.

(3) عمدة القاري: 16/ 59، وإرشاد الساري: 5/ 433، ومرقاة المفاتيح: 3/ 1132، ومرعاة المفاتيح: 5/ 238.

(4) قال بدر الدين العيني: «قوله: «**لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ**» أي: ليْس من هذه الأحرف السَبْعة حرفٌ إلا وهو حَرْف كاف لكل شيءٍ، شاف مِن كل ذنب. والحاصل: أن حكم الجميع حكم القرآن في كونه كافيا شافيا». شرح أبي داود: 5/ 392.

(5) وقد روي أن الأصمعي كان في مجلس فقرأ: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم)، وسمعه أعرابيٌّ، فقال – وهو لا يحفظ الآية –: كلام مَن هذا؟ قال: كلامُ الله، قال: ليس هذا كلام الله. فانتبه، فقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [سورة المائدة، الآية:38]، فقال: أصبتَ، هذا كلام الله. فقال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قال: مِن أين علمت؟ قال: يا هذا! عَزَّ، فَحَكَم، فقطع، ولو غفر ورحم، لما قطع.

(6) سورة آل عمران، الآية: 4.

(7) سورة هود، الآية: 49.

(8) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 8/ 283، وفتح الباري لابن حجر: 9/ 24، وشرح أبي داود للعيني: 5/ 392.

المسلك الثاني: الهلاك

2.1 **الهلاك في اللغة:**

الهَلاكُ: مصدر هَلَكَ يَهلِكُ هَلاكاً، وأصله في كلام العرب السقوط والفناء[1]، كالموت، وافتقاد الشيء، وفساده، أو بطلانه[2]. ومنه يُقال: هَلَكَ الرجل إذا مات[3]. وهو مأخوذ ماديا من الهَلَكون: وهي الأرض الجَدْبَة التي ليس فيها شيءٌ وإن كان فيها ماء[4]. والاهْتِلاكُ: رَمْيُ الإنسان نفسَهُ في تَهلُكةٍ. ومنه يُقال: اهْتَلَكَت القَطاةُ من خَوْفِ البازي، أي: رمت نفسَها في تَهلُكةٍ[5]. والتَّهْلُكَةُ: كلُّ شيءٍ يصيرُ عاقبتُه إلى الهَلاكِ[6]، وفي التَّنْزيلِ قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[7].

2.2 **الهلاك في الاستعمال القرآني:**

استَعمَل القرآنُ الكريم لفظَ الهَلاك بعدة معانٍ نجملها في الآتي:

أولاً: استُعمِل في معنى الموت المعتاد بدون مؤاخذة، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾[8].

ثانياً: استُعمِل في معنى إنفاد المال إنفاقًا لا بتدمير، كقوله ﷻ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾[9].

ثالثاً: استُعمِل في معنى الإفناء مؤاخذة، كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾[10].

رابعاً: جاء بمعنى افتقاد الشيء عنه ووُجوده عند غيره، قال ﷻ: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾[11].

خامساً: جاء بمعنى هلاك الشيء باستحالةٍ وفسادٍ، كقوله ﷻ: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾[12].

سادساً: جاء بمعنى التعذيب عذاب استئصالٍ، نَحو قوله ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾[13].

---

(1) المجمل، والمقاييس، والمفردات/ هلك.

(2) المفردات/ هلك.

(3) المقاييس، والتلخيص، والمحكم، واللسان، والمصباح/ هلك، والبصائر: 5/ 338.

(4) المعجم الاشتقاقي، والمحكم/ هلك.

(5) العين، والمجمل، والمقاييس، والأساس، والمصباح/ هلك.

(6) العين، والصحاح، والمختار/ هلك.

(7) سورة البقرة، الآية: 195.

(8) سورة النساء، الآية: 176، وكما في سورة يوسف: 85، والقصص: 88، ويس: 31، والجاثية: 24، وغافر: 24.

(9) سورة البلد، الآية: 6.

(10) سورة النجم، الآية: 50.

(11) سورة الحاقة، الآية: 29.

(12) سورة البقرة، الآية: 205.

(13) سورة القصص، الآية: 58، وفي الأنعام: 26، ومريم: 74، والأعراف: 4، 155، 173، والحج: 45، والأحقاف: 35.

2.3 العلاقة من خلال مقام ومقال الآية:

تقابل لفظ (الرحْمة) مع لفظ (الهلاك) في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قول أرحم الرَّاحِمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[1].

جاءت الآية الكريمة في سياق الرد على الكفار الذين كانوا يتمنون ويسعون في هلاك رسول الله ﷺ ومَن تبعه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حسداً منهم وعمى في قلوبهم، ليتخلصوا منهم ويرتاحوا مِن هوْل ما كانوا يُحَذِّروهم منه. فكان الرد أن قُل لهم: أترون إن أماتني الله وَعَجَّلَ بعذاب أو غيره ومن معي من المؤمنين والمناصرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو رحِمَنا بالنصرة وإظهار الإسلام كما نرجو، فأي راحة لكم في ذلك، وأي منفعة لكم فيه، ومن ذا الذي ينجيكم من عذاب الله إذا نزل بكم؟!

فحذَّرهم عاقبةَ ذلك بالتعبير بأداة الشك ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وأسند الإهلاك والرحْمة إلى الله وَعَجَّلَ ﴿أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ إعلاماً بأنه لا شيء في أيديهم فهو لا يخافهم بوجه[2]. والمراد بالآية تنبيه الكفار وحثهم على طلب النجاة والإنقاذ بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله بالإيمان والإقرار بالتوحيد والنبوة والبعث، وإعلامهم بأنه لا ينفعهم وقوع ما يتمنون للنبي ﷺ والمؤمنين من العذاب والنكال، فسواء عذبهم الله أو رحمهم، فلا مناص لهم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بهم[3].

وحاصل القول، إن الهلاك في الآية بمعنى الاستئصال، والرَّحْمة بمعنى الإمهال، ولذلك كان تقديمُ الإهْلاكِ على الرَّحْمة نوعاً من الاحتباك؛ يقول البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالآية من الاحتباك: ذكر الإهلاك أولاً دليلاً على النجاة ثانياً، والرحْمة ثانياً دليلاً على الغضب أولاً»[4]. فلما كان المشركون يتمنون هلاك النبي ﷺ والمؤمنين وهم غير عالمين بعاقبة الأمر بدأ بأمنيتهم، وهي الإهلاك، تهكُّماً لأن أعمالهم من فسق ونفاق وسوء أخلاق، منافية للنجاة جالبة للعذاب، وللنبي ﷺ والمؤمنين من الأسباب ما رتب وَعَجَّلَ عليها الفوز والنجاة، فلا يستحقون عذاب الرحمن. ثم أعقبه برجاء المؤمنين، وهو الرَّحْمة، استعطافاً لهم إلى إيقاع الإيمان والرجوع عن الكفران، فعطف الرحمة على الهلاك بأداة (أو) التي تفيد التقسيم لأن الهلاك والرحْمة متناقضان فلا يجتمعان.

---

(1) سورة الملك، الآية: 28.

(2) يُنظر: مفاتيح الغيب: 30/ 597، ونظم الدرر: 20/ 268.

(3) التفسير المنير: 29/ 38.

(4) نظم الدرر: 20/ 268.

المسلك الثالث: الضر

3.1 الضر في اللغة

الضُّرُّ: مصدر ضَرَّ يضُرُّ ضَرّاً وضُرّاً وضَرَّاءً، والاسم الضَرَر، ومداره في اللغة على الهُزَال والنُّقصان وسُوء الحال، إما في النفس لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في البدن لفقدان جارحة، وإما في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مالٍ وجاه، يقال: ضَرَّهُ: جلب إليه الضَرَر، أي: ما يسيء حاله[1].

قال الخليل «الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ، فإذا جَمَعْتَ بين الضَرِّ والنَّفْعِ فتَحْتَ الضّادَ، وإذا أفرَدْتَ الضُرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً، كقولك ضَرَرْتُ ضُرّاً، هكذا يستعمله العَرَبُ»[2]. فالضَّرُّ يُقابَل بالنّفع، والضَّرَّاءُ تُقابَل بالسَّرَّاء والنّعماء، والضُّرُّ ينفرد، وفي التَّنْزِيل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾[3]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾[5].

3.2 العلاقة من خلال المقام والمقال:

تقابل لفظ (الرحْمة) مع لفظ (الضُّرِّ) في أربعة مواضع في القرآن الكريم، وهي قوله ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[6]. وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[7]. وقوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾[8].

---

(1) العين، والتهذيب، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والجمهرة، والصحاح، والمجمل، والمقاييس، واللسان، والتصحيح، والمحكم، والقاموس، والتاج/ ضر.

(2) العين/ ضر.

(3) سورة يونس، الآية: 12.

(4) سورة الفرقان، الآية: 3.

(5) سورة هود، الآية: 10.

(6) سورة يونس، الآية: 21.

(7) سورة الروم، الآية: 33.

(8) سورة فصلت، الآية: 49- 51.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1].

نلاحظ من الآيات السابقة أنه أُسندت إلى (الرحْمة) وظيفةُ المفعولية بوقوع فعل (الإذاقة) عليها مسندا إلى ضمير الجلالة وذلك في آيات سورة يونس، والروم، وفصلت، وأسندت إلى (الضُّرِّ) وظيفةُ الفاعلية بإسناد فعل (المسِّ) إليه في نفس الموارد رعايةً للأدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لأنه وإن كان كل شيء من عنده، إلا أن الأدب معه ﷻ يقتضى إسناد الخير إليه والشرِّ إلى غيره[2]، وكلا المصطلحين ورد بصيغة المصدر نكرة للدّلالة على الشمولية والعموم.

أما في آية سورة الزمر فقد ورد اللفظان على نظم بديع يتمثل في التقابل بين الضُّرِّ والرَّحمَة، وبين كشف الضُّرِّ وإمساك الرَّحْمَة، وبين إرادة الضُّرِّ وكشفه، وبين إرادة الرَّحْمَة وإمساكها. كما أن هناك تناظرا بين الضُّرِّ وإمساك الرَّحْمَة، وبين كشف الضُّرِّ والرَّحْمَة. ومن هنا نتتبع سياق ورود كل آية تمهيداً للكشف عن سرِّ هذا النظم وبيان دلالة العلاقة بين المفهومين.

وردت آية يونس في سياق الردِّ على شبهة يتمسك بها المشركون في شركهم وزعمهم، وهي أنهم يطلبون إنزال آية كونية حسّية مشاهدة غير القرآن الكريم كالتي نزلت على أنبياء الله نوح وشعيب وهود وصالح وموسى وعيسى عليهم السلام، فردّ الله عليهم بأن يقول لهم نبيُّه ﷺ: إنما سلطان الغيب لله ﷻ، لا يعلم به إلا هو، فإن قدَّر وشاء، أنزل آية كونية أو عقلية أو غيرهُما، وإن شاء لَم ينْزِلْها. وهناك جوابٌ آخر صوَّر الله ﷻ من خلاله بعضَ الطبائع والغرائز البشرية التي لا تتغير تبعا للزمان والمكان تصويراً يكشف عن سوء طبع الإنسان في حالتي السراء والضراء، وتنكره للأدلة العقلية والحسية، والقواعد الخلقية التي تقتضي الوفاء بالمعروف وشكر النعمة الإلَهية، إذ مفاد الجواب أن أولئك المشركين لا يعتبرون ولا يتعظون ولا يقنعون بالآيات الكونية إذا رأوها بأعينهم لأن عادتهم المكر والجحود والعناد وعدم الإنصاف، فكثيرا ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله ثُمَّ يَمكرون فيها؛ فهم إن أصابتهم الشدة تضرَّعوا، وإن جاءتْهم النِّعمة جحدوا.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 38.

(2) وأضاف ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ أن في ذلك سراً «وهو أن النعم والخير مسخران للإنسان في أصل وضع خلقته، فهما الغالبان عليه، لأنهما من مظاهر ناموس بقاء النوع. وأما الشرور والأضرار، فإن معظمها ينجر إلى الإنسان بسوء تصرفه، وبتعرضه إلى ما حذرته منه الشرائع». [التحرير والتنوير: 25/ 15].

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾، كالرَّخاء بعد الشِّدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القَحْط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، ونَحوِها، ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ أي: أسرعُوا جهدَهم في الاستهزاء والطعن والتّنكر بعد دفع الضر عنهم، وذلك في الناس كثير[1]. وإذا الأولى شرطية، والثانية فجائية والجملة بعدها جواب الشرط، «وجاء التعبير بإذا الفجائية في الجواب، للإشارة إلى توغلهم في الجحود والكنود فهم بمجرد أن حلت النعمة بهم محل النقمة، عادوا إلى عنادهم وجهلهم، ونسبوا كل خير إلى غير الله تعالى»[2].

وجاءت آية الروم في سياق الحديث عن تناقض حال بعض الناس حيث تراهم يقبلون على ربّهم وقت الشّدة الخانقة والأزمة المستعصية، حتى إذا ما رفع عنهم البلاء، وزال عنهم البأس، وفرَّج عنهم الكرب، تنكّروا لخالقهم المنعم عليهم بدفع النقمة ورفع الشّدّة، كما في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾[3]، وهذا واضح من فعل بعض الذين يعبدون الله من أجل الدنيا والمنفعة، فإن أُعطوا منها رضُوا، وإن مُنعوا منها سخطوا[4].

وسيقت آية فصلت في معرض الحديث عن طبيعة الإنسان الغريبة؛ لا يَمَلُّ من طلب الخير، ويقنط من رحْمة الله إن أصابه شر، وفي حال النعمة والترف يبتعد عن الله ﷻ الذي أمده بالنعم، ويهمل شكر ربه المنعم جَلَّوَعَلَا، ويزعم أن له المكان الحسن عند الله في الآخرة، وإذا أصابه الشر، أقبل على الدعاء، والتضرع لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وإذا تعرض لخير نسي الله ونأى عنه، فهو دائم الطمع، كثير التبدل والتغير، لا يستقر على حال، ولا يثبت على مبدأ، ولا وفاء عنده لمعروف[5].

من هنا نلاحظ أن الآيات الثلاث تدور حول موضوع واحد وهو طبيعة الإنسان الذي تتبدل أحوالُه وتتغير أطوارُه كل حين حسبما يصيبه من خيرٍ أو شرٍّ؛ فهو إن أصابه شرٌّ تواضع، وإن أصابه خيرٌ تكبَّر، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾[6].

---

(1) التفسير الوسيط للزحيلي: 2/ 956.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي: 7/ 48.

(3) سورة الفجر، الآية: 15- 16.

(4) التفسير الوسيط للزحيلي: 3/ 1999.

(5) التفسير الوسيط للزحيلي: 3/ 2317.

(6) سورة المعارج، الآية: 19- 21.

ويلفت النظر في هذه الآيات أيضا طرافة الاستخدام القرآني لفعلي (الإذاقة)[1] و(المس)[2] والتي تعني أنّ ما ينال الناس من رحْمةٍ أو ضرٍّ هي قليلة جداً؛ كمن يتذوق طعم الشيء دون أكله، أو كلمسة مشعرة بالتقليل. فعبَّر الحقُّ ﷻ عن الرحْمة بالإذاقة لأن نعم الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلهذا سُمي الإنعام إذاقة. وعبَّر عن الضرِّ بالمسِّ لأن ما ينالُهم من بلاء هو عبارة عن مسّةٍ قليلةٍ يسيرةٍ لا تضاهي شدة عذاب الله يوم القيامة، ولهذا استُعمل اللفظان للإشارة إلى أن رحْمةَ الدنيا ضئيلة[3]، ونقمتها دنيئة[4]، ويؤيد مذهبنا هذا: تنكيرُ «ضرّ ورحْمة» في كل الموارد للدلالة على التقليل، أي: أدنى ضر، وأقل رحْمة.

أما آية الزمر فجاءت في سياق مناقشة عبدة الأصنام حيث احتج القرآن الكريم على المشركين بحجة حاسمة، مفادها أن المشركين لو سُئلوا عن خالق السماوات والأرض لأقروا على الفور وبصراحة: بأنه الله ﷻ، مع أنَّهم يعبدون أصناماً عاجزة عن تَحقيق النفع أو دفع الضرِّ[5]، فإن أراد الله بأحد شيئا من الشدة والبلاء لن تستطيع هذه الآلهة المزعومة أن تمنع ما أراده الله ﷻ، وإن أراد الله بأحد منحه شيئا من الخير والنعمة والفضل والإحسان لن تقدر هذه الأصنام حجب رحْمة الله عنه، وإذا كانت لا تدفع ضرًّا، ولا تجلب نفعاً، فكيف تجوز عبادتها وتعظيمها؟!

وفي ضوء ما سبق تبين أن الضرَّ والرَّحمة مفهومان متناقضان، كما يدل عليه التقابل بينهما.

---

(1) والإذاقة من الذوق وهو: إدراك الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل، ويستعمل مجازا في إدراك غيره من الأشياء المعنوية كالرحْمة نحو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود:9]، والنعمة: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ [هود:10]، والعذاب: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]. الواضح: 2/ 52، والمنير: 11/ 142.

(2) والمَسِّ هو التقاء الشيئين من غير حائل بينهما على وجه الإحساس، فإذا أُطلق يُراد به أدنى مراتب الإصابة وأقل اتصال شيء بالجسم، ومقدمة الإصابة المشعر بالتقليل واليسر، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: 73، وهود: 64، والشعراء: 156]، فالنهي عن المس بالسوء مبالغة؛ فأنيط النَّهيُ بالمسِّ بالسُّوءِ لأنَّ المسَّ يصدُقُ على أقلِّ اتِّصالِ شيءٍ بالجسمِ، فكلُّ ما ينالُها مِمَّا يُرادُ منه السُّوءُ فهو منهيٌّ عنه. يُنظر: التحرير والتنوير: 11/ 133، والخواطر للشعراوي: 18/ 11429.

(3) كما ورد في قوله ﷺ: «**للهِ ﷻ مِائَةُ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ، وَدَخَرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً لِأَوْلِيَائِهِ، وَاللهُ ﷻ قَابِضٌ تِلْكَ الرَّحْمَةَ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ فَيُكَمِّلُهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 10670].

(4) فعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، كما أن رحْمة الآخرة أكبر من رحْمة الدنيا، وهذا ما نلاحظه في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 21]. وقوله ﷻ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الحجر، الآية: 49- 50].

(5) التفسير الوسيط للزحيلي: 3/ 2240.

المسلك الرابع: السوء

4.1 السوء في اللغة

السُّوء: مصدر سَاءَ يَسُوءُ سُوءًا وسَوْءًا ومَساءَةً، ومداره في اللغة على القُبْحِ[1]؛ يقال: ساء الشيءُ: إذا قَبُح، وساءه سوءًا، أي: أَلحق به ما يشينه ويقبّحه، نقيض سرَّه[2]. والسوء: اسم جامعٌ للآفات والدّاء، ونعت لكلّ شيء رديء[3]. ويُقال: ساء ما فعل فلان صنيعاً، أي: قبح صنيعُه صنيعاً، وأساء فلان إليه: فعل به ما يكره، نقيض أحسن إليه[4].

والتحقيق: أنّ مدار لفظ السوء على ما يقابل الحسن، وهو كل ما يغم الإنسان مما يكون غير مستحسن في ذاته، من الأمور الدنيوية والأخروية، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة، سواء أكان في عملٍ أم موضوعٍ أم حكمٍ أم أمرٍ قلبيٍّ أو معنويٍّ أم غيرِها[5].

4.2 السوء في الاستعمال القرآني

لا يختلف الاستعمال القرآني عن الاستعمال اللغوي للفظ السوء؛ إذ استُعمل صفةً لما يقبح، كما في قوله ﷻ: ﴿سُوَءَ ٱلۡعَذَابِ﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۚ﴾[7]، وقوله ﷻ: ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[8]، فيراد في هذه الموارد: العذاب والعمل والدار الأسوأ، أي المتّصفة بكونِها أسوأ، ثُمَّ إنَّ المادّة قد تستعمل متعدّية، كما في قوله ﷻ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾[9].

---

(1) المقاييس/ سوء.

(2) المقاييس/ سوء، والمحيط، واللسان، والتاج/ سوأ.

(3) العين، والتهذيب/ سوأ.

(4) الصحاح، واللسان/ سوأ.

(5) المفردات/ سوأ.

(6) سورة البقرة، الآية: 49.

(7) سورة التوبة، الآية: 37.

(8) سورة الرعد، الآية: 25.

(9) سورة آل عمران، الآية: 120.

4.3 مورد التقابل بين السوء و(الرحْمة)

جاء لفظ السوء في مقابل لفظ (الرحْمة) في القرآن الكريم، حيث جُعِلت الرحْمةُ قرينة السُّوء في العِصمة، مع أنه لا عِصمةَ إلا مِن السُّوء[1]، وذلك عن طريق استفهامٍ إنكاريٍّ في معنى النَّفي، من خلال قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾[2].

والمتأمل في مقام اجتماع الرحْمة مع السوء، يلحظ مجيئهما في سياق توبيخ المنافقين الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه هرباً وفراراً من القتال، وقد عاهدوا الله من قبل ذلك ألا يولوا عدوّهم الأدبار، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يخاطبهم بخِطابِ تَوْبِيخٍ وإعْلامٍ أنَّ الفِرارَ لا يُنْجيهم من القَدَرِ، وأنَّهُم لا يُمَتَّعون في أوطانهم من عالم الدنيا إلا قليلاً، فتنقَطِعُ أعْمارُهم في يَسِيرٍ من المُدَّةِ، ثم وبَّخَهم بتوبيخٍ شديد أنه لا أحد يستطيع أن يمنعهم من مراد الله بهم، إن أراد بهم شرا، أو أراد بهم خيرا، وأنهم لن يجدوا من دون الله مجيراً ولا مغيثاً، فالأمر كله بيد الله، يصرفه كيف يشاء[3].

والملاحَظ في نظم الآية الكريمة هو تقديم السوء على الرحْمة، والعطف بينهما بأداة (أو)، وكذا جعل الرحْمة قرينة السوء في العِصمة، مع أنه لا عِصمةَ إلا مِن السُّوء. ولعل تفسير ذلك ما ورد في فهوم بعض الراسخين في العلم من الذين عُنوا بالبحث في هذه المسألة.

فبالنسبة للتقديم والتأخير بين السوء والرحْمة، يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه من الاحتباك، وذلك أنه «ذكر السوء أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، وذكر الرحمة ثانياً دليلاً على حذف ضدها أولاً»[4]، أي أن الأصل: قُلْ: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو من يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحْمة؟.

---

(1) الكشاف: 3/ 529، وروح المعاني: 11/ 160.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 17.

(3) التفسير الواضح: 3/ 83، والتفسير الوسيط للزحيلي: 3/ 2060، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم: 625.

(4) نظم الدرر: 15/ 312.

وفيما يتعلق بالاقتران بينهما في العصمة، يقول الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقَرِينَةُ التَّقدِيرِ ما في ﴿يَعْصِمُكُمُ﴾ من معنى المنعِ، واختِيرَ الأوَّلُ لسلامتِه عن حذفِ جُملةٍ بلا ضرورةٍ»[1]، أي: لَمَّا كان في العصمة معنى المنع جاز اقترانهما، والتقدير: أو من يمنع الرحْمةَ عنكم إن أراد بكم رحْمة، فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله: «مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا»[2]، وقد علم أنّ الرمحَ لا يُتَقَلَّد، وإنما أراد: وحاملاً رمحًا، ولكن لما كان معلومًا معناه، اكتفى بما قد ظَهر من كلامه، عن إظهار ما حذف منه[3]. أما بالنسبة للعطف بين اللفظين بحرف (أو)، فلأن الرحْمة والسوء متناقضان، فدلت أداة التقسيم (أو) على تقابلهما وعدم ائتلافهما في الدلالة.

المسلك الخامس: السيئة

5.1 **السيئة في اللغة**

السَّيِّئَةُ: مؤنَّث السَّيِّء، وجمعها السّيئات، وهي صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت فيما هو قبيح من حالٍ أو عملٍ أو خُلُقٍ، مشتقة من سَاءَ يَسُوءُ سُوءًا، فهو سَيِّئٌ، وهي سَيِّئَةٌ، ضدّ الحسنة[4].

5.2 **السيئة في الاستعمال القرآني**

استُعملت السَّيِّئَةُ في مقابل الحسنة، ويراد بها كلّ ما اتّصف بالمساءة، من أيّ موضوع أو عمل أو رأي، كما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾[5]، وقوله وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[6]، ولَمَّا كان لفظ السيِّئة بصيغتها يدلُّ على الاتِّصاف بالثبوت: فهو أشدُّ دلالة وأبلغ من لفظ السوء، فيستعمل كلٌّ منهما في مورد مناسب.

---

(1) روح المعاني: 11/ 160.

(2) وهذا من قول الشاعر من مجزوء الكامل: **وَرَأَيتِ زَوْجَكِ فِي الوغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا**، يُنظر: الكشاف: 3/ 529.

(3) جامع البيان: 1/ 140.

(4) الصحاح، واللسان/ سوأ.

(5) سورة الأعراف، الآية: 95.

(6) سورة الفرقان، الآية: 70.

5.3 موارد التقابل بين السيئة و(الرحْمة)

جاء لفظ السيئة مقابلا للفظ (الرحْمة) في موضعين في القرآن الكريم، وذلك في سياق بيان طبيعة النفس البشرية المضطربة التي تتقلَّب حالاً بعد حال؛ فتفرح عند الرخاء وتكفر عند الشدة، قال ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾[2].

وحين ننظر إلى أسلوب الآيتين نجد استخدام أداة الشرط (إذا) عند الكلام عن الرحْمة كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾، واستخدام أداة الشرط (إنْ) عند الكلام عن المصيبة، فعدلَ عن رتابة الأسلوب من (إذا) إلى (إن). ويلاحظ أيضاً عدم ذكر السبب في إذاقة الرحْمة، وذكره في المصيبة، ولعل تفسير ذلك ما ذكره الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خواطره حين قال: «حين تقارن بين النعَم وبين المصائب التي تَنْزِل بالإنسان في دنياه تجد أن النعم كثيرة والمصائب قليلة، فنعم الله متوالية عليك في كل وقت لا تُعدُّ ولا تحصى، أمّا المصائب فربما تُعَدُّ على الأصابع. لذلك استخدم مع النعمَ (إذا) الدالة على التحقيق، ومع المصيبة استخدم (إنْ) الدالة على الشك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾، فاستعمل إذا لأنها تدلُّ على التحقيق وتُرجِّح حدوث النصر، وقال ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ﴾»[3].

أما ذكر السبب في المصيبة، وعدم ذكره في إذاقة الرحْمة، فذلك «ليدلَّ على عدله تعالى في إنزال المصيبة، وتفضُّله في إذاقة الرحْمة؛ لأن الرحْمة من الله والنعَم فضل من الله. لكن في المصيبة قال: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾، فذكر العِلّة حتى لا يظن أحد أن الله تعالى يُجري المصيبة على عبده ظلماً، بل بما قدَّمَتْ يداه، فالمسألة محكومة بالعدل الإلهي»[4].

وبالنظر إلى سياق الآيتين، فإن الرحْمة تعني: الرخاء والصحة والغِنى، وتقابلها السيئة، وهي تعني: الشدة والمرض والفقر، وعليه فإن علاقة الرحْمة بالسيئة علاقة تناقض باعتبار التنافي بينهما.

---

(1) سورة الروم، الآية: 36.

(2) سورة الشورى، الآية: 48.

(3) الخواطر للشعراوي: 18/ 11443. الآية الألى من سورة النصر، الآية: 1، والثانية من سورة التوبة، الآية: 6.

(4) الخواطر للشعراوي: 18/ 11443.

المسلك السادس: الشدَّة

6.1 الشدَّة في اللغة:

الشِّدَّةُ: مصدر اشْتَدَّ يَشْتَدُّ شِدَّةً، فهو شَدِيدٌ، ومداره في اللغة على القُوَّةِ والصَّلابَة في الجَوَاهِر والأعراض. وهو مأخوذٌ حسيًّا من الجفاف والصلابة، كجفاف الحَبِّ وصلابته، يُقال: اشتدَّ الحَبُّ (الحِنْطَةُ، والشَّعِيرُ): قَوِيَ، وصَلُبَ، وَشَيْءٌ شَدِيدٌ: مُشْتَدٌّ قَوِيٌّ. ورجلٌ شَدِيدٌ: قويٌّ، والجمع: أشِدَّاءٌ، وشِدادٌ[1]. فمن الجفاف والصَّلابة يأتي معنى بلوغ الشيءِ منتهاه في الجدِّ في بابه، ومنه شِدَّة البطش، وشِدَّة العقاب. ومِن معاني الشِّدَّة: الارْتِفاع والصُّعُوبَةُ والجَلادَةُ والثّباتُ[2]. فالشِّدَّةُ تستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النّفس، وفي العذاب، وكلها ضد الرِّقة واللين[3].

6.2 الشدَّة في الاصطلاح:

الشِّدَّةُ اصطلاحا: هي اسْتِعْمالُ القُوَّةِ الزَّائِدَةِ عند التَّعامُلِ مع النَّفْسِ أو مع الآخَرِينَ؛ فهي صِفَةٌ تَكونُ في النَّفْسِ فَتَحْمِلُها على اسْتِعْمالِ القُوَّةِ في القَوْلِ أو الفِعْلِ، وهي قِسْمانِ: الأُولَى: شِدَّةٌ مَحْمودَةٌ، وتكون في مَوْضِعَيْنِ، أحدهما: عند التَّعامُلِ مع الكُفّارِ الحَرْبِيِّينَ. وثانيهما: عند انْتِهاكِ حُرُماتِ اللهِ ﷻ أو الاعْتِداءِ على حُدُودِهِ. الثّانِيَةُ: شِدَّةٌ مَذْمومَةٌ، وتكون في مَوْضِعَيْنِ، أحدهما: في مُمارَسَةِ العِبادَاتِ. وثانيهما: في التَّعامُلِ مع المُسْلِمِينَ وغيرهم[4].

6.3 مورد التقابل بين الشِّدَّة والرَّحْمة:

ورد لفظ الشدة مقابلا للفظ (الرَّحْمَة) في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في سياق مَدح الرسول ﷺ وأصحابه، وذكر صِفاتِهم، حيث جَمعوا بين صفتين متَضادين: الشِّدَة والرَّحْمَة؛ فقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[5].

---

(1) ينظر: العين، والتهذيب، والمحكم/ شد، والصحاح، واللسان، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ شدد.

(2) ينظرر: المقاييس/ شد، والصحاح، واللسان، والتاج/ شدد.

(3) المفردات/ شد.

(4) ينظرر: الكليات: 540، ودستور العلماء: 150/2، والنهاية في غريب الحديث والأثر: 452/2، وموارد الظمآن: 94/3، وإحياء علوم الدين: 62/2، والتوقيف على مهمات التعاريف: 127، وتهذيب الأخلاق: 30.

(5) سورة الفتح، الآية: 29.

تبين من خلال التأمل في مقام ومقال الآية الكريمة أن الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانوا يُظهِرون الشِّدَّةَ والغلظة والصَّلابَةَ لمن خالَفَ دِينَهُم، ولمن وافَقَهم في الدِّينِ الرَّحْمَةَ والرَّأْفَةَ والمودَّة. قال الألوسي رحمه الله: «والمَعْنى أنَّ فِيهِمْ غِلْظَةً وشِدَّةً عَلى أعْداءِ الدِّينِ ورَحْمَةً ورِقَّةً عَلى إخْوانِهِمُ المُؤْمِنِينَ، وفي وصْفِهِمْ بِالرَّحْمَةِ بَعْدَ وصْفِهِمْ بِالشِّدَّةِ تَكْمِيلٌ واحْتِراسٌ؛ فَإنَّهُ لَوِ اكْتَفى بِالوَصْفِ الأوَّلِ لَرُبَّما تُوُهِّمَ أنَّ مَفْهُومَ القَيْدِ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ فَيُتَوَهَّمُ الفَظاظَةُ والغِلْظَةُ مُطْلَقًا فَدُفِعَ بِإرْدافِ الوَصْفِ الثّانِي، ومَآلُ ذَلِكَ أنَّهم مَعَ كَوْنِهِمْ أشِدّاءَ عَلى الأعْداءِ رُحَماءَ عَلى الإخْوانِ، ونَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]»[2]. من هنا يتضح تضاد اللفظين، فما السرُّ في الجمع بينهما؟

يقول ابن عاشور رحمه الله: «وفي الجَمْعِ لهم بَيْنَ هاتَيْنِ الخَلَّتَيْنِ المُتَضادَّتَيْنِ الشِّدَّةِ والرَّحْمَةِ إيماءٌ إلى أصالَةِ آرائِهِمْ وحِكْمَةِ عُقُولِهِمْ، وأنَّهم يَتَصَرَّفُونَ في أحْلاقِهِمْ وأعْمالِهِم تَصَرُّفَ الحِكْمَةِ والرُّشْدِ فَلا تَغْلِبُ عَلى نُفُوسِهِمْ مَحْمَدَةٌ دُونَ أُخْرى، ولا يَنْدَفِعُونَ إلى العَمَلِ بِالجِبِلَّةِ وعَدَمِ الرُّوْيَةِ»[3].

ولَمَّا تَجلَّى مفهومُ كلِّ مصطلحٍ على حدة، حيث اتضح تنافي معانيهما، وتبيَّنت الحكمةُ من الجمع بينهما في وصف النبي ﷺ ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم، يمكن القول: إن العلاقة بين الشِّدَّة والرَّحْمَة علاقة تضاد.

وصفوة القول في علاقات الرحْمة في القرآن الكريم والحديث الشريف: إن دراسة علاقات الرحْمة بكل المفاهيم المتعالقة معها قد رسمت شبكة دلالية أسهمت في تأكيد مفهومها كما حُدِّد في التعريف، وتبين من خلال دراسة العلاقات أن دلالات تلك الألفاظ تزداد عمقا حين تجاور الرحْمة، سواء أكانت المجاورة على سبيل الترادف، أم كانت على سبيل التعاطف أو التناظر أو التقابل أو التناقض.

وبعد الفراغ من دراسة العلاقات التي ألفها لفظ (الرَّحْمة) مع غيره من الألفاظ، والكشف عن مدى تأثيره وتأثره بمحيطه، بحكم الاقتران اللفظي والتعالق المفهومي مع الألفاظ المكونة للسياق الذي احتضنه، والذي ساهم إلى حد ما في مزيد من التعرف عليه وعلى قوة اصطلاحيته، فإنه لابد من دراسة ضمائمه التي لا شك ستظهر بعض ما خفي من شخصيته في المرحلة السابقة.

(1) سورة المائدة، الآية: 54.

(2) روح المعاني: 13/ 276.

(3) التحرير والتنوير: 26/ 205.

الفصل الرابع

ضمائم مصطلح الرحمة في القرآن والحديث

تمهيد

يهدف البحثُ في هذا الفصل إلى الوقوف على طبيعةِ نُموِّ مصطلح (الرَّحْمة)، وامتداداته الاصطلاحية في المتن المدروس؛ فلا مِرْيَةَ في أن دراسةَ ضمائم المصطلح تفيد في إضافة معاني جديدة إلى الرصيد المفهومي للمصطلح، فتشعرنا بِحياته ونُموه الداخلي.

ونقصد بالضمائم: تلكم الأشكال التركيبية المتولَّدة من ضمِّ المصطلح المدروس إلى غيره، أو ضمِّ غيره إليه، على سبيل الإضافة أو الوصف.

ومن خلال استقرائنا لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف يمكننا إجمال الضمائم الموجودة فيها في شكل واحد، وهو: ضميمة الإضافة، ويُقصد بها هٰهنا: ذلك المركب الاسمي الذي يجمع بين مصطلح الرَّحْمة بصيغته الأصلية (المصدر) وبين غيره؛ سواءٌ أكان هو المضاف، مثل: رَحْمة الله، أم هو المضاف إليه مثل: ذو الرَّحْمة.

وحقيق بالإشارة إلى أننا نجد في نصوص الرَّحْمة صيغا إسنادية تتوفر فيها شروط الضمية؛ كقوله ﷻ: ﴿أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾ التي تدل على ضميمة (إذاقة الرَّحمَة)، وكذا قوله ﷻ: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ التي تدل على ضميمة (إيتاء الرَّحْمَة)، وغيرهما.

وهكذا ينتظم البحث في ضمائم مصطلح الرَّحْمَة في القرآن والحديث على ثلاثة مباحث: الأول: ندرس فيه ما أضيفت إليه الرَّحمة، والثاني: نجعل مدار القول فيه على ما أضيف إلى الرَّحْمة، والثالث: مخصص لدراسة الضمائم الأخرى من قبيل: إذاقة الرَّحْمَة، ونزع الرَّحْمَة، وإيتاء الرَّحْمَة.

المبحث الأول
ما أُضيفت إليه الرَّحْمَة

۞ رَحْمَةُ اللهِ:

لم يرد مصطلحُ (الرَّحْمة) في المتن المدروس مضافاً إلى غيره إلا إلى اسم الجلالة ظاهراً أو مضمرا؛ فتولَّدت منه ضميمة (رَحْمة الله) ليشكل مصطلحاً قائماً بذاته. وبما أن الضميمة مكونة من اسمين: (رَحْمة) (الله)، فإن التمكن من مفهومها حق التمكن يستدعي تفكيكها ودراسة عناصرها وتحليل مكوناتها الدلالية، وذلك بدراسة ما أُضيفت إليه الرَّحْمةُ دراسةً تروم بيان معناه اللغوي والاصطلاحي القرآني، ومن ثم تركيبها، وبحث مواردها ودلالاتها.

أولاً: موارد الضميمة:

تُعدُّ ضميمةُ (رَحْمَةِ الله) أشهر ضمائم الرَّحْمة وأكثرها ورودا في القرآن الكريم والحديث الشريف؛ حيث جاءت الرَّحمةُ في صيغتها المصدرية مضافة إلى اسم الجلالة ظاهرا: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ﴾[1] ﴿رَحۡمَةِ رَبِّي﴾[2] ﴿رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾[3] ﴿رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[4]، أو إلى ضميره ﷻ: ﴿رَّحۡمَتِي﴾[5] ﴿رَحۡمَتِنَآ﴾[6] ﴿رَحۡمَتِكَ﴾[7] ﴿رَحۡمَتِهِۦ﴾[8] في خمس ومائة (105) مرة: ثمان وأربعون (48) منها في القرآن الكريم ضمن سبع وأربعين (47) آية، مفرقة في ثمان وعشرين (28) سورة: عشرون منها مكية؛ تضمنت اثنتين وثلاثين (32) آية، وثلاثة وثلاثين (33) موضعا، وثمان سور مدنية؛ تضمنت خمس عشرة آية، وخمسة عشر (15) موضعا. وسبع وخمسون (57) في الحديث الشريف، ضمن سبع وخمسين (57) حديثاً مفرقة في الكتب التسعة. ونوضح ذلك من خلال الجدول الإحصائي الآتي:

---

(1) كما في قوله ﷻ: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [سورة هود، الآية: 73.

(2) كما في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 100].

(3) كما في قوله ﷻ: ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [سورة الزخرف، الآية: 32].

(4) كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [سورة الحجر، الآية: 56].

(5) كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 156].

(6) كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 86].

(7) كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [سورة النمل، الآية: 19].

(8) كما في قوله ﷻ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة الفتح، الآية: 25].

صيغة الورود	حجم الورود في القرآن		حجم الورود في الحديث	المجموع
	المكي	المدني		
رَحْمةُ الله	4	2	26	32
رَحْمة ربِّي	1			1
رحْمة ربِّك	4			4
رحْمة ربِّه	2			2
رَحْمَتي	2		9	11
رَحْمَتنا	5			5
رَحْمَتك	3		13	16
رَحْمته	12	13	9	34
المجموع	**48**		**57**	**105**

نلاحظ من هذا الجدول أن الضميمة وردت في القرآن المكي أكثر من ورودها في القرآن المدني، كما أن ورودها في الحديث الشريف أكثر من ورودها في القرآن الكريم. وكذلك ورودها مضافة إلى ضمير اسم الجلالة أكثر من ورودها مضافة إلى اسم الجلالة ظاهرا.

وفي سبيل إبراز المفهوم الخاص الذي تؤسسه هذه الضميمة ضمن المفهوم العام للرحْمة، نتتبع مفهوم لفظ الجلالة في اللغة واصطلاح القرآن الكريم.

ثانيـاً: مفهوم اسم الجلالة:

1. (الله) في اللغة:

الله ﷻ: اسم علم مشتق من أَلَهَ يَأْلَهُ أُلوهَةً وإِلَهَةً وأُلوهِيةً؛ بمعنى: عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، فهو إلهٌ؛ والإله [فِعال] بمعنى مفعول، أي المألوه؛ بمعنى: المعبود بالحق[1]، فأصل الاسم الإله فحذفت الهمزةُ وعوِّض منها حرف التعريف، وأدغم اللامان وجوبا فصارت الكلمة (الله)، كما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2]، أي الإله المعبود بالحق فيهما[3].

(1) المفردات، والمقاييس، وعمدة الحفاظ/ أله.

(2) سورة الأنعام، الآية:3.

(3) الصحاح، والمختار/ ليه.

ومن خصائص هذا الاسم العظيم أنه مختصٌّ بالذات العليَّة الواجبة الوجود، جامعٌ لكل صفات الألوهيّة الكاملة؛ لهذا السبب لا يجوز أن يتسمَّى بها أيُّ أحدٍ من البشر أو حتى الملائكة، وهو أوَّل أسمائه الحسنى وأعظمها وأجلّها. وهو يوصف ولا يوصف به، والأسماء الحسنى الأخرى كلها هي صفات تجرِي عليه، فهي أسْماء تدل على صفات. وتسند إِلَيه أفعال تلك الأسْماء، فيقال فيما يشتق من اسم (الرحْمن) مثلاً: رحم الله فلانا، ويرحَمه الله، واللهم ارحم فلانا. كما تضاف إِلَيه مصادر الأسماء الأخرى، فيُقال على سبيل المثال: رحمة الله[1]. ومنه قول بشَّارِ بن بُردٍ:

يَا رَحْمَةَ اللهِ حُلِّي في مَنازِلِنَا وَجاوِرِينَا فَدَتكِ النَفسُ مِنْ جَارِ[2].

2. اسم الجلالة في الاستعمال القرآني

ورد اسم الجلالة (الله ﷻ) في القرآن الكريم أربع وسبعمائة وألفي مرة (2704)، وهو بهذا الحجم أكثر الأسْمَاءِ وروداً في القرآن الكريم! وهذه ميزة يتميّز بها القرآن عن غيره من الكتب، وهي من أوضح الأدلة على أن هذا القرآن هو كلامه ﷻ. ولئن كانت للأسماء خصوصية خاصة في هذا الخطاب الجليل، فإن لاسم الجلالة (الله) قدسيتُه وعظمتُه اللامتناهية فيه؛ إذ يفيض روحانيةً وقوةً واستعلاءً لأنه مستعل بذاته، ومتفردٌ بكل ما هو جليل وعظيم ومعجز. وقد جاء قوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[3] دالاً بوضوح على هذا التفرد والعظمة والقدرة في الماهية الوجودية فوق قوانين الخلق وطاقتهم المعرفية الضحلة[4].

وحقيق بالإشارة ههنا إلى أن لفظ الجلالة (الله) يأبى إضافة أي اسم أو ضمير إليه عكس ألفاظ (رب) و(ملك) و(إله) التي يمكن إلصاقها بأسماء أو بضمائر أخرى كما نلاحظ في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[5]، فألفاظ (رب وملك وإله) لا تمتلك الفرادة والقوة والخصوصية التي يملكها لفظ الجلالة (الله) كما تتجلى في الآيات الكريمة، مما يعني التفرد والقدسية المطلقة لهذا اللفظ مقارنة بسواه من الأسماء الحسنى أو الصفات الإلهية الأخرى.

(1) الكليات: 974، ودستور العلماء: 1/ 9، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 258.

(2) البيت من البسيط، وهو لبشار بن برد، يتغزل بجارية بصرية كان يحبها، اسمها رحْمة، ديوانه: 161.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 1- 4.

(4) لفظ الجلالة في الخطاب القرآني، عصام شرتح، مجلة ديوان العرب الإلكترونية، مقالة منشورة بتاريخ: 19 يناير 2016م.

(5) سورة الناس، الآيات: 1- 3.

ولئن كان هذا اللفظ الجليل مستعلياً بذاته عن كل الأسماء مفرداً، فإنه يكسب بعضَ الأسماء أو الصفات قوة وعظمة عند إضافته لها! لنتأمل قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[1]؛ ففي هذه السورة أكسب اسمُ الجلالة لفظَ النصر قوة وعظمة بإضافته له؛ فهو في كل سياقات وروده في القرآن الكريم لا يُضاف إلى غيره؛ بل يُضاف إليه غيرُه بموجب عزته وعظمته وجلاله.

فما دلالة إضافة مصطلح الرَّحْمَة إلى اسم الجلالة في القرآن الكريم والحديث الشريف؟

3. مفهوم الضميمة (رَحْمَة الله):

المتأمل في النصوص التي وردت فيها الضميمة يجد أن سياقاتها تؤكد المعنى الشامل للرحْمة، وهو كونها صفة إلهية تُقضى بموجبها مَآرِبَ العباد المكلفين وغيرهم على سبيل الإحسان والإنعام، حيث إن إضافة لفظ الرَّحْمة لاسم الجلالة تفيد تعيين الرَّاحِم وتخصيصه بالرَّحْمة، وهو الله ﷻ، أي أن الرَّحْمة كلها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يفيضها وقتما يشاء على من يشاء من خلقه، ويصرفها بما يشاء كيفما يشاء عمن يشاء من عباده. وبناء على ما سبق يُمكن القول: **رَحْمَةُ اللهِ: هِيَ صِفَتُهُ التي تَتَعَلَّقُ بِإِمْدَادِ مَخْلُوقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُم من الخيرات وَيَدْفَعُ عَنْهُم مَا يَضُرُّهُم من المَضَرَّات في الدُّنيَا والآخِرَة.**

ويؤيد هذا المعنى الكامل الشامل معاني فرعية تنضوي تحته، وتتسلسل حول معنيين كبيرين: المعنى الأول: رَحْمة تتعلق بإرادة الله ﷻ وفعله، والثاني: رَحْمة هي من آثار رَحْمته ﷻ؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢١٨﴾[2]. تحتمل الآيةُ الكريمة المعنيين معاً؛ تحتمل أن تكون إضافة لفظ (رَحْمة) لاسم الجلالة في الضميمة من باب إضافة المصدر النائب عن الفعل إلى فاعله، فيفيد المعنى الأول: أولئك يرجون أن يرحَمهم الله. أما احتمال كون ﴿رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ مِمَّا كان من آثار رَحْمته تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فذلك أن الرَّحْمة قد تعني الثواب أو المغفرة أو الجنة أو نحوها؛ فعبَّر عنها بالرحْمة إشارةً إلى أن ذلك من آثار رحْمته ﷻ[3].

---

(1) سورة النصر، الآية: 1- 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 218.

(3) ومنه حديث: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، أي لن يَستقِلَّ العملُ بدخولِ صاحبه الجَنَّةَ، بل لابُدَّ مِنَ الرَّحْمَةِ. وثبت في الحديث أن الله قال للجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»، فجعل المفعول المخلوق رحْمة له؛ لأنه من آثار رحمته ﷻ؛ ولهذا قال ﷺ: «**أَرْحَمُ بِكِ**» فجعلها وسيلة.

ثالثـاً: الصفات

أولاً: القريب

1. مورده:

وردت (رَحْمَةُ الله) موصوفة بالقريب في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

2. مفهوم القريب:

أ. في اللغة:

القريبُ: نقيض البعيد، وهو صفة مشبهة من قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْبًا وَقُرْبَةً وَقُرْبىً وَقَرَابَةً وقُرْبَانًا، فهو قريبٌ، ويُقال: القُرْبَةُ في المَنْزِلَةِ، والقُرْبى وَالْقَرَابَةُ في الرَّحِمِ، والقُرْبَانُ في ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله، والجمعُ قُرَبٌ وَقُرُبَاتٌ وقَرَابِينُ[2]. وللقريب في اللغةِ معنيان، أحدُهما: قَرِيبُ قُرْبٍ، وهو للمكانِ والزمان والمسافةِ، فيستوي فيه المذَكَّرُ والمؤَنَّث والمفرد والجمع؛ يُقال: هُوَ قريبٌ، وهِيَ قريبٌ، وهُما قريبٌ، وهم قريبٌ، وهُنَّ قريبٌ، لأنَّه في تأويلِ هو في مكانٍ أو زمان أو مسافةِ قريبٍ[3]؛ ومنه قول امرئ القَيْسِ:

لَهُ الوَيلُ إنْ أَمْسَى وَلا أُمُّ هَاشِمٍ قَريبٌ وَلا البَسبَاسَةُ ابْنَةُ يَشكُرَا[4].

ولهذا لا يَجوز حَمْلُ التَّذكيرِ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[6] على تأويلات بعضهم[7] لأنَّ اللفظَ وُضِعَ للتَّذكيرِ والتَّوحيدِ[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 55 – 56.

(2) المصباح/ قرب.

(3) يُنظر: العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، والأساس، والمختار، واللسان/ قرب.

(4) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس، يصف حال من يمسي وليس لديه امرأة يأنس بها، ديوانه: 68.

(5) سورة الأعراف، الآية: 56.

(6) سورة الأحزاب، الآية: 63.

(7) من قبيل قول الزَّجّاج: «إنَّ الرَّحْمَةَ مُؤَوَّلَةٌ بِالرَّحِمِ لِكَوْنِها بِمَعْنى العَفْوِ والغُفْرانِ». وقول النَّضْر بن شُمَيْلٍ: «الرَّحْمَةُ مَصْدَرٌ بِمَعْنى التَّرَحُّمِ، وحَقُّ المَصْدَرِ التَّذْكِيرُ». وقول الأخْفَش سَعِيد: «أرادَ بِالرَّحْمَةِ هُنا المَطَرَ، وتَذْكِيرُ بَعْضِ المُؤَنَّثِ جائِزٌ». وقول أبي عُبَيْدَةَ: «تَذْكِيرُ قَرِيبٌ عَلى تَذْكِيرِ المَكانِ: أيْ مَكانٌ قَرِيبٌ». فتح القدير: 2/ 243، وفتح البيان: 4/ 380. وقول سَعِيد بْن جُبَيْرٍ: «الرَّحْمَةُ هَاهُنَا الثَّوَابُ فَرَجَعَ النَّعْتُ إلى المَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ». إحياء التراث: 2/ 199. وقول الزمخشري: «إنما ذكَّر قَرِيبٌ على تأويل الرَّحْمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي شيء قريب». الكشاف: 2/ 111.

(8) المصباح، واللسان، والتاج/ قرب.

والثَّاني قَرِيبُ قَرَابَةٍ، فيطابقُ الموصوف في التذكير والتأنيث، بلا خلاف عند أهل اللغة؛ فيُقال: هِندٌ قريبةٌ وهُما قريبتانِ، لأنه من قرابة النَّسَبِ[1]؛ قال الشاعر:

فَتىً لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمّ قَرِيبَةٌ فَيَضْوَى وَقَدْ يَضْوَى رَدِيدُ الْقَرَائِبِ[2].

فالقريب إذن: فعيل من القرب، وهو مطالعة الشيء حساً أو معنى، خلاف البعيد، يستوي في استعماله الجنس والعدد.

ب. في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (قرب) في القرآن الكريم ستا وتسعين (96) مرة بصيغ متعددة[3]، وهذا يدل على غنى المادة وتنوعها، ولذلك نجد الراغب الأصفهاني يبين هذا التنوع فيذكر أن مشتقات هذه المادة تُستعمل في المكان والزمان، والنّسبة، والحظوة، والرّعاية، والقدرة[4]. فمن المكان قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[5]. وفي الزّمان نحو قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[6]. وفي النّسبة قول الله ﷻ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[7]. وفي الحظوة نحو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[8]. وفي الرّعاية نحو قول المولى ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[9]. وفي القدرة نحو قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[10].

---

(1) العين، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمصباح، واللسان/ قرب.

(2) البيت من الطَّوِيل، أورده الخالديان بلا عزو في حماسة الخالديين: 59، وكذا في الإمتاع والمؤانسة: 1/ 94، والبرصان والعرجان: 24.

(3) هي: تَقْرَبَا، تَقْرَبُوا، تَقْرَبُون، تَقْرَبُوهَا، تَقْرَبُوهُنَّ، يقربوا، قَرَّبا، قَرَّبْنَاه، قَرَّبَه، تُقَرِّبُكُم، لِيُقَرِّبُونَا، اقْتَرَبَ، اقْتَرَبَتْ، اقْتَرِب، قربة، قربات، قَرِيبٌ، قَرِيباً، القُرْبى، أَقْرَب، أقربهم، الأقربون، الأقربين، المقربون، المقربين، مقربة، بقربان، قربانا.

(4) المفردات/ قرب.

(5) سورة البقرة، الآية: 35.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 109.

(7) سورة النساء، الآية: 7.

(8) سورة آل عمران، الآية: 45.

(9) سورة البقرة، الآية: 186.

(10) سورة ق، الآية: 16.

3. إفادة الصفة على المفهوم:

بناء على ما تقرر من تعريف للقريب، والوقوف على دلالة وصف (رَحْمة الله) بالقريب من خلال التدبُّر في الآية الكريمة، يمكن القول: إن في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيهاً ظاهراً على أن الله ﷻ يُقَرِّبُ الرَّحْمةَ من عباده بحسب أدائهم الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسهم؛ فيدل منطوقُ الآية على قرب الرَّحْمة من أهل الإحسان، ويدل تعليلُها على أن هذا القرب مستحق بالإحسان، فهو السبب في قرب الرَّحْمة من المحسنين، ويدل المفهومُ على بُعد الرَّحْمة من غير المحسنين. فاختصاص أهل الإحسان بقرب الرَّحْمة منهم إنما هو من باب: «الجزاء من جنس العمل»، قال ﷻ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾[1]؛ فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن الله إليهم برحْمته. فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحْمته، ومن ابتعد عن الإحسان ابتعد الله عنه برَحْمَتِه، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه[2].

واللافت من خلال التأمل في مناسبة الآية التي نحن في صددها لما قبلها أن المحسنين المبشَّرين بالرَّحْمة الإلهية هم المؤمنون الذين يحسنون العبادة المتمثلة في الدُّعاء[3]، كما وضحت الآيات[4]، أي: يدعون ربَّهم في إنابةٍ وتضرعٍ وتذلُّلٍ وخشوعٍ وخفيةٍ للقريب المجيب، دون مكاء وتصدية! ولا يفسدون في الأرض وقد أصلحها الله بالشريعة، ويدعون ربهم خوفاً من غضبه وعذابه، وطمعاً في رضوانه وفضله وجزيل ثوابه[5]. وكل ذلك – لا جرم– هو الإحسان الذي به تتقرب الرَحْمةُ إليهم؛ وقرب رَحْمَة الله من المحسنين دليلٌ صريحٌ على قُرب الله ﷻ منهم بعِلمِه وفضله ورَحْمَتِه.

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 60.

(2) التفسير القيم: 275.

(3) يقول الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدُّعَاءُ يُفِيدُ مَعْرِفَةَ ذِلَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَيُفِيدُ مَعْرِفَةَ عِزَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الأَشْرَفُ الأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَبَيَانُهُ أَنَّ الدَّاعِيَ لا يُقْدِمُ على الدُّعَاءِ إلا إِذَا عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ كَوْنَهُ محتاجًا إلى ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَكَوْنَهُ عَاجِزًا عَنْ تَحْصِيلِهِ وَعَرَفَ مِنْ رَبِّهِ وَإِلَهِهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ دُعَاءَهُ، وَيَعْلَمُ حَاجَتَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْحَاجَةِ وَهُوَ رَحِيمٌ تَقْتَضِي رَحْمَتُهُ إِزَالَةَ تِلكَ الْحَاجَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ لا يُقْدِمُ عَلَى الدُّعَاءِ إلا إِذَا عَرَفَ كَوْنَهُ مَوْصُوفًا بِالْحَاجَةِ وَبِالْعَجْزِ وَعَرَفَ كَوْنَ الإِلَهِ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفًا بِكَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَلا مَقْصُودَ مِنْ جَمِيعِ التَّكَالِيفِ إلا مَعْرِفَةُ ذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ وَعِزِّ الرُّبُوبِيَّةِ، فَإِذَا كَانَ الدُّعَاءُ مُسْتَجْمِعًا لِهَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ لا جَرَمَ كَانَ الدُّعَاءُ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ». مفاتيح الغيب: 14/ 280.

(4) في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ سورة الأعراف، الآيات: 55– 56.

(5) كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: 90.

وقد بين الحقُّ ﷻ أن قربه من المحسنين يكون بدون واسِطَة[1]، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[2]، فدل النظم الجليل على أن إخباره ﷻ بنفسه الشريفة دون واسطة إشعارٌ بفرط حضوره وقربه من كل عبد سائل دون واسطة[3]، فقال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ دون (فقل إني)، فإنه لو أثبت (قل)، لأوهم بُعداً وليس المقام كذلك؛ وإذا كان هذا التلطف بالسائلين فما ظنك بالمحسنين السالكين السائرين!

وروي أنّ موسى عليه السلام نَادَى رَبَّه فقال: «**إِلَهِي أَقَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى! أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**»[4]. وقُرْبُ العبد من الله في الحقيقة: التخصُّص بصفات يصحُّ أن يوصف بها اللهُ ﷻ وإن لم يكن وصف الإنسان بها على الحدّ الذي يوصف به ﷻ، نحو: الحكمة والعلم والحلم والرّحمة والرأفة، «وذلك يكون بإزالة الأوساخ من الجهل والطَّيش والغضب، والحاجات البدنيَّة بقدر طاقة البشر، وذلك قرب روحانيّ لا بدنيّ»[5]، وعلى هذا الْقُرْب نبّه ﷺ فيما ذكر عن الله ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[6].

---

(1) يقول الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: «وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فِيهِ سِرٌّ عَقْلِيٌّ وَذَلِكَ لِأَنَّ اتِّصَافَ مَاهِيَّاتِ الْمُمْكِنَاتِ بِوُجُودَاتِهَا إِنَّمَا كَانَ بِإِيجَادِ الصَّانِعِ، فَكَانَ إِيجَادُ الصَّانِعِ كَالْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ مَاهِيَّاتِ الْمُمْكِنَاتِ وَبَيْنَ وُجُودَاتِهَا فَكَانَ الصَّانِعُ أَقْرَبَ إِلَى مَاهِيَّةِ كُلِّ مُمْكِنٍ من وجود تلك الماهية إليها، بل ههنا كَلَامٌ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّ الصَّانِعَ هُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ صَارَتْ مَاهِيَّاتُ الْمُمْكِنَاتِ مَوْجُودَةً فَهُوَ أَيْضًا لِأَجْلِهِ كَانَ الْجَوْهَرُ جَوْهَرًا، وَالسَّوَادُ سَوَادًا، وَالعَقْلُ عَقْلاً، وَالنَّفْسُ نَفْسًا، فَكَمَا أَنَّ بِتَأْثِيرِهِ وَتَكْوِينِهِ صَارَتِ الْمَاهِيَّاتُ مَوْجُودَةً فَكَذَلِكَ بِتَأْثِيرِهِ وَتَكْوِينِهِ صَارَتْ كُلُّ مَاهِيَّةٍ تِلْكَ الْمَاهِيَّةَ، فَعَلَى قِيَاسِ مَا سَبَقَ كَانَ الصَّانِعُ أَقْرَبَ إِلَى كُلِّ مَاهِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَاهِيَّةِ إِلَى نَفْسِهَا». مفاتيح الغيب: 5/ 262.

(2) سورة البقرة، الآية: 186.

(3) قال البقاعي رحمه الله: «وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري ما معناه: الذين يسألون عن الجبال وعن اليتامى وعن المحيض وعن الأهلة ونحوها يجابون بالواسطة، وأما الذين يسألون عني فإني أرفع الوسائط بيني وبينهم». نظم الدرر: 3/ 71.

(4) ينظر: المجالسة وجواهر العلم: 7/ 213، والمصنّف: 1/ 108، والزهد: 86، والدر المنثور: 1/ 470.

(5) المفردات: 665، وبصائر ذوي التمييز: 4/ 254.

(6) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 28]، حديث رقم: 7405، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم: 2675. قال النووي: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويستحيل إرادة ظاهره، ومعناه: من تقرب إليَّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة، أي: صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه». شرح النووي على مسلم: 17/ 3.

وصفوة القول، إن وصف رحمة الله بالقريب يدل على أن رحمته ﷻ مرصدة للمحسنين الذين يتّبعون أوامر الله ويتركون زواجره، فمن أحسن أعطي من الخير ما ينفعه، أو دُفع عنه من الشرِّ ما يضره، ومنه قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰٓ ﴿٣١﴾﴾[1].

ولهذا فإن قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2]: هو تقييد صريح لقول الله ﷻ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[3]، والمختصون بالرحْمة هم المحسنون[4]، وهذا يرجح أن الرَّحْمة لا تنفك عن الإحسان؛ فهي مستلزمة للإحسان استلزام الخاص للعام، فكما يستحيل وجود الخاص بدون العام فكذلك الرحمة بدون الإحسان يستحيل وجودها[5].

ثانياً: السعة

ورد لفظ (الرَّحْمَةُ) مضافا إلى ضمير المتكلم النائب عن اسم الجلالة موصوفا بالسعة في قوله ﷻ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[6].

سيقت الآية الكريمة جواباً لدعاء موسى عليه السلام عند مشاهدة الرجفة[7]، فضلا وعناية به؛ لأن كلام موسى عليه السلام، وإن كان طلبا، لا يستدعي جواباً لكن الكلام يتضمن طمأنة موسى عليه السلام من أن يناله العذاب هو والبرآء من قومه، لأن الله أعظم من أن يعاملهم معاملة المجرمين، ويتضمن كذلك وعدا بحصول الرحمة المسؤولة له وللصالحين من قومه، لأنها لما وسعت كل شيء فهم أرجى الناس بها، لكنها مقيدة بتقوى الله، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالكتب، واتباع النبيِّ ﷺ[8].

---

(1) سورة النّجم، الآية: 31.

(2) سورة الأعراف، الآية: 55 – 56.

(3) سورة آل عمران، الآية: 74.

(4) البحر المديد: 2/ 226.

(5) التفسير القيم: 275.

(6) سورة الأعراف، الآية: 156.

(7) في قوله ﷻ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـَٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: 155- 156.

(8) ينظر: أوضح التفاسير: 1/ 201، وفي ظلال القرآن: 3/ 1377.

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، جواب إجمالي، هو تمهيد للجواب التفصيلي في قوله: قوله وَجَلَّ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾. والتفريع في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ تفريع على سعة الرَّحْمة، لأنها لما وسعت كل شيء كان منها ما يكتب: أي يُعطى في المستقبل للذين أجريت عليهم الصفات، ويتضمن ذلك وعدا لموسى ولصلحاء قومه لتحقُّق تلك الصفات فيهم، وهو وعد ناظر إلى قول موسى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، والضمير المنصوب في ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ عائد إلى ﴿رَحْمَتِي﴾ فهو ضمير جنس، وهو مساوٍ للمعرف بلام الجنس، أي اكتب فرداً من هذا الجنس لأصحاب هذه الصفات، وليس المراد أنه يكتب جميع الرحمة لهؤلاء لأن هذا غير معروف في الاستعمال في الإخبار عن الأجناس، لكن يعلم من السياق أن هذا النوع من الرحمة نوع عظيم بقرينة الثناء على متعلقها بصفات تؤذن باستحقاقها، وبقرينة السكوت عن غيره، فيعلم أن لهذا المتعلق رَحْمة خاصة عظيمة وأن غيره داخل في بعض مراتب عموم الرَّحْمة المعلومة من قوله: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقد أفصح عن هذا المعنى الحصر في قوله في آخر الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. والمعنى: أن الرحمة التي سألها موسى له ولقومه وعد الله بإعطائها لمن كان منهم مُتَّصِفاً بأنه من المتقين والمؤتين الزكاة، ولمن كان من المؤمنين بآيات الله»[2].

يُفهم من كلام العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ أن شأن رَحْمةِ الله وصفتَها أن تسع كل ما يدخل تحته الشيئية من المكلفين وغيرهم، إلا أن الله وَجَلَّ قيد إتمامها ودوامها بشرطٍ ترهيباً لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط، فقال وَجَلَّ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي سأوجب حصولها منَّةً للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بجميع الكتب المنزلة، ويتبعون الرسول محمدا ﷺ. وعليه فالمقصود بالرحمة هنا هي الرحمة في الدنيا التي تشمل الطائع والعاصي، والمؤمن والكافر، ولكنها خالصة في اليوم الآخر للمؤمنين. وقوله وَجَلَّ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ «يدل على أن هذا سيكون في الآخرة. أي أن رحمة الله وسعت كل شيء في الدنيا ولكنها رحمة تنتهي بالنسبة للكافرين في إطار الدنيا، ولكن بالنسبة للمؤمنين فهي رحمة مستمرة قد كتبها الله أزلاً وتُعطى للمؤمنين فضلاً ومنَّة وعطاء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[3].

---

(1) وذلك في قوله وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ سورة الأعراف، الآية: 157.

(2) التحرير والتنوير: 9/ 130.

(3) تفسير الشعراوي: 7/ 4380. وينظر: إرشاد العقل السليم: 3/ 278.

رابعـاً: العلاقات

1. علاقات الائتلاف

أولاً: فضل الله

ورد (فضل الله) مقترنا بحرف امتناعٍ لوجودٍ، متضمن معنى الشرط: «لولا»، معطوفا عليه لفظ (رَحْمة) مضافا إلى ضمير اسم الجلالة (رَحْمته) وذلك في سبع آيات من سور مدنية ومنها: قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾[1]. والملاحظ عند تتبع فُهُوم العلماء في تفسير هذه الآية ونظيراتها، أن لفظي الفضل والرَّحْمة يتآلفان في المعنى، ويتآكدان في السياق، ويتلازمان في المفهوم والدلالة، وهذا مما يوضح السرَّ في عطف الرَّحْمة على الفضل؛ فعلاقة اللفظين لا تقتصر على اقترانهما بالتعاطف فقط، بل تجمعهما علاقات أخرى تتمثل في الترادف لتقاربهما في المعنى، والتداخل والتكامل لكون أحدهما أعم من الآخر، ولتلازمهما في الاستعمال، حيث يؤكد أحدهما الآخر.

وورد لفظ (الفضل) بعد الأمرِ بالقول، مضافا إلى اسم الجلالة ظاهرا، ومجرورا بالباء، ومعطوفا عليه لفظ (الرَّحْمة) مضافا إلى ضمير اسم الجلالة، ومجرورا بالباء، وذلك في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[2]. ويلاحظ تقديم الجار والمجرورات: ﴿بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ﴾ على الفعل ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ لإفادة الحصر والاختصاص، أما الفاء الداخلة على ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ تفيد معنى الشرط، كأنه قيل: إن فرِحُوا بشَيءٍ فليخُصُّوا فضلَ اللهِ ورَحْمَتَهُ بالفَرَحِ. فإنه ليس ثمة ما هو أدعى إلى الفرح منهما. وَتَكرِيرُ البَاءِ في: ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾، للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرَّحْمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، وكذلك للدَّلالةِ على أنَّ كُلَّ واحدٍ مِن الفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ سَبَبٌ مُسْتَقِلٌّ في الفَرَحِ، ولذلك جاء قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ بدلا منهما[3].

---

(1) سورة النور: 21. والموارد الأخرى في السور: البقرة: 64، والنساء، الآيتين: 83، 113، والنور، الآيات: 10، 14، 20.

(2) سورة يونس، الآية: 58.

(3) يُنظر: فتح القدير: 2/ 516، وفتح البيان: 6/ 83، ومفاتيح الغيب: 17/ 269، والتحرير والتنوير: 11/ 204.

ووردت ضميمة رحمة الله معطوفةً[1] على ضميمة فضل الله في حديث رُوي عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»[2].

ورد هذا الحديث في مقام بيان حرص النبيِّ ﷺ على إخراجِ أُمَّتِه مِن الجاهليَّةِ[3] بكُلِّ ما فيها مِن شُرورٍ وآثامِ شركٍ، إلى الإسلامِ وشَرائعِه، وما فيه مِن خَيرٍ وتَوحيدٍ، حيث يُفهم من معنى الحديث أن النَّاسَ بالنِّسبةِ إلى نُزولِ الأمطارِ على قِسمَينِ: قِسمٍ مؤمنٍ باللهِ ﷻ لا يُشرِكُ به شَيئًا، وقِسمٍ كافِرٍ بوَحدانيَّةِ اللهِ ﷻ. فأمَّا مَن أسنَدَ إنزالَ الأمطارِ حقيقةً إلى اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فذلِك مُؤمِنٌ بوحدانيَّتِه ﷻ، وكافِرٌ بالكَوكِبِ. وأمَّا مَن نسَبَ الأمطارَ وغيرَها مِن الحوادِثِ الأرضيَّةِ إلى تحرُّكاتِ الكَواكِبِ في طُلوعِها وسُقوطِها مُعتقِدًا أنَّها الفاعِلُ الحقيقيُّ، فهو كافِرٌ مُشرِكٌ باللهِ[4]. لذا يُستحَبُّ لِلمؤمِنِ أن يقولَ حين ينْزل المطر كما وجَّهَ النبيُّ ﷺ: «**مُطِرْنا بِفَضلِ اللهِ ورَحْمَتِه**»[5].

ويتضح من خلال التأمل في النصوص التي اقترن فيها فضل الله برحْمة الله أن المراد بضميمة (**فَضْل الله**) هو: **تَفَضُّلُه ﷻ على عِبَادِه بِمَا ينفعهم في العَاجِلِ والآجِلِ مِمَّا لا يُحاطُ ولا يُحْصَرُ**؛ وهذا التفضل يكون إما بدفع مكروه أو بحصول مطلوب، وذلك – عند الموازنة – محض رَحْمَة الله.

---

(1) وهو عطف تفسيري لأن المراد منها الفضيلة، ولو أريد بها الإرادة لكان عطف مغايرة. قالها محمد علي الشافعي، في كتابه: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/ 548.

(2) صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، حديث رقم: 1038.

(3) كان العربُ في الجاهليَّةِ أَشَدَّ النَّاسِ شَوقاً إلى المَطَر، وأكثَرَهُم به استِبشَاراً وفَرَحاً، حيث كانُوا يَشُومُون البَرْقَ مِن كُلِّ جَانبٍ ويُسَرُّونَ لِرُؤيَتِهِ، ويَأنَسُونَ بِسَمَاعِ الرَّعدِ، ويَتَتَبَّعُونَ مَوَاطِنَ القَطرِ في كُلِّ نَاحِيَةٍ، ويَرحَلُونَ إليه ولَو بَعُدَت مَوَاقِعُهُ، لكنهم مع هذا الشُعُور الرهيف، كانوا يَعتقِدون أنَّ النُّجومَ سَببٌ في نُزولِ المطرِ حقيقةً، ويظنون أن النجوم تمطرهم وترزقهم! وهذا عندهم معروفٌ مشهورٌ في أخبارهم وأشعارهم. فنهاهم رسول الله ﷺ عن نسبة الغيوث إلى الأنواء، وأمرهم أن ينسبوا ذلك إلى الله ﷻ الذي جعلها حياةً لعباده وبلاده، وعرَّفهم أن ذلك من فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورَحْمته على جَميع مخلوقاته. يُنظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال: 3/ 28، وعمدة القاري: 7/ 60، وفتح الباري لابن رجب: 9/ 259.

(4) ينظر: فتح الباري لابن رجب: 259/9، وعمدة القاري: 136/6، وإرشاد الساري: 141/2، ومرقاة المفاتيح: 1108/3.

(5) ينظر: مرقاة المفاتيح: 3/ 1108، والاستذكار: 2/ 437، وشرح النووي على مسلم: 2/ 60.

ثانياً: بركاتُ اللهِ

1. موارده:

وردت كلمة (بَرَكَاتُه) معطوفة على (رَحْمَة الله) في القرآن الكريم والحديث الشريف؛ مرة في القرآن الكريم وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

وأبع عشرة مرة في الحديث الشريف؛ ثلاث عشرة منها وردت في سياق صفة الصلاة[2]، كحديث ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[3].

ومرة وردت في سياق الحج، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رجلا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَرَحمَةَ اللهِ، وَإِنَّهَا سَأَلَتْنِي الحَجَّ مَعَكَ، قَالَتْ: أَحِجَّنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا عِنْدِي مَا أُحِجُّكِ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ أَحِجَّنِي عَلَى جَمَلِكَ فُلانٍ، فَقُلْتُ: ذَاكَ حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَحْجَجْتَهَا عَلَيْهِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟**» قَالَ: وَإِنَّهَا أَمَرَتْنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا يَعْدِلُ حَجَّةً مَعَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقْرِئْهَا السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَأَخْبِرْهَا أَنَّهَا تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي**»[4].

---

(1) سورة هود، الآية: 69- 73.

(2) وهي: حديثان أخرجهما مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة: حديث رقم: 402، وحديث رقم: 404. وأربعة أحاديث أخرجها النسائي في كتاب التطبيق: باب كيف التشهد الأول، أحاديث رقم: 1166، 1168، 1169، وباب قوله ربنا ولك الحمد، حديث رقم: 1064. وحديث أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب من سمى قوما، أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة، وهو لا يعلم، حديث رقم: 1202. وحديث أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب التشهد، حديث رقم: 972. وحديث أخرجه النسائي في كتاب السهو، باب تخيير الدعاء بعد الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم: 1298. وحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشهد، حديث رقم: 968. وحديث أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، حديث رقم: 835. وحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في التشهد، حديث رقم: 899.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، حديث رقم: 6265.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب العمرة، حديث رقم: 1990.

2. مفهوم البركات:

أ. في اللغة:

البَرَكَاتُ: جَمعُ بَرَكَة، وهي اسمٌ من بَارَكَ يُبَارِكُ مُبَارَكَةً، فهو مُبَارِكٌ، والمفعول مُبَارَكٌ؛ يُقَال: باركه الله، وَبَارك فِيهِ، وَبَارك عَلَيْهِ، وَبَارك لَهُ. ومداره في اللغة على الثُّبُوت واللزوم والاستقرار والدوام[1]، وهو مأخوذ حسيًّا مِن بَرك البَعِير: إِذَا أَنَاخَ في مَوْضِعٍ فَلَزِمَهُ واسْتَقر فيه. ومنه البِرْكَة: الحوض، سُميت بذلك لثُبُوت المَاء فِيهَا، والبراكاء الثَّبَات في الحَرْب وَالجد فِيهَا، ومنه قول الشَّاعِر بشر بن أبي خازم:

وَلاَ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلاَّ بَرَاكَاءُ الْقِتَالِ أَوِ الْفِرَارُ[2].

وجاء في حَدِيثِ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»[3]، فيعني: ضاعف له وزده وأَثْبِتْ لَهُ وَأَدِمْ مَا أَعْطَيْتَهُ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالكَرَامَةِ، وهذا حقيقة البَركة[4]. ثمَّ تطور استعمالُها فصارت تُطلق على النَّماء والزِّيَادَةُ والكثرة والدوام، أحسية كانت أم معنوية[5]. ومنه التَّبْريك: الدُّعَاءُ للإنسان أو غيره بالبَرَكَةِ. يُقَالُ: بَرَّكْتُ عَلَيْهِ أَيْ قُلْتَ لَهُ بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ. وَبَارَكَ اللهُ الشيءَ وَبَارَكَ فِيهِ وَعَلَيْهِ: وَضَعَ فِيهِ البَرَكَة[6]؛ ومنه قول أَبِي طَالِب بن عَبْدِ المُطَّلِب:

بُورِكَ المَيِّتُ الغريبُ، كَمَا بُو رك نَضْحُ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ[7].

وبهذا يتضح أن البَرَكَة هي: ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير ونَماؤه، أو هُما معاً[8]؛ فبركة المال زيادته وكثرته، وبركة الطعام وفرته ونفعه، وبركة العيال كثرتهم وحسن أخلاقهم، وبركة العلم الإحاطة وكمال الفقه والمعرفة. فالبركة إذن، هي جوامع الخير، وكثرة النعم ودوامها.

---

(1) المقاييس/ برك.

(2) البيت من الوافر، وهو لبشر بن أبي خازم، ينوه فيه بفضل الثبات في الحرب. شرح المفضليات: 677، واللسان/ برك.

(3) صحيح البخاري، باب الصلاة على النبي ﷺ، كتاب الدعوات، حديث رقم: 6357.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 120، وجلاء الأفهام: 354.

(5) الكليات: 248.

(6) العين/ برك، والمحكم/ ب ر ك، واللسان، والمصباح/ برك.

(7) البيت من الخفيف، وهو لأَبِي طَالِب بْن عَبْدِ الْمُطَّلب، يُرثي مسافر بن أبي عمرو. ينظر: المنمق في أخبار قريش: 369. وَمَعْنَاهُ: أنَّ البَرَكَةَ في ورَقِهِ اشْتِمالُهُ عَلى عُودِهِ كُلِّهِ من أوله إلى آخره. يقال: نَضَحَ الشجر إذا تفطر أي تصدّع ليخرج ورقه. يُنظر: زاد المسير في علم التفسير: 2/ 60.

(8) التبرك أنواعه وأحكامه للجديع: 37.

ب. في الاستعمال القرآني:

وردت مادة «برك» في القرآن الكريم من خلال أربع مشتقات في اثنين وثلاثين موضعاً: ثلاث مرات مصدراً جمعاً ﴿بَرَكَٰتٍ﴾. واثنتي عشرة مرة اسم مفعول؛ ثماني مرات مذكراً ﴿مُبَارَكٌ﴾، وأربع مرات مؤنثاً ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾. وثَماني مرات فعلا ماضيا ﴿بَٰرَكْنَا﴾. وتسع مرات فعلاً ماضياً من باب «تَفاعَلَ» ﴿تَبَٰرَكَ﴾. وعدد السور التي وردت فيها مادة (برك) هي اثنتان وعشرون سورة؛ إحدى وعشرون سورة مكية تضمنت ثلاثين موضعا، وسورة مدنية واحدة تضمنت موضعين. ويُلاحظ أن لفظ (البَرَكَة) ورد بصيغته المصدرية مجموعة لا مفردة مسندا إلى الله ﷻ في موضعين، ومضافا إلى ضمير يعود على اسم الجلالة في موضع واحد.

والمتأمل في الآيات الكريمة التي تناولت لفظ (البَرَكَة)، يجد أنه يدل على: ثبوت الخير الإلهي والفيض الرباني وتزايده في الشيء والحال بحيث يبقى وتدوم منفعته أطول مدة فلا ينفد سريعًا[1]. قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]؛ أي لآتاهم الله ﷻ بِخَيْراتٍ ومَنافِعَ مادية ومعنوية ثابتَةٍ، هابطةٍ من السماء ونابعةٍ من الأرض، مِمَّا فيها قِوام الحياة من الغَيْثِ والنَّبَاتِ والصِّحَّةِ والعَافِيَةِ والأنعَامِ والأمْنِ والسَّلاَمَةِ من الآفات، وجَميع ما فيهما[3]. وهذا يوحي بأن لفظ البركة يأتي في القرآن الكريم بمعنى العطاء الكثير الذي يتجاوز حد العد والحساب، ويؤيد ذلك وروده بصيغة الجمع الذي يدل على الزيادة والكثرة.

يتضح مما سبق أن ثَمة تقارباً في المعنى بين لفظي البركة والرَّحْمَة؛ فالبركة مقيدة بالدوام والاتساع، وهذه الصفات متمثلة في الرَّحْمة. وكأن البركة هي العنصر الذي جعل الرَّحْمةَ متصفةً بالثبوت والاتساع والدوام لانضوائها تحتها بكل صورها. وهناك اتفاق بين الكلمتين في الجهة المتعلقة بالفاعل، وذلك أن مصدرهما هو الله ﷻ، وهما مختلفتان في الجهة المتعلقة بمن وقع عليه الفعل، فهو عام في كل شيء بالنسبة للرَّحمة، قال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ومخصوص بالمؤمنين المتقين بالنسبة للبركة، والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

---

(1) المفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ برك.

(2) سورة الأعراف، الآية: 96.

(3) يُنظر: الكشاف: 2/ 133، مفاتيح الغيب: 14/ 322، وفتح البيان: 4/ 416، وفي ظلال القرآن: 3/ 1339.

(4) سورة الأعراف، الآية: 96.

3. إفادة العلاقة على المفهوم:

بعد استقصاء مفهوم البركة في اللغة وفي الاستعمال القرآني، نقف على دلالة اقترانه بلفظ (الرحمة)، في ضوء النصوص الحاملة لموارده.

وبملاحظة السياق المقالي والمقامي للآية الكريمة والأحاديث الشريفة، فإن الأسلوب المقالي في كل النصوص يأتلف[1]، أما السياق المقامي فيختلف[2]؛ حيث وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام، ووردت جلُّ الأحاديث في مقام تعليم الصحابة رضي الله عنهم كيفية التشهد في الصلاة، في حين جاء حديثٌ آخر في مقام الحديث عن الحج مع رسول الله ﷺ.

وإذا تأملنا في سياقات كل النصوص وجدنا أنها حلقاتُ سلسلةٍ بدأت من عهد سابق مع أنبياء الله عليهم السلام. فهذه الرَّحْمَةُ والبَرَكَاتُ والسَّلاَمُ هي إرثٌ متجددٌ لما هبط به سيدنا نوحٌ عليه السلام وأممٌ ممن مَّعَهُ كما في الآية[3]، فتَوَالَت في سيدنا إبراهيم عليه السلام[4]، ثمَّ تعاقبت في سيدنا إسحاق وأبنائه أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وسيدنا إسماعيل عليه السلام ومن نسله سيدنا مُحَمَّد ﷺ، فتَتَابَعَت في نسلهم وذريتهم إلى يوم القيامة[5]. لذلك نجد في دعاء التشهد: «**السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**»[6]، وفي التحية بيننا: (**السَّلاَمُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُه**).

---

(1) وذلك في كونها تتحدث عن إسباغ رَحْمة الله وبركاته على الأنبياء عليهم السلام وأهليهم ومؤمني أقوامهم بعبارات متماثلة تحمل: (**السَّلام، والرَّحْمَة، والبَرَكَات**).

(2) وذلك أن سياق الآية الكريمة يُلِمُّ بطرفٍ من قصة إبراهيم إلى جانب قصة قوم لوط عليهما السلام، حيث تحقق وعدُ الله عز وجل على المستخلَفين من عهد نوح عليه السلام؛ فثمة أمم بوركت، وأمم كتب عليها العذاب: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [هود: 48]، ففي قصة إبراهيم عليه السلام تَحقَّقت فيه البركات، وفي قصة لوط عليه السلام مسَّ قومه العذابُ الأليم. قال الله عز وجل في الأولى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: 73]. وفي الثانية، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود: 82]. للاطلاع على مزيد من الشرح والتفصيل يُنظر: تفسير هذه الآيات في كتاب: في ظلال القرآن: 4/ 1911. وكذلك تفسير سورة الصافات.

(3) قوله عز وجل: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [هود: 48]. وقوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات: 76-79].

(4) حيث قد نجاه الله من نار قومه الظالمين، وآواه إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين، ووهبه الولد في كبره وشيخوخته...

(5) مفاتيح الغيب: 18/ 375، والمحرر الوجيز: 3/ 191، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 71، ونظم الدرر: 9/ 332، ومراح لبيد: 1/ 513.

(6) قال محمد رشيد رضا: «ومن هذه الآية (أي: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾) أخذ النبي ﷺ دعاء الصلاة الذي أمر به أمته عقب التشهد الأخير من الصلاة». تفسير المنار: 12/ 108.

وهكذا تَتَبَيَّن مِمَّا سبق أهمِّيَةُ البركة في حياة المخلوقات، وبالأخص بني آدم الذين كرَّمهم الله وفضَّلهم على كثير من خلقه[1]؛ فلما كانت الرَّحْمةُ تتغيَّا اجتلابَ المَنَافِع إلى الإنسان ودَفْعَ المَضَارِّ عنه، فإنه أحوج ما يكون إلى ثَبَاتِها ودوامها عليه، وهذا ما يتضمنه مفهوم البَرَكَة، ولعل هذا التكامل الذي بين اللفظين هو ما اقتضته الحكمةُ في اقترانهما، وفي تقديم الرَّحمة على والبَرَكَة. وأما الحكمة في إضافة الرحمة والبركة إلى الله ﷻ، فذلك أن مصدرَهُما هو الله ﷻ؛ فلا يضافان إلا لله وحده، ولهذا لَمْ يُقل: «رَحْمَتِي وَبَرَكَاتِي عَلَيْكُم»، ولكن يُقال: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[2].

2. علاقات الاختلاف

أولاً: عَذَابُ الله

وذلك في آيتين كريمتين من سورتين مكيتين، وفي حديثين شريفين رواهُما أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وهي: قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[3].

وقوله ﷻ: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[4].

وقَولُ رَسُول الله ﷺ: «**احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالمَسَاكِينُ، وَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ**»[5].

وقول النَّبيِّ ﷺ: «**اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا...**»[6].

---

(1) قال ﷻ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

(2) سورة هود، الآية: 69- 73.

(3) سورة الإسراء، الآية: 56 – 57.

(4) سورة الأعراف، الآية: 156.

(5) سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار، حديث رقم: 2561.

(6) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: 56]، حديث رقم: 7449. وكتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: 30]، حديث رقم: 4850.

الملاحظ في هذه الموارد أن الآية الأولى تقدم فيها لفظُ (الرَّحمَة) على لفظ العذاب، وكلاهما مضافين إلى ضمير الجلالة، وقد وقع فعلُ الرجاء على الرَّحمة، ووقع فعلُ الخوف على العذاب. وجاء النظم الجليل على أسلوب المقابلة، كما نلاحظه بين الرجاء والخوف، وبين الرَّحمة والعذاب.

وفي الآية الثانية والحديثين ورد اللفظان مضافين إلى ضمير الجلالة المتكلم، إضافة مفعول إلى فاعله، مقترنين بفعل المشيئة، وقُدم العذابُ في الذكر على الرحْمة في الآية الثانية والحديث الأول تَرْهِيبًا وَزَجْرًا. أما في الحديث الثاني فقُدِّمت الرحمة على العذاب.

ويدل سياق النصوص على أن رَحْمة الله مظهر من مظاهر رضاه، وعذابه مظهر من مظاهرسخطه ﷻ، ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث النبوي من تسمية النار بعذاب الله، كما في قوله ﷺ: «**فَقَالَ اللهُ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ**»، أي: أن بها تنشأ عقوبته وانْتِقَامه، وتسمية الجنة برَحْمة الله، كما في قوله ﷺ: «**وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ**»، أي: أن بها تظهر رحْمة الله وإحسانه لعباده[1].

والحاصل أن علاقة رَحْمة الله بعذاب الله علاقة اختلاف تتمثل في التقابل بين المصطلحين. ويستفاد من ذلك أنه ينبغي للمؤمن الموحد أن يقرن حبه لله ﷻ بالإجلال والتعظيم، ويتقلب في حبه له ﷻ بين مترلتي الخوف والرجاء؛ فلا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه، فيترقب بذلك رحْمة الله، ويستبعد به عذابه.

ثانياً: غَضَبُ الله

1. موارده:

اقترنت ضميمة (رحمتي) بالمركب الإضافي (غضبي) في ثلاثة مواضع في الحديث الشريف، وذلك في قَوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حِينَ خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[2]. وقَوله ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»[3]. وفي قول رسول الله ﷺ: «**لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»[4].

---

(1) مرقاة المفاتيح: 9/ 3628، وتحفة الأحوذي: 7/ 238.

(2) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحْمة الله بعباده، حديث رقم: 3543.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: 27]، حديث رقم: 3194.

(4) سنن النسائي، كتاب النعوت، الرَّحْمَةُ وَالْغَضَبُ، حديث رقم: 7704.

2. مفهوم الغضب:

أ. في اللغة:

الغَضَبُ: نقيض الرِّضَا؛ وهو مصدر غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، فهو غَضْبَانُ، وجَمعه: غِضَابٌ، ومفعوله: مَغْضُوبٌ. ومَدارُه على الشِدَّةٍ والقُوَّةٍ، ومأخوذ حسيًّا مِن الغَضْبَة: الصَّخْرَة الصُّلْبَة، لأنَّه اشْتِدَادُ السُّخْطِ. ويُقَالُ: غَضِبْتُ لِفُلانٍ إِذَا كَانَ حَيًّا، وَغَضِبْتُ بِهِ إِذَا كَانَ مَيِّتًا[1]؛ منه قول دُرَيْدُ:

فإن تُعْقِب الأَيامُ والدَّهْرُ فَاعْلَمُوا بَني قَارِبٍ أَنَّا غِضَابٌ بِمَعْبَدِ[2].

ويُقال: فلانٌ غضوبٌ، أي كثير الغضب؛ يستوي فيها المذكر المؤنث. ومنه قول الكحلبة:

كَرَبَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهُ يَذُوبُ حِيْنَ قَالَ الوُشَاةُ هِنْدٌ غَضُوْبُ[3].

ب. وفي الاصطلاح:

قيل: الغَضَبُ: هو تغير يَحصل عند غليان دم القلب؛ لإرادة الانتقام من المغضوب عليه[4].

وقال ابن عرفة: «الغَضَب من المخلوقين شيءٌ يُداخل قلوبَهم[5]، ويكون منه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان فى غير الحقِّ. وأَمّا غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه»[6].

نفهم من كلام ابن عرفة رَحِمَهُ اللَّهُ أن الغَضَب إما مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإما مِن الإنسانِ، فأَمَّا غَضَب الله فَهُوَ إنْكاره عَلَى مَنْ عَصاه، وسَخَطُه عَلَيْهِ، وإعْراضُه عَنْهُ، ومُعاقَبَتُه لَهُ. وأَمَّا مِن المَخْلُوقِينَ فمنه مَحْمُودٌ ومَذمومٌ؛ فالمَحمُودُ ما كان في جانب الدِّين وَالحَقِّ، والمذمومُ مَا كَانَ في الكفر والفسق والباطل[7].

ونَخلص مِمَّا سبق إلى أن **الغَضَبَ هُوَ: حَالَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ تَسْتَدعِي إِلْحَاقَ الضَّرَرِ بِالمَغْضُوبِ عَلَيْهِ انْتِقَاماً، وإذا أُسْنِدَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ إِلَّا سَخَطُهُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ، وإنْكَارُهُ عَلَيْهِ، وإعْرَاضُهُ عَنْهُ، وَانْتِقَامُهُ مِنْهُ، ومُعَاقَبَتُه لَهُ! فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الانْفِعَالَاتِ وَالحَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ؛** ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

(1) المقاييس، واللسان، والمحكم/ غضب.

(2) البيت لدُرَيْد بن الصِّمَّة، يَرْثِي أَخاه عَبْدَ اللهِ بن الصِّمَّة. المخصص: 4/ 77، والمحكم، واللسان/ غضب.

(3) البيت من الخفيف، وهو للكلحبة اليربوعي، يُنظر: همع الهوامع: 130/1، والدرر اللوامع: 105/1، والعيني: 189/2.

(4) المفردات/ غضب، والدستور: 3/ 6، والتعريفات: 162، والحدود الأنيقة: 73، والكليات: 671، والكشاف: 1254/2.

(5) وفي ذلك قال محمد حسن جبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغَضَبُ: هو امتلاء النفسِ بالحدة والجفاء لأمر ما». المعجم الاشتقاقي/ غضب.

(6) بصائر ذوي التمييز: 4/ 135.

(7) النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 370.

3. إفادة العلاقة على المفهوم:

بالوقوف على شرح الحدِيث تبين أن رَحْمةَ الله ﷻ تَغلِبُ وتَسبِقُ غَضَبَه من حيث كون الرَّحْمَة تدرك عباد الله، حتى العصاة والكفار منهم، من غير حق سابق لَهم، بل تفضلاً منه ﷻ، أما الغضب فلا يلحق أثره بالعباد إلا إذا صدر منهم سبب استحقاق الغضب والعقوبة، من كفر وعصيان؛ فرَحْمَتُه ﷻ لعِبادِه أسبَق من غَضَبِه عليهم، وإنعامُه عليهم أغلب من انتقامِه منهم! وهذا يَدُلُّ على فَضلِ رَحْمَتِه ﷻ على غَضَبِه من جِهةِ سَبقِها وغَلَبَتِها[1].

أما اقتران الغضب بالرَّحْمة ففيه إشارة إلى أن ذا الرَّحْمة ﷻ هو ذو انتقام، لكن رَحْمته أوسع من نقمته، ولذلك ينبغي للعبد ألاَّ ييأس من رَحْمة الله وألاَّ يأمن مكره تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

خامساً: الضمائم

أولاً: آثار رحْمة الله

1. مورده:

وردت هذه الضميمة الإضافية في آية واحدة من سورة الروم المكية، وهي في قول الله ﷻ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾[2].

2. دلالة (الآثار) في اللغة:

الآثَارُ: جَمعُ أَثَر، ومداره في اللغة على بقية ما يَنشَأُ عن الشَّيء ممَّا يَدُلُّ على وجودِه ماديا أو معنويا[3]. وهو مأخوذ حسيا من أثر خفِّ البعيرِ في الأرض، وأثر ضربة السيف في الجسم[4]؛ ومنه أثرُ السجود في الجبهة، كما في قوله ﷻ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[5]، وأثر القَدَم وما إليه، كما قال ﷻ: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾[6]. وآثار الأعمال: ما بقي منها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[7]، وآثَارُ النبي ﷺ: سُنَنُهُ من الأقوال والأفعال؛ قال الشاعر:

---

(1) عمدة القاري: 139/25، والمنهاج: 16/ 192، وفتح الباري لابن حجر: 13/ 385، وإرشاد الساري: 10/ 394.

(2) سورة الروم، الآية: 50.

(3) المجمل، والمقاييس، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/أثر، وشمس العلوم: 1/ 174.

(4) العين/ أثر.

(5) سورة الفتح، الآية: 29.

(6) سورة طه، الآية: 96.

(7) سورة الزخرف، الآية: 23.

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ[1].

ومن المجاز: الأَثَرُ: الأَجل، وأَصله من أَثَر المَشْي في الأَرض، سُمِّيَ بِذلك لأَنه يَتْبَعُ العُمر؛ لأَنَّ مَنْ مَاتَ لا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ وَلا يُرى لأَقدامه في الأَرض أَثر[2]. وَمِنْهُ قَول كعب بن زهيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَالمَرءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لا تَنتَهي العَينُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الأَثَرُ[3].

3. مفهوم الضميمة:

بوقوفنا على مقام النص يظهر أن الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن بعض الأدلة الحسية الدالة على قدرة الله ﷻ وتوحيده، وهي: أن الله ﷻ يرسل الرياح ليبشر الناس بالخير، ويذيقهم من نعمته ورحمته بإنزال المطر الذي يحيي به الأرض بعد جفافها، ويرسل الرسلَ بالبينات، وينصر المؤمنين، كما أنه ﷻ يرسل الرياح لتلقيح الأشجار، ولتسيير السفن الشراعية في البحار، ولتمكين المسافرين والتجار من ممارسة التجارة، وطلب الفضل الإلهي والمكاسب المشروعة، وكل ذلك من آثار رَحْمة الله الكثيرة التي لا تحصى! لهذا، أمر الله ﷻ الإنسانَ بأن ينظرَ نظرة تدبرٍ واستبصارٍ واعْتِبَارٍ إلى ما ينشأ عن رحمته ﷻ من خضرة الأشجار، وتفتح الأزهار، وكثرة الثمار، وغيرها، بعد أن كانت الأرضُ هامدة جامدة، وليشكر ربه على ما أفاض به عليه من الخيرات[4].

ومن هذا المنطلق يمكن تحديد مفهوم آثَار رَحمَةِ الله ضمن التعريف الآتي: **آثَارُ رَحْمَةِ اللهِ هي: بَقِيَّةُ مَا تَنْشَأُ عَن رحمة الله ﷻ وتدلُّ عَلَى وُجُودِهَا من النِّعَمِ المَادِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ، الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ.**

ثانياً: خزائن رَحْمة الله

1. موارده:

وردت هذه الضميمة الإضافية في آيتين مكيتين، أولاهُما: من سورة الإسراء، وهو قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾[5]. وثانيهما: من سورة ص، وهو قولُ أصدقِ القائلين ﷻ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾[6].

(1) البيت من الخفيف، بلا نسبة. تفسير المراغي: 4/ 77، ولطائف الإشارات: 1/ 260.

(2) اللسان/ أثر.

(3) البيت من البسيط، وهو لكعب بن زهيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دوانه: 38.

(4) في ظلال القرآن: 2774/5، التحرير والتنوير: 123/21، وصفوة التفاسير: 444/2، والوسيط للزحيلي: 2007/3.

(5) سورة الإسراء، الآية: 100.

(6) سورة ص، الآية: 9.

2. دلالة (الخزائن) في اللغة:

الخَزَائِنُ: صِيغَةُ مُنْتَهى الجُمُوعِ لِخِزَانَة، وهي اسْمُ مشتق من خَزَنَ يَخْزُنُ خَزْنًا، فهو خَازِنٌ، والمفعول مَخْزُونٌ، ومَدارُه في اللُّغة على الحفظِ، وهو مأخوذ حسيًّا من دس الشيء في باطن شيء حَرِيز[1]، ثُمَّ يُعبَّر به عن كلّ حفظ؛ كخَزْن المالِ: حرزه، وخَزْن السر: كتمانه، وخزن اللسان: صيانته، وخَزْن المحاصيل الزِّراعيَّة: ادِّخارها[2]، ومرد هذه المعاني كلها إلى معنى الحفظ. يقول امرؤ القيس:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانُهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ[3].

ومن المجاز: خِزانة الإنسان: القلب؛ يُقَالُ: خِزَانَةُ الرجل قلْبُه، وخازِنهُ لِسَانه[4]؛ ومنه قَول لُقْمَانَ الحَكِيم لابْنِهِ: «**إِذا كَانَ خَازِنُكَ حَفِيظًا وَخِزَانَتُكَ أَمِينَةً سُدْتَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**»[5]، يَعْنِي بالخَازِن اللسانَ، والخِزَانَة القلبَ[6].

نستخلص مما سبق أن الخزائن في اللغة هي: **المَواضِعُ الَّتِي تُحْفَظُ فِيها الأَشْياءُ النَّفِيسَة إلى أجل مسمَّى**؛ كخِزانة الدَّولة: بيت المال، وخِزانة التراث: المتحف، وخِزانة الكتب: المكتبة[7].

3. مفهوم الضميمة:

يتبين عند الوقوف على مقال ومقام النصين، أن الآية الأولى جاءت ردا لشبهات المشركين المعاندين المكابرين، المتعنتين على الرسول ﷺ بمقترحاتهم الفاسدة؛ من إيجاد بيوت الزخرف، وجنات النخيل والأعناب، والينابيع المتفجرة من الأرض، وغير ذلك من الخوارق والمعجزات[8]، فأدمج في هذا الرد بيان ما فيهم من الشح والبخل عن الإنفاق في سبيل الخير، وأدمج في ذلك أيضا تذكيرهم بأن الله أعطاهم من خزائن رحمته فكفروا نعمته وشكروا الأصنام التي لا نعمة لها!

(1) المعجم الاشتقاقي/ خزن.

(2) العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، واللسان، والوسيط/ خزن.

(3) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس، والمعنى: إذا كان المرءُ لا يحفظ سره، فهو أحرى ألاَّ يحفظ سرَّ غيرِه. ديوانه: 90.

(4) الأساس، والمختار/ خ ز ن.

(5) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: 5/ 302، والتذكرة الحمدونية: 21/3.

(6) العين، والتهذيب/ خزن، وشمس العلوم: 3/ 1789، والتوقيف على مهمات التعاريف: 154.

(7) معجم اللغة العربية المعاصرة/ خ ز ن.

(8) وذلك ما تضمنه الآيات من التسعين إلى الرابع والتسعين من سورة الإسراء.

فكان الرد على سبيل التقريع والتبكيت: أن لَّو وُكِّلَ إليهم التصرفُ في خزائن الأرزاق والنعَم التي أفاضها الله على خلقه وكانوا خزنتَها، لبخلوا به وامتنعوا عن الإنفاق خوفا من نفادها، ورَحْمة الله ﷻ لا تنفد ولا تغيض أبدا، فإنَّها وسعت كل شيء، ولا يخشى نفادها ولا نقصها[1]، لكن نفوسَهم المجبولة على الشحِّ تستدعي ذلك؛ وكيف لا؟ والإنسان في طبعه ومنتهى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى، وعاقبة ذلك هو الفقر، فلو ملك خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر[2]، ولهذا، يصلح لأن يكون الخطاب للناس كافة مؤمنهم وكافرهم كل على قدر نصيبه؛ قال الشَاعر:

ولَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُّرابَ لأَوْشَكُوا إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمَلُّوا وَيَمْنَعُوا[3].

والمراد بقوله ﷻ: ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾، أي خزائن الخيرات المادية والمعنوية التي تصرف للعباد. قال الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى: ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: خَيْرات الدنيا من لَدُن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، وإنْ من شيء يحدث إلى قيام الساعة إلا عند الله خزائنه، فهو موجود بالفعل، ظهر في عالم الواقع أو لَم يظهر: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[4]، أي: أنه موجود في عِلْم الله، إلى حين الحاجة إليه»[5].

أما الآية الثانية فجاءت ردًّا على استنكار المشركين في تَخصيص سيدنا محمد ﷺ بالنبوة، ومن ثم ساءلهم الله ﷻ تعقيبا على قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾[6]: أعندهم خزائن رَحْمته ﷻ حتى يتخيروا للنبوة من تهوى أنفسُهم من صناديدهم؟ في حين «أن النبوة عطيةٌ من الله ﷻ يتفضل بها على من يشاء من عباده»[7]، ويختار منهم من يعلم استحقاقهم للخير، فينعم عليهم بشتى الإنعامات بلا قيد ولا حد، ولا حساب، لأنه ﷻ العزيز الوهاب؛ فلا حجة لهم فيما أنكروا[8].

---

(1) في ظلال القرآن: 4/ 2252، والتحرير والتنوير: 15/ 222، والمنتخب: 424، والوسيط لطنطاوي: 8/ 440، وصفوة التفاسير: 2/ 163، والوسيط للزحيلي: 2/ 1391، والتفسير الميسر: 1/ 292.

(2) المحرر الوجيز: 3/ 488.

(3) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في التاج/ وشك.

(4) سورة الحجر، الآية: 21.

(5) الخواطر: 14/ 8772.

(6) سورة ص، الآية: 8.

(7) أنوار التنْزيل: 5/ 25، وصفوة التفاسير: 3/ 47.

(8) التسهيل لعلوم التنْزيل: 202/2، وفي ظلال القرآن: 3005/5، والتفسير الواضح: 229/3، وصفوة التفاسير: 47/3.

وفي كلا الآيتين الكريمتين تَمَّت إضافة اسم الرَّبِّ المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره ﷺ تشريفاً له ولطفاً به ﷺ[1].

واستنادا إلى ما سبق يتضح أن **خزائن رَحْمة الله هي: المَنَابِعُ الإلٰهيَّة لِجَمِيعِ النِّعَم اللامُتَنَاهِيَة التِي يَنْعَمُ اللهُ بِهَا عَلَى عِبَادِه حَسْبَمَا تَقْتَضِيه مَشِيئَتُه ﷻ عَلَى مِقْدَارِ حَاجَةِ العِبَادِ إِلَيه.**

ثالثاً: مُوجِبَاتُ رَحْمَةِ الله

1. مورده:

وردت هذه الضميمة في حديث شريف واحد، وهو قَولُه ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللهِ حَاجَةٌ، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لِيُثْنِ عَلَى اللهِ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لَا تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**»[2].

2. دلالة (المُوجِبَات) في اللغة:

المُوجِبَاتُ: جَمعُ مُوجِبَة، وهي اسم فاعل مؤنث من أوجبَ يوجب إيجاباً، فهي مُوجِبَةٌ، والمفعول: مُوجَبَةٌ. ومداره في اللغة على السبب والاقتضاء، بمعنى أن الموجبات هي: الأمور التي بمقتضاها أو بسببها يُجزى المرءُ جزاءً معيناً؛ حسناً أو سيئاً[3]، وهي مأخوذة معنويا من قولِهم: «أَوْجَبَ الرجلُ»، أي: أَتى بِمُوجِبَةٍ مِن حَسَنَةٍ أَو سَيِّئَةٍ، أي عَمِلَ عَمَلا يُوجِبُ له الجَنَّةَ أَو النارَ[4].

3. مفهوم الضميمة:

يظهر من مقال النص أهمية موجبات رَحْمة الله ﷻ، حيث إنها تعتبر أهم الركائز الأساسية في نظام تحصيل رَحْمة الله؛ إذ لا يتصور حصول الرحمة من الله ﷻ بدون سبب يقتضي ذلك، ولهذا سأل النبيُّ ﷻ رَبَّه أولاً أن يُوَفِّقَه للأخْذِ بالأسبابِ التي تُوجِبُ رَحمَته ﷻ من الأقوال، والأفعال، والخصال الرفيعة. وانطلاقا مِمَّا سبق من الدلالة اللغوية، وما استفدناه من الشروح[5]،

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم: 7/ 216، والبحر المديد: 5/ 10.

(2) سنن الترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الحاجة، حديث رقم: 479.

(3) الترغيب والترهيب لقوام السنة: 3/ 128.

(4) اللسان/ وجب.

(5) ينظر: قوت المغتذي: 1/ 204، ومرقاة المفاتيح: 3/ 992، وفيض القدير: 2/ 121، ومرعاة المفاتيح: 4/ 369، ودليل الفالحين: 7/ 297، وحاشية السندي: 1/ 418، وتطريز رياض الصالحين: 818، وجامع الأصول: 6/ 252.

يمكن القول: **إن مُوجِبَاتِ رَحْمَةِ الله هي: مَجَامِعُ الأَفْعَالِ الحَسَنَةِ والأَقْوَالِ الجَلِيلَةِ والخِصَالِ الحَمِيدَةِ التي تَتَسَبَّبُ في الظَّفر برَحْمَةِ الله ﷻ، وتتلخص في: امْتِثَالِ أَوَامِرِ الله ﷻ، واجْتِنَابِ نَوَاهِيه.** قال الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

رابعاً: أَبْوَابُ رَحْمَةِ الله

1. مواردُه:

وردت هذه الضميمة في موضعين من الحديث الشريف، أوَّلُهما: قَولُ رَسُولِ الله ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»**[2].

وثانيهما: قَولُهُ ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»**[3].

2. مفهومُ (الأبوَاب):

الأَبْوَابُ: جَمعُ بَاب، وهو مدخل الشيء، ومأخوذ من مداخل الأمكنة، كباب المدينة والدار. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾[4]. والباب أيضًا: ما يتوصل منه إلى غيره، ومنه يقال في العلم: هذا باب كذا، أي: الذي يتوصل منه إلى معرفة ما عقد له من الكلام، وهذا العلم باب إلى علم كذا، أي: به يتوصل إليه[5]. ومنه قول الأعشى:

لِكَي يَعلَمَ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ أَتَيتُ المَعِيشَةَ مِن بَابِهَا[6].

وقد يُطلق ويُراد به السبب الموصل إلى ذلك، والعلة الحاملة عليه؛ فيقال: أفعال البر كلها أبواب الجنة، وأفعال الفجور كلها أبواب جهنم، لأنها أسبابٌ جعلها الله موصلًة إليهما إن شاء[7].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 156.

(2) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، حديث رقم: 713.

(3) سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، حديث رقم: 773.

(4) سورة يوسف، الآية: 67.

(5) المفردات/ باب.

(6) البيت من المتقارب، وهو للأعشى، يمدح رهط عبد المدان بن الديان، ديوانه: 173.

(7) عمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ بوب.

3. مفهوم الضميمة:

ورد الحديثان في مقام الحثِّ على أدَبَيْنِ عظيمين مِن آدابِ المسجدِ حيث أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ إليهما؛ الأوَّلُ: يَتعلَّقُ بدُخُولِ المسجدِ، حيث ينبغي للعبد أن يَطلبَ من الله ﷻ بأنْ يَغمُرَه برَحمتِه الواسعةِ، وأنْ يُهيِّئَ له الأعمالَ الصَّالحةَ الَّتي تكونُ سَببًا في الدُّخولِ مِن أبوابِ الرَّحمةِ المُتعدِّدةِ. والثَّاني: يَتعلَّقُ بالخُرُوجِ منه، حيث يتعين عليه طلب الفضل العظيم والرِزقَ الواسعِ مِن الله ﷻ، وجاء في الحديث الثاني: أنه عند الخروج يَدْعُو اللهَ بأنْ يَحميَهُ مِن كَيدِ الشَّيطانِ الرَّجيمِ[1].

ولعل السر في تخصيص الرحمة بالدخول، والفضل بالخروج، ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّمَا خصت الرَّحْمَة بِالدُّخُولِ لأَن الدَّاخِل طَالبٌ للآخرة، وَالرَّحْمَة أخصّ مَطْلُوب، وَخص الفضل بِالخرُوجِ، لأَن الإنسَان يخرج من المَسْجِد لطلب المعاش في الدُّنْيَا وهُوَ المُرَاد بِالفَضلِ»[2]؛ أي: أن الرَّحْمة أُرِيدَ بها النِّعَمُ المُتَعلِّقَةُ بالنَّفْسِ والآخرةِ، والفَضْلَ أُرِيدَ به النِّعَمُ الدُّنيويَّةُ، فمن دخل المسجد يطلب القرب من الله، ويعمل بما يُقرِّبُه إلى جنَّتِهِ، فنَاسَبَ ذلك ذِكْرُ الرَّحمةِ، ومَن خَرَجَ منه فإنَّه يَطْلُبُ الرِّزقَ، فنَاسَبَ ذلك ذِكْرُ الفَضْلِ[3]، كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[4]. كما أن مَنْ خرَجَ منه فإنَّه يَنطلِقُ في الدُّنيا بما فيها مِن مُلْهِيَاتٍ ووَساوسِ الشَّياطينِ، فناسَبَ أنْ يَطلُبَ مِنَ اللهِ الحمايةَ مِنَ الوُقوعِ في شِراكِ الشَّيطانِ، في الثاني[5].

وانطلاقا مما سبق نستخلص التعريف الآتي: **أبْوَابُ رَحْمَة الله هي: المَدَاخِلُ المادِّيَّةُ والمَعنويَّةُ المُوصِلَةُ إلى رَحْمَةِ الله بِمَشِيئَتِهِ ﷻ في الدُّنيَا والآخِرَة، من الأعْمَال الصَّالِحَةِ بِمُخْتَلِف أنواعها. قال ﷻ:** ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١﴾[6].

---

(1) شرح سنن أبي داود للعباد: 66/ 3.

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين: 2/ 136، ومرقاة المفاتيح: 2/ 596.

(3) ينظر: مرعاة المفاتيح: 2/ 411.

(4) سورة الجُمُعَة، الآية: 10.

(5) تحفة الأحوذي: 2/ 215.

(6) سورة الإنسان، الآيتان: 30 - 31.

خامساً: نَشْرُ رَحْمَةِ الله

1. موارده:

وردت هذه الضميمة في مواضعين في القرآن الكريم، وموضع واحد في الحديث الشريف: قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[1]. وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[2].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا اسْتَسْقَى، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ**»[3].

2. دلالة (النَّشْرِ) في اللغة:

النَّشْرُ: مصدر نَشَرَ يَنْشُرُ نَشْراً، فهو نَاشِرٌ، والمفعول: مَنْشُورٌ، ومداره في اللغة على فَتْحِ شَيءٍ وَتَشَعُّبِهِ. ومأخوذٌ حسيًّا من بَسْطِ الثَّوْبِ بعد طَيِّه، ثُمَّ استُعمل في نشر الصَّحِيفَةِ، والسَّحَابِ، والحَدِيثِ، والعِلمِ، والخَبَرِ، والرِّزقِ، والعُشْبِ، وأَحوالِ الحَيَاةِ، وما إلى ذلك[4]. ومنه قول الشاعر:

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ طَيّاً وَنَشْراً[5].

ومن الاستعمال المجازي؛ نَشرُ الرَّحْمَةِ، كما في قوله ﷻ: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[6]، قال الطاهر بن عاشور: «ونَشْرُ الرَّحْمَةِ: تَوَفُّرُ تَعَلُّقِها بِالمَرْحُومِينَ، شَبَّهَ تَعْلِيقَ الصِّفَةِ المُتَكَرِّرَ بِنَشْرِ الثَّوْبِ في أَنَّهُ لا يُبْقِي مِنَ الثَّوْبِ شَيْئًا مَخْفِيًّا، كَما شُبِّهَ بِالبَسْطِ، وشُبِّهَ ضِدُّهُ بِالطَّيِّ وبِالقَبْضِ»[7].

وبناء على ما سبق يُمكن القول: **النَّشْرُ: هُوَ العَمَلِيَّةُ التِي يَتِمُّ مِنْ خِلَالِهَا بَثُّ الشَّيءِ أو تَوزِيعُهُ أو إِثْرَاءُهُ فَيَكُونُ مُتَاحاً وَمُتَوَفِّراً مِن أجْلِ تَحْقِيقِ مَنْفَعَةٍ مَادِّيَّةٍ أو مَعْنَوِيَّةٍ.**

---

(1) سورة الكهف، الآية: 16.

(2) سورة الشورى، الآية: 28.

(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، حديث رقم: 1176.

(4) المقاييس، واللسان، والصحاح، المفردات، وعمدة الحفاظ، وبصائر ذوي التمييز، والمعجم الاشتقاقي/ نشر.

(5) البيت من الوافر، وهو لدعبل الخزاعي، في عمدة الحفاظ: نشر، ونسبه الجاحظ لأبي العتاهية، في البَيَان والتَّبَيُّن 3/ 208.

(6) سورة الكهف، الآية: 16.

(7) التحرير والتنوير: 15/ 277.

3. مفهوم الضميمة:

يتبين من خلال استقراء النصوص أن النَّشْرَ يفيد معنى التَّوْسِيعِ والامْتِدادِ والإِظْهَارِ[1]، وتُفِيدُ الرَحْمَةُ: آثارها ومنافعها وما يترتب عليها[2]؛ كالرفق والرخاء والراحة لأصحاب الكهف، ومنافع الغيث من خضرة الأشجار، وكثرة الثمار. وعليه، **فإنَّ نَشْرَ رَحْمَةِ الله هو: تَوْسِيعُ آثارِهَا وامْتِدادُ منافِعِهَا وإِظْهَارُ مَا يَحْصُلُ بِهَا مِنَ الخَيْرَاتِ والبَرَكَاتِ عَلَى سَائِرِ العِبَادِ بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ وقُدْرَتِه.**

سادساً: رَجَاءُ رَحْمَةِ الله

1. موارده:

ورد فعلُ الرجاء واقعاً على ضميمة (رَحمَة الله) ليُرَكِّبَ ضميمةً جديدة: (رجاء رَحمة الله)، وذلك في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وفي موضع واحد في الحديث النبوي، وهي: قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾[3]. وقوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾[4]. وقوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[5]. وقول الرَسُول ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[6].

2. مفهومُ (الرَّجَاء):

الرَّجاءُ: مصدر رَجَا يَرْجُو رَجَاءً، فهو رَاجٍ، والمفعول: مَرْجُوٌّ، ومداره في اللغة على التَّوَقُّعِ والأَمَلِ والطَّمَعِ، نَقِيض اليَأسِ[7]. فالرَّجَاء: هو الطمع في حصول ما فيه نفع؛ ومنه قَول بِشرٍ لابنَتِه:

فَرَجِّي الخَيْرَ وانْتَظِرِي إِيَابِي إِذا مَا القَارِظُ العَنَزِيُّ آبَا[8].

---

(1) التحرير والتنوير: 25/ 96، وروح المعاني: 8/ 211، والسراج المنير: 2/ 355، والبحر المديد: 3/ 253.

(2) البحر المحيط: 338/9، والكشاف: 4/ 224، ومفاتيح الغيب: 27/ 599، ومدارك التنزيل: 3/ 255.

(3) سورة البقرة، الآية: 218.

(4) سورة الإسراء، الآية: 57.

(5) سورة الزمر، الآية: 9.

(6) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: 5090.

(7) العين، والتاج، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ رجو، والمقاييس/ رَجَى، والصحاح، واللسان/ رجا.

(8) البيت من الوافر، وهو لِبِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ الأسديِّ، يرثي نَفْسَهُ؛ لَمَّا أَصَابَهُ سَهْمٌ من غُلامٍ من أَئلَةَ. ديوانه: 74.

وهذا المعنى مأخوذٌ معنويًّا من قولِهم: «أرْجَأَتِ النَّاقَةُ»، إذا دَنَا نِتَاجُها؛ فدنوُّ خروج ولدِها يَجعل لصاحبها رَجَاءً وأملاً في نفسه لقرب الانتفاع بنتاجها[1]. ومنه قَول ذِي الرُّمَّةِ يصِفُ بَيْضَةً:

نَتُوجٍ وَلَمْ تُقْرِفْ لِمَا يُمْتَنَى لَهُ إِذَا أَرْجَأَتْ ماتَتْ وحَيَّ سَلِيلُها[2].

والجدير بالذكر هنا أن الرجاء يشتمل على معنى الخوف، وذلك بأن الرجاءَ أمل وطمع وليس بيقين؛ فالرجاء يقتضي الخوف من ألا يدرك المرجو، ولهذا جاز وضع الرجاء مكان الخوف؛ لما في معنى الرجاء من الخوف[3]. وفي ذلك قال أبو ذؤيب الهُذَلِيُّ:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وخَالَفَها في بَيْتِ نوبٍ عَواسِلِ[4].

والمتأمل في هذه المعاني يلاحظ أن الرجاء يتطلب بذل الجهد من أجل حصول المحبوب، والعمل على تحقيق إمكانية حُصُوله، بعيدا عن الرغبات القلبية المجردة أو الاحتمالات الظنية[5]. لذلك عرَّف أبو الحسن الحَرَالِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ الرَّجَاءَ بأنه: «هُوَ تَرَقُّبُ الانْتِفاعِ بِمَا تقدَّمَ لَهُ سَبَبٌ مَّا»[6]. أي: الطمع في منفعة وتوقع حصولِها بالعمل الدؤوب، وبذل الوُسع؛ وهذا هو السبب الذي ذُكر.

3. مفهوم الضميمة:

من خلال ما أفادته الدراسة النصية والمفهومية للضميمة في نصوص الرَّحْمَة قرآنا وسنة، يتضح أن مفهوم الرجاء فيها يتأسس على الطمع والخوف، وعليه أمكن تعريف الضميمَة بما يلي: **رَجَـاءُ رَحْمَةِ اللهِ هُوَ: الطَّمَعُ فِي نَيْلِ رَحْمَتِهِ ﷻ، والخَوْفُ مِن عَذَابِهِ مَعَ بَذْلِ الجُهْدِ وحُسْنِ التَّوَكُّلِ.**

---

(1) ينظر: المقاييس/ رَجَى، والتهذيب، والصحاح، واللسان، والمفردات/ رجا، وعمدة الحفاظ/ رجو.

(2) البيت من الطويل، وهو لِذِي الرُّمَّةِ، يصِفُ بيضة. ديوانه: 924.

(3) قال الطبري: «ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معناهما، وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لِما في معنى الرجاء من الخوف، لأن الرجاء ليس بيقين، وإنَّما هو طمع، وقد يصدق ويكذب». جامع البيان: 22/ 54. وأضاف أبو منصور الماتريدي: «فما من خوف إلا وفيه رجاء، وما من رجاء إلا وفيه خوف؛ لأن الخوف الذي لا رجاء فيه هو يأسٌ، والرجاء الذي لا خوف فيه أمنٌ، لكن الغالب في الحسنات والخيرات الرجاء وفيه خوف، والغالب في السيئات والشرور الخوف وفيه أدنى الرجاء». تأويلات أهل السنة: 6/ 12.

(4) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيبٍ الهُذَلِيِّ، يصف مشتار العسل من بيوت النحل، ديوانه: 143.

(5) وفي هذا الصدد، تبين من خلال اطلاعنا على التعاريف الاصطلاحية للفظ الرجاء أن بعض التعريفات لا ترقى إلى الدلالة الكافية لتحديد مفهوم الرجاء. ومنها: تعريف الجرجاني: «الرجاء في الاصطلاح: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل». [التعريفات: 109]. وتعريف الرَّاغبُ الأصفهاني: «والرَّجَاءُ ظنٌّ يَقْتضِي حُصُول مَا فِيهِ مَسَرَّة». [المفردات/ رجا].

(6) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 390، ونظم الدرر: 3/ 237.

سابعاً: بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَةِ الله

1. موارده:

وردت ضميمة (بَيْن يَدَيْ رَحْمَةِ الله) ثلاث مرات في القرآن الكريم، وهي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[2]. وقوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾[3].

2. مفهومُ (بَيْنَ يَدَي):

بَيْنَ اليَدَيْنِ: عبارةٌ تُستعمَلُ مجازاً للدلالة على التَّقْدِمَةِ؛ يُقَالُ: بَيْنَ يَدَيْكَ كَذَا: أَمَامَك كذا، أَي: قُدَّامَك[4]. فلمَّا كانت يَدَا الإنسانِ مُتَقَدِّماته، اسْتَعْمَلَها العَرَبُ في مَعْنى (الأمام) استعارةً[5]. فقول: لا تقدم بين يدي الأب، أي: لا تقطع أمراً ولا تعجل به دون أمره؛ كأنك تتقدم أمامه[6]، وهذا الذي يسميه أهل البيان استعارةً تَمثيليةً. يقول النَّابِغَةَ الذُّبْيَانِيِّ:

تُلْقِي الإِوَزِّينَ فِي أَكْنَافِ دَارَتِهَا بَيْضاً وَبَيْنَ يَدَيْهَا التِّبْنُ مَنْشُورُ[7].

فأَصْلُ استعمال (بَيْنَ اليَدَيْن) الدلالة على الأمامِ القَريبِ كِنايَةً، ثُمَّ جُعِلَتْ كالصَّرِيحِ لِشُهْرَتِهَا وأَغْلَبِيَّةِ مُوافَقَتِها لِلمَعْنى الصَّرِيحِ، ثُمَّ استُعْمِلَ مَجازًا في مطلق التَّقَدُّمِ والسَّبْقِ القَرِيبِ[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 57.

(2) سورة الفرقان، الآية: 48.

(3) سورة النمل، الآية: 63.

(4) العين، والتهذيب، واللسان، والتاج/ يدي.

(5) المعجم الاشتقاقي/ يدي، ومفاتيح الغيب: 14/ 289، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 9/ 168.

(6) فتح القدير: 5/ 69، وفتح البيان: 13/ 129.

(7) البيت من البسيط، وهو للنَّابِغَة الذُّبْيَانِيِّ، يَصف ابنته أمامة وهي في دارها. دوانه: 76.

(8) يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَصْلُ مَعْنى قَوْلِهِمْ: بَيْنَ يَدَيْ فُلانٍ، أَنَّهُ يَكُونُ أَمامَهُ بِقُرْبٍ مِنهُ ولِذَلِكَ قُوبِلَ بِالخَلْفِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255] فَقَصْدُ قائِلِهِ الكِنايَةُ عَنِ الأمامِ، ولَيْسَ صَرِيحًا، حَيْثُ إنَّ الأمامَ القَرِيبَ أَوْسَعُ مِنَ الكَوْنِ بَيْنَ اليَدَيْنِ، ثُمَّ لِشُهْرَةِ هَذِهِ الكِنايَةِ وأَغْلَبِيَّةِ مُوافَقَتِها لِلمَعْنى الصَّرِيحِ جُعِلَتْ كالصَّرِيحِ، وساغَ أنْ تُسْتَعْمَلَ مَجازًا في التَّقَدُّمِ والسَّبْقِ القَرِيبِ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]، وفي تَقَدُّمِ شَيْءٍ عَلى شَيْءٍ مَعَ قُرْبِهِ مِنهُ مِن غَيْرِ أنْ يَكُونَ أمامَهُ ومِن غَيْرِ أنْ يَكُونَ لِلْمُتَقَدَّمِ عَلَيْهِ يَدانِ». التحرير والتنوير: 8/ 180.

3. مفهوم الضميمة:

من خلال التأمل في النصوص القرآنية الحاملة لمواطن الضميمة، يتضح أن المُرادَ بالرَّحْمَةِ – كَما ذَهَبَ إلَيهِ غالِبُ المُفَسِّرِينَ – الغَيْثُ، وسُمِّيَ رَحْمَةً لِما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ المَنافِعِ والخيرات[1]. وتبين كذلك أن قوله ﷻ: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ يعني: قُدّامَ المَطَرِ؛ وهي اسْتِعارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ وصفها المفسرون بأنَّها حَسَنَةٌ بَدِيعَةٌ[2]، وذلك لَمَّا كانت الرِّياحُ تُبَشِّرُ بالمَطَرِ، والبَشِيرُ يَتَقَدَّمُ المُبَشَّرَ بِهِ[3]، لا جَرَمَ كانت عِبارَةُ ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أبْيَنُ العِباراتِ في تَعْيِينِ هُبُوبِ الرِّياحِ لتُبَشِّرِ العباد بِقرب نزول المَطَرِ، الذي هو من رَحْمَة الله ﷻ.

ثامناً: الإدْخَالُ في رَحْمَةِ الله

1. مواردُه:

وردت ضميمة (في رَحْمَة الله) متعلقةً بفعل الإدخال لتُكَوِّنَ ضميمةً جديدة: (الإدْخَالُ في رَحْمَةِ الله)، وذلك في ثَمانية مواضع في القرآن الكريم؛ خَمس آيات منها مكية، وثلاث مدنية[4].

2. مفهومُ الضَّميمَة:

الإدْخَالُ: مصدر أَدْخَلَ يُدْخِلُ إدْخَالاً، فهو مُدْخِلٌ، والمفعول مُدْخَلٌ. ومداره في اللغة على جَعْلِ شيءٍ دَاخِلِ شيءٍ حقيقةً أو مجازاً؛ يُقال: أدخله في المكانِ: صيّره داخِلَه، سمح له بالدّخول. وأدخل البيانات في الحاسب: خزّنَها للاستفادة منها. وأدْخَل السُّرورَ إلى نَفْسِه: جَعله مَسْرُوراً[5].

وإذ تبين من خلال استقراء النصوص أن الرَّحْمَةَ مَحْمُولةٌ عَلى ما في الدُّنيَا مِن السَّعادات والإيمان وَجَمِيع أعمالِ البَرِّ والخَيرِ، وعَلى ما في الآخرة مِنَ الجَنَّةِ ونَعِيمِها. وأن المراد بالإدخال الإفاضَة والشمول. وبناء عليه، **فالإدْخَالُ في رَحْمَةِ اللهِ: هو إفَاضَةُ رَحْمَةِ الله الواسِعَةِ عَلى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِه في سَائِرِ أحْوالِهِم الدُّنيَوية والأخْرَوِيَّةِ، بِحَيْثُ يَكُونُونَ مِنهَا كالمُسْتَقِرِّ في بَيْتٍ أوْ نَحْوِهِ مِمَّا يَحْوِي.**

---

(1) ينظر: روح المعاني: 4/ 384. ويقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ في هذا الصدد: «والرَّحْمَةُ هَذِهِ أُرِيدَ بها المَطَرُ، فَهو مِن إطْلاقِ المَصْدَرِ عَلى المَفْعُولِ، لأنَّ اللهَ يَرْحَمُ بِهِ. والقَرِينَةُ عَلى المُرادِ بَقِيَّةُ الكَلامِ، ولَيْسَتِ الرَّحْمَةُ مِن أسْماءِ المَطَرِ في كَلامِ العَرَبِ فَإنَّ ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ، وإضافَةُ الرَّحْمَةِ إلى اسْمِ الجَلالَةِ في هَذِهِ الآيَةِ تُبْعِدُ دَعْوى مَنِ ادَّعاها مِن أسْماءِ المَطَرِ». التحرير والتنوير: 8/ 180.

(2) ينظر: الكشاف: 3/ 284، والبحر المحيط: 8/ 115.

(3) ينظر: محاسن التأويل: 7/ 431، وإرشاد العقل السليم: 6/ 224.

(4) وهي: الأعراف: 151، والتوبة: 99، والأنبياء: 75، 86، والشورى: 8، والجاثية: 30، والفتح: 25، والإنسان: 31.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة/ دخل.

المبحث الثاني
ما أُضِيفَ إلى الرَّحْمَة

۞ ذُو الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

وردت هذه الضميمة في ثلاث آيات مكية، وهي: قول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[1]. وقوله ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[2]. وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾[3].

2. دلالة (ذُو) في اللغة:

ذُو: كلمةٌ وظيفيَّةٌ، وهي في النحو والصرف اسم من الأسماء الخمسة في حالة الرفع، صِيغَت لِيُتَوَصَّلَ بِها إلى الوصفِ بأسْماء الأَجْناسِ والأنواع، فيلازم الإضافة لفظًا ومعنى، ولا يضاف إلا إلى اسم جنس ظاهرٍ، ومعناها صَاحِبُ، وهي تُشعِرُ بقُوَّةٍ أو وَفرَةٍ ما تُضَافُ إلَيهِ؛ فَلا يُقَالُ: ذُو إِنْصَافٍ إلا لِمَن كان قَوِيَّ الإنْصَافِ، ولا يُقَالُ: ذُو مَالٍ إلا لِمَن عِنْدَهُ مَالٌ وَفِيرٌ[4].

ويُرفع هذا الاسم بالواو ويُنصب بالألف ويُجرّ بالياء، يُثَّنَّى على ذوان وذوَيْن، ويُجمع على ذوون وذوِين، ويقال في المؤنّث: ذات، وفي التثنية: ذَواتانِ وذواتَيْن، وفي الجمع: ذواتُ، وتُحذف النون من المثنَّى والجمع عند الإضافة[5]. وشُذَّت إضافتُه للعَلَم، نحو: ذي رعينٍ، ذي يزنٍ، وكذلك إضافته إلى المضمر[6]، نَحو قول الشاعر:

صَبَحنا الخَزرَجِيَّةَ مُرهِفاتٍ أَبادَ ذَوي أَرومَتِها ذَووها[7].

وبالنظر إلى الاستعمالات اللغوية للفظ، فإن معنى ذُو هو: صاحبُ الشيء ومالكُ التَّصَرُّفِ فيه.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 133.

(2)سورة الأنعام، الآية: 147.

(3) سورة الكهف، الآية: 58.

(4) التحرير والتنوير: 8/ 86.

(5) العين، والتهذيب، واللسان، والمفردات، وبصائر ذوي التمييز، والتاج، والقاموس المحيط/ ذو، وعمدة الحفاظ/ ذوو.

(6) عمدة الحفاظ/ ذوو.

(7) البيت من الوافر، وهو لكعب بن زهير بن أبي سلمى، في مقتل جؤي بن عائذ من قبيلة مزينة، ديوانه: 104.

3. مفهوم الضميمة:

بوقوفنا على مقال ومقام النصوص تبين أن ذَا الرَّحْمَةِ يُفِيدُ حَصْرَ الرَحْمَة في ذات الله ﷻ، وذلك بأن صيغة الضميمة تدل عَلى الاتِّصافِ بالملكية الدَّائِمة، وهذا أبلغ من دَلالَةِ المُشْتَقَّاتِ الأخرى، ولذلك عُدِلَ عن المُشْتَقِّ الأخْصَرِ الدّالِّ على أصلِ الاتِّصافِ كالرّاحِمِ، والمشتقات الدالة على المبالغة كالرَّحْمَنِ أوِ الرَّحِيمِ إلى المركب الإضافي ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ الدالة عَلى المُبالَغَة المطلقة. وعَلى هَذا يَكُونُ (ذُو الرَّحْمَةِ) أبْلَغَ مِن كُلِّ واحِدٍ مِنَ الراحم والرَّحْمَنِ والرَّحِيمِ. والمتأمل المنصف لا يَشُكُّ في أنَّ قَولَك: فُلانٌ ذُو العِلمِ، أبْلَغُ مِن قَوْلِكَ: فُلانٌ العَلِيمُ، مِن حَيْثُ إنَّ الأوَّلَ يُفِيدُ أنَّهُ صاحِبُ ماهِيَّةِ العِلمِ ومالِكُها، والثاني يُفيد المبالغة في الاتصاف بالعلم، وليس المِلْكُ كَالاتِّصافِ[1].

ومما يؤكد ذلك أنه لما ثَبَتَ أنَّ صيغةَ ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ يفيد الملكية الدَّائِمة؛ والدوام لله ﷻ، ثَبَتَ بذلك أنَّ مَبْدَأَ كُلِّ رَحْمَةٍ هو اللهُ، وكل ما دَخَلَ في الوُجُودِ مِنَ الرَّحْمَةِ فَهو مِن الحق ﷻ، يُلقي في قُلوبِ عباده داعِيَةَ الرَّحْمَةِ، ليقدموا عليها، وعليه فهو جَلَّجَلَالُهُ ذُو الرَّحْمَةِ على الإطلاق.

يقول الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَمْ أنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ يُفِيدُ الحَصْرَ، فَإنَّ مَعْناهُ: أنَّهُ لا رَحْمَةَ إلا مِنهُ، والأمْرُ كَذَلِكَ لأنَّ المَوْجُودَ إمَّا واجِبٌ لِذاتِهِ أوْ مُمْكِنٌ لِذاتِهِ، والواجِبُ لِذاتِهِ واحِدٌ فَكُلُّ ما سِواهُ فَهو مِنهُ، والرَّحْمَةُ داخِلَةٌ فِيما سِواهُ، فَثَبَتَ أنَّهُ لا رَحمَةَ إلا مِنَ الحَقِّ، فَثَبَتَ بِهَذا البُرهانِ صِحَّةُ هَذا الحَصْرِ فَثَبَتَ أنَّهُ لا غَنِيَّ إلا هو، فَثَبَتَ أنَّهُ لا رَحِيمَ إلا هو»[2].

وانطلاقا من ما سبق من الدلالات يمكن استخلاص تعريف شامل لهذه الضميمة فنقول:

ذُو الرَّحْمَةِ هو: صَاحِبُ الرَّحْمَةِ الكَامِلَةِ الشَّامِلَةِ الدَّائِمَةِ بِلَا شَرِيكٍ، حيث إنَّ الرَّحْمَةَ تُلَازِمُ ذَاتَهُ العَلِيَّة وتَخْتَصُّ بِهَا عَلَى الإطْلَاقِ؛ فَلَا رَحْمَةَ إلَّا مِنْهُ ﷻ، ورَحْمَةُ غَيْرِهِ رَحْمَةٌ نِسْبِيَّةٌ تَلِيقُ بِالمَخْلُوقَاتِ.

وهذه الضميمة كغيرها من الضمائم تؤكد من خلال تعريفها كون الرَّحْمَة صفة إلهية ثابتة.

---

(1) ينظر: روح المعاني: 8/ 287، بحر العلوم: 1/ 484، ومفاتيح الغيب: 13/ 154، وزهرة التفاسير: 5/ 2679، والوسيط لطنطاوي: 5/ 183، وأيسر التفاسير: 2/ 122،

(2) مفاتيح الغيب: 13/ 154.

۞ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

لم ترد هذه الضميمة إلا في ثلاثة مواضع في الحديث الشريف وهي: قَولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ ﷻ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ»[1].

وقَولُه ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[2].

وقَوله ﷺ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ»[3].

---

(1) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، حديث رقم: 1833.

(2) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: 2766.

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3470.

2. مفهوم (المَلَائِكَة):

أ. في اللغة:

المَلاَئِكَةُ: جَمعُ مَلَك، وهو مشتقٌّ من أَلَكَ يألك إلاكَةً، فَهُوَ مَأْلَك، ثُمَّ قُلِبَتِ الهمزةُ إلى موضعِ اللامِ فقيل: مَلأَكٌ، ثُمَّ خُفِّفَتِ الهمزةُ بأن أُلقيت حَرَكَتُهَا على السَّاكِنِ الذي قبلها فقيل: مَلَك؛ وقد يُستَعمَلُ مُتَمَّمًا والحَذفُ أَكثر، ومداره على تَحَمُّلِ الرِّسَالَةِ[1]، قال أبو وجزة السعدي:

فَلَسْتَ لِإِنْسيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[2].

فالمَلَكُ لغة: حامل الأَلوك أي الرسالة، وإنَّما سُمِّيت الرِّسَالَةُ أُلُوكًا لأَنَّها تُؤْلَك في الفَمِ، فهو مأخوذ من قول العرب: «أَلَكَ الفَرَسُ اللِّجَامَ: عَلَكَهُ في فِيهِ»[3]، وسُمي المَلَكُ مَلَكاً لأنه يَحمل رسائل الله ﷻ إلى من أرسل إليه من عباده[4].

إذن، فالملائكة عليهم السلام: هم رُسُلُ الله ﷻ المكَلَّفُون بتبليغ رسالاته إلى من اصطفاه من مخلوقاته؛ يقول الحق ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[5].

ب. في الاصطلاح:

من خلال استقراء التعريفات الاصطِلاحية التي عُنيت بتحديد مفهوم المَلائِكة[6]، يمكن القول: المَلاَئِكَةُ اصطِلاَحاً: مخلوقاتٌ غيبيَّةٌ نورانيَّةٌ قويَّةٌ متشكِّلةٌ ومتمَثِّلةٌ بقدرة الله، موكولةٌ بتنفيذ أمر الله في التدبير الكَوني، وتَحمُّل رسالاته إلى أنبيائه عليهم السلام، ولا يَعلَمُ عَدَدَهم إلا خالقهم ﷻ[7].

---

(1) المقاييس، وعمدة الحفاظ، والمفردات، واللسان/ ألك، والجمهرة/ كلم، والتهذيب/ ملك، والمعجم الاشتقاقي/ ألك-لأك.

(2) البيت من الطويل، وهو لأبي وجزة السعدي، يمدح عبد الله بن الزبير، اللسان/ ألك، وينظر: كتاب سيبويه: 4/ 380.

(3) المقاييس، والقاموس المحيط/ ألك.

(4) اللسان/ ألك، والمعجم الاشتقاقي/ ألك-لأك.

(5) سورة الحج، الآية: 75.

(6) كتعريف ابنُ تَيمِيَّةَ حيث قال: «فَالمَلاَئِكَةُ رُسُلُ اللهِ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِهِ الكَوْنِيِّ الَّذِي يُدَبِّرُ بِهِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ... وَمَلاَئِكَةُ اللهِ لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إلا اللهُ». مجموع الفتاوى: 4/ 119. وتعريف السَّفَارِينِيُّ الذي قال فيه: «وَالحَقُّ أَنَّ المَلاَئِكَةَ ذَوَاتٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ؛ بِالقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ». لوامع الأنوار البهية: 1/ 446. وتعريف ابنُ عُثَيمين حيث قال: «المَلاَئِكَةُ: عَالَمٌ غَيْبِيٌّ مَخْلُوقُونَ، عَابِدُونَ للهِ تعالى، وليس لهم مِن خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهم اللهُ تعالى مِنْ نُورٍ، ومَنحَهم الاقْتِيَادَ التَّامَّ لأَمْرِه، وَالقُوَّةَ على تَنْفِيذِه». مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: 5/ 116.

(7) قولنا: مخلوقاتٌ: أي أنهم من مخلوقات الله. غيبيَّةٌ: حيث إننا لا نراهم. نورانيَّةٌ: لأنهم خُلقوا من نورٍ. قويَّةٌ: مَنحَهم الله القُوَّةَ على تَنْفِيذِ أَمْرِه. متشكِّلةٌ بقدرة الله: قادرون على التشكُّل والتمثُّل بقدرة الله، يُنظر: اللباب في علوم الكتاب: 497/1، وعمدة القاري: 123/15، ولوامع الأنوار البهية: 447/1.

3. مفهوم الضميمة:

جاء الحديث الأول في مقام التَّنبيه إلى فَضلِ الإيمان، ومَغبَّةِ الكُفرِ، من خلال بيان ما يَتلقَّاه المؤمنُ من البِشارةَ بنعيم الجنَّةِ عِندَ احتضارِهِ، وما يَجدُه الكافرُ من التَوعُّد بسوءِ العَذابِ بعد موته. وأما الحديثان الثاني والثالث فقد وردا في مقام حثِّ المُذْنبينَ على التَّوبةِ، ومَنْعِهم مِن القنوط واليأس مِن رَحِمةِ اللهِ. وإذ تبين من مقال النصوص أن لله ﷻ ملائكةً مكلَّفين بالتدخل في الشؤون المتعلقة برَحْمته على عباده، إما بإيصال خير كما يفعلون بأرواح المؤمنين عند موتهم، أو بمنع شرٍّ كما يفعلون بالمذنبين المقبلين على التوبة؛ فهم ملائكة الرحمة.

وانطلاقا مما سبق يمكن استخلاص التعريف الآتي: **مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ هُمْ: المَلَائِكَةُ المُوَكَّلُونَ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ بِإِمْدَادِ رَحْمَتِهِ إلى مُسْتَحِقِّيهَا مِن خَلْقِهِ بِمُوجِبِ مَشِيئَتِهِ ومُقْتَضَى حِكْمَتِهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.**

4. العلاقات:

- **مَلائِكَةُ الْعَذَابِ:**

باستقراء موارد الضميمة يتبين أن هناك اقتراناً بين مركبي ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ويظهر من خلال تتبع معانيهما أن العلاقة بين المصطلحين علاقة تناقض باعتبار التنافي التام بينهما.

۞ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

لم ترد هذه الضميمة في القرآن الكريم، وإنما وردت في موضعين في الحديث الشريف وهما:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلا ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**»[1].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[2].

(1) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، حديث رقم: 3578.

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، حديث رقم: 2355.

2. مفهومُ (النَّبِيّ):

أ. في اللغة:

النَّبِيُّ: فعيلٌ بمعنى مُفعِل، أي: مُنْبِئ، وهو مُشتَقٌّ مِنَ النَّبَأِ: وهو الخَبَرُ ذو الفائِدةِ العَظيمةِ[1]، فالنَّبِيُّ: المُخْبِرُ، ومداره في اللغة على الإخبار، وهو مأخوذ حسيا من الإتيَانِ مِن مَكَانٍ إلى مَكَانٍ؛ لأَنَّ الخَبَرَ يَأتِي مِن مَكَانٍ إلى مَكَانٍ[2]. فالنَبِيُّ هو الذي ينبئه اللهُ، وهو يُنبِيء بِما أنبأ به الله ﷻ[3]؛ فينقُل الأنباءَ التي تلقاها من الوحي الإلهي إلى العباد. وقيل إنه مأخوذ مِنَ النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وهي الارتفاعُ عن الأرضِ، وذلك لارتفاعِ قَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وأنَّه شَرُفَ على سائِرِ الخَلْقِ. والتحقيق: أن الأصل في المادة: هو نقل شيء (خبر) من موضع إلى موضع آخر، وليس من الارتفاع[4].

---

(1) العين، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمفردات/ نبأ.

(2) المقاييس/ نبأ.

(3) النبوات لابن تيمية: 2/ 714.

(4) قال حسن المصطفوي: «ومن مصاديق الأصل: انتقال حديث من موضع إلى موضع آخر، وإتيان السيل وجريانه، وإتيان الرجل وقدومه، ونقل الصوت ووصوله إلى مكان قريب، والطلوع من موضع إلى محل أو الإحاطة». التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 12/12. وقال الفَارِسِي: «لا يَخْلُو قولهم (النَّبِيُّ) من أَن يكون مأخوذاً من النَّبَأ أَو من النَّبْوَة الَّتِي هي ارْتِفَاع أَو يكون مأخوذاً مِنْهُمَا؛ فيُحمَل الأَمر مرّة على أَنَّهَا يَاء منقلبة عن الواو ومرّة على أَنَّهَا همزَة، فَلا يجوز أَن يكون مأخوذاً من النّبْوة لأَن سِيبَوَيْهِ حكى أَن جَمِيع العَرَب يَقُولُونَ «تنبّأ مُسَيلِمة»، فَلَو جَازَ أَن يكون من النَّبْوَة التي هي بِمَعنى الارْتِفَاع لما أجمع الجَمِيع على الهمْز فِيهِ فإجماعهم جَمِيعًا على همز اللام من تنبَّأ دَلِيل على أَن اللام همزَة، وَلا يجوز أَن يكون مأخوذاً من النَّبْوَة إِذْ لَو كَانَ مأخوذاً مِنْهُ لَكان همزُه غلَطاً كَمَا أَن من قَالَ وَلا أدْراكم بِهِ غلط فقد بَطل بِهَذَا أَن يكون مأخوذاً من النَبْوة وَلا يجوز أَيْضا أَن تكون لامه على وَجْهَيْن مرّة يَاء منقلبة عَن الوَاو وَمرَّة همزَة لأَنَّهُ لَو كَانَ كَذَلِك لما أجمع الجَمِيع على «تنبّأ مُسَيْلِمة» ولقال البَعْض (تَنَبَّى) كَمَا أَن البَعْض يَقُولُونَ (مُساناة) وَبَعض يَقُولُونَ (مُسانَهة)، فإجماع الجَمِيع على الهَمْز في «تنبّأ مُسَيْلمَة» دَلِيل على أَن اللام همزَة وَلا يجوز أَن تكون واواً على حَال أَلا ترى أَنه لَو أجمع الجَمِيع فِي العِضَة والسّنَة على بعير عاضِه ومُسانَهة وَسَائِر جَمِيع تصاريف هَذَا لَقلت إِن اللام هَاء وَلم يُجز على حَال أَن تكون اللام حرف لين وَكَذَلِكَ إِذا أَجمعُوا على الهَمْز من تنبّأ علمت أَن اللام لا يجوز أَن تكون غير الهمزَة فقد ثَبت بِمَا ذَكرْنَاهُ أنّ نَبيا لا يجوز أَن تكون لامُه حرفَ لين على حَال وَأَنَّهَا همزَة أُلزمت التَّخْفِيف فَإِن قلت قد جَازَ فِي جمعه أَنْبِيَاء وَهَذَا الْجمع فِي أَكثر الأَمر للمعتل اللام كصَفِيّ وأصْفياء وغنِيّ وأغنياء فَالقَوْل فِيهِ إِن الأَصْل فِي اللام الهَمْز كَمَا تقدم وَلَكِن لما أُبدِل وأُلزم الإِبْدَال جُمِع جمع مَا أصل لامه حرْف العلَّة كَمَا أَن عيداً لما أُزم البَدَل جمع على أعياد وَخَالف ريحًا وأرْواحاً فأنبياء لا تدل على أَن أصل اللام من نَبي حرف عِلّة كَمَا أَن أعْياداً لا يدل على أَن عيداً أصل عينه يَاء لَكِن الأَصْل الهَمْز وألزم الإِبْدَال كَمَا أَن أصل عيد الوَاو وألزم إبدالها يَاء وَمَعَ ذَلِك فقد قرئَ أنبئاء بِالهَمْز فَهَذَا يدلّك على أَن الأَصْل الهَمْز وَلَو كَانَ حرف عِلّة مَا جَازَ همزه فأنبئاء نَظِير أخمِساء وأنصِباء فِي جمع نصيب وخميس». المخصص: 3/ 474.

ب. في الاصطلاح:

قال الجرجاني: «النَّبيُّ: من أُوحي إليه بِمَلَك، أو أُلْهم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة»[1].

يظهر من التعريف أن النبي هو الذي يتلقى الخبر من الله ﷻ إما وحياً أو إلهاماً أو بالرؤيا الصالحة، وهذا المفهوم يفتقر إلى بعض العناصر كما يبدو من مقاله؛ وذلك بأن اكتفى بذكر عنصر التلقي وأهمل عنصر الإخبار، وهذا ما لم يهمله عبد النبي نكري حين عرف النبي بأنه: «إِنْسَانٌ بَعثه الله تَعَالى إِلى الخلق لتبليغ الأَحْكَام، (أو) إِنْسَانٌ بَعثه الله ﷻ وَمَعَهُ شَرِيعَة سَوَاء أَمر بتبليغها أَو لا»[2].

بهذا يتضح أنّ وظيفةَ النبي الرئيسة هي الإخبارُ عن اللهِ وإبلاغُ الأمةِ بما أُوحِيَ إليه من ربِّه؛ فالنبيُّ هو المبعوثُ لتقرير شرعِ مَنْ قبلَه، أي: يوحي اللهُ ﷻ إليه أنْ يعمل بشريعة الرسول قبلَه، ويبعثه إلى قومه ليُذكِّرهم ما نسوه، وليُبطِل ما ابتدَعُوه، ويُصحِّح ما أخطؤوا فيه، ويحكُم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قُدوةً لهم في اتِّباع الرسول السابق، فلا يترل عليه كتابٌ جديد، وقد يُوحَى إليه وحيٌ خاصٌّ في واقعة مُعيَّنة[3].

3. مفهوم الضميمة:

ورد الحديث الأول في مقام التوسُّل إلى الله ﷻ بدُعاءِ النبيِّ ﷺ (نبيِّ الرَّحْمَةِ)، أي: النَّبيُّ الَّذي بعَثَه الله رَحْمَةً للعَالمين[4]. قال الملا علي القاري: «(مُحَمَّدٍ نَبيِّ الرَّحْمَةِ) أَيْ: دَافِعِ الرَّحْمَةِ وَكَاشِفِ الغُمَّةِ، وَشَفِيعِ الأُمَّةِ المَنْعُوتِ بِكَوْنِهِ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، المُرْسَلِ إِلى أُمَّةٍ مَرْحُومَةٍ مِن عِندِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَمَا أَحْسَنَ مَوقِعَ الرَّحْمَةِ في مَوضِعِ كَشْفِ الغُمَّةِ وَمَوقِعِ الشَّفَاعَةِ لِلأُمَّةِ»[5].

أما الحديث الثاني فجاء في مقام بَيان بَعضِ أَسماءِ النَّبيِّ ﷺ ومنها: نَبيُّ الرَّحْمةِ؛ والرَّحْمةُ هنا: إفاضةُ النِّعَمِ على المحتاجينَ، ودفعُ النِّقَمِ عنهم، وقد كان ﷺ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لذا كانت أُمَّتُه أُمَّةً مَرحومةً[6]، ويَكْفي في ذلك قولُه ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[7].

---

(1) التعريفات: 239.

(2) دستور العلماء: 3/ 272.

(3) الإيمان بالرسل والرسالات للدكتور علي محمَّد الصَّلابي: 9.

(4) التيسير بشرح الجامع الصغير: 1/ 218، ومرعاة المفاتيح: 8/ 263.

(5) مرقاة المفاتيح: 5/ 1730.

(6) وقد جاء في الحديث قَوله ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ» سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل، حديث رقم: 4278. وينظر: مرقاة المفاتيح: 9/ 3697.

(7) سورة الأنبياء، الآية: 107.

ويتضح مِما سبق من الشرح أَن **(نَبِيَّ الرَّحْمَةِ) هو: النبي المَبْعُوث بالرَّحْمَةِ إلى العَالَمِين.** وفي ذلك يقول ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، فَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، فَرُحِمَ بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُم مُؤْمِنُهُم وكَافِرُهُم، أَمَّا المُؤْمِنُونَ فَنَالُوا النَّصِيبَ الأَوْفَرَ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ فَأَهْلُ الكِتَابِ مِنْهُم عَاشُوا فِي ظِلِّهِ وتَحتَ حَبلِهِ وَعَهْدِهِ، وَأَمَّا مَنْ قَتَلَهُ مِنْهُم هُوَ وَأُمَّتُهُ فَإِنَّهُمْ عَجَّلُوا بِهِ إِلى النَّارِ وَأَرَاحُوهُ مِنَ الحَيَاةِ الطَّوِيلَةِ التي لا يَزْدَادُ بِهَا إِلا شِدَّةَ العَذَابِ فِي الآخِرَةِ»[1].

❁ تَنَزُّلُ الرَّحْمَةِ:

1. مورده:

قَالَ النبيُّ ﷺ: «**مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا، هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ، مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ العِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ**». قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ المَلَائِكَةَ**»[2].

2. دلالة (التَّنَزُّلِ) في اللغة:

التَّنَزُّلُ: مصدرٌ مُطاوِعٌ النُّزُولِ؛ يُقال: نَزَّلَهُ فَتَنَزَّلَ. ومدار التَّنَزُّلُ في اللغة عَلى ثلاثة مَعَانٍ: أوَّلُها: النُّزُول في مُهلةٍ، أي: النُّزُول وقتاً بعد وقتٍ، والثَّاني: بِمَعْنى النُّزُولِ عَلى الإطْلاق[3]؛ والثالث: النُّزُولِ بشيء؛ يقال: نَزَلَ المَلَكُ بكذا، وتَنَزَّلَ[4]، وكلها تفيد معنى المطاوعة في النُّزُول. وهو مأخوذ من هُبُوطِ شَّيءٍ ووُقُوعِه من علو إلى سفل[5]، وقد تجمع هذه المعاني فَتُطْلَقُ عَلى نُزُولِ المَلائِكَةِ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ بما شَرَعَهُ الله ﷻ لخلقه؛ لأَنَّهُ نُزُولٌ نادِرٌ من عالمهم مُطَاوَعَةً[6]. قال ﷻ: ﴿وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[7]، أي: وما نَنْزِلُ بشيء وقْتًا غِبَّ وقْتٍ إلا بِأمْرِ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ[8].

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد: 1/ 93.

(2) موطأ مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج، حديث رقم: 245.

(3) الصحاح، والمختار، واللسان/ نزل، وشمس العلوم: 10/ 6567.

(4) المفردات، وعمدة الحفاظ/ نزل.

(5) المقاييس، والصحاح/ نزل.

(6) التحرير والتنوير: 16/ 140.

(7) سورة مريم، الآية: 64.

(8) إرشاد العقل السليم: 5/ 273، والبحر المديد: 3/ 349، ومفاتيح الغيب: 21/ 555، والبحر المحيط: 7/ 280.

3. مفهوم الضميمة:

بالوقوف على مقال ومقام الحديث، من خلال الاطلاع على الشروح، تبيَّن أن قوله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ**» يفيد رُؤيَة الشَّيطَان المَلائِكَةَ النَّازِلِينَ بِالرَّحْمَةِ على الوَاقِفِينَ بِعَرَفَةَ، وهو لَعنَةُ الله عليه يكرهُ ذَلِكَ، ولَيسَ المُرَادُ أَنَّهُ يَرَى الرَّحْمَةَ نَفْسَهَا، وَلَعَلَّهُ رَأَى المَلائِكَةَ فَعَلِمَ أَنَّهُم نَزَلُوا بِالرَّحْمَةِ، وَرُؤْيَتُهُ المَلائِكَةَ للإِغَاظَةِ لا للإِكْرَامِ[1]. ولهذا يُحتَمَلُ أن يَكُونَ معنى «**تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ**» هو نُزُول المَلائِكَة بالرَّحْمَةِ على أهلِ عَرَفَةَ. ويؤيد هذا المعنى قَولُ النبي ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأى جِبْرِيلَ يَزَعُ المَلَائِكَةَ**»، أي: رَأَى الشَّيْطَانُ جبْرِيلَ عليه السلام يَزَعُ المَلائِكَةَ المنْزَلين برَحمَةِ النَّصْرِ والتَّمكِين على أهلِ بَدْرٍ، فَأَدْرَكَهُ الصَّغَارُ وَالغَيْظُ لِمَا رَأَى مِنْ ظُهُورِ الإِيمَانِ وَغَلَبَةِ الحَقِّ[2]. ومن هذا المنطلق، فإن **تَنَزُّلَ الرَّحْمَةِ هُوَ: نُزُولُ المَلائِكَةِ عليهم السلام بِالرَّحْمَةِ عَلَى مَنْ كُتِبَتْ لَهُم مِن المُؤمِنِينَ.**

۞ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ:

قَال ﷺ: «**إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»[3].

جاء الحديث الشريف في مقام بيان فضل شَهرِ رَمَضان، حيث يسَّرَ اللهُ فيه أسبابَ العفوِ المادِّيَّةَ والمَعنويَّةَ، وأداءَ الأعمالِ الصَّالحةِ؛ مِن صِيامٍ، وقِيامٍ، وزَكاةٍ، ونَحوِ ذلك. فأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّه إذا جاء شَهْرُ رَمَضانَ فُتِّحَت أبوابُ الرَّحْمةِ عِندَ قُدومِه حَقيقةً؛ احتفاءً بهذا الشَّهرِ الكريمِ، وتَرْحيبًا به في الملأِ الأعلى، وتَنْويهًا بفضلِه وشرَفِه، وحَثًّا للنَّاسِ على الإقبالِ على الأعمالِ الصَّالحةِ. والظاهر من مقال النص أن المرادُ بقولِه: «**أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ**» هو أبوابُ الجنَّةِ؛ بقَرينةِ ذِكرِ تَغليقِ أبوابِ جهنَّمَ بعْدَه. كما يتضح من المقام أن فَتْحَ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَفْتَحُهُ اللهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَذَلِكَ أَسْبَابٌ لِنيل الرَّحْمَة أي: دُخُولِ الجَنَّةِ، وَغَلْقَ أَبْوَابِ جهنَّمَ عِبَارَةٌ عَنْ صَرْفِ الهِمَمِ عن المَعَاصِي الآيِلَةِ بِأَهلِهَا إلى النَّارِ، وتَسلسُلَ الشَّيَاطِينِ عِبَارَةٌ عَن تَعْجيزِهِم عن الإِغْوَاءِ والتَزْيِين[4].

وعليه، فإن **أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ: هي الأَسْبَابُ المادِّيَّةُ والمَعنويَّةُ المُؤَدِّيَةُ إِلَى الجَنَّةِ بِمَشِيئَةِ اللهِ** ﷻ.

---

(1) شرح الزرقاني على الموطأ: 2/ 595.

(2) المنتقى شرح الموطإ: 3/ 79.

(3) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث رقم: 1079، وسنن النسائي، حديث رقم: 2100.

(4) يُنظر: فتح الباري لابن حجر: 4/ 114، وحاشية السيوطي على سنن النسائي: 4/ 127، وتحفة الأحوذي: 3/ 292.

المبحث الثالث
ضمائم أخرى

۞ إذاقة الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

وردت ضميمةُ إذاقة الرَّحْمَةِ في القرآن الكريم في سبع آيات مكية، وهي: قوله ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾[2]. وقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3]. وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾[4]. وقول الحق جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[5]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾[6]. وقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾[7].

وإذا تأملنا في نظم هذه الآيات الكريمة تبين لنا أنها تشترك في بعض المسائل نذكرها فيما يلي:

جَاء فعل الإذاقة بصيغة الماضي في جَميع الموارد ما عدا في آية واحدة؛ جاء بصيغة المضارع.

وجاء المُذِيقُ، أي: فاعل الإذاقة ضميرا نائبا عن اسم الجلالة. أما المُذاق، أي: مفعول الإذاقة – الذي وقع عليه فعل الإذاقة– فجاء اسمَ جنسٍ ظاهراً معرَّفاً بالألف واللام: (الإنسان، النَّاس). وجاء الذَّواقُ، أي: الشيء الذي يُذاق اسْماً منكرا منسوباً إلى الله في كل النصوص، نَحو: (رَحْمَةً مِنَّا).

اقترن فعل الإذاقة بأداة شرط: (إذا أو لئن) في جَميع الموارد ما عدا في آية واحدة؛ اقترن بلام التعليل.

---

(1) سورة يونس، الآية: 21.

(2) سورة هود، الآية: 9.

(3) سورة الروم، الآية: 33.

(4) سورة الروم، الآية: 36.

(5) سورة الروم، الآية: 46.

(6) سورة فصلت، الآية: 50.

(7) سورة الشورى، الآية: 48.

2. دلالة (الإذَاقَة) في اللغة:

الإِذَاقَةُ: مصدر أَذَاقَ يُذِيقُ إِذَاقَةً، فهو مُذيق، والمفعول مُذاق، والذَّواقُ: الشيء الذي يُذاق. ومداره في اللغة على إِدرَك طَعْمِ الشَّيءِ بإصابة ما يقل منه، وهو مأخوذ حسيًّا من إدراكِ طَعْمِ الطعام أو الشراب بتناوله بالفَم. يُقال: أذاقه الطَّعامَ إِذَاقَةً: جعله يختبر طَعْمَه[1]؛ فيتعدى بمفعولين.

ومن هذا المعنى الماديِّ استُعمَل الإذاقةُ مجَازًا للتعبير عَن الإصابة بشيء – مِن الخَيْرِ أو الشر– اختبارًا أو تجربةً أو ابتلاءً؛ فيُقال: ذاق فلانٌ كذا، وأنا أكلته[2]. ومنه قول الإمام الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَن يَذُقِ الدُنيا فَإِني طَعِمْتُهَا وَسِيقَ إِلَينا عَذبُها وَعَذَابُهَا[3].

ويتجلى مما سلف أن مفهوم الإذاقة يَحمل معنيين: الأول مرتبط بإدراك طعم الشيء حسيا بواسطة اللسان، والثاني متعلق بالانطباع المعنوي الذي يحسه الإنسان نتيجة تعرضه لنفع أو ضر ما.

3. مفهوم الضميمة:

بالوقوف على مقال ومقام النصوص تبين أن الإذاقة مستعملةٌ في مطلق الإدراك استعارةً[4]، والرَّحْمَةُ مطلقةٌ على آثارها من الخيرات الدنيوية المشتملة على الأموال والأولاد والصِّحَّةِ والعافية وسعة العيش والسلامة من المحن والأمْطارِ النّافِعَةِ والجاهِ...؛ وجَميع هذه المعاني لم تخرج عن كونها مَنافِع ينتفع بها الإنسان في الدنيا[5]. فاستعمل الإذاقة للتنبيه على أن ما يجده المرء في هذه الدنيا من النِّعم كنموذج لما سيجده في الآخرة[6]. أي: كَأَنَّهُ بداية ذَوْقِهِ الرَّحْمَة قَبْلَ أن يُدَاوِمَ اسْتِطعَامَهَا[7].

وأشار الرازي إلى ذلك بقوله: «وَقَدْ ذَكَرنَا أَنَّ الإِذَاقَةَ تُقَالُ في القَلِيلِ، وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الدُّنْيَا قَلِيلا وَرَاحَتُهَا نَزْرٌ قَالَ ﷻ: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾، وَأَمَّا في الآخِرَةِ فَيَرْزُقُهُم وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِم وَيُدِيمُ لَهُم»[8].

فإذَاقةُ الرَّحْمَةِ إذن: مُبَالَغَةٌ في إِصَابَةِ شَيءٍ مِن مَنَافِعِ الدُّنْيَا ونِعَمِهَا مِن غَيرِ اسْتِحقَاقٍ؛ اختبارًا أو ابتلاءً.

---

(1) ينظر: المقاييس، والصحاح، واللسان، والمفردات، وعمدة الحفاظ، و المعجم الاشتقاقي/ ذوق.

(2) قال الزمخشري: «ومن المجاز: ذقت فلاناً، وذقت ما عنده. (...) وما ذقت اليوم في عيني نوماً». الأساس/ ذوق.

(3) البيت من الطويل، وهو للإمام محمد بن إدريس الشافعيِّ، يذُمُّ الدنيا. ديوانه: 16.

(4) قال الطاهر بن عاشور: «والإذاقَةُ: مجازٌ في مُطْلَقِ الإصابَةِ في الحِسِّ لإطْماعِهِم أنها إصابَةٌ خَفِيفَةٌ كَإصابَةِ الذَّوْقِ بِاللِّسانِ». التحرير والتنوير: 25/ 13.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 11/ 133.

(6) أنوار التنزيل: 3/ 129.

(7) البحر المحيط: 6/ 30.

(8) مفاتيح الغيب: 25/ 107.

۞ نَزْعُ الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

وردت ضميمةُ (نَزْع الرَّحْمَةِ) في خمسة مواضع في القرآن الكريم والحديث الشريف وهي:

قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾[1].

وعَن أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَت: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟**»[2].

وفي رواية أخرى لَها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟**»[3].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْداً، نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِناً مُخَوَّناً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِناً مُخَوَّناً، نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيماً مُلَعَّناً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيماً مُلَعَّناً، نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الإِسْلَامِ**»[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ الصَّادِقَ، المَصْدُوقَ ﷺ صَاحِبَ هَذِهِ الحُجْرَةِ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[5].

2. دلالة (النَّزْع) في اللغة:

النَّزْعُ: مصدر نَزَعَ يَنْزِعُ نَزْعاً، فَهُوَ نَازِعٌ، والمفعول: مَنْزُوعٌ. ومداره في اللغة على الجَذْبِ والقَلْعِ. يُقال: نزَع الشّيءَ عن مكانه أو من مكانه: قلعه، وجذبه، وحوَّله عن موضعه بقوةٍ[6]. وهو مأخوذ حسيًّا من نَزْعِ القَوسِ عَن كَبِدِهِ، وخَلْعِ الثَّوْبِ عَنِ الجَسَدِ. ثُمَّ يستعمل مجازًا في المعاني والأعراض[7]، ومنه: نَزْعُ العَداوةِ من القلب، أي إزالتها من القلب. ونَزْعُ الأمل: القنوط واليأس.

وممَّا يُميِّزُ لفظَ النَّزْعِ عن غيره أنه يُشعِرُ بشدة تعلق المرء بالشيء المَنْزُوع منه وحرصه عليه.

---

(1) سورة هود، الآية: 9.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5998.

(3) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رَحْمَته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: 2317.

(4) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، حديث رقم: 4054.

(5) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: 4942.

(6) العين، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، والأساس، والمختار، واللسان، والمصباح، ومعجم اللغة العربية المعاصرة/ نزع.

(7) المفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ نزع.

3. مفهوم الضميمة:

أفادت الدراسة النصية والمفهومية لموارد الضميمة أن النَّزْعَ اسْتُعْمِلَ اسْتِعارَةً بِمَعنى السَّلْبِ وفق ما تقتضي حِكْمَةُ اللهِ وعَظَمَتُه. وبناء عليه، يُمكن تعريف (نَزْعَ الرَّحمَةِ) في المتن المدروس بأنه: **سَلْبُ النِّعْمَةِ مِن الإنسَانِ بَعد إذَاقَتِهِ لَهَا في الدُّنيَا، وِفْقَ سُنَّةِ اللهِ الَّتِي ارْتَضَتْهَا مَشِيئَتُهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

۞ إيتَاءُ الرَّحْمَةِ:

1. موارده:

ورد فعلُ الإيتَاء واقعاً على (الرَّحْمَة) فَتكوَّنت ضميمةٌ جديدةٌ: (إيتَاء الرَّحْمَةِ) وذلك في ست آيات؛ خَمسٌ منها في سور مكية، وواحدةٌ في سورة الحديد المدنية، وهي كالآتي: قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[1]. وقال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾[2]. وقال الله ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾[3]. وقال ﷻ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾[4]. وقال ﷻ: ﴿* وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾[5].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[6].

---

(1) سورة هود، الآية: 28.

(2) سورة هود، الآية: 63.

(3) سورة الكهف، الآية: 10.

(4) سورة الكهف، الآية: 65.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 84.

(6) سورة الحديد، الآية: 28.

2. مفهومُ (الإيتاء):

الإِيتَاءُ: مصدر آتَى يُؤْتِي إِيتَاءً، فهو مُؤْتٍ، والمفعول مُؤْتًى. ومداره في اللغة على الإِعْطَاءِ، والمُنَاوَلَةِ؛ يُقال: آتى فُلانًا مالاً أَو علماً أَو غير ذَلِك: أعطاه إِيَّاه. وآتَاه خيراً: أنالَهُ، وأعطاهُ إِيَّاه[1]. وهو مأخوذ ماديًّا من تَأَتِّي الماء، أي: توجيه مجراه وتهيئة جَداوِله؛ يُقالُ: أَتَّيْتُ الماءَ وللماءِ تَأَتِّياً: سَهَّلْتُ طَرِيقَه ووَجَّهْتُ لَهُ مَجرَاهُ حتى يجريَ إِلى مَقارِّهِ. وَمِنه حدِيثُ ظُبْيان في صفَةِ دِيارِ ثَمُودَ: «**وأَتَوْا جَداوِلَها**»، أَي سَهَّلُوا طُرُقَ المِياهِ إِلَيْهَا[2].

وهكذا، أشار اللُّغويُّونَ إلى الفَرق بَيْن الإِيتاء والإِعْطاء، وبَيَّنوا أَنَّ الإِيتاءَ أَقْوَى مِنَ الإِعْطاءِ في إِثْباتِ مفْعولِه، لأنَّ الإِعْطاءَ لَهُ مُطاوِعٌ بخِلافِ الإِيْتاءِ، تقولُ: أَعْطاني فعطوت، وَلا يقالُ آتَاني فَأتيت، وإِنَّما يقالُ آتَاني فأَخَذْتُ؛ فاتَّضح بذلك أن الفِعْلَ الَّذِي لَهُ مُطاوِعٌ أَضْعَفُ في إِثْباتِ المَفْعولِ مِمَّا لا مُطاوِعَ لَهُ. ولِهَذَا نَجدُ أنَّ الإيتاء يُستَعمل فِيمَا لَهُ قُوَّةٌ وثباتٌ كالحكمة والرَّحْمَةِ... أما الإِعْطَاء فيُسْتعمل فيما لا قرار له كَالكَوْثَرِ، لأنَّه مورود في المَوْقفِ مُرْتَحِل عَنهُ إِلى الجنَّة[3].

3. مفهوم الضميمة:

أول ما يلفت النظر عند التأمل في نظم الآيات الكريمة (موارد الضميمة)، إسناد فعل الإيتاء إلى اسم الجلالة، وهذا الإسناد يوحي بأن الرَّحْمَةَ لله عَزَّوَجَلَّ يؤتيها من يشاء من عباده تَفَضُّلا. ومن هنا يُمكن القول: **إِيتَاءُ الرَّحْمَة: هُوَ إِعْطَاؤُهَا لِمَنْ شَاءَ اللهُ ﷻ، ومَكَّنَهُ مِن نَيْلِهَا تَفَضُّلا.**

ومجمل القول، إن دراسة ضمائم الرَّحمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف أفادت أمرين:

أولهما: كون الرَّحْمَة ثابتة في ذات الله ﷻ؛ وهذا مستفاد من إضافة الرَّحْمَة لاسم الجلالة، وإذ تبين من خلال الدراسة أنَّ الله ﷻ يَملك خزائن الرَّحْمَةِ، وله مقاليد أبوابها، فينشر آثارها على خلقه أَنَّى يَشَاء، ويدخل من يشاء فيها ممن كان يرجوها، وذلك بِموجب الأقوال والأفعال والخصال التي تتسبب في نيلها.

ثانيهما: أكدت الدراسة على أن الله ﷻ هو صاحب الرَّحمة على الإطلاق؛ فيؤتيها من يشاء، وينْزِعها ممن يشاء، ويُوكِلُ من يشاء مِن مَلائِكَته الكرام بإمدادِها إلى مُسْتَحِقِّيهَا مِن خَلقِهِ، ويَبعث بها من يشاء من رُسُلِه عليهم السلام إلى العَالَمِين. وقد تَجلَّىٰ ذلك من إضافة ألفاظ أخرى للرَّحمَةِ.

(1) العين، والمقاييس، واللسان، وعمدة الحفاظ/ أتي، والتهذيب، والتاج، والمفردات/ أتى، والمعجم الاشتقاقي/ أتو/أتى.
(2) اللسان، وعمدة الحفاظ/ أتي، والتاج، والنهاية/ أتى، والمعجم الاشتقاقي/ أتو/أتى.
(3) التاج/ أتى، والكليات: 212.

الفصل الخامس

مشتقات مصطلح الرحمة في القرآن والحديث

تمهيد

يسعى البحثُ في هذا الفصل إلى الكشف عن الروابط المفهوميَّة بين مصطلح (الرَّحْمَة) وبين مشتقاته المتولَّدَة عن جذره اللغوي والمفهومي، وبيان أثرها في تقوية دلالته، وإثراء مفهومه، ورسم أرجاء تشعبه ونُموِّه الخارجي؛ فتشعب مشتقات المصطلح دليل على عظمته وبُعد مكانته.

ولئن كانت المشتقات من وسائل التوليد اللغوي التي يتم من خلالِها التعبير عن دلالات جديدة لِمفهوم ما، فإن تعدد صيغ المشتقات وتباينها يُمَكِّنُ المتكلِّمَ من استخدام صيغ دون أخرى للتعبير عن مقاصده؛ إذ كُلُّ مَعْنىً يَحتاج إلى ما يناسبه من المباني التي تنسجم معه ليتحقق للمتكلم ما يريده. وقد تبين من إحصاء نصوص مصطلح (الرَّحْمَة) في القرآن الكريم والحديث الشريف، أنه تولَّدت عن جذره كلُّ الأبنية المُمكنة صوغها منه للتعبير عن المعاني المتضمنة لمفهومه. لكننا في هذا المقام نكتفي بدراسة المشتقات التي لَها أثر كبيرٌ في تَجديد المفهوم وإثراءه، ورسم نُموِّه الخارجي.

وعليه، تألف هذا الفصل من ثلاثة مباحث: أولُها يَخُصُّ دراسة مشتق الرَّحْمَن. وجعلنا مدار القول في المبحث الثاني على مشتق الرَّحيم. والمبحث الثالث مُخصص لدراسة مشتق الرَّحِم.

المبحث الأول
الرَّحْمَنُ

۞ المطلب الأول: تعريفه

المسلك الأول: في اللغة:

الرَّحْمٰنُ: صيغة مبالغة معدول عَن اسم الفاعل «رَاحِم»[1]، على وزن [فعلان] الذي يدلُّ على الامتلاء والشمول والتجدد والحدوث والاستمرار، والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى؛ وَمَعْنَاهُ عِنْدَ أَهل اللُّغَةِ: ذُو الرحْمةِ الَّتِي لا غَايَةَ بَعْدَهَا فِي الرَّحْمةِ[2]. ومنه قول سَلامَة بْن جُنْدُب:

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا إِذْ عَجِلْنَا عَلَيْكُمُ وَمَا يَشَأِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ[3].

ومن شأن العرب أن يَحملُوا أبنية الأسْمَاء من (فَعِلَ يَفْعَلُ) على [فعلان] للمبالغة، كقولِهم من (غَضِبَ يَغْضَبُ): غَضْبَانٌ، ومن (سَكِرَ يَسْكَرُ): سَكْرَانٌ، ومن (عَطِشَ يَعْطَشُ): عَطْشَانٌ. فكذلك قولُهم «رَحْمٰنٌ» من (رَحِمَ يَرْحَمُ)[4]. وهذا يؤكد على أن (الرَّحْمٰنَ) مشتقٌّ من الرَّحْمَة.

وذهبَ جُمهورٌ من العلماءِ إلى أن «الرَّحْمٰنَ» علَمٌ بالغلَبَة، وإن كان مشتقًّا من الرَّحْمَة، وذلك أن بناء «فَعْلاَن» لا يكون في النعوت، ويدُلُّ على عَلَمِيَّتِه ورودُه غير تابع لاسمٍ قبله في القرآن الكريم؛ كقوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾[5]، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾[6]. نسب أبو حيان هذا القولَ للأعلم الشنتمري[7]، وهو قول الزمخشري[8]، وأبي القاسم السهيلي[9].

---

(1) والرَّاحِمُ: اسمُ فاعلٍ يدلُّ على من يَقَعُ منه فِعْلَ الرَّحْمَةِ على وجهه الحدوث، وفي السياق القرآني والحديثي يدلُّ على المُتَّصِفِينَ بالرَّحْمَةِ مِن المَخْلُوقِين. أي: كلُّ من يصدر منه الرَّحْمَة غيرُ الله ﷻ، لذلك جاء بصيغة الجمع (الرَّاحِمون) للدلالة على العموم، وتَنْزيه الخالق ﷻ. فلما كانت الرَّحْمَةُ صفةً ثابتةً للذات الإلَهية، واسم الفاعل لا يدل على الثبات، استحال استعمال هذه الصيغة في حق الله ﷻ. لذلك استُعملت صيغ أخرى في وصفه ﷻ كاسم التفضيل الدالُّ على الزيادة والتفاضل، وصيغة المبالغة الدالة على السعة والشمول، والصفة المشبهة الدالَّة على الدوام والثبوت: أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، والرَّحْمٰنُ، والرَّحِيمُ.

(2) المحكم، والصحاح، واللسان، والتاج/ رحم.

(3) البيت من الطويل، وهو لسَلامَة بْن جُنْدُب السَّعْدي، ديوانه: 19.

(4) ينظر: جامع البيان: 1/ 126.

(5) سورة طه، الآية: 5.

(6) سورة الرحمن، الآيتين: 1- 2.

(7) البحر المحيط: 1/ 30.

(8) الكشاف: 1/ 7.

(9) نتائج الفكر: 160.

والتحقيق أن ٱلرَّحْمٰنَ اسمٌ لله ﷻ دالٌّ على صفة الرَّحْمَةِ، حيث ذُكر مسنداً إليه، وصفتُه ﷻ حيث ذُكر صفةً للفظ الجلالة. يعني: اشتمل اسمُ ٱلرَّحْمٰن على صفة الرَّحْمَةِ من غير تنافٍ بين الاسم والصفة؛ ولذلك جاء ذكره في القرآن الكريم تابعًا للفظ الجلالة كما في البسملة، وجاء اسماً غير تابع كما في المواضع الأخرى التي ذكر فيها. قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَسْمَاءُ الرَّبِّ تعالى هي أَسْمَاءٌ ونعوتٌ، فإنَّها دالَّةٌ على صفاتِ كماله، فلا تنافي فيها بين العَلَمِيَّة والوصْفِيَّة، فالرَّحْمٰنُ اسْمُه تعالى ووصفُه لا تُنافي اسْمِيَّتُه وَصْفِيَّتَه، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسمٌ ورد في القرآن غيرَ تابعٍ، بل ورود الاسم العَلَم، ولَمَّا كان هذا الاسم مُختصًّا به تعالى حَسُنَ مجيئُه مفرداً غيرَ تابعٍ كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة ٱلرَّحْمٰن كاسم الله تعالى؛ فإنه دال على صفة الألوهية ولَم يَجيءْ قطُّ تابعاً لغيره، بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونَحوها؛ ولِهذا لا تَجيء هذه مفردة بل تابعة. فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن ٱلرَّحْمٰنَ اسمٌ وصفةٌ، لا يُنافي أحدُهُما الآخر، وجاء استعمالُ القرآن بالأمرين جَميعاً»[1].

المسلك الثاني: في الاصطلاح العام:

قال أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعنى ٱلرَّحْمٰن: المُنعمُ الحَقِيقِيُّ البَالِغُ في الرَّحْمَةِ غايتَها الَّتي يقصر عَنْهَا كل من سواهُ، والعاطفُ على جَمِيعِ خلقِه بالرزق لَهُم؛ لا يزِيد في رزق التقي بتقواه، وَلا ينقص من رزق الفَاجِرِ بِفُجُورِهِ»[2]. يتضح من هذا التعريف أن ٱلرَّحْمٰنَ يدُلُّ على أن الله ﷻ هو صاحب الرَّحْمَة الذى يفيضها على جَمِيعَ المَوْجوداتِ بالنعم جليلها ودقيقها، عامها وخاصها.

وقال أحْمد مُختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ٱلرَّحْمٰنُ: اسمٌ من أسماء الله الحسنى، ومعناه: ذو الرَّحمَةِ التي لا غايةَ بعدها في الرَّحمَةِ، الذي وسعت رَحْمَتُه كلَّ شيء، الذي يُزيح العلل ويُزيل الكروب، العطوفُ على عباده بالإيجاد أوّلاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السّعادة ثانيًا، وبالإسعاد في الآخرة ثالثًا، المنعِمُ بِما لا يُتصوَّر صدورُ جنسه من العباد، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾»[3].

(1) بدائع الفوائد: 1/ 24.

(2) الكليات: 467.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة/ رحم.

نَفهم من هذا الكلام أن الله ﷻ -باسمه ٱلرَّحْمٰنِ- موصوفٌ بعموم الرَّحْمَة جَميعَ خلقه، في كل الأحوال، في الدنيا والآخرة؛ ذلك أنه ﷻ عمَّ جَميعَ المخلوقين في الدنيا بالإحسان إليهم، في بَسْط الرزق، وإنزال الغَيْثِ، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تُحصى، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون. وعمَّ جَميعَهم في الآخرة بتسويته ﷻ بينهم في عَدله وقضائه، فلا يظلم أحدًا منهم مِثْقال ذَرَّة، فكان رَحْمٰناً لَهم في الدنيا والآخرة[1].

ونَخلص مما سبق إلى أن ٱلرَّحْمٰنَ اسمٌ خاصٌّ بالله ﷻ دالٌّ على صفة الرَّحْمَة القائمة بذاته على وجه المبالغة، لا يجوز أن يسمى به أحدٌ غير الله، ومنه قيل: ٱلرَّحْمٰنُ خاصُّ اللَّفظِ عامّ المَعْنى. أي: هو خاصٌّ من حَيْث إنَّه لا يُسَمَّى بِهِ أحدٌ إلا الله، عَامٌّ من حَيث إنَّه يَشْمُل جَمِيعَ المَوْجوداتِ، فلفظ ا ٱلرَّحْمٰنِ يدل على من تصدر عنه آثار الرَّحْمَة بالفعل وهي إفاضة النعم على المخلوقين[2].

المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي:

أ. مواردِه:

ورد مشتقُ (ٱلرَّحْمٰن) في القرآن الكريم سبعاً وخَمسين مرة، في ثَماني عشرة سورة؛ ثلاث وخَمسين مكية، وأربع مدنية: مرة واحدة في كل من: البقرة، والرعد، والإسراء، والشعراء، والنمل، وق، والرَّحْمن، والحشر. ومرتان في الفاتحة، والنبأ. وأربع مرات في طه، والأنبياء، ويس، والملك. وخَمس مرات في الفرقان. وسبع مرات في الزخرف. وست عشرة مرة في مريَم. وورد في الحديث الشريف ثَماني وثلاثين موضعاً، ضمن خَمسة وثلاثين حديثا، مفرقة في الكتب التسعة.

والملاحظ في هَذه الموارد: أن (ٱلرَّحْمٰنَ) لَم يأتِ في القرآن الكريم إلا معرَّفاً بالألف واللام، فلم يأتِ نكرة أو مضافاً، مِمَّا حدا بالمفسرين واللغويين إلى القولى بعَلَمِيَّتِه، أو قربه من اسم العلم. أما في الحديث فقد ورد نكرة في موضعين، ومنه قوله ﷺ: «**أَسْأَلُكَ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلَالِكَ**»[3].

ويُلاحظ كذلك أن اسم (ٱلرَّحْمٰن) لَم يأتِ في القرآن والحديث وصفاً لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مِمَّا يؤكد على اختصاص هذا الاسم بالذات الإلَهية، ولِهذا عادل بالرَّحْمٰنِ اسْمَه الأجل الذى لا يشركه فيه غيرُه؛ الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4].

(1) ينظر: جامع البيان: 1/ 128.

(2) ينظر: التاج/ رحم، ومحاسن التأويل: 1/ 225.

(3) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في دعاء الحفظ، حديث رقم: 3570.

(4) سورة الإسراء، الآية: 110.

ومن الملاحظ أيضاً، أنه لَم يأت الرَّحْمَنُ تابعاً إلا لاسم الجلالة الله وضميره، كقوله ﷻ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2]. وفيما عدا ذلك جاء قائماً بذاته حالاً محل لفظ الجلالة.

جاء الرَّحْمَنُ متبوعاً بوصفين: الرَّحِيمُ، في ستة مواضع في القرآن الكريم، وإثنتي عشر موضعا في الحديث الشريف، كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[3]. وٱلْمُسْتَعَانُ في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله ﷻ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾[4].

ب. دلالاته:

بالنظر إلى موارد (ٱلرَّحْمٰن)، والتأمل في السياق المقامي والمقالي للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، يتبين أنه ورد في نصوص تعالِج قضايا مُختلفة ركزت أساساً على مسائل عقائدية، منها:

أ. التأكيد على وحدانية الله ﷻ، والدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، كقوله ﷻ: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[5]، يعني: أكان من رسل الله من دعا إلى عبادة غير الله وحده؟

ب. النفي لوجود الولد لله ﷻ، والرد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وعلى اليهود القائلين: عزير ابن الله، وعلى النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾[6]؛ قال المشركون واليهود والنصارى: إن الله اتَّخذ ولداً من الملائكة أو من الناس.

ج. التذكير باليوم الآخر، والرد على منكري البعث، كما في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[7]. أي: وجواب سؤالِهم: هذا يوم البعث الذى وعد به ٱلرَّحْمٰنُ عبادَه، وصدق المرسلون فيما أخبروا عنه.

---

(1) سورة الفاتحة، الأية: 1.

(2) سورة الملك، الآية: 29.

(3) سورة الفاتحة، الآية: 3.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 112.

(5) سورة الزخرف، الآية: 45.

(6) سورة مريم، الآيات: 88- 93.

(7) سورة يس، الآيتين: 51- 52.

د. ومن أبرز الملاحظات، نُسبت إلى اسم (ٱلرَّحْمَٰن) خصائص اسم الجلالة الله ﷻ، وهي:

1. **الألوهية**، وهي أهم خصائص الاسم الأعظم الله ﷻ، بل أصل اشتقاقه، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]، فنُسبت إلى اسم الله (ٱلرَّحْمَٰن)، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[2].

2. **الربوبية**، وهى أيضاً أحد خصائص اسم الإله الحق؛ فإن الذي لا ربوبية له فلا ألوهية له، لذا جعل الله ﷻ دلائل الربوبية المشهودة في أرجاء الكون لإقامة حقائق الألوهية، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[3]. ونُسبت إلى اسم ٱلرَّحْمَٰنِ فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾[4].

3. **العبودية**، وهي بمثابة صلة الواصل بين العبد والمعبود؛ فكل مَخلوقٍ إما أن يكون عبداً لله ﷻ، عبودية اختيار ورضا ويكون حينها من أولياء ٱلرَّحْمَٰنِ، وإما أن يكون عبداً لما يشاء هواه، فيكون حينها من أولياء الشيطان. قال ﷻ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾[5]. وقال جَلَّجَلَالُهُ في اسْمِه (ٱلرَّحْمَٰنِ): ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[6].

4. **الاستواء على العرش**: من أعظم الخصائص التي اختص بها العرش هو استواءُ الله ﷻ عليه، ولا ريب في ذلك، يقول الحق ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[7]. ولما كان العرش مُحيط بالمخلوقات، حيث وسع والسماوات والأرض، ولما كانت الرَّحْمَة التي دلَّ عليها اسم الرَّحْمَن محيطة بالخلق أجْمعين، فإن الله ﷻ خص هذا الاسم ليقرنه باستوائه على عرشه في الكتاب والسنة، فقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[8]. وقَال ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[9].

---

(1) سورة محمد، الآية: 19.

(2) سورة البقرة، الآية: 163.

(3) سورة الأعراف، الآية: 54.

(4) سورة طه، الآية: 90.

(5) سورة الإنسان، الآية: 6.

(6) سورة الفرقان، الآية: 63.

(7) سورة الرعد، الآية: 2.

(8) سورة طه، الآية: 5.

(9) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7]، حديث رقم: 7423.

5. **تنزيل القرآن:** الحقُّ الذي لا مرية فيه، أنَّ القرآن الكريم نزل من الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[1]. وقال ﷻ باسْمه الرَّحْمنِ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾[2].

6. **الطاعات،** ابتداء بالإيمان، مرورا بالأقوال والأعمال الظاهرية، إلى الأعمال القلبية كالتوكل وغيره. قال ﷻ في عموم الإيمان والطاعات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾[3]. وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٩﴾[4].

وقال ﷻ في الاستعاذة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾[5]، وقال ﷻ: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾[6]. وقال في السجود: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ۝٦٢﴾[7]، وقال المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠﴾[8].

وقال ﷺ في الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾[9]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾[10]. وقال ﷻ في التوكل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾[11]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ﴾[12].

وقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الدعاء: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[13].

---

(1) سورة الزمر، الآيتين: 1-2.

(2) سورة فصلت، الآيتين: 2- 3.

(3) سورة النساء، الآية: 136.

(4) سورة الملك، الآية: 29.

(5) سورة النحل، الآية: 98.

(6) سورة مريم، الآية: 18.

(7) سورة النجم، الآية: 62.

(8) سورة الفرقان، الآية: 60.

(9) سورة فاطر، الآية: 28.

(10) سورة يس، الآية: 11.

(11) سورة آل عمران، الآية، 159.

(12) سورة الملك، الآية: 29.

(13) سورة الإسراء، الآية: 110.

7. **القيامة والوعيد**، لما كان ذكر القيامة والوعيد من أسباب إخبات القلوب وانكسارها بين يدي رب العالمين، اقترن بلفظ الهيبة والجلالة الله، واللافت هو اقترانُها بالرَّحمَن، في قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾[1]، وقال الحق ﷻ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦﴾[2].

8. **الشفاعة**، وذلك في قوله ﷻ: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾[4].

9. **الجنة**، ومنه قوله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[5]، وقال ﷻ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾[6].

نستنتج مِمَّا سبق من الدلالات اللغوية والاصطلاحية العامة، والمعاني المستفادة من النصوص القرآنية والحديثية، السمات الدلالية الآتية:

أولاً: ٱلرَّحْمٰنُ اسمٌ من أسمَاء الله ﷻ الحسنى الخاصة بالذات الإلهية، التي لَم يسمَّ بِها غيره.

ثانياً: تدلُّ صيغة (رَحْمٰان) على إثْبات الاتِّصافِ بِعُمُومِ الرَّحْمَةِ تَرْغِيبًا وتَرْهِيبًا.

ثالثاً: ٱلرَّحْمٰنُ اسمٌ لله ﷻ، يَدُلُّ على كمال ربوبيته ﷺ؛ فهو يُمثل أفعال الربِّ جَلَّوَعَلَا: (الخلق، والتدبير، والسيادة، والمُلك، والإنعام، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والقضاء والقدر، والرَّحْمَة والتعذيب، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها).

رابعاً: ٱلرَّحْمٰنُ هو: ذو الرَّحْمَة الواسعة التي تشمل جَميع الخلائق بالدنيا والآخرة.

خامساً: ٱلرَّحْمٰنُ اسمٌ دالٌّ على شُمُول رَحْمَةِ الله ﷻ وسعتها، كشمول الربوبية وسعتها.

وانطلاقاً من هذه السمات الدلالية، يُمكن صياغة تعريف لاسم (ٱلرَّحْمٰنُ) في القرآن الكريم والحديث الشريف، فنقول وبالله التوفيق: **ٱلرَّحْمٰنُ: هو اسْمٌ مِن الأَسْمَاءِ الذَّاتِيَّةِ الخَاصَّةِ بالله ﷻ، دَالٌّ عَلى رُبُوبِيَّتِه، مُتَّصِفٌ بالرَّحْمَةِ العَظِيمَة الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.**

(1) سورة الانفطار، الآية: 19.

(2) سورة الفرقان، الآية: 26.

(3) سورة النجم، الآية: 26.

(4) سورة طه، الآية: 109.

(5) سورة التوبة، الآية: 111.

(6) سورة مريم، الآية: 61.

۞ المَطلَبُ الثَّاني: ضمـائمه

المسلك الأول: الضمائم الإضافية:

1. آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ

أضيف مصطلح (آيات) إلى اسم (ٱلرَّحمٰن) في آية واحدة من القرآن الكريم، هي قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[1].

وتتحدث الآية الكريمة عن حال أولئك الذين اصطفاهم الله ﷻ، وأنعم عليهم بأنواع النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ، الظاهرة والباطنة، فجعلهم أنبياء وصالحين بفضله وتوفيقه، فبين الله ﷻ أن هؤلاء المصطفين الأخيار والتابعين الأبرار قد صفت نفوسهم، واستقامت قلوبُهم، وصغت أفئدتُهم إلى الحق، فكانوا إذا تليت عليهم آياتُ الله المتضمنة حُجَجه ودَلائِله وبراهِينه، خروا ساجدين باكين؛ فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عمَّا يُخالج مشاعرهم، فتفيض عيونُهم بالدموع خوفاً وحذراً، ويَخرون سُجَّداً لله خضوعاً واستكانةً.

واللافت هنا، إضافةُ (الآيات) إلى اسم (الرَّحمَن)، ولعل السر في ذلك كونُ الآيات رَحْمَةً على العباد، حيث تنير لَهم الطريق الموصل إلى رضوان الله ﷻ ودار كرَامته، لِهذا وُصف القرآن الكريم بالرَحمَة كما في قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

وفي هذا الصدد، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي إضافة الآيات إلى اسْمِه (الرَّحْمَن) دلالة على أن آياته، من رَحْمَتِه بعباده وإحسانه إليهم حيث هداهم بِها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة»[3].

فلما كان القرآن الكريم رَحْمَةً للعباد، وهو تنْزيلٌ من الرَّحْمَنِ، كان من البديهي أن تُضاف آيات القرآن الكريم إلى مُنْزِلِها وهو الرَّحْمَن الرحيم تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(1) سورة مريم، الآية: 58.

(2) سورة لقمان، الآيات: 1- 3.

(3) تيسير الكريم الرحمن: 496.

2. ذِكْرُ ٱلرَّحْمٰنِ

أ. مفهوم الذكر:

الذِّكْرُ: مصدر ذَكَرَ يَذْكُرُ ذِكْراً، فهو ذاكرٌ. ومداره في اللغة على خِلافِ النسيان. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ. وَيَقُولُونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لا تَنْسَهُ. وَالذِّكْرُ: العَلاءُ وَالشَّرَفُ. وَهُوَ قِيَاسُ الأَصْلِ[1]. فالذكر يقال على وجهين: أحدهُما: الذكر بالقلب. والثاني: الذكر باللسان. وهو في الموضعين حقيقي ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة[2]. وهو مأخوذ حسيًّا من قوة الشيء وصلابة مادته بحيث ينفذ: كالحديد الفولاذ يُزاد في السيف وغيره لينفذ ولا ينثني، كذلك الذكر باللسان، له وجود قوي في الأسماع. والذِكر بالقلب: بمعنى ضد النسيان، يعني بقاء الشيء قويًّا واضحًا في الذهن[3].

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذِّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنَّفس بِها يُمكن للإنسان أن يَحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أنَّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْرُ يُقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذِكْرَان: ذِكْرٌ بالقلب، وذِكْرٌ باللِّسان. وكلُّ واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ»[4]. وعلى هذه الأنواع مدار ما ورد في القرآن الكريم، حيث ذكر أهل التَّفْسير قرابة عشرين وَجهاً للذِّكر في الْقُرْآن[5]، مردها جَميعاً إلى: الذِّكر بِاللِّسَانِ، كَما ورد في قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[6]. والذِّكر بِالقَلْبِ، ومنه ما ورد في قَول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾[7]، وَقيل هُوَ النَّدَم[8]. وكذلك يكون الذكر بالقلب واللسان معاً، خاصة حينما يُضاف إلى اسمي الجلالة (ٱللَّه وٱلرَّحْمٰن).

---

(1) المقاييس/ ذكر.

(2) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 221، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 301.

(3) المعجم الاشتقاقي/ ذكر.

(4) المفردات/ ذكر.

(5) منها: الطاعة، والحفظ، والوعظ، والوصف، والشرف، والخبر، والوحي، والقرآن، والبيان، والدليل، والحَدِيث، والتَّوْحِيد، والثَّنَاء، والذَّمُّ... ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: 221، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 301.

(6) سورة آل عمرَان، الآية: 191.

(7) سورة آل عمرَان، الآية: 135.

(8) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 301.

ب. مفهوم الضميمة:

وردت هذه الضميمة في آيتين مكيتين، الأولى في سورة الأنبياء، وهي قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1]. والثانية من سورة الزخرف وهي قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[2].

سيقت الآيةُ الأولى في معرض الكلام عن المستهزئين من المُشركين الَّذين كانوا يسخرون من النبي ﷺ، ويَعيبُونَ عَلَيْهِ ذِكْرَ آلِهَتِهِمُ الَّتِي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ بالسُّوء، وهي مَحط السوء فعلاً، مَعَ أَنَّهم بِذِكْرِ (ٱلرَّحْمٰنِ) الَّذِي هو الخالِقُ الرازقُ، المُنعِمُ المُعطِي المانعُ، المُحيي المُميتُ، كافِرون!

قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالذِّكْرُ يَكُونُ بِخَيْرٍ وبخِلافِهِ، فَإِذَا دَلَّتِ الحَالُ على أَحَدِهِمَا أُطْلِقَ وَلَمْ يُقَيَّدْ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ سَمِعْتُ فُلانًا يَذْكُرُكَ، فَإِنْ كَانَ الذَّاكِرُ صَدِيقًا فَهُوَ ثَنَاءٌ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا فَهُوَ ذَمٌّ»[3]. وأضاف ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذا قائلاً: «فإنَّ الذِّكْرَ يَكُونُ بِخَيْرٍ وبشَرٍّ، فَإذا لم يُصَرَّحْ بِمُتَعَلِّقِهِ يُصارُ إلى القَرِينَةِ كَما هُنا في قَوْلِهِ تَعالى الآتي: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[4]»[5].

لذلك فإن معنى ﴿يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: «يَذْكُرُهم بسُوءٍ، بِقَرِينَةِ المَقامِ؛ لأَنَّهم يَعْلَمُونَ ما يَذْكُرُ بِهِ آلِهَتَهم مِمّا يَسُوءُهم، وكَلامُهم مَسُوقٌ مَساقَ الغَيْظِ والغَضَبِ؛ ولِذَلِكَ أَعْقَبَهُ اللهُ بِجُمْلَةِ الحالِ وهي: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، أيْ يَغْضَبُونَ مِن أنْ تُذْكَرَ آلِهَتُهم بما هو كَشْفٌ لِكُنْهِها المُطابِقِ للواقِعِ في حالِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ الَّذِي هو الحَقِيقُ بِأنْ يَذْكُرُوهُ. فالذِّكْرُ الثّانِي مُسْتَعْمَلٌ في الذِّكْرِ بالثَّناءِ والتَّمْجِيدِ بقَرِينَةِ المَقامِ»[6].

فالمُرَادُ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ هُنَا إلَهِيَّة الرَّحْمَنِ، أيْ: ما يجبُ أنْ يُذْكَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الوَحْدانِيَّةِ. وَمَعْنَى كفرهم بذكر ٱلرَّحْمٰنِ: جحدُهم إلَهِيَّتَه ﷻ وإنْكَارُهُم أَنْ يَكُونَ الله ﷻ المعبود بلا شريك. لذلك فالتعبير عن اللهِ ﷻ باسمِ ٱلرَّحْمٰنِ يفيد التَوَرُّك عليهم؛ إذْ كانُوا يأبَوْن أن يكون ٱلرَّحْمٰنُ اسْمًا لذات اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾[7].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 36.

(2) سورة الزخرف، الآية: 36.

(3) مفاتيح الغيب: 22/ 144.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 60.

(5) التحرير والتنوير: 17/ 66.

(6) المرجع نفسه.

(7) سورة الفرقان، الآية: 60.

فأفاد ضمُّ (الذكر) إلى اسم (ٱلرَّحْمٰنِ) معنى ضمِّه إلى اسم (الله) ﷻ، أي: تمجيد ٱلرَّحْمٰنِ. وقيل: إن إضافة الذكر (للرَّحْمٰنِ) مِن إضافَةِ المَصْدَرِ لِمفعوله، أي: توحيد الرَّحْمَن. أو للفاعِلِ، أي: إرْشادُ الرَّحْمَنِ الخَلْقَ بَعْثِ الرُّسُلِ وإنْزالِ الكُتُبِ رَحْمَةً عَلَيْهِم. أو يعني: القرآن الكريم[1].

وجاءت الآيةُ الثانية في سياق بيان زهادة أعراض الحياة الدنيا وهوانها على الله، وأن ما ينَاله الفجارُ منها لا يدل على الفلاح، وأن الآخرة عند الله للمتقين، فبين مصير الذين قد ينالون تلك الأعراض، وهم عميٌ عن ذكر الله، معرِضون عن الطاعات التي تؤهلهم لنعيم الآخرة، حيث أخبر اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّ من أعرض عن ذكره ﷻ، يعاقبه بشَيْطانٍ يُقَيِّضُه له ويلازمه حتى يُضِلَّه فلا يهتدي؛ فهو قرينُهُ الَّذِي لا يُفارقُه أبداً، ومَولاه وعشيرُه الَّذِي هو بئس المَولى وبئس العَشِير![2].

ومعنى ﴿ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في الآية: هو القُرْآنُ الكريم وما فيه من الحِكمة. وقيل: شرع الله، أي: ما ما ذكَّرَ الرَّحْمَنُ به عباده من المواعظ، وما أوحى به في كتابه من الأوامر والنواهي. قال شهاب الدين الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يَعۡشُ﴾ أي: يَتعامَ ويُعْرِضْ ﴿عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وهو اَلْقُرْآنُ، وإضافَتُهُ إلى اَلرَّحمَنِ لِلإيذانِ بِنُزُولِهِ رَحمَةً لِلعالَمِينَ، وجُوِّزَ أنْ يَكُونَ مَصْدَراً أُضِيفَ إلى المَفْعُولِ أي مَن يَعْشُ عن أنْ يَذْكُرَ اَلرَّحْمَنَ. وأنْ يَكُونَ مَصْدَرًا أُضِيفَ إلى الفاعِلِ أي عن تَذْكِيرِ اَلرَّحمَنِ عِبادَهُ سُبحانَهُ»[3].

يتضح مما سبق من المعاني مستفادة من السياقات القرآنية التي ورد فيها لفظ (الذكر)، والدلالات التي استفدنا منها من خلال الآيتين الكريمتين موردي الضميمة، أن ذِكْرَ ٱلرَّحْمٰنِ المراد به هنا هو (شرع الله ﷻ)، أي: كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ. وإذا أمعنا النظر تبيَّن أنه يتضمن جَميع معاني الذكر، فهو يشمل ذكر اللسان، كالتحميد والتهليل والتمجيد والتسبيح والتنْزيه ونَحوها. وذكر القلب كالحفظ والتدبر والتذكر والعبرة والعظة، كما يشمل الذكر بمعنى الطاعة.

وعليه، فإن ذِكْرَ ٱلرَّحْمٰنِ: هو استحضار عظمة الله ﷻ في القلب واللسان والجوارح على هدي ما شرع الله ﷻ في كتابه ودعا إليه نبيه ﷺ، وذلك في كلِّ مشهد من مشاهد الحياة الدنيا.

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: 22/ 144، والتحرير والتنوير: 17/ 66، والمحرر الوجيز: 4/ 82، والبحر المحيط: 7/ 430، ومحاسن التأويل: 7/ 194، والوجيز للواحدي: 715.

(2) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي: 4/ 72، وفتح القدير: 4/ 636، والمحرر الوجيز: 5/ 55.

(3) روح المعاني: 13/ 80.

3. خَلْقُ ٱلرَّحْمَٰنِ

أ. مفهوم الخَلْق:

الخَلْقُ: مصدر خَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقاً، فهو خَالِقٌ، والمفعول مَخْلُوقٌ. ومداره في كَلام العَرَبِ على وَجْهَيْنِ: الإنشاءُ على مِثالٍ أَبْدَعَه، والآخَرُ: التَّقْدِيرُ[1]. يُقال: خَلَقَ اللهُ الشَّيءَ: أبدعه على غير مثالٍ سابقٍ، وأوجده من العدَم، أي: اخترعه[2]، والخَالق: الصَانِعُ الذي يُرَكِّبُ ويُهيِّئُ الأشياءَ على هيئاتِها. والعرب تَقول: خَلَقْتُ الأَدِيمَ: إِذا قدَّرْتَه وقِسْتَه، لتَقطع مِنْهُ مَزَادَةً أَو قِرْبَةً أَو خُفّاً[3]. ومنه قَول زُهَيْر بن أبي سُلمى:

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِي[4].

فالخَلْقُ: هو تَهيئة مادة ما لتكون كائناً مُعَيَّناً مراداً سوياً؛ بشراً أو حيوانًا أو نباتًا أو نَهرًا[5]، وهو مأخوذ حسيًّا من التقدير المستقيم، كخَلْقِ الأديم: وهو تَهيئته بالقياس والتقدير ليكون قِرْبة[6]. ثُمَّ استُعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء[7]، لذلك لا يُستعمل في كافَّة النّاس إلا على وجهين: أحدهُما في معنى التّقدير، والثاني: في الكذب مجازاً، نَحو قوله ﷻ: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[8]، أما مطلق الخَلْق فلا يُستعمل في غير الله ﷻ الّذِي أوْجَدَ الأشْياءَ جَمِيعَها بعدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً، قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[9].

---

(1) ينظر: التهذيب، واللسان، والتاج/ خلق.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة/ خ ل ق.

(3) التهذيب/ خلق.

(4) البيت من الكامل، وهو لزُهَير بن أبي سُلمى يمدح رجلا فَيَقُول لَهُ: أَنْت إِذا قدَّرْتَ أمرا قطعتَه وأمضيتَه، وغيرُك يقدِّر مَا لاَ يقطعُه، لأَنَّهُ غير ماضي العَزم، وَأَنت مَضَّاءٌ على مَا عزمتَ عَلَيْهِ. ديوانه: 94.

(5) ينظر: المعجم الاشتقاقي/ خلق.

(6) ينظر: التهذيب، والمعجم الاشتقاقي/ خلق. وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصْلُ الخَلْقِ: التَّقْدِير، فهُوَ باعْتِبار مَا مِنْهُ وجودُها مُقَدِّرٌ، وبالاعْتِبارِ للإيجادِ على وَفْقِ التقْدِيرِ خالِقٌ». التهذيب، واللسان، والتاج/ خلق.

(7) المفردات/ خلق.

(8) سورة العنكبوت، الآية: 17.

(9) سورة الأعراف، الآية: 54.

ب. مفهوم الضميمة:

وردت هذه الضميمة مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في الآية الثالثة من سورة الملك، وهي قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾[1].

هذه الآية الكريمة تدخل في قلب القضية العامة التي تعالجها السور المكية عامة، وسورة الملك خاصة، حيث تبعث حركة التأمل والاستغراق في جَمال خلق الله ﷻ وكماله، وما وراء ذلك من حركات وأهداف، فتُوَجِّهُ النظرَ إلى خلق الله ﷻ في السماوات بصفة خاصة، وفي كل ما خلق بصفة عامة، وذلك بأسلوب التحدي الذي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق. وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرآن الكريم أن يثيرها؛ فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾.

ويُرادُ مِن قوله: ﴿خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ السَّماواتُ، والمَعْنى: ما تَرى في السَّماواتِ مِن تَفاوُتٍ، ويَجُوزُ أن يكونَ (خَلقُ) مَصْدَرًا فَيَشْمَلُ خَلْقَ السَّماواتِ وخَلْقَ غَيْرِها، أي: جَميع المخلوقات[2].

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ صِفَةٌ أُخْرَى لِلسَّمَوَاتِ وَالتَّقْدِيرُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِيهِنَّ مِنْ تَفَاوُتٍ، إلا أَنَّهُ وَضَعَ مَكَانَ الضَّمِيرِ قَولَهُ: ﴿خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ تَعْظِيمًا لِخَلْقِهِنَّ، وَتَنْبِيهًا عَلَى سَبَبِ سَلامَتِهِنَّ مِنَ التَّفَاوُتِ، وَهُوَ أَنَّهُ خَلْقُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّهُ بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مِثْلَ ذَلِكَ الخَلْقِ المُتَنَاسِبِ»[3].

وذكر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن في التَّعْبِير باسم (الرَّحْمَنِ) دُونَ اسْمِ (الله) إيماءٌ إلى أنَّ هَذا النِّظامَ مِمّا اقْتَضَتْهُ رَحْمَتُهُ بالنّاسِ لِتَجْرِيَ أُمُورُهم عَلى حالَةٍ تُلائِمُ نِظامَ عَيْشِهِمْ؛ لأَنَّهُ لَوْ كانَ فِيما خَلَقَ اللهُ تَفاوُتٌ لَكانَ ذَلِكَ التَّفاوُتُ سَبَبًا لاخْتِلالِ النِّظامِ فَيَتَعَرَّضُ النّاسُ بِذَلِكَ لأهْوالٍ ومَشاقٍّ... وأيْضًا في ذَلِكَ الوَصْفِ تَوَرُّكٌ عَلى المُشْرِكِينَ إذْ أنْكَرُوا اسْمَهُ تَعالى الرَّحْمنِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[4]؟ وفُرِّعَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ إلْخَ. والتَّفْرِيعُ لِلتَّسَبُّبِ، أي: انْتِفاءُ رُؤْيَةِ التَّفاوُتِ، جُعِلَ سَبَبًا لِلأمْرِ بِالنَّظَرِ لِيَكُونَ نَفْيُ التَّفاوُتِ مَعْلُومًا عَنْ يَقِينٍ دُونَ تَقْلِيدٍ لِلمُخْبِرِ[5].

(1) سورة الملك، الآية: 3.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 29/ 17، والوجيز للواحدي: 1116، والكشاف: 4/ 576، والمحرر الوجيز: 5/ 338.

(3) مفاتيح الغيب: 30/ 582. وينظر: إرشاد العقل السليم: 9/ 3، والكشاف: 4/ 576.

(4) سورة الفرقان، الآية: 60.

(5) التحرير والتنوير: 29/ 17.

4. عِبَـادُ ٱلرَّحْمَٰنِ

أ. مفهوم العباد:

العِبَادُ: جمع عَابِد وعَبْد[1]، وهُو فاعل من عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، فهو عَابِدٌ وعَبْدٌ ومفعوله مَعْبُودٌ. ومداره في اللغة على الخُضوع والتذلُّل[2]، يُقال: عَبَدَ اللهَ: انقادَ وخضَع وذلَّ له، وحَّدَهُ وأطاعَهُ، والتزمَ شرائعَ دينه، وأدَّى فرائِضَه، فالله ﷻ هو المعبود بحقٍّ، وطاعته وتوحيده هي العبادةُ[3]. وَتَعَبَّدَ فُلانٌ فُلانًا، أَي: اتَّخذَه عَبْداً، مِثْلُ عَبَّدَه: صَيَّرَهُ كَالعَبْدِ لَهُ وَإِن كَانَ حُرًّا. ومنه قَول الشاعر:

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أُرَى وَنِمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِعُ[4].

ونقل ابنُ منظور عن الأَزهري قوله: اجْتَمَعَ العَامَّةُ على تَفْرِقَةِ مَا بَيْنَ عِباد الله والمَمَالِيكِ فقَالُوا: هَذَا عَبْدٌ مِن عِباد الله، وهؤُلاء عَبيدٌ مَمَالِيكُ. ولا يُقَالُ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبادةً إلا لِمَنْ يَعْبُد الله، وَمَنْ عَبَدَ دُونَهُ إِلَهاً فَهُوَ مِن الخَاسِرِينَ. وأَما عَبْدٌ خَدَمَ مَوْلاهُ فَلا يُقَالُ عَبَدَه. قَالَ اللَّيْثُ: وَيُقَالُ للمُشْرِكِينَ هُم عَبَدَةُ الطَّاغُوتِ، ويُقَالُ لِلمُسْلِمِينَ عِبادُ الله؛ يَعْبُدُونَ الله. وَالعَابِدُ: المُوَحِّدُ المطيع[5]. والعبد يقال على أَضرب: الأَوّل: العبد المَملوك. والثانى: العبد بالإِيجاد. والثالث: العبد بالعِبادةِ والخِدمة، وهو المؤمن المطيع. والرابع: عبد الدنيا وأَعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها.

ويتبين ممَّا سبق أن العبد مأخوذٌ حسيًّا من التذليل والرخاوة، أي إذهاب الخشونة والصلابة، ومِنْهُ طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مُذَلَّلاً ومُمَهَّداً بِكَثْرَةِ الوطءِ. فإذا كانت العبادةُ هِي الطاعة مع الخُضُوعِ، وكان العَابِدُ هُو الخَاضِعُ لِرَبِّهِ المُسْتَسْلِمُ المُنْقاد لأَمره، فإن العباد هم المطيعون الخاضعون لربِّهم ﷻ.

---

(1) وقيل: العبد أعم من العابد لذا يُمكن القول: عبد زيدٍ، ولا يقال: عابده. فقال بعضهم: عباد الله، وعبيد الناس؛ ففرقوهُما في الجمع. وقال الراغب ما ملخصه: وجَمع العبد الذي هو مسترق عبيد، وجَمع العبد الذي هو العابد عباد. فالعَبيدُ إذا أضيف إلى الله أعمّ من العِبَادِ. ولهذا قال ﷻ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: 29]، فنبَّه أنه لا يظلم من يختصُّ بِعِبَادَتِهِ، وحتى من انتسب إلى غيره؛ كالّذين تسمُّوا بِعَبْدِ الشمس وعَبْدِ اللات ونَحو ذلك. المفردات/ عبد.

(2) المقاييس، واللسان، والصحاح/ عبد.

(3) والعبادة على ضربين ذكرهُما الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عِبَادَة بالتسخير، وهو الذي يكون عابدًا بشهادة حاله وإن تأبى في الصورة، كقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ۝١٥﴾ [الرعد: 15]. ونوع بالاختيار وهي العبادة التي أمر الله بها الخلق وكلفهم بها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]. عمدة الحفاظ/ عبد. وقيل: العِبَادَةُ أبلغُ من العُبُودِيَّة، لأنَّها غاية إظهار التَّذلُّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ولِهذا قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ [هود: 25- 26].

(4) البيت من الطويل، وقيل إنه لتُبَّع. ينظر: اللسان/ عبد، والكشاف: 37/4، وروح المعاني 81/27.

(5) المقاييس، واللسان، والمعجم الاشتقاقي/ عبد.

ب. مفهوم الضميمة:

وردت ضميمة (عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ) في القرآن الكريم في آيتين مكيتين، الأولى وردت في قول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1]. والثانية في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[2].

جاءت الآية الأولى في كلامٍ مستأنَفٍ مسوقٍ لبيان أوصاف عباد الله الصالحين وأحوالِهم الدنيوية والأخروية بعد بيان قبائِحِ المنافقين وفضائِحِ سِيرتِهم. فجاء تسميتهم (بعِبادِ ٱلرَّحْمَٰنِ)، أي: عباده المقبولون؛ وهم جَمِيعُ المُؤْمِنِين المُتَّصِفِين بِمَضْمُونِ المَوْصُولات والصِّلاتِ التي جاءت بعده[3].

قال عبد الرَّحْمَن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبوديَّةُ لله نوعان: عبوديَّةٌ لربوبيَّته؛ فهذه يشترك فيها سائر الخلق: مسلمهم وكافرهم، برُّهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبَّرون: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[4]، وعبوديَّةٌ لألوهيَّته وعبادته ورَحْمَتِه، وهي عبوديَّةُ أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا، ولِهذا أضافها إلى اسْمِه (ٱلرَّحْمَٰنِ) إشارةً إلى أنَّهم إنَّما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رَحْمَتِه، فذكر أن صفاتِهم أكمل الصفات ونعوتَهم أفضل النعوت»[5]. وقال صديق خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: هَذِهِ الإِضَافَةُ لِلتَّخْصِيصِ والتَّشْرِيفِ وَالتَّفْضِيلِ، وإلا فَالخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللهِ»[6].

وأشار ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن إضافةَ (عِبَاد) إلى (ٱلرَّحْمَٰنِ) إشارةٌ إلى أن هذه العبودية التي اتصفوا بِها من آثار رَحْمَةِ الله، وأن الله تعالى رَحِمَهم حتى صاروا عباداً له. وفي الإضافة أيضًا معنى آخر، وهو أنَّهم عبادٌ يتعبدون لله لرجاء رَحْمَتِه، لا يتعبدون رياء ولا سمعة. فالإضافة إذن ذات شقين؛ أحدهُما: أن عبادتَهم لله كانت من مقتضيات رَحْمَتِه، والثاني: أنهم يرجون بهذه العبادة رَحْمَة ربِّهم، لا يرجون بذلك دنيا ولا دفع مذمة عنهم، وإنَّما يرجون بِهذا رَحْمَة الله[7].

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 63.

(2) سورة الزخرف، الآية: 19.

(3) وهذه الصِّلات الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلى (عِبادِ الرَّحْمَنِ) جاءَت عَلى أرْبَعَةِ أقْسامٍ عدَّدها العلامة الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي: الأول: قِسْمٌ هو مِنَ التَّحَلِّي بِالكِمالاتِ الدِّينِيَّةِ. والثاني: قِسْمٌ هو مِنَ التَّخَلِّي عَنْ ضَلالاتِ أهْلِ الشِّرْكِ. والثالث: قِسْمٌ هو مِنَ الاسْتِقامَةِ عَلى شَرائِعِ الإسْلامِ. والرابع: قِسْمٌ مِن تَطَلُّبِ الزِّيادَةِ مِن صَلاحِ الحالِ في هَذِهِ الحَياةِ. [التحرير والتنوير: 19/ 67].

(4) سورة مريم، الآية: 93.

(5) تيسير الكريم الرحمن: 586.

(6) فتح البيان: 9/ 344. وينظر: معالِم التنْزيل: 6/ 93.

(7) تفسير الجلالين: 478.

وجاءت الآية الثانية في معرض الكلام عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله ﷻ ولداً، وهو الواحد الأحد، الذي لَم يتخذ صاحبة ولا ولدا، والتَّنْبيهُ عَلى قِلَّةِ وسَخافَةِ عُقُولِهم؛ فأخبر الحقُّ ﷻ أن ذلك باطل من عدة أوجه، ومنها: أنَّهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، فردَّ ﷻ عليهم وأظهر تناقضاتِهم بأنَّهم لَم يشهدوا خلق الله ﷻ لملائكته عليهم السلام ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، فكيف يتجرأون على ملائكة الله ويجعَلُونَهم إِنَاثًا؟! ولكن ستُكْتَبُ عليهم شهادتُهم ويُسألون عنها.

ويتبين من خلال التأمل في الآية، أن إضافَةَ لفظ (عِبَاد) إلى اسْمِ الرَّحْمَنِ تُفِيدُ التَشْرِيفَ، والعُبُودِيَّة تفيد تعميم العُبُودِيَّة لكَافَّةِ المخلوقين. واحتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر[1]، بأن الضمير «هُمْ» في قوله: ﴿هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يوجب الحصر. والمعنى أنَّ الملائكة عليهم السلام هم الموصوفون بالعبودية لا غيرهم؛ فوجب ذلك كونَهم أفضل من غيرهم، رعايةً للفظ الدَّالِّ على الحَصْرِ.

قال الرازي رحمه الله: «فقولُه ﴿هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يُفِيدُ حَصْرَ العُبُودِيَّةِ فِيهِم، فإذا كانَ اللَّفْظُ الدّالُّ عَلى العُبُودِيَّةِ دالاً على الفَضْلِ والشَّرَفِ، كانَ اللَّفْظُ الدّالُّ على حَصْرِ العُبُودِيَّةِ دالاً على حَصْرِ الفَضْلِ والمَنقَبَةِ والشَّرَفِ فِيهِم، وذَلِكَ يُوجِبُ كَوْنَهم أفْضَلَ مِن غَيْرِهِم، واللهُ أعْلَمُ»[2].

فيُفهم من كلام الرازي أن الملائكة هم أكرم عبادِ الله على الله ﷻ! والظاهر من مقال الآية أن (عباد الرَّحْمَنِ) يُفيد مَخلوقاته الذين أتَمُّوا العبودية على الوجه الأكمل، سواءٌ أكانوا من المَلائكة أم من الجنِّ أم من الإنس، يعني: المؤمنين من جميع المخلوقين الذين أخلصوا عبادتَهم لله ﷻ وحده.

وصفوة القول، إن عِبَادَ ٱلرَّحۡمَٰنِ: هم العبادُ الذين شَرُفُوا بالانتساب إلى الله ﷻ باسْمِه (ٱلرَّحۡمَٰنِ) إشعاراً بأنَّهم أهلٌ لرحمته ورضوانه ﷻ، وأنَّهم استحقوا الفوز بالدرجات العلى في الجنة.

---

(1) ذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة إلى تفضيل الملائكة، وهو اختيار أبي بكر الباقلاني، وأبي عبد الله الحليمي ومن سار على نَهجهم. أما ما ورد عند علماء السنة فبعض البشر أكرم عند الله من بعض الملائكة. قال القَسْطَلاَّني رحمه الله: «واختلف: هل البشر أفضل من الملائكة؟ فقال جُمهور أهل السنة والجماعة: خواص بني آدم، وهم الأنبياء، أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحَملة العرش، والمقربون والكروبيون والروحانيون. وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة. فالمسجود له أفضل من الساجد، فإذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام، فعوام الملائكة خدم عمال الخير، والمخدوم له فضل على الخادم، ولأن المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل، مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى لا سبيل للشيطان عليهم». المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: 2/ 515.

(2) مفاتيح الغيب: 27/ 625.

المسلك الثاني: الضمائم الوصفية:

1. **ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ**

وردت هذه الضميمة الوصفية ست مرات في القرآن الكريم: مرتين في سورة الفاتحة، ومرةً في كل من سورة البقرة والنمل وفصلت والحشر. ووردت اثنتي عشرة مرة في الحديث الشريف.

شكل الورود	في القرآن	في الحديث	المجموع
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	2	9	11
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾	2	2	4
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾	2	1	3

ولبيان دلالة هذه الضميمة يتعين الوقوف على النقط الآتية:

أ. في دلالة اقتران ٱلرَّحْمَٰن وٱلرَّحِيم:

أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى وجه اقتران اللفظين، وهو أن صيغة فعلان تُمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى، أما صيغة فعيل فهي تدل على الثبوت؛ فلا يقال خطيب لِمن ألقى خطبة واحدة وإنَّما يُقال لِمن يُمارس الخطابة، وكذلك الفقيه. ولذلك جاء ﷻ بصفتين تدلاَّن على التجدد والثبوت معاً؛ فلو قال (الرَّحْمَن) فقط، لتوهم السامع أن هذه الصفة طارئة؛ قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان، والغضب من الغضبان وغيره. ولو قال (الرَّحِيمُ) وحدها لفُهِمَ منها أن صفة الرَّحِيم مع أنَّها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام، وإنَّما قد تنفك. مثلا عندما يقال فلان كريم فهذا لا يعني أنه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة إنَّما الصفة الغالبة عليه هي الكرم. وجاء سبحانه بالصفتين مُجتمعتين ليدل على أن صفته الثابتة والمتجددة هي الرَّحْمَة، ويدل على أن رَحْمَتَه لا تنقطع البتة[1].

هذه اللمسة البيانية قد أنبأت عن فرق بين معنى (ٱلرَّحْمَٰنِ وٱلرَّحِيمِ)، أي: لكلٍّ من اللفظين معنىً ينفرد به عن الآخر، بيد أن اختلاف معناهُما لا ينفي التلازم والترابط الوثيق الدائم بينهما. وبِهذا المَفهوم، لا يُستَغنى بأحَدِ اللَّفظَينِ عن الآخرِ، ولا يكونُ الثاني مُؤَكِّدًا أو مرادفاً لِلأوَّلِ[2]. فما الفرق بين ٱلرَّحْمَٰن وٱلرَّحِيم؟

(1) ينظر: لَمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 16.

(2) ذهب الجوهريُّ إلى أن الرحمن والرحيم: بمَعْنًى واحِدٍ، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد. ينظر: الصحاح/رحم. ومعلوم أنه ليس في القُرْآنِ الكريم كَلِمَةٌ أو حَرْفٌ جاءَت لِتَأْكِيدِ غَيْرِها، ولا مَعْنىً مَقْصُود لها في نَفْسِها.

ب. في الفرق بين معنى ٱلرَّحْمَن وٱلرَّحِيم:

إن الألفاظ القرآنية ذات دلالات معنوية خاصة بِها، وإن اقتربت في المباني، واشتركت في أصل اشتقاقها، فإن المعاني تختلف بالزيادة تارة، أو بدخول أفراد من معانٍ أخرى تحت معناها تارة أخرى، وكما قال أهل اللغة : إن الزيادة في المبني تؤدى إلي الزيادة في المعني، وكما قال أهل العلم: إن اللفظ القرآني يأتي للتأسيس لا للتأكيد. ومن هذا المنطلق، فإن لكلا اللفظين معناه الخاص، ومدلوله الذي ينفرد به عن الآخر. وقد أشار إليه أهل العلم في مصنفاتِهم، وبنوا التفريق بين اللفظين الكريمين على أساسين: أولهما: في دلالتهما الوصفية، ويُقصد بِها كون اللفظ يدل على صفة ذاتية أو صفة فعلية. والثاني: في متعلق اللفظ، ونقصد بِذلك ظهور أثره في الخلق والأمر. وعلى هذا الأساس نبَّه الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنَّ المعنى الذي في الرَّحْمَنِ، دون الذي في الرَّحِيمِ، وذلك أن الله ﷻ «بالتسمية بالرَّحْمَنِ موصوفٌ بعمومِ الرَّحْمَة جَميعَ خلقه، وأنه بالتسمية بالرَّحِيمِ موصوفٌ بِخصوص الرَّحمَة بعضَ خلقه، إما في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال»[1].

هذا، وقد كثرت أقوال المفسرين في الفرق بين هذين الوصفين، والذي يراه المحققون من العلماء: أن الرَّحْمنِ هو المنعم على جميع الخلق. وأن الرَّحِيمِ هو المنعم على المؤمنين خاصة. ويرى آخرون أن الرَّحْمنِ هو المنعم بجلائل النعم، وأن الرَّحِيمِ هو المنعم بدقائقها. ويرى فريقٌ آخر أن الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم، والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين.

ويقول غيرُهم: إن الرَّحْمَن صفةٌ ذاتيةٌ هي مصدر الرَّحْمَة والإحسان. والرَّحِيمِ صفة فعل تدل على وصول الرَّحْمَة والإحسان وتعديهما إلى المنعم عليه[2]. ولعل مما يؤيد ذلك أن لفظ الرَّحْمَن لَم يُذكر في القرآن إلا مُجرى عليه الصفات، كما هو الشأن في أسْماء الذات. قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾[4]. أما لفظ الرحيم فقد كثر في القرآن استعماله وصفاً فعليًّا، وجاء في الغالب بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه. كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾[5]، وغيره. فما وجه تقديم ٱلرَّحْمَن على ٱلرَّحِيم؟

---

(1) جامع البيان: 1/ 128.

(2) ينظر: محاسن التأويل: 1/ 225، والتفسير الوسيط لطنطاوي: 1/ 16، والتفسير الحديث: 1/ 285.

(3) سورة طه، الآية: 5.

(4) سورة الرحمن، الآية: 1- 2.

(5) سورة البقرة، الآية: 143.

ج. في تقديم ٱلرَّحْمَن على ٱلرَّحِيم:

ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن من شأن العرب، إذا أرادوا الخبر عن مُخبَر عنه، أن يُقدِّموا اسْمَه، ثُم يُتبعوه صفاتِه ونعوتَه. وهذا هو الواجب في الحُكم؛ أن يكون الاسم مقدَّمًا قبل نعته وصِفَته، لِيَعْلَمَ السامعُ الخبرَ، عمَّن الخبرُ. فلما كانَ لله ﷻ أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بِها، وذلك: كاسم الجلالة الله والرَّحْمَنِ والخالق؛ وأسْماءٌ أباحَ لَهم أن يُسمِّيَ بعضُهم بعضاً بِها، وذلك: كالرَّحِيمِ والعَلِيم والحَلِيم، كان الواجب أن تُقدَّم أسْماؤُه التي هي له خاصةً دون جَميع خلقه، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحَمْد والتمجيدُ، ثُمَّ يُتبع ذلك بأسْمَائه التي قد تسمى بِها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني. فبدأ الله ﷻ باسْمِه (الله)، لأن الألوهية ليست لغيره ﷻ من وجهٍ من الوجوه، لا من جهة التسمِّي به، ولا من جهة المعنى. ثُمَّ ثنَّى باسْمِه (ٱلرَّحْمَنُ)، الذي مَنع خلقَهُ أيضًا التسمي به، لأنه يتضمَّن معنى الألوهية والربوبية. وأما (الرَّحِيم) فيجوز وصف غير الله ﷻ به، فكان واقعًا مواقع نعوت الأسْماء اللواتي هنَّ توابعُها، بعد تقدم الأسْماء عليها[1].

يتبين مِمَّا سبق أن وجه تقديم ٱلرَّحْمَن على ٱلرَّحِيم هو أن الأول اسم لله اختص به ﷻ، بينما الثاني صفة له ﷻ، ويَجوز أن يوصف بِها غيره. لذا اقتضى النظم الجليل تقديم الاسم على الصفة. وعند إمعان النظر فيما سبق من المعاني والدلالات تبين أن تقديم ٱلرَّحْمَن على ٱلرَّحِيم من تقديم العام على الخاص.

اتضح مِمَّا سلف أن (الرَّحْمَن) اسْمٌ لله ﷻ فيه مَعنى المُبالَغَةِ، ويَدُلُّ في الاستِعمالِ اللُّغَوِي عَلى الصِّفاتِ العارِضَةِ، كَعَطشانَ وغَضبانَ، ويَدُلُّ في الاصطلاح عَلى مَن تَصدُرُ عَنهُ آثارُ الرَّحْمَةِ بِالفِعلِ؛ وهي إفاضَةُ النِّعَمِ والإحْسانِ. وأمّا (الرَّحِيم) فَإنَّهُ يَدُلُّ في الاستِعمالِ اللغوي عَلى المَعاني الثّابِتَةِ كالأخلاقِ والسَّجايا، نَحو عَلِيم وحَلِيم؛ واصطلاحاً يَدُلُّ عَلى مَنشَأِ الرَّحْمَةِ والإحسانِ، ويدلُّ عَلى أنَّها مِنَ الصِّفاتِ الثّابِتَةِ الواجِبَةِ. فلما كانت صيغة (فعلان) تدل على الصفة العارضة، ولا تدل على الدائمة، احتيج إلى صيغة أخرى تدل على الصفة الثابتة الدائمة وهي صيغة (فعيل)؛ فيدلَّ على أن ضميمة (الرَّحْمَن الرَّحِيم) تَدُلُّ على أنه ﷻ ذُو الرَّحْمَةِ الثابِتَةِ الواجِبَةِ الواسعة الشاملة المطلقة، المُفِيضُ على خلقه لجلائل النِّعَمِ والإحْسانِ؛ الظاهرة والباطنة، الدنيوية والأخروية.

(1) ينظر: جامع البيان: 1/ 132.

2. ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْمُسْتَعَانُ

أ. مفهوم الْمُسْتَعَانُ:

أولاً: المعنى اللغوي:

الْمُسْتَعَانُ: اسم مفعول من الاستعانة، وهو مصدر اسْتَعَانَ يَسْتَعِينُ اسْتِعَانَةً، فهو مُسْتَعِينٌ، والمفعول مُسْتَعَانٌ. وهو مشتق من العون، بمعنى المعاونة والمظاهرة على الشيء، يقال: فلان عوني، أي: معيني؛ وقد أعنته إعانةً، واستعنتُه واستعنتُ به فأعانني. والاستعانة: طلب العون. يُقال: استعان صديقَه، أو استعان بصديقه: طلب منه المساعدةَ والعَوْنَ والنُّصرةَ؛ فالصديق مستعان[1]. فالْمُسْتَعانُ إذن: هو العَوْلُ، أي: الذي يُطلب منه العون والمدد، ويُعوَّلُ بِهِ وَعَلِيهِ في الْمُهِمَّاتِ[2]. ومنه قول أمية بن أبي عائذ:

هُوَ الْمُسْتَعانُ عَلَى ما أَتَى مِنَ النائِباتِ بِعافٍ وعالِي[3].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

لَم تَخرج الْمُسْتَعَانُ في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي له، فالْمُسْتَعَانُ في الاصطلاح: الذي يُطلَبُ مِنه العون والقوة، فهو المعين، والمِعْوان: كثيرُ العونِ لغيره؛ وهو وصفٌ ذاتي لله ﷻ؛ راجعٌ إلى صفةِ القوة. وفيه معنى الإضافة الخاصة؛ لِمَن استعانه من عباده على طاعته[4]. فالله ﷻ هو (المستعانُ) الذي يُطلب منه العون والقوة؛ على فعل الطاعات؛ وترك المحرمات، وجلب المنافع ودفع المضرات. فهو جَلَّوَعَلَا يُعين عباده؛ ولا يَسْتعين بأحدٍ منهم، لا في الأرض ولا في السموات.

ثالثا: في الاستعمال القرآني:

استُعمل (المستعانُ) في القرآن الكريم مرتين: مرةً وصفاً لاسم الجلالة (الله)، في قوله ﷻ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[5]، ومرةً وصفاً لاسمه ﷻ (الرَّحْمَن)، وذلك في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾[6]. ويعني فيهما بالمعنى الاصطلاحي.

(1) ينظر: المختار، واللسان، والتاج، المعجم الوسيط، ومعجم اللغة العربية المعاصرة/ عون.

(2) المحكم، والتاج/ عول.

(3) ينظر: الجيم، والمحكم، واللسان/ عول.

(4) ينظر: بحرالعلوم: 446/2، والبحر المحيط: 251/6، ونظم الدرر: 32/10، والسراج المنير: 97/2، وروح المعاني: 393/6.

(5) سورة يوسف، الآية: 18.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 112.

ب. مفهوم الضميمة:

ورد هذه الضميمة الوصفية مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ حِكايَةً لِدُعاءِ نبيه مُحمد ﷺ حين يتوجه إلى ربه الرَّحْمَن طالباً منه حكمَه الحق بينه وبين المستهزئين الغافلين، ويستعينه على كيدهم وتكذيبهم: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾[1].

والمتأمل في الآية الكريمة يفهم أن الضمير في ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ للنبي ﷺ، وتقييد الحكم هنا بالحق توضيحي؛ لأن حكم الله لا يكون إلا حقًّا فكأنه قيل: رب احكم بحكمك الحق. ثم التفت ﷺ إليهم وقال: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، وكأنه يشير به إلى سبب إعراضه عنهم، ورجوعه إلى الله ﷻ، وسؤاله برَحْمَتِه أن يَحكم بالحق؛ فهو ﷻ ربه وربُّهم جَميعاً، فله أن يَحكم بين مربوبيه، وهو كثير الرَّحْمَة، لا يَخيب سائلُه المنيبُ إليه. لذا استعان ﷺ به ﷻ على كذبِهم ونعتهم دينَهم بِما ليس فيه وطعنهم في الدين الحق بِما هو بريء من ذلك[2].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الرَّحْمَن) عَطْفُ بَيَانٍ مِنْ (رَبُّنَا)، لأَنَّ المُرَادَ بِهِ هُنَا الاسمُ لا الوَصفُ، تَوَرُّكًا على المُشْرِكِينَ، لأَنَّهُم أَنكَرُوا اسم (الرَّحْمَن): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا﴾[3]. والتَّعريفُ في ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ لإفادَةِ القَصرِ، أَي: لا أَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ على مَا تَصِفُونَ، إِذ لا يَنْصُرُنَا غَيْرُ رَبِّنَا وَهُوَ نَاظِرٌ إلى قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[4]»[5].

يُفهم مِمَّا سبق أن وجه اقتران ٱلرَّحْمَن وٱلْمُسْتَعَان هو كون الرَّحْمَن اسم لذات الله ﷻ، والمُسْتَعانُ صفة له ﷻ؛ فجيء بالاسم الجليل مقترناً بصفته جَلَّوَعَلَا، قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجُوِّزَ كَوْنُهُ صِفَةً لِلرَّحْمَنِ بناءً عَلى إجْرائِهِ مُجْرى العَلَمِ»[6]. وبناء عليه، قُدِّم ٱلرَّحْمَنُ على ٱلْمُسْتَعَان.

وصفوة القول: إن ضميمة (ٱلرَّحْمَن ٱلْمُسْتَعَان) تدل على أن الله ﷻ هو الذي تَصدُرُ عَنهُ آثارُ الرَّحْمَةِ التي بِها يُدفع عن العبد كلُّ شرٍّ، ويُجلب له كلُّ خيرٍ، وبه ﷻ يستعان على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب، فهو الذي يوجد منه العون والنصر والرَّحْمَة وحده بلا شريك.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 112.

(2) ينظر: جامع البيان: 18/ 555، ونظم الدرر: 12/ 515.

(3) سورة الفرقَان، الآية: 60.

(4) سورة الفَاتِحَة، الآية: 5.

(5) التحرير والتنوير: 17/ 176.

(6) روح المعاني: 9/ 102.

المبحث الثاني
الرَّحِيمُ

۞ المطلب الأول: تعريفه

المسلك الأول: في اللغة:

ٱلرَّحِيمُ: صفةٌ مشبهةٌ باسم الفاعل «رَاحِم»، على وزن [فعيل] الدال على ثبوت الصفة لصاحبها ثبوتاً زمنيًّا عامًّا، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، وعلى دوام ذلك الثبوت أو ما يشبه الدوام[1]؛ «دوامٌ يقتضي أنَّ ثبوت الصفة لصاحبها ليس أمراً حادثاً الآن، ولا طارئاً ينقضي بعد زمن يسير، وإنَّما هو أمرٌ دائم ملازمٌ لصاحبه طول حياته أو أطول مدة فيها، حتى يكاد يكون بمنزلة الدائم»[2]. وبذلك يكون معنى الرَّحيم حسب الموصوف به؛ فإن كان الرحيم من البشر المجبول بالنقص، كان لزوم الصفة له ناقصاً، فلا يكون لزوما دائماً، باعتبار مدة حياته المنقطعة. لكن إذا كان الرحيم هو الله ﷻ ذو الجلال والكمال، تكون ملازمة الصفة حينئذٍ كاملة دائمة.

فالرَّحِيمُ في اللغة: اسم يدل على ثبوت ودوام صفة الرَّحْمَة في الراحم، وجَمعُه رُحَمَاء، وهذه القاعدة جارية على بعض أسْماء الله الحسنى، مثل: الحفيظ من حافظ، والعليم من عالِم ...

المسلك الثاني: في الاصطلاح العام:

قال أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرحيم: هُوَ الرفيق للمُؤْمِنين خَاصَّة؛ يستر عَلَيْهِم ذنوبَهم في العاجل، ويرْحَمُهم في الآجل»[3]. يُفهم من هذا التعريف أن الرحيم يدل على رَحْمَةٍ خاصة كتَبَها الله ﷻ للمؤمنين المتَّقينَ المتَّبعينَ لأنبيائِه ورُسُلِه، وذلك بالهداية في الدنيا، والأجر في الآخرة.

قال الزَّجَّاجُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرحيم خَاص في رَحْمته لِعِبَادِهِ المُؤمنينَ بِأَن هدَاهُم إِلى الإِيمَان وهُو يثيبهم في الآخِرَة الثَّوَاب الدَّائِم الَّذِي لا يَنْقَطِع»[4]. فهؤلاء لَهم الرَّحْمةُ المطلقة، حيث إنَّهم يشتركون مع كل المخلوقات في الرَّحمَة العامة، ويَحظون برَحمَةٍ خاصةٍ، لا ينالُها غيرُهم من الخلق.

---

(1) المحكم، والصحاح، واللسان، والتاج/ رحم.

(2) النحو الوافي: 3/ 284.

(3) الكليات: 467.

(4) تفسير أسماء الله الحسنى: 28.

المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي:

أ. مواردُه:

ورد مشتقُ (ٱلرَّحِيمُ) في القرآن الكريم في ست عشرة ومائة مرة؛ ضمن ست عشرة ومائة (116) آية، مفرقة في اثنتين وأربعين (42) سورة[1]؛ خَمس وعشرون سورة مكية، تضمنت ثماني وأربعين (48) آية، وسبع عشرة (17) سورة مدنية، تضمنت ثماني وستين (68) آية. وقد ورد اللفظ الكريم معرفا بالألف واللام في خمسة وثلاثين موضعا، وفي إحدى وثمانين موضعاً ورد نكرة. أما في الحديث الشريف فقد ورد في ثلاثة وعشرين موضع، ضمن اثني عشر حديثا، مفرقة في الكتب التسعة، تسع عشرة مرة معرفا بالألف واللام، وأربع مرات نكرة.

وللإشارة، فإن اللفظ الكريم قد ورد في أغلب النصوص مقترنا بصفات جليلة أخرى، تتوزع على النحو الآتي:

* الرَّحْمَن الرحيم (بالتعريف) ست مرات في القرآن الكريم، واثنتا عشرة مرة في الحديث.
* غفور رحيم (بالتنكير) أربع وستون مرة في القرآن الكريم.
* الغفور الرحيم (بالتعريف) ثَماني مرات في القرآن الكريم، ومرتان في الحديث الشريف.
* توابٌ رحيم (بالتنكير) ثلاث مرات في القرآن الكريم.
* التواب الرحيم (بالتعريف) ست مرات في القرآن الكريم، ومرتان في الحديث الشريف.
* العزيز الرحيم (بالتعريف) ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم.
* رؤف رحيم (بالتنكير) تسع مرات في القرآن الكريم.
* البر الرحيم (بالتعريف) مرة واحدة
* رب رحيم (بالتنكير) مرة واحدة
* رحيم ودود (بالتنكير) مرة واحدة

(1) وهي: 12 مرة في البقرة. و11 مرة في النساء. و9 مرات في: التوبة، والشعراء. و6 مرات في: النحل، والأحزاب. و5 مرات في: المائدة، والنور. و3 مرات في كل من: آل عمران، والأنعام، والحجرات. ومرتان في كل من: الفاتحة، والأعراف، والأنفال، ويوسف، والفرقان، والنمل، ويس، وفصلت، والفتح، والحديد، والحشر، والممتحنة. ومرة واحدة في كل من: يونس، وهود، وإبراهيم، والحجر، والإسراء، والحج، والقصص، والروم، والسجدة، وسبأ، والزمر، والشورى، والدخان، والأحقاف، والطور، والمجادلة، والتغابن، والتحريم، والمزمل.

ويَجدر الإشارة إلى أن الرحيم ورد مفردا في جُلِّ الموارد ما عدا ثلاثة مواضع ورد فيها بصيغة الجمع: مرة في القرآن الكريم (رُحَمَاءُ)، ومرتين في الحديث الشريف (الرُّحَمَاءُ ورحيمات).

ويلاحظ في هذه الموارد: أن الرحيم جاء وصفاً لذات الله ﷻ خمس وثلاثين ومائة مرة[1]، ومرة واحدة وصفا لذات النبي مُحمد ﷺ[2]، ومرة واحدة وصفا لصحابة رسول الله ﷺ[3]، ومرة وصفا للمؤمنين[4]. وفي معظم الحالات جاء الرحيم مسبوقاً بوصف آخر؛ سواءٌ أُعرب صفةً بعد صفةٍ، أو خبراً بعد خبرٍ، وقل مجيئُه سابقاً، حيث ورد مرتين فقط. ويُلاحظ أيضاً أن الرحيم ورد نكرةً أكثر من وروده معرفاً؛ إذ ورد خَمس وثَمانين مرة نكرة، وأربع وخَمسين مرة معرفاً. وهذه الملاحظات من بين المؤشرات التي توحي بأن (الرحيم) صفةٌ وليس اسْماً.

ب. مفهومه:

تين من خلال تتبع موارد (ٱلرَّحِيم)، أنه ورد بِمعاني متعدد يُمكن إجْمالُها في ثلاثة معان:

1. الرَّحِيمُ: الكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لعباده المؤمنين خاصةً في الدنيا والآخرة. أي أن الله ﷻ «قد خصَّ عباده المؤمنين في عاجل الدنيا بِما لطف بِهم من توفيقه إياهم لطاعته، والإيمان به وبرسله، واتباع أمره واجتناب معاصيه، مِمَّا خُذِل عنه من أشرك به، وكفر وخالف ما أمره به، وركب معاصيَه؛ وكان مع ذلك قد جعلَ، جَلَّ ثناؤه، ما أعد في آجل الآخرة في جناته من النعيم المقيم والفوز المبين، لمن آمن به، وصدَّق رسله، وعمل بطاعته، خالصًا، دون من أشرك وكفر به»[5].

2. الرحيم: الرفيق بالمؤمنين، ويعني: الذي يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم؛ فيعفو عن المسيء، ويصفح عن المخطئ، ويفك الأسير، ويُحسن إليه.

3. «الرَّحِيمُ: المُكْرِمُ لِمَن أرادَ مِن عِبادِهِ بِإقامَتِهِ فِيما يَرْضاهُ مِن طاعَتِهِ، ثُمَّ بِإفْضالِهِ عَلَيْهِ وإنْ قَصَّرَ في خِدْمَتِهِ»[6].

تلكم المعاني تشكل بؤرة مفهوم (الرّحِيم) في نصوص (الرَّحْمَة) من القرآن والحديث.

---

(1) كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

(2) قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128].

(3) وذلك في قوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: 29].

(4) قوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**». صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، حديث رقم: 923.

(5) جامع البيان: 1/ 128.

(6) نظم الدرر: 19/ 20، والسراج المنير: 4/ 116.

۞ المَطلَبُ الثَّاني: ضمـائمه

إن الأشكال التركيبية التي تولدت من ضم (الرحيم) إلى غيره، أو غيره إليه، هي وصفية، فلم ترد في كل نصوص (الرَّحيم) ضميمة إضافية. والجدير بالإشارة هنا أن التركيبات المكونة من اقتران المشتق (الرَّحيم) ببعض الصفات نكرة مثل (غفورٌ رحيمٌ، رءوفٌ رحيمٌ) لا تعتبر ضمائم. وعليه فإن ضمائم الرحيم هي: (ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ، وٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، وٱلعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ، وٱلبَرُّ ٱلرَّحِيمُ).

1. ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

أ. مفهوم الغَفُور:

1. في اللغة:

ٱلغَفُورُ: صيغةٌ مبالغةٌ مشتقٌّ من المغفرة، وهي مصدر من غَفَر يَغْفِر مَغْفِرَةً، فهو غَافِرٌ، وغَفُورٌ للمبالغة، وصيغة [فعول] ينبئ عن جودة الفعل، وكماله، وشُموله، فهو يعني تام المغفرة[1]؛ يعني: هو الذي يغفرُ ذنوبَ عباده مهما كثُرت، ويمحو خطاياهم مهما عظُمت؛ ويفعلُ ذلك مرةً بعد مرةٍ إلى ما لا يحصى. وهذا المعنى اللغوي لا يَختلف عن الاستعمال الاصطلاحي للفظ الغفور.

2. في الاصطلاح العام:

الغَفُورُ: من صِفَات الله جلَّ ثَنَاؤُهُ وتقدَّست أسْماؤُه، ومعناه في الاصطلاح العام ما يلي: قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغفور: كثير الْمَغْفِرَة، وَهِي صِيَانة العَبْد عَمَّا اسْتَحَقَّه من العقَاب بالتجاوز عَن ذنوبه»[2]. وقال غيره: «السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ وَعُيُوبِهِمْ، المُتَجاوِز عَن خَطَاياهُم وَذُنُوبِهِمْ»[3]، أي: الذي يكثرُ الستر منه على عباده المذنبين فيعفو عنهم ويغفر لهم ويستر عليهم. وقيل الغَفُورُ: «الذي يعفو ويصفح ويغفر الذُّنوب ويستر صاحبَها فلا يشهِّر به لا في الدُّنيا ولا في الآخرة»[4].

---

(1) العين، والمقاييس، والتهذيب، والصحاح، والمجمل، وشمس العلوم، والمختار، واللسان، والقاموس، والمصباح/ غفر.

(2) الكليات: 666.

(3) التاج/ غفر، والنهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 373. وينظر: مفهوم الأسماء والصفات: 72.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة/ غفر.

ب. مفهوم الضَّميمة:

وردت الضميمة في ثَمانية مواضع في القرآن الكريم[1]، وموضعين في الحديث الشريف[2].

ومن هذه الموارد، قوله ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾[3]. وقول النَّبيِّ ﷺ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[4].

وبعد التأمل في جَميع الموارد، سجلنا الملاحظات الآتية:

أولاً: أن التعريف في (الغفور الرحيم)، يُقصد به التخصيص والقصر، أي تخصيص الصفة لله وقصرها عليه ﷻ، ولذلك جاءت في كلِ النصوص مقترنة بضمير الفصل الذي يفيد التقوية وتأكيد القصر: ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، «**إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾...

ثانياً: اقتضى النظم أن يتقدم الغفور على الرحيم، لأن الرَّحِمَة أصل للمغفرة، وشأن العلة أن تورد بعد المعلل بِها. غير أن ثَمة آية واحدة قُدِّم فيها (الرحيم) على (الغفور)، وهى قوله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[5]. ولعل سياق الآيات يحتم سبب ذلك؛ وهو أن الفواصل الأخرى كلها كان يتقدمها ما يشعر بالذنب أو التقصير لذا قُدِّمت المغفرةُ على الرَّحْمَةِ، ولكن هذه الآية لَم يُذكرْ سوى ما يدل على رَحْمَة الله ﷻ لعباده، لذلك قُدِّمت الرَّحْمَةُ على المغفرةِ.

ثالثاً: أن الغَفُورُ يعني: البَلِيغ السَّتْرِ لِلذُّنُوبِ، والرَّحِيمُ يفيد: البالِغ في الإكْرامِ. وهذا يدل على أن الجمع بين اللفظين إشارَةٌ إلى أنَّ الإصابَةَ بِالخَيْرِ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ إلا فَضْلا مِن الله ﷻ بَعْدَ السَّتْرِ لِلذُّنُوبِ والرَّحْمَةِ لِلضَّعْفِ.

ويُفهم مِمَّا سبق أن ضميمة (الغَفُور الرَّحِيم) تدل على كمال مغفرة الله و عظمة رَحْمَتِه، فهو الغَفُورُ للتائبين من ذنوبِهم، المستغفرين لسيئاتِهم، الرَّحِيمُ بالمؤمنين المُتقِين والطائعين المخلصين.

---

(1) وهي: سورة يونس: 107، ويوسف: 98، والحجر: 49، والقصص: 16، والزمر: 53، والشورى: 5، والأحقاف: 8.

(2) وهي: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم: 6326، وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، حديث رقم: 3202.

(3) سورة الشورى، الآية: 5.

(4) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم: 6326.

(5) سورة سبأ، الآية: 2.

2. ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

أ. مفهوم التَّوَّاب:

1. في اللغة:

التَّوَّابُ: صيغةٌ مبالغةٌ مشتقٌّ من التَّوْبَةِ، وهي مصدر تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا وتَوْبَةً، فهو تَوَّابٌ[1]. ومداره في اللُّغَةِ على الرُّجُوعِ عن الشَّيءِ إلي غيره، وهو مأخوذٌ حسيًّا من الإقلاع[2]؛ يقول البيضاوي: «وأصْلُ التَّوْبَةِ: الرُّجُوعُ، فَإذا وُصِفَ بِها العَبْدُ كانَ رُجُوعًا عَنِ المَعْصِيَةِ، وإذا وُصِفَ بِها البارِي تَعالى أُرِيدَ بِها الرُّجُوعُ عَنِ العُقُوبَةِ إلى المَغْفِرَةِ»[3]. وقيل: التَّوبَةُ أَبْلَغُ وجوه الاعْتِذَارِ[4].

والتَّوَّابُ يُقالُ لباذل التَّوْبَةِ ولقابِل التَّوْبَةِ؛ فالعبدُ تَوَّابٌ إلى الله ﷻ، ومعناه: الذي يرجع إلى الله بترك المعاصي حالًا بَعْدَ حالٍ، وتَوَّابٌ عن الذنب، يعني: الذي يرجع عن الذنب كَرَّةً إثْرَ كَرَّةٍ. والله تَوَّابٌ على عَبْدِهِ، أي: الذي يتوب على عبده ويقبل توبته مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ[5].

2. في الاصطلاح العام:

لَم نَجدْ لدى العلماء تعريفاً اصطلاحيا مستقلا للفظ التَّوَّاب، إلا أن من خلال استقرائنا لِمواردِه، والاطلاع على كتب التفسير وشروح الأسماء الحسنى، تبين أن (التَّوَابَ) صفة لله ﷻ، ويعني: الذي شرع لعباده التوبة من الذنوب، وجعلها مَحض تفضيل منه وكرم وجودٍ ورَحْمَة. فالله ﷻ (التَّوَّاب) هو الذي ييسر لعباده أسبابَ التوبة مرةً بعد مرةٍ بِما يُظهِرُ لَهم من آياته، ويسوق إليهم من تخويفاته للعاصين وبُشرَيَاتِه للتائبين، حتى ينتهوا عن المعاصي ويرجعوا إليه تائبين، فيتوب عليهم ويغفر لَهم. فهو ﷻ التَّوَّابُ على التائبين أولاً بتوفيقهم للتوبة، والتَّوَّابُ عليهم بعد توبتهم، قبولاً لَها، وعفواً عن خطاياهم. قال ﷻ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[6].

إذن، فالتَّوَّابُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبادِهِ حالًا بَعْدَ حالٍ، ومَرَّةً إثْرَ مَرَّةٍ، فَمَا مِن عَبْدٍ عَصَاهُ وبَلَغَ عصيانهُ مَدَاهُ ثمَّ رَغِب في التَّوْبَةِ إليهِ إلا فَتَحَ لَهُ أبْوَابَ رَحمَتِهِ، وفَرِحَ بعودَتِه وتَوْبَتِهِ.

---

(1) ينظر: العين، والمقاييس، واللسان، والمصباح/ توب.

(2) ينظر: المفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي، وبصائر ذوي التمييز/ توب.

(3) أنوار التنزيل: 1/ 73.

(4) ينظر: المفردات، وعمدة الحفاظ/ توب.

(5) ينظر: الكليات: 308، وزاد المسير: 1/ 70، وتفسير أسماء الله الحسنى: 62.

(6) سورة التوبة، الآية: 118.

ب. مفهوم الضَّميمَة:

وردت الضميمة في ستة مواضع في القرآن الكريم[1]، وموضعين في الحديث الشريف[2].

فمن القرآن الكريم، نَحو قول الله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[3].

ومن الحديث الشريف، قول النَّبيِّ ﷺ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[4].

ومن خلال استقراء جَميع الموارد، والتأمل فيها، يُمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً: يُفيد التعريف في ضميمة (التَّوَّاب الرَّحِيم) تَخصيص الصفتين لله وقصرهِما عليه ﷻ، ولِهذا جاءت في كل النصوص مقترنة بضمير الفصل الدال على تقوية التخصيص وتأكيد القصر: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، «**إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾...

ثانياً: يلاحظ أن الآيات التي وردت فيها (التَّوَّاب الرَّحِيم) قد سبقت جَميعها بلفظ التوبة.

ثالثاً: دلت (التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) في جلِّ النصوص على: الَّذِي يُكْثِرُ إعانَةَ عِبادِهِ عَلى التوجه إلى التَّوْبَةِ، أي: يبعث في قلوبِهم الرغبة في التوبة ويوفقهم إليها، ثُمَّ يقبلها منهم؛ فإن العبد لَم يكن ليتوب لولا توفيقه ﷻ. لذلك ففي الجَمْعِ بَيْنَ الوَصْفَيْنِ وعْدٌ لِلتَّائِبِ بالعَفوِ والصفح والإحْسانِ[5].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتَّوَّابُ هُنا مَعْناهُ المُلْهِمُ التَّوْبَةِ وهو كِنايَةٌ عَنْ قَبُولِ تَوْبَةِ التّائِبِ. وتَعْقِيبُهُ بِالرَّحِيمِ لأنَّ الرَّحِيمَ جارٍ مَجْرى العِلَّةِ لِلتَّوّابِ؛ إذْ قَبُولُهُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ضَرْبٌ مِنَ الرَّحْمَةِ بِهِمْ وإلا لَكانَتِ التَّوْبَةُ لا تَقْتَضِي إلا نَفْعَ التّائِبِ نَفْسَهُ بِعَدَمِ العَوْدِ لِلذَّنْبِ حَتَّى تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ الآثامُ. وأمّا الإثْمُ المُتَرَتِّبُ فَكانَ مِنَ العَدْلِ أنْ يَتَحَقَّقَ عِقابُهُ لَكِنَّ الرَّحِمَةَ سَبَقَتِ العَدلَ هُنا بِوَعْدٍ مِنَ اللهِ»[6].

يتضح مِمَّا سبق سرُّ الاقتران بين هذين اللفظين الكريمين، وذلك أن من آثار رَحْمَة الله ﷻ توفيقه لعباده إلى التوبة ثُمَّ قبولُها منهم، ويترتب على ذلك حسن العاقبة، والنجاة من عذابه ﷻ وتلك رَحْمَةٌ خاصَّةٌ، بل إن من أعظم رَحْمَتِه ﷻ أنه يفرح بتوبة عبده فرحًا عظيمًا.

---

(1) وهي: سورة البقرة، الآيات: 37، 54، 128، 160، والتوبة، الآيات: 104، 118.

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، حديث رقم: 1516. وكتاب الصلاة، باب التشهد، حديث رقم: 969.

(3) سورة البقرة، الآية: 37.

(4) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم: 1516.

(5) ينظر: أنوار التنزيل: 1/ 73، وتيسير الكريم الرحمن: 77.

(6) التحرير والتنوير: 1/ 439.

3. ٱلعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

أ. مفهومُ العَزِيز:

ٱلعَزِيزُ: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ من العِزَّة، وهي مصدر عَزَّ يَعِزُّ عِزَّة، فهو عَزِيزٌ. ومَدارُه في اللغة على الشِدَّة والقُوَّة وما ضاهَاهُمَا، كالغَلَبَة والقَهْر والامتناع[1]. وهو مَأْخُوذٌ حسيًّا من الصلابة، ومنه قولُهم: «أرضٌ عَزَازٌ، أي: صُلْبةٌ»[2]. ومن الشِّدَّة والقَهْر، سُمِّي الملك عَزِيزاً؛ أي: القوي الشديد الغالب الذي لا يُغْلَب، وذلك لِغَلَبَتِه على أهلِ مَمْلَكَتِه[3]. والعزيز خلاف الذليل؛ يقول السموأل:

وَما ضَرّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ[4].

فالعزيز إذن، هو الموصوف بالعزة، وترد في اللغة على ثلاث معان:

الأول: العزة: بمعنى الامتناع على من يرومه من أعدائه، فلن يصل إليه كيدهم، ولن يبلغ أحد منهم ضره وأذاه، كما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي**»[5]. والعزة بهذا المعنى من: عَزَّ يَعِزُّ، بكسر العين في المضارع، قال السموأل:

هُوَ الأَبلَقُ الفَردُ الَّذي شاعَ ذِكرُهُ يَعِزُّ عَلى مَن رامَهُ وَيَطولُ[6].

والثاني: العزة: بمعنى القهر والغلبة، وهي من: عَزَّ يَعُزُّ، بضم العين في المضارع. فالله ﷻ القاهر لأعدائه الغالب لَهم، ولكنهم لا يقهرونه ولا يغلبونه. وهذا المعنى هو الأكثر استعمالا. والثالث: العزة: بمعنى القوة والصلابة، وهي من عَزَّ يَعَزُّ بفتحها، ومنه قولُهم: أرض عَزَاز، للصلبة. وهذه المعاني الثلاثة للعزة ثابتة كلها لله ﷻ، على أتم وجه وأكمله، وأبعده عن العدم والنقصان[7]. لذا قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز: الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع؛ فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته»[8].

---

(1) العين، الجمهرة، والتهذيب، والمحكم، والمقاييس، والمختار، واللسان/ عز.

(2) المفردات/ عز، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ عزز.

(3) التاج/ عز.

(4) البيت من الطويل، وهو للسموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، في لاميته المشهورة. ديوانه: 67.

(5) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: 2577.

(6) البيت من الطويل، وهو للسموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، في لاميته المشهورة. ديوانه: 70.

(7) من شرح القصيدة النونية: 2/ 79.

(8) تيسير الكريم الرحمن: 946. وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى: 214.

ب. مفهوم الضَّميمَة:

وردت الضميمة ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم، معظمها جاءت في سورة الشعراء[1]؛ وقد خُتمت بِها قصص الرسل السابقين للإشارة إلى أن الله ﷻ عزيز على أعدائه رحيم بأوليائه؛ فجاءت تختم قصة موسى عليه السلام وفرعون في الآية 68، وفي الآية 104 لتختم قصة إبراهيم عليه السلام، وفى الآية 122 لتختم قصة نوح عليه السلام، وفى الاية 140 لتختم قصة هود عليه السلام، وفي الآية 159 لتختم قصة صالح عليه السلام، وفي الآية 175 لتختم قصة لوط عليه السلام، وفي الآية 191 لتختم قصة شعيب عليه السلام، ثُمَّ جاءت في الآية 217 لتختم دعوة مُحَمَّدٍ ﷺ إلى تبليغ رسالته.

يدل التعريف في (العزيز الرحيم)، على تخصيص العزة والرَّحْمَة لله ﷻ وقصرهِما عليه، ولذلك جاءت في أغلب الموارد مقترنة بضمير الفصل الذي يفيد التقوية وتأكيد القصر، مسبوقا بلام الابتداء لإعطاء المعني مزيدا من التقوية، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾[2].

وبالنظر إلى معاني الضميمة، تبين أنَّها وردت بِمعاني متعددة، استجمعها البقاعي في كلام مفصل فقال رحمه الله: «العَزِيزِ؛ أيْ: المُتَّصِفِ بِجَمِيعِ صِفاتِ الكَمالِ؛ ولَمّا كانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لِلْقَهْرِ؛ والغَلَبَةِ؛ وكانَ ذَلِكَ لا يَكُونُ صِفَةَ كَمالٍ؛ إلا بِالرَّحْمَةِ. قالَ: الرَّحِيمِ؛ أيْ: الحاوِي لِجَمِيعِ صِفاتِ الإكْرامِ؛ الَّذِي يُنْعِمُ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ بَعْدَ الإنْعامِ بِإيجادِهِمْ؛ بِما يُقِيمُهم عَلى المِنهاجِ الَّذِي يَرْضاهُ لَهُمْ؛ فَهو الواحِدُ الَّذِي لا مِثْلَ لَهُ أصْلا؛ لِما قَهَرَ بِهِ مِن عِزَّتِهِ؛ وجَبَرَ بِهِ مِن رَحْمَتِهِ»[3].

ومُجمل القول، فإن اقتران (ٱلعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ) يدل على الكمال والعدل والعِزَّة والرَّحْمَة، وذلك ببيان أنه ﷻ مع كونه عزيزًا قويًّا غالباً قاهراً لكل شيء فلا ينفي أن يكون رحيماً برًّا مُحسناً. ولا يعني كونه ﷻ رحيمًا بعباده أن لا يكون قويًّا غالباً. فرَحْمَتُه ﷻ ناشئة عن قُدرَةٍ وعِزَّةٍ، لا عن ضعفٍ وعجزٍ. واجتماع الوصفين الجليلين يدلُّ على صفة كمال ثالثة وهي: جريان عزَّته ﷻ على سنن الرَّحْمَة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان.

---

(1) حيث احتلت سورة الشعراء تسعة مواضع من بين ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم.

(2) سورة الشعراء، الآية: 9.

(3) نظم الدرر: 16/ 93.

4. ٱلبَرُّ ٱلرَّحِيمُ

أ. مفهوم البَر:

1. في اللغة:

البَرُّ: صفةٌ مشبهةٌ باسم الفاعل «بَارٌّ»، مُشْتَقٌّ مِن البِرِّ، ومدار البِرِّ في اللغة على الصِّدْق، ومنه استُخدم مَجازاً لِمعاني الطاعة، والصلة، والوفاء، والإحسان، والقبول، والثواب، والخير[1]. وهذا المعنى مأخوذٌ حسيًّا من الانبساط المتصوَّرِ من المكان المتسع الذي لا تكاد ترى حدوده بسبب اتساعه، كالبَرِّ (خلاف البحر)، فيدل على الاتساع في فعل الخير مِن كُلِّ فاعلٍ بِحسبه؛ فمنه البِرُّ: كثرة الإحسان والرَّحْمَة والخير والنفع المتسع، يُقال: بَرَّ العبدُ ربَّه، أي: توسَّع في طاعته، وبِرُّ الوالدين: وهو الإتساع في إكرامهما وطاعتهما والإحسان إليهما. وتسمية الله نفسه بالبَرِّ تَدُلُّ على اتساع الإحْسانِ إلى الخلق؛ فالبَرُّ: الواسع الفضل والعطاء والإحسان والرَّحْمَة على عباده[2].

2. في الاستعمال القرآني:

يحتوي القرآن الكريم على اثنين وثلاثين استعمالاً مشتقاً من جذر (بر)؛ ثَمانية عشر منها في الآيات المكية، وأربعة عشر في الآيات المدنية، وتتوزع على استعمالين أساسيين، الأول: البَرُّ (مقابل البحر)، وقد ورد اثنتي عشرة مرة كلها في الآيات المكية ما عدا واحدة. والاستعمال الثاني: البِرُّ (كقِيمة أخلاقية) كمال الإحسان، واستُعمل عشرين مرة؛ ثَمانٍ منها في الآيات المكية، والأخرى في الآيات المدنية. واشتقاقات لفظ البر المستخدمة في نصوص القرآن الكريم هي كالآتي:

صيغة الفعل: (تَبَرُّ) مرتان[3]. وصيغة الاسم: (الأبرار) وصفاً للمؤمنين، ست مرات[4]، و(بَرَرَة) وصفاً للملائكة عليهم السلام، مرة واحدة[5]، و(بَرًّا) وصفاً ليحيى وعيسى عليهما السلام، مرتان[6]، و(البَرُّ) وصفاً لله ﷻ، مرة واحدة[7]. وصيغة المصدر: (البِرُّ) ثَمان مرات كلها في آيات مدنية[8].

---

(1) ينظر: العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، واللسان/ برر.

(2) ينظر: المفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ برر.

(3) وهُما: الممتحنة: 8، والبقرة: 224.

(4) وهي: آل عمران: 193، 198، والإنسان: 5، والانفطار: 13، والمطففين: 18، 21.

(5) وهي: عبس: 16.

(6) وهُما: مريم: 14، 32.

(7) وهي: الطور: 28.

(8) وهي: البقرة: 44، 177 (موضعان)، 189 (موضعان)، وآل عمران: 92، والمائدة: 2، والمجادلة: 9.

ب. مفهوم الضَّميمَة:

وردت الضميمة في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾[1].

جاءت الآيات الكريمة في سياق ذكر جزاء المتقين ونعم الله ﷻ على أوليائه يوم القيامة، وذلك بعد بيان وقوع البعث والعذاب بالكافرين حتما، وما يلاقونه من الشدائد والإهانات، فذكر الله ﷻ الثواب عقب العقاب، جريا على الموازنةِ وعادةِ القرآن الكريم في إيراد الأضداد، والجمع بين الترغيب بالترهيب، حتى يتأمل الإنسان في المصير، فيرغب في الرَّحمَة، ويرهب النقمةَ والعقابَ.

وتبين من خلال الدراسة النصية أن اقتران الضميمة بضمير الفصل (هو) يدلُّ على الحصر. يقول ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وضَمِيرُ الفَصْلِ لإفادَةِ الحَصرِ وهو لِقَصْرِ صِفَتَيِ البَرِّ والرَّحِيمِ عَلى اللهِ تَعالى وهو قَصْرٌ ادِّعائيٌّ للمُبالَغَةِ لِعَدَمِ الاعْتِدادِ بِبُرُورِ غَيْرِهِ ورَحمَةِ غَيْرِهِ بِالنِّسْبَةِ إلى بُرُورِ اللهِ ورَحمَتِهِ باعْتِبارِ القُوَّةِ فَإنَّ غَيْرَ اللهِ لا يَبْلُغُ بالمَبَرَّةِ والرَّحمَةِ مَبْلَغَ ما للهِ وباعتِبارِ عمومِ المُتَعَلِّقِ، وباعْتِبارِ الدَّوامِ؛ لأنَّ اللهَ بَرٌّ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وغَيْرُ اللهِ بَرٌّ في بَعْضِ أوْقاتِ الدُّنْيا ولا يَملِكُ في الآخِرَةِ شَيْئًا»[2].

ويُفيد الجمعُ بين اللفظين بيان قدرة الله ﷻ على إيصال المصالح إلى من يشاء من عباده ودفع المضار عنهم برفق ويسر، وهذا يعني على أنه ﷻ كثير اللُّطف بِعِبَادِهِ، وكثير العَطف عليهم، وكثير الإحْسان إليهم، وكثير الرَّحْمَةِ والفضل والكرم لَهم، وكثير الصَّفْحِ والتَّجَاوُزِ عنهم[3]. من هنا يقول البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(البَرُّ): الواسِعُ الجُودِ الَّذِي عَطاؤُهُ حِكْمَةٌ ومَنعُهُ رَحْمَةٌ، لأنَّهُ لا يَنْقُصُهُ إعْطاءٌ ولا يَزِيدُهُ مَنعٌ، فَهو يَبَرُّ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ بما يُوافِقُ نَفْسَهُ؛ فَرُبَّما بَرَّهُ بالنِّعْمَةِ ورُبَّما بَرَّهُ بالبُؤْسِ، فَهو يَخْتارُ لَهُ مِنَ الأحْوالِ ما هو خَيْرٌ لَهُ لِيُوَسِّعَ لَهُ في العُقْبى، فَعَلى المُؤْمِنِ أن لا يَتَّهِمَ رَبَّهُ في شَيْءٍ مِن قَضائِهِ. (الرَّحِيمُ): المُكْرِمُ لِمَن أرادَ مِن عِبادِهِ بِإقامَتِهِ فِيما يَرْضاهُ مِن طاعَتِهِ، ثُمَّ بِإفْضالِهِ عَلَيْهِ وإنْ قَصَّرَ في خِدْمَتِهِ»[4].

---

(1) سورة الطور، الآيات: 26- 28.

(2) التحرير والتنوير: 27/ 58.

(3) ينظر: جامعُ البيانِ: 27/ 18، وبحر العلوم: 3/ 353، وأنوار التنزيل: 5/ 154، ومدارك التنزيل: 3/ 385، والكشاف: 4/ 412، وإرشاد العقل السليم: 8/ 150، والتفسير المنير: 27/ 70، والمنهاج في شعب الإيمان: 1/ 204.

(4) نظم الدرر: 19/ 20، والسراج المنير: 4/ 116.

وصفوة القول، البَرُّ اسمٌ جامعٌ لمعاني الإحسان والرفق والفضل، وهذه الصفات الجليلة من موجبات رَحْمَةِ الله ﷻ الخاصة بعباده المؤمنين، وأثر من آثار رَحْمَتِه الواسعة التي غمرت الوجود، وعن طريقها عَرَفَ العبادُ أن ربَّهم رحيم؛ فلعل اقتران البَرِّ بالرَّحِيمِ من اقتران المُسَبَّب بِالسَّبَبِ، وتقديم البَرِّ على الرَّحِيمِ أبلغ في المدح والثناء، بالترقي من الأخص إلى الأعم، ومن المُسَبَّب إلى السَّبَب. وللحَرالِّيِّ قولٌ شامل حول تأخير الرحيم فقال رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الخَتْمِ بِالرَّحْمَةِ أبَدًا في خَواتِمِ الآيِ إشْعارٌ بِأنَّ فَضْلَ اللهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ابْتِداءُ فَضْلٍ لَيْسَ في الحَقِيقَةِ جَزاءَ العَمَلِ؛ فَكَما يَرْحَمُ العَبْدَ طِفْلاً ابْتِداءً يَرْحَمُهُ كَهْلاً انْتِهاءً، ويَبْتَدِئُهُ بِرَحْمَتِهِ في مَعادِهِ كَما ابْتَدَأهُ بِرَحْمَتِهِ في ابْتِدائِهِ»[1].

هذا، وقد تبين من دراسة مشتقي الرَّحْمَن والرَّحِيم أنه ﷻ هو المصدر الوحيد للرَّحْمَة، وأنَّهُ ﷻ ما خَلَقَ الخَلْقَ إلا لِلرَّحْمَةِ والإحْسانِ؛ فهو ﷻ المُفِيضُ لِجَلائِلِ النِّعَمِ ودَقائِقِها لِمخلوقاته؛ وكُلُّ ما سِواهُ ﷻ فهو إمَّا نِعْمَةٌ أو مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، إما بالرَّحْمَةِ العامَّةِ فقط إن لَم يكن من أوْلِياءِ اللهِ، وإما بالرَّحمَةِ العامَّةِ الزَّئلة والخَاصَّةِ الباقِيَةِ معاً إن كان من أوْلِيائِهِ ﷻ. إنَّهُ ﷻ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ حقاً.

(1) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي: 390، ونظم الدرر: 3/ 238.

المبحث الثالث
الرَّحِمُ

۞ المطلب الأول: تعريفه

المسلك الأول: في اللغة:

ٱلرَّحِمُ لُغةً: اسم مشتقٌّ من الرَّحْمَة، ومداره في اللغة على القَرَابَةِ التي تَجمع بني الأب، وجَمْعُه الأَرْحامُ. يُقال: بَينهمَا رَحِمٌ أَي قرابةٌ قَرِيبَةٌ. فذَوُو الرَّحِمِ هم الأقاربُ، خِلافُ الأَجنَبِيِّ، ويقَعُ على كُلِّ مَن يَجمَعُ بينَك وبينَه نَسَبٌ. وهو مأخوذ من رحم الأنثى؛ مَوضِع تَكوينِ الوَلَدِ، فأُولُوا ٱلأَرحَامِ: هم الأقارب لكونهم خارجين من رحم واحدة[1]، ولأَنَّ مِنْهَا مَا يَكُونُ مَا يُرْحَمُ وَيُرَقُّ لَهُ مِنْ وَلَدٍ[2]. والرَّحِمُ مؤنثٌ فِي المَعْنَيَيْنِ وَقِيلَ مُذَكَّرٌ وَهُوَ الأَكْثَرُ فِي القَرَابَةِ[3].

المسلك الثاني: في الاصطلاح العام:

الرَّحِمُ في الاصطِلاحِ العام نَوعانِ: الأول: الرَّحِمُ اسم لِمَنْبِتِ الوَلَدِ ووِعَائه في البَطْن[4]، وهي عبارة عن عضوٍ عضليٍّ يكون مستقَراً للنطفة، ويتكون منه الجنين وينمو حتى مرحلة الولادة.

الثاني: الرَّحِمُ اسم للقَرابةِ والصلة بين الأفراد، من نسبٍ ومصاهرةٍ ورضاعةٍ وهي نوعان: الأول: رَحِمٌ مَحْرَمٌ: وهي التي يكونُ فيها الرَّحِمُ قَريبًا حَرُمَ نِكاحُه أبدًا؛ كالآباءِ والأمَّهاتِ، والإخوةِ والأخواتِ، والأجدادِ والجَدَّات وإن عَلَوا، والأولادِ وأولادِهم وإن نَزَلوا، والأعمامِ والعَمَّاتِ، والأخوالِ والخالاتِ. والثاني: رَحِمٌ غَيرُ مَحْرَمٍ: وهم مَن عدا الرَّحِمَ المَحْرَمَ مِن الأرحامِ؛ كبناتِ الأعمامِ وبناتِ العَمَّاتِ، وبناتِ الأخوالِ وبناتِ الخالاتِ[5]. وكلا النوعين داخلان تَحت مسمى أولي الأرحام: وهمْ أقاربُ الإنسانِ، وكلُّ مَن يَربطُهم رابطُ نسَبٍ، سواءٌ أكان محرماً لَهم أم غير محرم، أو وارثاً أم غيرَ وارثٍ، وتَتأكَّدُ الصِّلةُ به كُلَّما كان أقرَبَ إليه نَسَبًا.

---

(1) ينظر: العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، واللسان، والمصباح، والتاج/ رحم.

(2) المقاييس/ رحم.

(3)المصباح المنير/ ر ح م.

(4) الفتاوى الهندية: 8/2.

(5) الفتاوى الهندية: 8/2، والفروق للقرافي: 147/1.

المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي:

ورد مشتقُّ (ٱلرَّحِم) في نصوص الرَّحْمَة قرآناً وحديثاً سبعاً وخَمسين مرة: اثنتا عشرة مرة في القرآن الكريم[1]، مفرقة في إحدى عشرة سورة. وخَمس وأربعون مرة في الحديث الشريف. ومن خلال استقراء هذه الموارد تبين أن المشتق ورد معرفا بالألف واللام سبع مرات في القرآن، وعشرين مرة في الحديث. وجاء مضافا إلى ضمير ثلاث مرات في القرآن وتسع مرات في الحديث.

وورد مرتين مضافا إلى لفظ (الأنثيين) في القرآن. أما وروده نكرة فقد جاء في الحديث ست عشرة مرة. ويلاحظ أنه ورد بصيغة الجمع في كل موارده في القرآن، أما في الحديث فقد ورد بصيغة الإفراد في أغلب الموارد، حيث ورد بصيغة الجَمع في أربعة مواضع فقط.

استعمل مشتق (الرَّحِم) بِمعنى مستودع الجنين في سبعة مواضع في القرآن الكريم، وخَمسة مواضع في الحديث الشريف. واستعمل بِمعنى القرابة في خَمسة مواضع في القرآن الكريم، وأربعين موضعاً في الحديث الشريف.

المسلك الرابع: وصفه:

ورد مشتقُّ الرَّحِم موصوفا بالشجنةِ ثلاث مرات في الحديث الشريف، وذلك في قوله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**»[2]. وقوله ﷺ: «**الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ**»[3]. وقوله ﷺ: «**إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**»[4].

يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ من خلال هذه الأحاديثِ الشريفة أنَّ القَرَابَةَ شِجْنَةٌ، أي: شُعبةٌ متَّصلةٌ، «مِن الرَّحْمَنِ»؛ لأنَّ اسْمَها (الرحم) مُشتَقٌّ مِن اسمِ الله ﷻ: (الرَّحْمَنِ)، كما في الحَديثِ القُدسيِّ الشريف: «**أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي**»[5]. أي: الرحم مشتق من الرَّحْمَن.

---

(1) وهي: البقرة: 228، وآل عمران: 6، والنساء: 1، والأنعام: 143، 144، والأنفال: 75، والرعد: 8، والحج: 5، ولقمان: 34، والأحزاب: 6، ومحمد: 22، والممتحنة: 3.

(2) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: 1924.

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَاب مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللهُ، حديث رقم: 5989.

(4) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَاب مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللهُ، حديث رقم: 5988.

(5) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، حديث رقم: 1694.

والشِّجْنةُ في الأصلِ: عُروقُ الشَّجرِ المشتَبِكةُ[1]، وتعني القَرابةُ المشتبكةُ كاشتِباكِ العُروقِ، والمرادُ هنا: أنَّها مُشتقَّةٌ مِن اسمِ (الرَّحْمَنِ)، فكأنَّها مُشتبِكةٌ بِمَعاني الرَّحْمَةِ به اشتِباكَ العُروقِ، وقيل: في وجهِ الشِّجنةِ أنَّ حُروفَ الرَّحمِ مَوجودةٌ في اسْمِ الرَّحْمَنِ، ومُتداخِلةٌ فيه كتَداخُلِ العُروقِ؛ لكَونِها مِن أصلٍ واحدٍ. والمعنى: أنَّها أثَرٌ مِن آثارِ الرَّحمَة، مُشتبكةٌ بها، فمَن وصَل الرَّحِمَ، أوصَل اللهُ إليه رَحْمَتَه وإحسانَه وإنعامَه، ومَن قطَعَها، قطَع اللهُ عنه الرَّحْمَةَ والإحسانَ والإنعامَ[2].

والمتأمل في معاني الأحاديث الشريفة يَجد أن فِيها إشاراتٌ لَطيفَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ لِبشائرَ شَرِيفَةٍ وهيَ: أنَّ القرابة أثرٌ من آثار الرَّحْمَة ومشتقٌّ من مشتقَّاتِها، لذلك حثَّ النبيُّ ﷺ المؤمنين على التراحُمِ بين النَّاسِ وصِلةِ الأرحامِ والإحسان إليها، وحذَّرَ مِن قَطْعِ الأرحامِ والإساءة إليها، وذلك لأن الرَّحِمَ شعبةٌ عظيمةٌ من شعب الرَّحمَة، واسمٌ مشتَقٌّ مِن الاسمِ الدال على سعة رَحْمَةِ الله ﷻ.

❁ المَطلَبُ الثَّاني: ضمـائمه

1. صِلَةُ ٱلرَّحِمِ

أ. صلة الرحم في اللغة:

والصلة في اللغة: مصدر وَصَلَ يَصِلُ صِلَةً، فهو وَاصِلٌ، والمفعول مَوْصُولٌ والجمع صِلاتٌ. ومداره في اللغة على ضَمِّ شَيءٍ إلى شَيءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ[3]. يُقال: وصلتُ الشيء بغيره وصلا، وصلةً: ضمَّه إليه وجَمعه معه، ضد: هجرته[4]. وتُقصَد بالصلة هنا: العلاقة التي تربط بين اثنين أو أكثر، وتجمع بينهم، كصلة الرحم بِمد الأسباب معهم[5]. فصلة الرحم إذن، هي كناية عن إيصال الخير والنفع إلى الأقارب، وإعطاء فقيرهم ومواساة ضعيفهم وتقديمهم على غيرهم في الرعاية والإنفاق.

---

(1) وقيل: الشجنة في كَلام العَرَب هُوَ الشعبة من الشَّيْء والقطعة مِنْه، ومِنْه يُقَال: شَجَرَة متشجنة، أَي: متفرعة كَثِيرَة الأغصان. ومِنْه قولُهم: الحَدِيث ذُو شجون، ومعنى الشجون: أَن ينشعب من الحَدِيث أَحَادِيث أخرى، كالوادي الَّذِي تتشعب مِنْهُ المجاري وَيَتَفَرَّع عَنهُ الأَنْهَار من الجِهَات. ينظر: مشكل الحديث وبيانه: 301.

(2) ينظر: فتح الباري لابن حجر: 10/ 418، وعمدة القاري: 22/ 93، وقوت المغتذي: 1/ 467، وإرشاد الساري: 13/9، ومرقاة المفاتيح: 7/ 3085، والإتحافات السنية: 109، وتحفة الأحوذي: 6/ 43، وفيض القدير: 4/ 53.

(3) المقاييس، والصحاح/ وصل.

(4) المصباح، والمختار/ وصل. ومعجم لغة الفقهاء: 475.

(5) المعجم الاشتقاقي/ وصل.

صلة الرحم في الاصطلاح:

التحقيق، أن صِلةَ الرَّحِمِ تكونُ بِما جرى به العُرفُ واتَّبَعه النَّاسُ؛ فما جرى به العُرفُ أنَّه صِلةٌ فهو الصِّلةُ، وما تعارفَ عليه النَّاسُ أنَّه قطيعةٌ فهو قَطيعةٌ[1]، وتكونُ بكُلِّ عَمَلٍ تعمَلُه مع قريبك مِمَّا تُعَدُّ به واصِلا غيرَ مُنافِرٍ ومُقاطِعٍ له، ويَحصُلُ ذلك تارةً بالمالِ، وتارةً بقَضاءِ حاجتِه، أو خِدمتِه أو زيارتِه، وفي حَقِّ الغائِبِ بنَحوِ هذا، وبالمُكاتبةِ وإرسالِ السَّلامِ عليه، ونحوِ ذلك[2]، وتكونُ تارة بالقَولِ الحَسَنِ والسُّؤالِ عن الحالِ، وتارة بطلاقة الوجه، وتارة بتقديم النصح، وتارة بردِّ الظلم، وتارة بالعفو والصفح عن زلاتِهم، وما إلى ذلكَ مِن أنواع الصلة على حسب قدرة الواصل، وحاجة الموصول، ومصلحة كلا الطرفَين[3]؛ فالصِّلةُ مُختَلِفةٌ بِحَسَبِ القَرابةِ والحاجةِ[4].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا صِلَةُ الرَّحِمِ فهي الإِحْسَانُ إِلى الأَقَارِبِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الوَاصِلِ وَالمَوْصُولِ؛ فَتَارَةً تَكُونُ بِالمَالِ، وَتَارَةً بِالخِدْمَةِ، وَتَارَةً بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلامِ وغير ذلك»[5].

وأضاف ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «صلة الرحم: وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالِهم، وكذلك إن بَعُدُوا أو أساءوا»[6].

وقال السَفاريني نقلا عن البَلْبَاني ما نصُّه: «المراد بصلة الرحم: موالاتُهم ومَحبتُهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداواتِهم، والاجتهاد في إيصالِهم كفايتهم بطيب نفس عند فَقْرهم، والإسراعُ إلى مساعدتِهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم مع التعطُّف التَّلَطُّف بهم، وتقديمهم في إجابة دعواتِهم، والتواضع معهم في غناهُ وفقرهم، وقوَّتِه وضَعفهم، ومداومة مودَّتِهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الصدقة والهدية والإحسان على من سواهم»[7].

---

(1) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: 185/3.

(2) روضة الطالبين للنووي: 390/5.

(3) القاموس الفقهي: 145، وينظر: لغة الفقهاء: 475.

(4) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني: 427/2.

(5) المنهاج: 2/ 201.

(6) النهاية في غريب الحديث: 191/5.

(7) غذاء الألباب: 273/1.

ج. صلة الرحم في الاستعمال الحديثي:

وردت هذه الضميمة الإضافية ثلاث مرات في الحديث الشريف، وهي: عَنْ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**»[1]. وقوله ﷺ: «**أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبَغْيُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ**»[2]. وقوله ﷺ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ**»[3].

تبين من خلال تتبع معاني (صِلَة الرَّحِمِ) في مواطنها أنَّها تدل على الإحْسَان إلى الأقارب، وذلكَ بتقديم الخير والنفع إليهم، وإبعاد الشرور عنهم، والإكْرَام لَهم، وتشريكهم في المسرات[4]. وتبين أيضا أن تسمية العلاقة بين الإنسان وأقاربه (صلةَ رحمٍ)، ليست مصادفة، لِما في ذلك من معاني التعاطف والتراحم، وقد تقدم الإسلام في التأكيد والتركيز على أهَمِّية التواصل والتراحم بين الأقربين، ويتجلى ذلك في بيان النبيِّ ﷺ آثار صلة الأرحام في الأحاديث الشريفة السابقة، وذلك أن (صلة الرحم) سببٌ في تعجيل الثواب للواصل أكثر من أي عمل آخر من الأعمال الصالحة، وبين ﷺ أن صلةَ الرحم مَظِنَّةٌ للحُبِّ وسَبَبٌ للوُدِّ في أهلِ الرَّحِمِ؛ وتؤدي إلى تقوية أواصر المجتمع، وسَبَبٌ لكَثْرَةِ المَالِ وبسط الرزق، وَمُوجِبٌ لتَأخِيرِ الأَجَلِ، وبَاعِثٌ في اسْتِمْرَارِ النَّسْلِ[5].

ومجمل القول، إن (صلة الرحم) تَهدف إلى بناء مجتمعٍ مسلمٍ قويٍّ ومتراصٍ؛ كالجَسَدِ الواحِدِ، «**إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»، لذلك دعا الإسلامُ المسلمين إلى صلة أرحامهم، وحضَّهم على ذلك، وشدد على قاطعها، وجعل عقوبته عظيمة في الدنيا والآخرة.

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، حديث رقم: 5142.

(2) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، بَابُ الْبَغْيِ، حديث رقم: 4212.

(3) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم الأنساب، حديث رقم: 1979.

(4) فتح الباري لابن حجر (10/ 416، وعمدة القاري: 22/ 92، وفيض القدير: 3/ 252، وتحفة الأحوذي: 6/ 96، والتيسير بشرح الجامع الصغير: 1/ 451.

(5) مرقاة المفاتيح: 7/ 3091.

2. قَطِيعَةُ ٱلرَّحِمِ

أ. دلالتها في اللغة:

القَطِيعَةُ: اسمٌ من القَطْع، وجَمعه قطائع. ومداره في في اللغة على الصَّدِّ، ومنه استُعير لِمعاني الفصل، والمنع، والإبانة، والترك، والهجْر[1]. يُقال: قطع الصديق قطيعةً: تركه وهجره، وقطعه عن حقه: منعه[2]. فقطيعةُ الرَّحِم ضدُّ صلة الرحم، وهي: هجر الأقارب هجراً يتمثل في إيذائهم باستمرار ومنع الخير عنهم، وعدم البرِّ بِهم، والإحسان إليهم، وتوفير ما هم بِحاجة إليه[3].

ب. مفهوم الضميمة:

وردِت هذه الضميمة ثلاث مرات في الحديث الشريف، وذلك في قول النبيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[4]. وفي قوله ﷺ: «**أَسْرَعُ الخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً البَغْيُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ**»[5]. وفي قوله ﷺ: «**لَا يَمِينَ عَلَيْكَ، وَلَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ، وَفِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَفِيمَا لَا تَمْلِكُ**»[6].

وإذ تبين من خلال النظر في معنى الضميمة أنَّها تدل على هَجْرِ الأقاربِ والإسَاءة إليهم[7]. وإن المسلم المتطلع إلى رضوان ربه وسلامة آخرته، لتهزه هذه النصوص من الأعماق؛ لِما تقرر فيها أن قَطيعَةَ الرَّحِمِ تحجب الرَّحْمَةَ، وتحبط العملَ، وتعجل العذاب، وذلك أن النبيَّ ﷺ قد بين في الأحاديث الشريفة أن (قَطِيعَةَ الرَّحِمِ) سببٌ في تعجيل العقوبة للقاطع في الدُّنيا قبل الآخرة[8]. إنه لبلاء كبير يَحيق بالمرء أن يعمل فلا يُرفع له، ولا يُتقبل منه، ويفيء إلى رَحْمَةِ ربه فتبتعد عنه.

---

(1) ينظر: العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، واللسان/ قطع.

(2) المصباح، ومعجم اللغة العربية المعاصرة/ قطع.

(3) ينظر: المقاييس، واللسان، والصحاح، ولغة الفقهاء/ قطع، والنهاية في غريب الحديث: 82/4.

(4) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، بَابُ الْبَغْيِ، حديث رقم: 4211.

(5) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، بَابُ الْبَغْيِ، حديث رقم: 4212.

(6) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين في قطيعة الرحم، حديث رقم: 3272.

(7) عمدة القاري: 22/ 92، وفيض القدير: 3/ 252، وتحفة الأحوذي: 6/ 96.

(8) ينظر: مرقاة المفاتيح: 7/ 3091، والتيسير بشرح الجامع الصغير: 2/ 360، وفيض القدير: 5/ 478.

ومن هنا لا يتصور أبدا أن يكون المسلم الحق قاطعَ رحمٍ في يوم من الأيام، إلا أن الملاحظ أنه كُلَّما زادَت وسائِلُ الاتِّصَالِ والوِصَالِ بين الناس بَعُدَت المسافَةُ بين الأَرْحَامِ والقَرابات. ولَقَد كانَ النَّاسُ من قبلُ يَنْتَقِدُون أنْفُسَهُم إنْ تأخَّرُوا عن صِلَةِ قَرِيبٍ لَهم جُمُعَةً أو جُمُعَتَيْنِ، ثُمَّ تَساهَلُوا في الشَّهْرِ والشَّهْرَين، وبَلَغُوا الآنَ حَولاً أو حَولَين، لا يَرَى القَرِيبُ قَرِيبَهُ إلاَّ إن جَمَعَهُم عِيدٌ أو عُرْسٌ أو جِنَازَةٌ رغم توافر أجهزة الاتِّصالِ والمُواصَلاتِ الَّتي قرَّبَتِ البعِيدَ، وألغَتِ المسافاتِ بين النَّاسِ، حيث صار الإنْسَانُ يُخَاطِبُ مَن يشاءُ، في أيِّ وقْتٍ يشَاءُ، في أيِّ بُقعَةٍ مِن الأرضِ، يُخَاطِبُهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ صَوْتًا وَصُورَةً، وَكَأَنَّهُ بِجِوَارِهِ، فزادت علاقة الإنسان بالآخرين، وزادت اتصالاته بِهم.

الباب الثاني

التفسير الموضوعي

تَوْطِئَة

لا تَخفى على الدارسين علاقةُ الدراسة المصطلحيَّة بالتفسير الموضوعي، وذلك كون الأولى مُمهِّدة ومؤطِّرة للثاني؛ إذ التفسير الموضوعي يقوم على تصنيف المسائل الكبرى المستفادة من نصوص المصطلح المدروس، والمستخلصة من مراحل الدراسة المصطلحية السابقة وهي: التعريف والصفات والعلاقات والضمائم والمشتقات، ودراستها دراسة موضوعيَّةً قصد الإلمام بالنظرة القرآنية المتكاملة بشأن المفهوم مورد البحث من خلال مختلف النصوص المتضمنة للقضية المدروسة، ولايتأتى ذلك إلا بعد الإحاطة بِمفهوم المصطلح الرئيس الحامل للتصور العام للموضوع المدروس. ومن ثَمَّ، فإن التفسير الموضوعي فرع للدراسة المصطلحية ونتيجة لَها.

وأهم المسائل المستخلصة من الدراسة السابقة لِمَفْهُومِ الرَّحْمَةِ: أنواع الرَّحْمَة وآثارها، وأسباب نيلها وموانعها. لذلك انبنى هذا الباب على فصلين: الأول: يتعلق بالأنواع والآثار، والثاني: خُصص للأسباب والموانع.

الفَصْلُ الأوَّلُ

أنْواعُ الرَّحمَةِ وآثارُها في القُرْآنِ والحَدِيثِ

تمهيد

تبين من خلال النَّظَر في تعريف مصطلح الرَّحْمَة، والتَّأَمُّل في نصوصه أن الرَّحْمةَ، من حيث كونُها منسوبة إلى الله ﷻ، أي (**صِفَةٌ إِلَهِيَّةٌ ثَابِتَةٌ**)، نوعان: **الأول**: إضافَةُ الرَّحْمة إلى الله ﷻ إضافةَ صفةٍ إلى موصوفٍ؛ فهي صفةٌ ذاتِيةٌ أزليَّةٌ مُلازِمةٌ لذاتِ الله ﷻ قائمةٌ به، ومنه تسميته ﷻ بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]، أي ذو الرَّحْمة؛ قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾[2]. ومعلوم، أن صفات الله ﷻ الذاتية داخلةٌ في مسمَّى أسمائِه؛ فمن حَلَفَ بصفةٍ مِن صفاتِهِ ﷻ[3]، أَوِ استعاذ بِها فإنَّما حَلَفَ بالله واستعاذ به ﷻ. قال ﷺ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[4].

والثاني: إضافَةُ الرَّحْمة إلى الله ﷻ إضافةَ مفعولٍ إلى فاعلٍ؛ فهي صفةٌ فعليةٌ تستدعي إيصال الخير والنفع إلى الخلائق وكشف الضر عنهم، ومنه قولُه ﷻ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾[5]، ومنه تسميةُ المطرِ بالرَّحْمة كما في قولِ الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾[6]، وسميت الجَنَّةُ رَحمة كما قال ﷺ: «**فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**»[7].

ومن ثمة، فإن الرَّحْمةَ تُطلق على صفة الله الثابتة في ذاته العلية، الموجودة فيه قبل بدء الخلق؛ فهي مطلقة لامتناهية، قديمة غير مخلوقة، مُنَزَّهة عن التجزئة والتقسيم والعد والإحصاء والتصور، بل هي فوق تصوُّرات جَميع مخلوقات الله ﷻ بمن فيهم الأنبياء عليهم السلام والملائكة الكرام والأصفياء. وتُطلق كذلك على متعلق الصفة وأثرها لأنها ناشئة عنها؛ فهي الأثر الفعلي الذي يتجلى على العباد بموجب قوله ﷻ للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾. ولِهذا قال الحق ﷻ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾[8]. إذ بوجود صفة الراحم فيه رَحِمَ، وبوجود صفة الخالق فيه خَلَقَ، وبوجود صفة الرازق فيه رَزَقَ.

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 3.

(2) سورة الأنعام، الآية: 133.

(3) كالعزة والجلال؛ قال ﷻ عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [سورة ص، الآية: 82]، وقال ﷻ في الحديث القدسي: «**فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»، مسند أحمد، مُسند أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، حديث قم: 11244.

(4) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، حديث رقم: 3524.

(5) سورة فُصِّلَتْ، الآية: 50.

(6) سورة الأعراف، الآية: 57.

(7) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: 2846.

(8) سورة الروم، الآية:50.

وبالتالي هناك رَحْمَة مخلوقة خلقها الله ﷻ لعباده يوم خلق السماوات والأرض، بدليل حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**»[1].

أما الرَّحْمَةُ من حيث كونها فيضاً إلَهيًّا وعطاءً ربانيًّا، يُحقِّق به الله الآمال ويدفع به الآلام، أي: (**تَقْتَضِي إِيصَالَ النَّفْعِ إِلَى العِبَادِ وَدَفْعَ الضَّرِّ عَنْهُم**) فنوعان: **الأول**: رَحْمةٌ هي في أساسها هبة من الخالق ﷻ يتحصل عليها العبد ابتداء بلا أي عمل، مثل: الإيجاد، والإمداد بأسباب الحياة، ويدخل في هذا النوع تلك الرَّحْمَة التي جعلها الله في قلوب عباده؛ بِها يتراحَمون ويتعاطفون[2].

والثاني: رَحْمَةُ استحقاقية؛ لا يتحصل عليها العبد إلا بالعمل الصالِح الجاد، كالإدخال في الجنة.

وهكذا تنضوي هذه الأنواعُ كلُّها تَحت قسمين أساسين يتم فيهما إدراك تجليات الوجود الإلهي في مخلوقاته من خلال الصفة الذاتية الإلهية (**الرَّحْمَة**)، بحيث يتقدم ذُو الرَّحْمَةِ التامة ﷻ بتفعيل صفة الرَّحمَة على مخلوقاته. وهذان القسمان هُما: **الرَّحْمَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ** أو الرَّحمَةُ الشَّامِلةُ العَامَّةُ، **والرَّحْمَةُ الأُخْرَوِيَّةُ** أو الرَّحْمَةُ التَّامَّةُ الخَاصَّةُ، ولِكِلاَ القسمين **آثارٌ** جَلِيَّةٌ ورد ذكرُها صراحةً في نصوص الرَّحْمَةِ في القرآن الكريم والحديث الشريف. وعليه، انتظم عِقدُ هذا الفصل في مبحثين: مدار الأول منهما على الرَّحْمَة الدنيوية وآثارها، وخُصِّصَ المبحث الثاني للرَّحمَةِ الأخروية وآثارِها.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم:2753/21.

(2) قال السَّعْدي رحمه الله: «والرَّحْمَةُ التي يتصف بِها العبد نوعان: **النوع الأول**: رَحْمَةٌ غريزيةٌ، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبِهم الرأفة والرَّحْمَة والحنان على الخلق، ففعلوا بِمقتضى هذه الرَّحْمَة جَميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بِحسب استطاعتهم. فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربَما كتب الله لَهم بنياتِهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم. **والنوع الثاني**: رَحمَةٌ يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تَجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجلِّ مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك. ويعلم أن الجزاء من جنس العمل. ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخواناً متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك: من البغضاء، والعداوات، والتدابر. فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجليل ويجتهد في التحقق به، حتى يمتلئ قلبه من الرَّحْمَة، والحنان على الخلق. ويا حبذا هذا الخلق الفاضل، والوصف الجليل الكامل. وهذه الرَّحْمَة التي في القلوب، تظهر آثارها على الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم. وعلامة الرَّحْمَة الموجودة في قلب العبد: أن يكون محباً لوصول الخير لكافة الخلق عموماً، وللمؤمنين خصوصاً، كارهاً حصول الشر والضرر عليهم. فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رَحْمَتُه». بَهجة قلوب الأبرار: 189.

المَبحَثُ الأوَّل
الرَّحمَةُ الدُّنيَوِيَّةُ وآثارُهَا

۞ المطلب الأول: مَفْهُومُ الرَّحْمَة الدُّنيَويَّة:

المسلك الأوَّل: الدنيا لغةً:

الدُّنْيَا: اسمٌ مُشتَقٌّ من الدُّنُوِّ[1]، بمعنى القُرب؛ يُقال: دَنَا مِنْهُ وعلَيْهِ وإلَيْهِ يَدْنُو دُنُوًّا ودَناوَةً: قَرُبَ، فَهُوَ دَانٍ ودَنِيٌّ[2]، ومنه قولُ ساعِدَةَ بنِ جُؤَيَّةَ:

إذا سَبَلُ العَمَاءِ دَنَا عَلَيْه يَزِلُّ بريْدِهِ ماءٌ زَلُولُ[3].

وفي حديث الإيمان قول رسول الله ﷺ: «**ٱدْنُهْ**»[4]؛ أي اقتَرِبْ، هو أَمْرٌ بالدُّنُوِّ والقُرْب، والهاء فيه للسكت، وجيءَ بِها لبيان الحركة[5]. وبينهما دناوة أَي قَرابة[6]. والدُّنْيَا: فُعْلى مأخوذة من الدُّنُوِّ، وهي مؤنث اسم التفضيل الأدنى، يعني: الأقرب، يُقال: هو ابن عمي دنيا؛ قريب النسب، انْقَلَبت الواو فيها ياءً فصارت (دُنْيَا) «لأَن فُعْلى إِذا كانت اسماً من ذوات الواو أُبدلت واوُها ياءً، كما أُبدلت الواو مكان الياء في فَعْلى، فأَدخَلوها عليها في فُعْلى ليَتكافآ في التغيير»[7].

فالدُّنْيَا إذن: اسمٌ لِهَذِهِ الحياةِ، مقابلُ الآخرة. سُمِّيت كذلك لدُنُوِّها أي لقُربِها؛ إما أَنَّها القريبةُ الأجل، أي: أَنَّها قصيرةُ الأمد تنتهي بسرعة، أو أَنَّها قريبة مِنَّا قُربًا مكانيًّا، على أساس أننا نعيش فيها وعلى أرضها، أو أَنَّها قريبةٌ في متناول اليد، أو هي واطئة المكانة (دنية). وأَيًّا كان المعنى فالأمرُ واضحٌ فيها وجَلِيٌّ، هي أمد وليس أبدًا؛ نعيشُ فيها لنقدم ما نستطيع وصولاً إلى الآخرة الأبديَّة. وَالنِّسْبَةُ إليها دُنْيَاوِيٌّ ودُنْيوِيٌّ، والجمع: دُنًى[8].

---

(1) قال الراغب الأصفهاني: «الدّنوّ: القرب بالذّات، أو بالحكم، ويستعمل في المكان والزّمان والمنزلة»، [المفردات/ دنا]. فالذي يكون بالذات كقوله ﷻ: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: 99] أي قريبة التناول سهلته. والذي يكون بالحكم كقول الله ﷻ: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8] أي جعلنا ذلك كنايَّة عن قرب رحمته وإنعامه على عبده. عمدة الحفاظ/ دني.

(2) العين/ دنو، والصحاح/ دنا، والمقاييس/ دنى، والمحكم/د ن و، وشمس العلوم: 4/ 2171، والمختار/ دنا.

(3) البيت لساعِدَةَ بنِ جُؤَيَّةَ، يصفُ جَبَلاً، ديوان الهذليِّين: 1/ 219.

(4) مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: 440.

(5) اللسان/ دنا.

(6) اللسان/دنا، والنهاية في غريب الحديث والأثر: 2/ 137.

(7) قال ابن سيده: هذا قول سيبويه، وزدته أنا بيانا. اللسان/ دنا.

(8) المصباح المنير/ د ن و، والمعجم الاشتقاقي/ دنو.

المسلك الثَّاني: الدنيا اصطلاحاً:

قال أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدُّنْيَا: اسْمٌ لما تَحت فلك القَمَر»[1]. الملاحظ أن هذا التعريف يقتصر على الجانب المادي فقط، ولهذا فإنه لا يرقى إلى الدلالة الكافية على مفهوم الدنيا، ذلك أنه يفتقر إلى تحديد مواصفاتها المادية والمعنوية وطبيعتها وغيرها من السمات الدلالية للمفهوم.

وجاء في موسوعة (نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم) أن الدنيا: «هي ذلك الحيز المكاني والزماني منذ خلق الله الكون وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي بالنسبة للآدمي أو جنس الإنسان تَمتدُّ منذ خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى أن تقوم الساعة، أما بالنسبة للأفراد أو الأشخاص فهي لا تعدو تلك الفترة الزمنية التي تَمتدُّ من لحظة الميلاد إلى لحظة الوفاة»[2]؛ أي: أن الدُّنْيَا هي الحياة الحاضرة أوالعاجلة التي تسبق الحياة الغائبة أو الآجلة أي الآخرة.

وعليه، فإن الرَّحْمة الدنيوية: هي الرَّحْمة العامة المطلقة الواسعة كلَّ المخلوقات في الدنيا؛ بها يعيش الخلائقُ أجمعون، فينالها الإنسُ والجنُ والطيرُ والدوابُّ والمؤمنُ والكافرُ والبرُّ والفاجرُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[3]، وقوله ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هنا يعني كل المخلوقات، وقد ورد أحاديث كثيرة تبين مدى سعة الرَّحْمة الدنيوية، ومنها قوله ﷺ: «**... لَقَدْ حَظَرَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً تَعَاطَفَ بِهَا الْخَلَائِقُ جِنُّهَا وَإِنْسُهَا وَبَهَائِمُهَا**»[4].

هذا الحديث يدل على أن الرَّحْمةَ الدنيويةَ الواسعةَ التي تَملأُ ما بين السماواتِ والأرضِ، وبِها يَتراحَم جَميع الخلائقِ، ما هي إلا جزءٌ واحدٌ من بين مائة جزء. ورغم كون الرَّحْمة الدنيوية عبارة عن جزء واحد، إلا أن لَها آثاراً عظيمةً تفيض علينا وتغمر حياتنا آناء الليل وأطراف النهار.

۞ المطلب الثَّاني: آثَارُ الرَّحْمَةِ في الدُّنيَا:

للرَّحْمة الدنيوية آثارٌ عظيمة يُمكن للإنسان أن يستشعرها عند تأمُّله في الكون والخلق من حوله فيرى بعضها؛ فهي كثيرة ومتنوعة، لا تعدُّ ولا تُحصى، وهي- بسعتها وشُمولِها وعمومها- إما عامة لكل الخلق، وإما خاصة بالأنبياء، وإما خاصة بالمؤمنين. يأتي بيان ذلك على النحو الآتي:

(1) الكليات: 449.

(2) نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم: 4.

(3) سورة غافر، الآية: 7.

(4) مسند أحمد، مسند الكوفيين، حديث جندب، حديث رقم: 18799.

المسلك الأوَّل: الآثارُ العامة:

أولاً: خَلقُ الإنسانِ وتعليمُه:

إن أعظم رَحْمَة حظي بِها الإنسانُ من ربِّه: إيصال خير الوجود إليه ودفع شر العدم عنه، وإسباغ نعمة العلم عليه؛ فبرَحْمَته ﷻ خلق الإنسان وعلَّمه القرآن والبيان، فقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو أصدق القائلين: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1].

والناظر في النظم الجليل للآيات، يلاحظ إسناد خلق الإنسان وتعليمه إلى اسم الرَّحْمٰن[2]، وذلك للإيذان بأنَّها من آثار الرَّحْمة الواسعة، ويؤكد ذلك تقديم المسند إليه لإفادة الحصر. ويلاحظ أيضاً تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان مع العلم بأن الخَلْقَ أصلُ النِّعم على الإنسان[3]، ولعل تفسير ذلك أن تقديم ما قُدِّمَ منها، إشارة إلى الغاية من خلق الإنسان وهو العبادة[4]، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[5]. فلما كان تعلُّمُ القرآن وتعليمه أساس معرفة الدين الذي من أجله خُلق الإنسان، كان تقديمُه أنسب. ثُم أتبع ﷻ ذلك بِما تَميَّز به الإنسان من سائر الحيوان وهو رَحْمَة تعليم البَيَان لأن البيان هو الذي به يتمكن الإنسان عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به تَمكين الإنسان من بيان نفسه، ومن فهم بيان غيره، وهو الذي يدور عليه تعليم القرآن الكريم[6].

فالله ﷻ كرَّم الإنسان على سائر المخلوقات برَحْمَتِه، فأوجده من العدم، ورباه بالنعم، ودبره أحسن تدبير، وصرفه أجمل تصريف، وجعله خليفة له في الأرض، وأرسل إليه الرسلَ لِهدايته وإرشاده للطريق المستقيم؛ ليحيا حياة طيبة، ويَسعد في الدنيا والآخرة، وهذا من تمام الرَّحْمَة عليه.

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 1- 4.

(2) واسم الرَّحْمٰن لا يُطلق إلا في حَقِّ الله ﷻ، يقول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو رَحْمٰنٌ، لأنه خلق الخلق أولا برحْمته، فلمَّا لم يوجدْ في غيره هذه الرَّحْمة و لم يخلقْ أحدٌ أحداً لم يجزْ أن يُقال لغيره: رَحْمٰنٌ». مفاتيح الغيب: 29/ 336.

(3) وذلك على عكس ما في سورةِ العَلَق، حيث قُدِّمَ الخَلْقَ على التَّعْلِيم، قال ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1- 5].

(4) قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغاية متقدمة على ذي الغاية ذهناً وإن كان الأمر بالعكس خارجا»، روح المعاني: 14/ 98.

(5) سورة الذاريات، الآية: 56.

(6) مفاتيح الغيب: 29/ 336، وروح المعاني: 14/ 98.

ثانياً: إنزال القرآن وإبقاؤه:

إن من أهم النعم التي خصها الله عباده في الدنيا بلا اختيار إنزال القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[1]، فالآية الكريمة تقرير قاطع عن عدم تطلع الرسول ﷺ إلى الرسالة إنما هو اختيار الله ﷻ؛ فما كان ﷺ يأمل قبل بعثته أن يترل عليه القرآن، ولكن اقتضت رَحْمةُ الله إنزاله عليه ليرحم به العالمين، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[2]، فهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم تقتضي الحمد والشكر لله ﷻ[3].

ولئن كان إنزال القرآن الكريم على رسول الله ﷺ من أبلغ الخيرات والألطاف التي أفاض الله على هذه الأمة فإن حفظه و إدامته من أجلِّ الفضائل والرَّحَمات؛ يقول أصدق القائلين ﷻ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾[4]. والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن وذلك بإزالة العلم به عن القلوب ومحو حفظه عن الصدور وإزالة النقوش الدالة عليه من الكتب والمصاحف فلم نترك له أثرا، ثُمَّ لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مستورا، ولكن اقتضت رحمة الله إبقاءه، «وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تترليه وتحفيظه، فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما، وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره، ومنته عليه في بقاء المحفوظ»[5].

فالاستثناء في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ منقطع فحرف الاستثناء فيه بمعنى الاستدراك، وهو استدراك على ما اقتضاه فعل الشرط من توقع ذلك، وهذا إيماء إلى بقاء القرآن وحفظه[6]. يقول الله ﷻ وهو أعز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[7].

---

(1) سورة القصص، الآية: 86.

(2) سورة الجمعة، الآية: 2.

(3) تيسير الكريم الرحمن: 625، وفي ظلال القرآن: 5/ 2715، وأوضح التفاسير: 1/ 480، والخواطر: 18/ 11047، وأيسر التفاسير: 4/ 106.

(4) سورة الإسراء، الآية: 86 - 87.

(5) الكشاف: 2/ 691، ومفاتيح الغيب: 21/ 405.

(6) التحرير والتنوير: 15/ 201.

(7) سورة الحجر، الآية: 9.

ثالثاً: تسخير الليل والنهار:

من رَحْمة الله ﷻ لعباده أن سخَّر لهم الليل والنهار نعمتَينِ عظيمتين دَبَّرَ فيهما وبهما جميعَ منافعهم ومصالحهم، ولا يستغنون عنهما أبدا، حيث يتعاقبان عليهم فيستعينون بسكون الليل على النوم وأخذ الراحة والاستقرار فيه لاستعادة نشاطهم، ويستعينون بالنهار على العمل والسعي في الأرض ابتغاء ما ينفعهم في معاشهم، قال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

يقول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن رَحْمتِه زاوج بين اللَّيْلِ والنَّهَارِ لأغراضٍ ثلاثةٍ: لتسكنوا في أحدِهِما وهو اللَّيْلُ، ولتبتغُوا من فضله في الآخَرِ وهو النَّهَارُ، ولأداءِ الشُّكْرِ على المنفعَتَيْنِ معاً»[2]. فتقسيم اليوم بهذه الطريقة الإلهية المبدعة علامة مهمة وأثر كبير من آثار رَحْمَةِ الله ﷻ؛ فلو كان اليوم كله عبارة عن نهار فقط لهلكنا من التعب والعمل، ولو كان ليلا فقط لتعبنا من الراحة الكثيرة و لم نجد قوت يومنا فكانت هذه الحالة من رَحْمة الله الواسعة بنا.

رابعاً: إنزال الغيث:

جعل الله الماء أساس الحياة لكل شيء في هذه الأرض، ولولاه لَما عاشت الكائنات الحية؛ فهو مصدر حياة كل شيء، أي كل كائن مصداقاً لقول ربِّنا ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[3].

وعليه، فإن الغيث وإنزاله من أعظم آثار رَحْمَة الربِّ ﷻ التي يستفيد منها جميع الخلائق: الجن والإنس والحيوان والنبات، ذكرا أو أنثى، كبيرا أو صغيرا، بريا أو بحريا وغيرها من الكائنات. قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن رَحْمةِ الغيث: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[4].

---

(1) سورة القصص، الآيات: 71- 73.

(2) مفاتيح الغيب: 25/ 12.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 30.

(4) سورة الشورى، الآية: 28.

وقال عن الرياح التي تحمله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾[1]، وقال أصدق القائلين ﷻ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٤٦﴾[2]. ورَحْمته هنا هو الغيث الذي هو من أتمّ النعم وأجلها وأحسنها أثراً[3].

وبِما أن الغيثَ من رَحْمة الله، كما في الآيات الكريمات، إذن كان من البديهي أن توصف آثار الغيث من النبت والشجر وتنوع الثمار واخضرار الأرض بأنها آثار رَحْمة الله؛ قال الله ﷻ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾[4].

خامساً: إرسال الرسل:

من الآثار الرائعة لرَحْمة الله ﷻ، إرسال الرسل في الدنيا لتبين للناس حقيقة خلقهم، ومن هو خالقهم المستحق للعبادة وكيفية عبادته، وليخرجهم من الجهل إلى العلم، ومن الغيّ إلى الرشد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة؛ فقال أرحم الراحِمين ﷻ في إرسال خاتم أنبيائه وسيد رسله، وصفوته من خلقه سيدنا محمد ﷺ الذي امتنَّ به على الأمة، وكشف به الظلمة، وأزاح به الغمة، وجعله رَحْمةً للعالمين أجمعين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[5].

فبرَحْمة الله ﷻ صار النبي ﷺ رحيما بأمته، ولولا أن الله ﷻ فطره ﷺ على الرَّحْمة، وألقى في قلبه داعية الخير واللطف لما اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحّدت تحت قيادته، فيتحقق مراد الله ﷻ من إرساله ﷺ[6]، قال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[7].

---

(1) سورة الأعراف، الآية:57.

(2) سورة الروم، الآية: 46.

(3) جامع البيان: 12/ 493، والكشاف: 2/ 111، والمحرر الوجيز: 2/ 413.

(4) سورة الروم، الآية: 50.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(6) صفوة التفاسير: 1/ 219.

(7) سورة آل عمران، الآية: 159.

ولهذا امتن الله ﷻ على المؤمنين ببعثة رسوله ﷺ، ونوه بصفاته الجامعة للكمال التي من أخصها: حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في الإسلام ليكون رؤوفاً رحيماً بهم، ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم؛ قال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1]. فهذا من آثار الرَّحْمة التي جعلها الله ﷻ مقارنة لبعثة رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2]. ولذلك قال ﷺ لما قيل له: يا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[3].

وقال ﷻ عن بعثة نبينا عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[4]. فذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة: أن من حكم خلقه عيسى من أنثى بدون ذكر ليجعله علامة دالة على كمال قدرته للناس، ورَحْمَةً عَظِيمَةً عليهم يهتدون بهدايته، ويسترشدون بإرشاده[5].

سادساً: إنزال الكتب:

لَمْ يقتصرْ الأمرُ الإلهيُّ باختيار الإنسان خليفة في الأرض، بل اقتضت حكمته ومشيئته ﷻ ألاّ يخلقه عبثاً، وألاَّ يتركه سُدًى، فتكفَّل بهدايته وإرشاده، والأخذ بيده إلى الطريق الأقوم والمنهج الأمثل؛ فأنزل الكتب لتستقيم حياته على سنن الرشاد، وليحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، ولتأمينِ مصالحه بِجلبِ النفع له، ودفع الضرّ عنه، فترشده إلى الخير، وتدلَّه على البر، وتأخذ بيده إلى الهدى القويم، وتكشِفُ له طريق الخير، وتُحذِّره من الغواية والشرِّ. وذلك من أعظم آثار رَحْمَة الله. قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 128.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: 2599.

(4) سورة مريم، الآية: 21.

(5) إرشاد العقل السليم: 5/ 261، وأضواء البيان: 3/ 388.

(6) سورة القصص، الآية: 86.

هذا، وقد وردت آياتٌ كثيرةٌ دالةٌ على أن الكُتُبَ من أجلِّ آثار الرَّحْمَةِ على العباد، حيث وردت عن القرآن الكريم سبع عشرة آية، منها قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1]. وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[2].

ووردت عن التوراة خمس آيات، منها ما ورد في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾[4].

سابعاً: منع المفسدين من الإفساد

إن من أجلِّ آثار رحمة الله جَلَّ وَعَلَا أن يَمنع المفسدين من الإفساد بشتى أنواعه، كما يُلاحظ في مَنعِ فَسادِ أُمَّةِ ياجُوجَ وماجُوجَ عَنْ أُمَّةٍ أُخْرى صالِحَةٍ على يد ذي القرنين، فقال الحق جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[5].

أي: فَما اسطاع يأجوجُ ومأجوجُ أن يصعدوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم وبين من دونَهم من الناس، لِطُولِه ارتفاعه ومَلاسَتِه، وما استَطَاعُوا أن ينقُبُوه من أسْفَلِه لِشِدَّتِه وصَلابَتِه. وقال ذُو القرنين مُشِيرًا إلى التَّمكِينِ مِن بِنَاءِ السَّدِّ الذي منع به فسادَ يأجوج ومأجوج: هَذَا أَثَرٌ مِن آثَارِ رَحمَةِ الله على كافة العباد لا سيما الذين يخشون مَعَرَّةَ المفسدين لَو لَم يَكُنْ هذا الردم المنيع[6].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 52.

(2) سورة الأعراف، الآيتين: 203 - 204.

(3) سورة القصص، الآية: 43.

(4) سورة هود، الآية: 17.

(5) سورة الكهف، الآية: 97 - 98.

(6) جامع البيان: 117/18، ومعالم التنزيل: 205/5، وفتح القدير: 370/3، والكشاف: 748/2، ومفاتيح الغيب: 500/21.

ثامناً: الإنْقاذُ من الغَرَق:

إن من تَمام نعمة الله على عباده، تسخير الفلك لتحملهم على ظهور البحار والمحيطات؛ فتقلهم وأمتعتهم إلى حيث يريدُونَ من البلاد والأقطار، ومن كمال رَحمَتِه ﷻ إنقاذهم من الغرق، ولو شاء الله لأغرقهم فلا مغيث لهم ولا مجير. قال ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾[1].

أي: اقتضت رَحْمَةُ الله أن يُنقِذَهم ويغيثَهم ويُمتِّعهم بحَياةٍ مُؤقَّتة[2]. من هنا أشار الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الإنْقَاذ على قِسمَين: الرَّحْمَةِ وَالمَتَاعِ، «أَي فِيمَن عَلِمَ اللهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ فَيُنْقِذُهُ اللهُ رَحْمَةً، وَفِيمَن عَلِمَ أَنَّهُ لا يُؤْمِنُ فَلِيَتَمَتَّعَ زَمَانًا وَيَزْدَادَ إِثْمًا»[3]؛ فإنقاذهم رَحْمَةٌ للمؤمنين ومَتَاعٌ للكافرين.

تاسعا: تَسهيل الشَّرائع على المُكلَّفين:

ومن آثار الرَّحْمَة أن الله ﷻ لَم يَجعلْ في شريعته إصرا وثِقلا وعَنتا لا مَحيصَ للإنسانِ مِن تَحمُّلِه إذا ما أرادَ النَّجاة من النَّار، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4]؛ فَكَلَّفَ عباده مِمَّا يَقدِرُونَ عَلَيهِ. قال ﷻ في سياقِ تفصيلِ أحكام القَتل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[5].

فهذا الحكم تَخْفِيفٌ من الله ﷻ على عباده وَرَحْمَةٌ منه ﷻ بهِم، حيث وسَّع لَهم في الاختيار، ويسر عليهم في تَنْزيل الحُكم على حسَب المنازل والمراتب؛ فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا. وبهذا نرى أن الإسلام قد جَمَع في تشريعه الحكيم لعقوبة القتل بين العدل والرَّحْمَة. إذ جعل القصاص حقًّا لأولياء المقتول، إذا طالبوا به لا ينازعهم في ذلك منازع، وهذا عين الإنصاف والعدل. وجعل العفو تَخفيفاً على القاتل بإبقاء حياته وإنقاذها من القتل وهذا محض الرَّحْمَة. وجعل الدية نفعاً لأولياء القتيل، لأنهم سينتفعون بهذا المال في كثير من مطالب حياتهم[6].

---

(1) سورة يس، الآيات: 41 – 44.

(2) بحر العلوم: 3/ 125، ولطائف الإشارات: 3/ 219، ومفاتيح الغيب: 26/ 286، وأنوار التنْزيل: 4/ 269.

(3) مفاتيح الغيب: 26/ 286.

(4) سورة الحج، الآية: 78.

(5) سورة البقرة، الآيتين: 178– 179.

(6) أنوار التَنْزيل: 1/ 122، ومدارك التَنْزيل: 1/ 156، وإرشاد العقل السليم: 1/ 196، ومحاسن التأويل: 2/ 3.

عاشرا: الإئتلاف والجماعة:

ومن آثار الرَّحْمَة ائتلاف أهل الإيمان واتفاقهم على الحق، حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية. قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]. أي: لَو شاءَ الله لاضطر النَّاسَ كلهم إلى الاتفاق على مِلَّةٍ واحِدَةٍ وهي ملة الإسلام، فمشيئته تَبَارَكَ وَتَعَالَى غير قاصرة، ولا يَمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن مكَّنهم من الاختيار، فاختار بعضُهم الحقَّ وبعضُهم الباطلَ، وكل ميسَّر لما خُلِق له، فاختلفوا! ولا يزالون مختلفين إلا مَن رَحِمَهم الله ﷻ؛ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق على الصراط المستقيم، واتباع ما جاءت به الرسل من عند الله، غير مختلفين فيه، فهؤلاء تداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، أي: لذلك التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم، ليثيب مُختار الحق بِحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره[2].

هذا، وقد ثبت في السنة النبوية الشريفة أن الجماعةَ رَحْمَةٌ والفرقة عذاب؛ فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ القَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ﷻ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[3].

تلكم بعض الآثار التي صرح بها النص القرآني والحديثي، ولو نظر العبدُ إلى آثار رحمة الله فإنه لا يستطيع أن يعدَّها أو يحصيها؛ لأنها تحيط به في كلِّ جانب، وتدور معه حيث دار، بل تحيط به مع كلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، وكلِّ نبضة من نبضاته. يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورَحْمَةُ الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العدُّ، ويعجز الإنسان عن مُجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بِما كرمه، وفيما سخَّر له مِن حوله، ومن فوقه ومن تَحته، وفيما أنعم به عليه مِمَّا يعلمه ومِمَّا لا يعلمه وهو كثير»[4]. ولئن كانت آثار الرَّحْمَة الدنيوية التي تنضوي تحت جزء واحد من أجزاء الرَّحْمَة كثيرة ومتعددة تند عن العد والحصر، فإنه يستحيل الإحاطة بآثار الرَّحْمَة الأخروية؛ فمن آثارها الجنة، وفيها من الرَّحمَة «**مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[5].

---

(1) سورة هود، الآية: 118 – 119.

(2) ينظر: الكشاف: 2/ 438، وتيسير الكريم الرحمن: 1/ 392.

(3) مسند أحْمَد، مسند الكوفيين، بقية حديث النعمان بن بشير، حديث رقم: 19350.

(4) في ظلال القرآن: 5/ 2921.

(5) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، حديث رقم: 4779.

المسلك الثَّاني: الآثارُ الخاصة بالأنبياء:

أولاً: تخصيصهم بالرسالة:

حظي الأنبياء عليهم السلام برَحْمَةٍ عظيمة من ربِّهم، وهي: تَخصيصهم بالرسالة؛ قال الحق عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[1].

يعني هذا القول الذي أجراه الله عز وجل على لسان نبيه نُوح عليه السلام في رده على الملأ من كفار قومه: يا قوم أخبروني إن كنت على علمٍ ومعرفةٍ وبيان وبصيرة من الله عز وجل، بها يتبين الحق من الباطل. ومنحني بفضله وإحسانه رَحْمَةً عظيمة من عنده باختياري للرِّسالة والنُّبُوَّةِ، فهي رَحمَةٌ خاصة فوق رَحمَتِه العامة للناس كافة. فخفيت عليكم هذه الرَّحْمَة خفاء عماية، فلم تبصروها ولَم تعرفوها، وغاب عنكم الانتفاع بهداياها؛ لأنكم ممن استحب العمى على الهدى! أنُكرِهُكم على قبولِها، والاهتداء بِها، وَالحَالُ أَنَّكُم معرضون عنها؟ كلا، نكل أمركم إلى الله حتى يقضي فيه بمشيئته[2].

وقال عز وجل على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾[3]. أي: قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله يجعلني على يقين من أن هذا هو الطريق القويم، وأنه آتاني رَحْمَةً منه فخصني برسالته، ثم عصيته فيما أرسلني به إليكم، فلم أبلِّغْ الرسالة وأنصحْ لكم، وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده، فمن ينصرني ويجيرني من الله حينئذ؟ إنكم لا تستطيعون نفعي إن عصيته، ولا تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير، إن آثرت ما عندكم على ما عند الله، واشتريت رضاكم بسخطه[4].

وقال عز وجل ردًّا على كفَّار قريش الذين أنكروا تخصيص سيدنا مُحَمَّد ﷺ بالنبوة، فقالُوا إن النُّبُوَّةَ أشْرَفُ المَراتِب، وأعلى المَنازِل، وأرقى الدَّرَجَاتِ، فكيْفَ يُعقَلُ أن يُختَصَّ مُحَمَّدٌ ﷺ بِهَا؟: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾[5].

---

(1) سورة هود، الآية: 28.

(2) ينظر: جامع البيان: 297/15، وبَحر العلوم: 146/2، ومفاتيح الغيب: 17/ 338، وإرشاد العقل السليم: 4/ 201، وفتح القدير: 2/ 561، ومحاسن التأويل: 6/ 89، وتفسير المراغي: 12/ 27، وفي ظلال القرآن: 4/ 1873.

(3) سورة هود، الآية: 63.

(4) التفسير الميسر: 229، وأيسر التفاسير لأسعد حومد: 1537.

(5) سورة ص، الآيتين: 8 - 9.

والمعنى أنَّهم لا يَملكون خزائن رَحْمَةِ الله، من النُّبُوَّة وما هو دونَها من النعم، حتى يعطوها أو يَمنعوها كيف يشاءون. والحقيقة أن مَنصِبَ النُّبُوَّةِ عطيةٌ عَظِيمةٌ، ودرجَةٌ عالِيَةٌ، والله ﷻ هو القادِرُ على هِبَتِهَا، فيَتفضَّل بِها على من يشاء من عباده لا مانع له؛ فإنه القاهر الذي لا يُغلب، والمعطي بغير حساب، الذي له أن يهب كل ما يشاء لِمن يشاء[1].

ومثله قول الله ﷻ في الرد على المشركين لما استبعدوا نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ، لأنه فقيرٌ عديم المال والجاه، واقترحوا أن ينْزل عَلى رَجُلٍ من عظماء مكة أو الطائف، بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل، لا يليق به إلا الجليل مِن حيث سعة المال والجاه، ولَم يدروا أن العظيم من عظَّمه الله ﷻ، لا من عظَّمه الناس؛ إذ رُبَّ عظيم عندهم حقير عند الله، وبالعكس: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

فرد الله ﷻ عليهم مستنكرا اقتراحهم: أبأيديهم تدبير رَحْمَة الله، فيعطون النبوة والرسالة لأصحاب الجاه، دون من يشاء الله ﷻ، وينْزِلون القرآن على من يُحبون؛ دون من يُحب الله؟! وأنى لهم ذلك؟ وهم لا يَملكون لأنفسهم شيئا، حتى تدبير معيشتهم في الدنيا تولاه الله ﷻ وفق حكمته وتقديره لعمران الأرض ونُمو هذه الحياة؛ ففضل بعضَهم على بعضٍ فى الرزق والجاه، ليتخذ بعضُهم من بعضٍ أعواناً، حتى يتساندوا فى قضاء الحاجات وطلب العيش وتنظيم الحياة[3].

فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله ﷻ، وهو الذي يقسمها بينهم، بِحسب حكمته، فرَحْمَتُه الدينية، التي أعلاها النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة، أوْلى وأحرى أن تكون بيده ﷻ، فالله يَخصُّ بالنبوّة من يشاء من عباده على ما تقتضيه إرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتِهم؛ فكما قسم معيشتهم قسم المواهب الدينية كذلك. والحال أن رَحْمَةَ النُّبُوَّة وما يتبعها من سعادة الدارين خير من أكبر مقامات الدنيا ومِما يَجمعون من حطامها الفاني[4].

---

(1) فتح القدير: 4/ 484، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 202، ومفاتيح الغيب: 26/ 370.

(2) سورة الزخرف، الآيتين: 31- 32.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل: 258/2، وروح البيان: 365/8، وتيسير الكريم الرحمن: 765، وفي ظلال القرآن: 3186/5.

(4) ينظر: أنوار التنزيل: 5/ 90، ومفاتيح الغيب: 27/ 630، وإرشاد العقل السليم: 8/ 46، والبحر المديد: 5/ 245، ومحاسن التأويل: 8/ 388.

ثانيا: حفظهم من إضلال الناس:

ذكر الله ﷻ منته وفضله على رسوله ﷺ بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضله من المنافقين، ففضحهم، وفضح أساليبهم، وبهذا حرس الله ﷻ نبيَّه وحَماه مما كانوا يكيدون له! فقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[1]. أي: «ولولا أن الله تفضل عليك بالوحي ورَحِمَك بالإدراك النافذ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم، لأن الله مُطْلِعُكَ، وبصيرتك نافذة إلى الحق، فلا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذي هو ميزان الحق، وأودع قلبك الحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لَم تعلمه إلا بوحي منه، وإن فضل الله عليك عظيم دائماً»[2].

قيل: إن المراد بالفضل والرَّحْمَة لرسول الله ﷺ أن الله ﷻ نبهه على الحق بالوحي، وقيل: الفضل النبوة، والرَّحْمَة العصمة. وقيل: الفضل الحفظ، والرَّحْمَة الحراسة. وكلها معاني متقاربة[3].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمُرَادُ بِالفَضْلِ والرَّحْمَةِ هُنَا نِعْمَةُ إِنْزَالِ الكِتَابِ تَفْصِيلا لِوُجُوهِ الحَقِّ فِي الحُكْمِ وَعِصْمَتِهِ مِنَ الوُقُوعِ فِي الخَطَأِ فِيهِ. وَظَاهِرُ الآيَةِ أَنَّ هَمَّ طَائِفَةٍ مِنَ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أنفسهم بِأَن يضلُّون الرَّسُولَ غَيْرُ وَاقِعٍ مِنْ أَصْلِهِ فَضْلا عَنْ أَنْ يُضِلُّوهُ بِالفِعْلِ. ومَعنى ذَلِكَ أَنَّ عِلْمَهُمْ بِأَمَانَتِهِ يَزَعُهُمْ عَنْ مُحَاوَلَةِ تَرْوِيجِ البَاطِلِ عَلَيْهِ إِذْ قَدِ اشْتُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَمِينٌ فَلا يَسعُهُمْ إِلا حِكَايَةُ الصِّدْقِ عِنْدَهُ، وَأَنَّ بَنِي ظَفَرٍ لَمَّا اشْتَكَوْا إِلَيْهِ مِنْ صَنِيعِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ وَعَمِّهِ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ أَصْحَابَهُمْ بَنِي أُبَيْرِقٍ عَلَى الحَقِّ، أَوْ أَنَّ بَنِي أُبَيْرِقٍ لَمَّا شَكَوْا إِلى رَسُولِ اللهِ بِمَا صَنَعَهُ قَتَادَةُ كَانُوا مُوجِسِينَ خِيفَةً أَنْ يَطَّلِعَ اللهُ رَسُوله عَلَى جَلِيَّةِ الأَمْرِ، فَكَانَ مَا حَاوَلُوهُ مِنْ تَضْلِيلِ الرَّسُولِ طَمَعًا لا هَمًّا، لأَنَّ الهَمَّ هُوَ العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ وَالثِّقَةُ بِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ انْتِفَاءُ هَمِّهِمْ تَضْلِيلَهُ فَضْلاً وَرَحْمَةً، لِدَلالَتِهِ عَلَى وَقَارِهِ فِي نُفُوسِ النَّاسِ، وَذَلِكَ فَضْلٌ عَظِيمٌ»[4].

---

(1) سورة النساء، الآية: 113.

(2) المنتخب: 130.

(3) ينظر: روح المعاني: 3/ 138، وفتح البيان: 3/ 236، والتفسير الميسر: 96.

(4) التحرير والتنوير: 5/ 197.

ثالثا: إنْجاؤُهم من كيد الكافرين:

ومن آثار رَحْمَة الله على أنبيائه إنْجاؤهم من عذابه البئيس؛ الذي لا ينْزل إلا بأمره، ولا يُدفع إلا برحمته. ومنه إنجاء نبيه هود عليه السلام والذين آمنوا معه برَحْمَةٍ عظيمةٍ منه عز وجل، حين وقع عذاب الله على قوم عاد بإرسال الريح الشديدة عليهم، واستئصال دابر الكافرين عن آخرهم. فقال عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾[1]. أي: «فأنْجينا هوداً والذين آمنوا معه برَحْمَةٍ منا، وأنزلنا بالكافرين ما أبادهم ولَم يُبْق لَهم من بقية وأثر، وما كانوا داخلين فى زمرة المؤمنين»[2].

وقال الحق عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾[3]. أي: «ولَما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نَجَّينا منه هودًا والمؤمنين بفضلٍ منَّا عليهم ورَحْمَةٍ، ونَجَّيناهم من عذاب شديد أحله الله بعادٍ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم»[4].

وقال عز وجل في إنجاء نبيه صالح عليه السلام من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثَمود برَحْمَةٍ خاصةٍ منه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[5]. أي: «فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحًا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلَّته. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومِن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَّى الرسل وأتباعهم»[6].

وقال عز وجل في إنْجاء نبيه شعيب عليه السلام من عذاب مدين: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[7]. أي: «ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجَّينا رسولنا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، فأهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حِرَاك بِهم»[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 72.

(2) المنتخب: 216.

(3) سورة هود، الآية: 58.

(4) التفسير الميسر: 228.

(5) سورة هود، الآية: 66.

(6) التفسير الميسر: 229.

(7) سورة هود، الآية: 94.

(8) التفسير الميسر: 232.

رابعا: تمكينهم ومن اتبعهم في الأرض:

ومن آثار الرَّحْمَة الخاصة بالأنبياء تَمكينهم في الأرض بالسلطة والقدرة والعلم، ومن ذلك تَمكين نبي الله يوسف عليه السلام في أرض مصر، حيث ينْزل منها بأي مكان يريد. فقال الحق جَلَّوَعَلَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1]. أي: وهكذا كان تمكين الله ليوسف عليه السلام في الأرض، بحيث أدار شؤون مصر بحزم وعدل؛ يصيب الله برَحْمَتِه من يشاء من عباده، ولا يضيع أجر مَن أحسن شيئًا مِن العمل الصالِح[2]. ومكَّنه أيضا بعلم التأويل، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[3].

وقال عز وجل عن الملك الصالِح ذي القرنين[4]، حيث مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريد، فأخذ بتلك الأسباب والطرق بجد واجتهاد: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[5]. أي: «يسألك -أيها الرسول- بعضُ الكفار عن نبإ ذى القرنين، فقل لَهم: سأقص عليكم بعض أخباره. لقد مكنَّا لأمره فى الأرض، يتصرف فيها بتدبيره وسلطانه، وآتيناه الكثير من العلم بالأسباب ما يستطيع به توجيه الأمور. فاستعان بِهذه الأسباب على بسط سلطانه فى الأرض»[6]. وبِموجب هذا التمكين استطاع ذو القرنين أن يقيم سدًّا يَحول بين يأجوج ومأجوج وبين غيرهم، فقال حين أفرغه: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[7]. أى: قالَ ذو القرنين هذا الإقدار والتمكين الذي ظهر على يدي وحصل بِمباشرتي من تسوية هذا السد المتين وغيره، أثرٌ من آثار رَحْمَة الله عز وجل على كافة العباد لا سيما على مجاوريه[8].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 56.

(2) التفسير الميسر: 242.

(3) سورة يوسف، الآية: 21.

(4) وذو القَرْنَين هو رَجُلٌ صالِحٌ عالِمٌ مِن عُظَمَاءِ العَالِم. والرأي الراجح أنه كان عبدا صالحاً مُلهَمًا مِن الله عز وجل، ولم يكن نبياً. بل قيل إنَّه كان مَلِكًا صَالِحًا عَادِلا، شَمِلَ مُلكُهُ أَقْطَارًا شَاسِعَةً، وبَلَغَ في فُتُوحِهِ مِن جِهَةِ المَغْرِبِ مَكَانًا كَانَ مَجْهُولا وَهُوَ (عَيْنٌ حَمِئَةٌ)، وبَلَغَ بِلادَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، حيث أَقَامَ سَدًّا يَحُولُ بَيْنَهم وَبَيْنَ قَوْمٍ آخَرِينَ. ينظر: التحرير والتنوير: 16/ 20.

(5) سورة الكهف، الآيات: 83 - 85.

(6) المنتخب: 439.

(7) سورة الكهف، الآية: 98.

(8) ينظر: إرشاد العقل السليم: 5/ 246، والتفسير الوسيط لطنطاوي: 8/ 575.

خامسا: استجابة الدعاء وكشف الضر:

ومن الآثار الخاصة بالأنبياء استجابة دعائهم وكشف الضر عنهم، كما جاء في قصة نبي الله أيوب عليه السلام، حيث قال عز وجل: ﴿ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]. أي: واذكر نبي الله أيوب عليه السلام حين نادى رَبَّهُ متحليا بغاية الأدب والخشوع واللطف؛ فذكر نفسه بما يوجب الرَّحْمَة، وهو الإصابة بالضر، وذكر ربه بغاية الرَّحْمَة، ولَم يصرح بالمطلوب وهو الاستجابة وكَشْف الضُّرِّ عَنْهُ. فاسْتَجَاب الله دعوتَه بإثرِ كلامِه، وكَشَفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ ضُرٍّ، رَحْمَةً منه عز وجل به، وتذكيرا للعابدين بالاقتداء به، وحتى لا يبأس مؤمن من عفو الله ورَحْمَتِه، وإحسانه، ولا يطمع مؤمن في أنه لا يصاب بسوء أو مكروه في هذه الدنيا، فالدنيا دار ابتلاء[2].

وقال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[3]. أي: دعا أيوب عليه السلام ربه أن الشيطان تسبب له بتعب ومشقة. فاستجاب له وكشف عنه ضره، رَحْمَةً منه عز وجل به وإكرامًا له على صبره، وعبرة لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر[4].

ومنه كذلك استجابة دعاء نبي الله زكريا عليه السلام عندما طلب من ربه سبحانه وتعالى الذرية الصالِحة. قال عز وجل: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾[5]. أي: هذا ذكر رَحْمَةِ الله لعبده زكريا، حين دعا ربه خفية ليهب له ولدا صالحا يرث منه العلم والنبوة والحكمة، ويرث من آل يعقوب الملك، ويجعله مرضيا عنده، وعند خلقه. فاستجاب الله عز وجل لدعائه، وبشره بولد اسمه يحيى، لم يجعل الله لاسمه مماثلا من قبل[6].

---

(1) سورة الأنبياء، الآيتين: 83- 84.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 17/ 127، والتفسير الوسيط للزحيلي: 2/ 1606.

(3) سورة ص، الآيات: 41- 43.

(4) التفسير الميسر: 455، والمنتخب: 678.

(5) سورة مريم، الآيات: 2- 7.

(6) ينظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد: 2257، والتفسير الميسر: 305، والمنتخب: 443.

المسلك الثَّالث: الآثارُ الخاصة بالمؤمنين:

أولاً: تثبيتهم على الإيمان:

من آثار الرَّحْمَة الخاصة بالمؤمنين تثبيتهم على الإيمان ومعرفة الحقيقة، وحفظهم من الزيغ عن الحق، قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾[1]. أي: «ويقولون: يا ربنا لا تَصْرِف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رَحْمَةً واسعةً، إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء، تعطي مَن تشاء بغير حساب»[2].

ثانيا: حفظهم من الشيطان:

ومن آثار رَحْمَة الله على المؤمنين حفظهم من إغواء الشيطان ووساوسه واتباع سبيله ومكائده، وذلك بتوفيقهم إلى الخير والطاعة، وإخلاص دينهم لله جَلَّجَلَالُهُ واعتصامهم به. فقال الحق ﷻ وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾[3]. يعني: «ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الإيمان، ومنع الفتنة، ورَحْمَتُه بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار، لاتبع أكثركم إغواء الشيطان، ولَم ينجُ من إغوائه إلا القليل»[4]. ومنه أيضا قوله ﷻ: ﴿* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾[5].

ثالثا: عدم مؤاخذتهم بالذنوب في الدنيا:

ومن الآثار الخاصة بالمؤمنين، عدم التعجيل بالعقوبة فى الدنيا، وإسْقَاطُه في الآخِرَةِ. مصداقا لقول الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤﴾[6]. يعني: «ولولا فَضْلُ الله عليكم ورَحْمَتُه لكم بحيث شَملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم، وتاب على مَن تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم»[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 8.

(2) التفسير الميسر: 50.

(3) سورة النساء، الآية: 83.

(4) المنتخب: 123.

(5) سورة النور، الآية: 21.

(6) سورة النور، الآية: 14.

(7) التفسير الميسر: 351.

رابعا: الابتلاء بالطَّاعُون:

جعل اللهُ ﷻ أمرَ المؤمنِ كلَّه له خيرًا، في السَّراءِ والضَّراءِ، حيثُ جَعَل ما عُدَّ عَذابًا لغيرِه رَحْمَةً له، كمَرَضِ الطَّاعونِ المُهلِكِ[1]؛ فبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّه عَذابٌ على الكافرين، ورَحْمَةً للمؤمنينَ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي «**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**»[2].

وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها، أَنَّهَا سَأَلَتْ عَنِ الطَّاعُونِ، فَقَالَ ﷺ: «**كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ يَكُونُ فِيهِ، وَيَمْكُثُ فِيهِ لاَ يَخْرُجُ مِنَ البَلَدِ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**»[3].

يتضح من مَفْهُوم النصِّ الشريف – كَمَا اقْتَضَى مَنْطُوقُهُ – أَنَّ الطَّاعُونَ «**رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**» وذَلك من حَيْثُ إِنَّه يَتَضَمَّنُ رَحْمَةً خاصَّةً متمثلة في الشهادة، بقرينة قوله: «**مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**»[4]. فمَن اتَّصَفَ بالصَّبر والاحتِساب والتوكُّلِ على الله حين وقع به الطَّاعُونُ، يَحصُلُ له أَجرُ الشَّهيدِ، ولَعَلَّ ذلك هو السر في التَّعبيرِ بِالمِثلِيَّةِ، حيثُ يُفهَم أنَّ مَن مات بالطَّاعُونِ كان شَهيدًا، ومَنْ لَمْ يَمُتْ كان له مثل أَجرِ الشَّهيدِ. وقد أورد ابن حجر العسقلاني رحمه الله حديثاً في اسْتِواءِ شَهيدِ الطَّاعُونِ وشَهيدِ المعركةِ، أخرجه أحْمَدُ بسندٍ حسنٍ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي الشُّهَدَاءُ وَالمُتَوَفَّوْنَ بِالطَّاعُونِ، فَيَقُولُ أَصْحَابُ الطَّاعُونِ: نَحْنُ شُهَدَاءُ، فَيُقَالُ: انْظُرُوا، فَإِنْ كَانَتْ جِرَاحُهُمْ كَجِرَاحِ الشُّهَدَاءِ تَسِيلُ دَمًا رِيحُهَا رِيحُ المِسْكِ، فَهُمْ شُهَدَاءُ، فَيَجِدُونَهُمْ كَذَلِكَ**»[5].

فالطَّاعُونُ وإن كان محنةً في الصُّورَة، فَهُوَ من آثار رَحْمَةِ الله بالمؤمنين، والظفر بها منوطة بالصبر والثبات والاحتساب والتوكل على الله ﷻ، كما قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**».

---

(1) والطَّاعُونُ: مَرَضٌ مُعْدٍ سَرِيعُ القَتْلِ والانْتِشارِ. وقيلَ: هوَ اسمٌ لكُلِّ وَباءٍ عامٍّ يَنتَشِرُ بسُرعةٍ، وسُمِّيَ طاعونًا لِسُرعةِ قَتْلِه. ينظر: الذخيرة: 325/13، والحاوي الكبير: 343/9، الموسوعة الفقهية الكويتية، 329/28. والعين، والمصباح، واللسان/ طعن.

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3474.

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون، حديث رقم: 5734.

(4) فتح الباري لابن حجر: 192/10، وعمدة القاري: 261/21، وإرشاد الساري: 387/8، وفيض القدير: 4/ 287.

(5) فتح الباري: 193/10. ومسند أحمد، مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ، حَدِيثُ عُتْبَةَ بنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ أَبِي الوَلِيدِ، حديث رقم: 17651.

خامساً: تليين قلب الرسول عليهم:

ومن آثار الرَّحْمَة على المؤمنين تليين قلب الرسول عليهم ومعاملته لهم بالرفق والتلطف. قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[1]. أي: «كان رَحْمَة من الله بك وبهم أن لِنْتَ لَهم ولَم تغلظ في القول بسبب خطئهم، ولو كنت جافي المعاملة قاسي القلب، لتفرقوا من حولك، فتجاوز عن خطئهم، واطلب المغفرة لَهم، واستشرهم فى الأمر متعرفاً آراءهم مِمَّا لَم ينْزل عليك فيه وحي، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاروة فامض فيه متوكلاً على الله، لأن الله يُحب من يفوض أموره إليه»[2].

سادساً: الوِقَايَةُ من السَّيِّئَاتِ في الدُّنْيَا:

ومن آثار رَحْمَةِ الله الخاصة بالمؤمنين حفظهم من ارتكاب الأعمال السيئات، استجابة لدعاء الملائكة حَملة العرش والذين هم حول العرش وهم أفضل الملائكة، حيث يستغفرون للمؤمنين، ويسألون الله ﷻ لَهم دخول الجنة والرَّحْمَة، وحِمايتهم من آثار السيئات، وذلك هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ الذي لا يضارعه فوزٌ، والظفرُ الكبيرُ الذي لا يقاربه ظفرٌ، والأمل الذي لا مطمع وراءه لطامعٍ! فقال الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[3]. أي: «واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتِهم، فلا تؤاخذهم بِها، ومن تصْرِف عنه السيئات يوم الحساب فقد رَحِمْتَه، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظَّفَر العظيم الذي لا فوز مثله»[4].

وقوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يحتمل معنيين: الأول: يحتمل أن يكون الدعاء في أن يدفع الله عنهم السيئات نفسها حتى لا ينالُهم عذاب من أجلها. الثاني: ويحتمل أن يكون الدعاء في رفع العذاب اللاحق من السيئات، أي وقهم جزاء السيئات، فهو على هذا على حذف مضاف»[1].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) المنتخب: 96.

(3) سورة غافر، الآية: 9.

(4) التفسير الميسر: 468.

(1) التفسير الوسيط للزحيلي: 3/ 2262.

المَبْحَثُ الثَّانِي
الرَّحْمَةُ الأُخْرَوِيَّة وآثَارُهَا

۞ المطلب الأول: مفهوم الرَّحْمة الأخروية:

المسلك الأوَّل: الآخرة لغةً:

الآخِرَةُ: اسمٌ من تأَخَّرَ يتأَخَّرُ تأخراً، خلاف الأولى، ومداره في اللغة على خِلافِ التَّقَدُّمِ، والجمع الأواخر، وهو مأخوذ حسيا من آخرة الرَّحل: مؤخرته. ومنه قول ذي الرُّمة في الترحال:

كَأَنَّا تُغنِّي بَيْنَنَا كُلَّ لَيْلَةٍ جَدَاجِدُ صَيْفٍ مِنْ صَرِير الأَوَاخِرِ[1].

«شبَّه صرير أَواخر الرحل بأصوات صَرَّارِ الصيف»[2]. ومن هذا المعنى، أُطلق لفظُ الآخرة على دار الحياة والبقاء بعد الموت، نقيض الدنيا؛ سمِّيت الآخرةُ آخرةً لتأخرها وكونها بعد الدنيا[3].

المسلك الثَّاني: الآخرة اصطلاحاً:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآخِرَةُ: دَارُ حَيَاةٍ لأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الجَنَّةِ، لَيْسَ فِيهَا مَوْتٌ لأَحَدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ»[4]. أي: الآخرة هي دار المقام حيث النعيم المقيم لأهل الجنة، والعذاب الأليم لأهل النار، فهي أبدية باقية لا تزول ولا تفنى. ومنه، قول وهبة الزحيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الدار الآخرة هي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها، وهي الحياة الصحيحة، فلا حياة إلا حياة الآخرة»[5].

وعليه، فإن الرَّحْمَة الأخروية: هي الرَّحْمَة الكاملة الخاصة المتصلة بالسعادة الأبدية التي خصها الله عَزَّوَجَلَّ عباده المتقين المخلصين، المتَّبعين لأنبيائه ورسله؛ فهي نصيب المؤمنين الذين عرفوا ربَّهم عَزَّوَجَلَّ ثم استقاموا على طاعته، فآتاهم من لدنه رَحمَةً خاصةً بهم. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[1].

والجدير بالذكر، إنَّ رَحْمَةَ الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة واسعة الأرجاء، كَثِيرَة الأجزاء، متعددة المَظَاهِر والآثار، ولذلك نكتفِي في هذا المقام بذكر الآثَارِ التي وردت صراحة في نصوص الرَّحْمَة.

---

(1) البيت من الطويل، وهو لذي الرُّمة يصف الرحلة. ديوانه: 564.

(2) شمس العلوم: 1/ 203.

(3) ينظر: العين، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمحكم، والمختار، واللسان، والتاج/ أخر.

(4) جامع البيان: 14/ 354.

(5) التفسير المنير: 21/ 39.

(1) سورة فصلت، الآية: 30.

۞ المطلب الثاني: آثار الرَّحْمَة في الآخرة:

المسلك الأوَّل: الآثار العامة:

أولا: الجنة:

إن أعظم آثار الرَّحْمَة يوم القيامة، الجنَّة، وهي رَحْمَةٌ خاصَّةٌ للمؤمنين جزاء لأعمالِهم، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة؛ منها: قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾[1]. يعني: «فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته، وتَمسكوا بدينه، فسيدخلهم في الآخرة جناته، ويغمرهم بفيض رَحْمَتِه، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم»[2].

وقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[3]. أي: «وأما الذين ابيضَّتْ وجوهم بنضرة النعيم، وما بُشِّروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يَخرجون منها أبدًا»[4].

وقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾[5]. أي: «فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربُّهم في جنته برَحْمَتِه، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده»[6].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ، وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»[1].

---

(1) سورة النساء، الآية: 175.

(2) المنتخب: 142.

(3) سورة آل عمران، الآية: 107.

(4) التفسير الميسر: 63.

(5) سورة الجاثية، الآية: 30.

(6) التفسير الميسر: 501.

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: 2846. وسنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار، حديث رقم: 2561. وفي أحاديث صحيحة كثيرة أخرى.

ثانيا: دُخُولُ الجنة برَحْمَةِ اللهِ:

ومن أعظم آثار الرَّحْمَة في الآخرة، أن الله يُدْخِل من يشاء من عباده الجَنَّةَ بفَضله ورَحْمَته؛ وليس بالأعمال مهما كثُرت. ففي حديث صحيح قال النبيُّ ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لا وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»[1].

نستفيد من مقال الحديث أن العَبدَ في سَيرِه إلى الله ﷻ لا بُدَّ له مِن الجَمعِ بين الرَّجاءِ والخَوفِ؛ إذ يُؤكِّدُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العملَ لنْ يُدخِلَ أحداً الجنَّةَ، لذلك يَنبغي للعبد أن يطمع في رَحْمةِ الله ﷻ؛ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لعله يُتَغَمَّدُ بفضل الله ورَحمَتِه. لذلك، ليس هناك تَعارُضٌ بين معنى هذا الحديثِ وبين قولِ الله ﷻ: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾[2]؛ لأنَّ التوفيقَ للأعمالِ الصَّالحةِ، والهِدايةَ للإخلاصِ في الطَّاعاتِ، وقَبولَها، إنَّما هو برَحمَةِ الله وفَضْلِه. فيصِحُّ أنَّه لَم يَدخُلْ الجنَّةَ بمُجَرَّدِ العمَلِ، وإنَّما برَحْمَةِ الله ﷻ ومشيئته؛ فهو الذي وفقه للأخذ بالأسباب، واجتناب الموَانعِ. ومن ثَمَّة أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ إلى ما يُساعِدُ على الاستمرارِ في الطَّاعاتِ، وما يتحَصَّلُ به على تلك الرَّحْمَةِ يومَ القيامةِ، فقال: «**فَسَدِّدُوا وقارِبُوا**»، أي: اقْصِدُوا الصَّوابَ ولا تُفْرِطُوا فتُجهِدُوا أنفُسَكم في العبادةِ؛ لئلا يُفضيَ بكم ذلك إلى المَلالة، فتَترُكوا العملَ فتُفَرِّطُوا[3]. ونَهى النبيُّ ﷺ عن تَمنِّي الموتِ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يدري: أمُحْسِنٌ هو، أم مُسِيءٌ؟ فإنْ كان مُحْسِناً فلعلَّ طُولَ حياتِه يكونُ سَبَبًا في زِيادةِ إحسانه، فيَزدادَ أجرُه، وتَرتفِعَ مَترلتُه يومَ القيامةِ، وإنْ كان مُسيئًا فلعلَّ طُولَ حياتِه يُعطيهِ الفُرصةَ أنْ يَطلُبَ رِضا اللهِ بالتَّوبةِ، وردِّ المظالِم، وتَدارُكِ الفائتِ[1].

وهكذا، فإن شَريعةَ الإسلامِ شَريعةٌ سَمْحةٌ، ومنهاجَه منهاجٌ وسطيٌّ، وأحكامَه مَبنيَّةٌ على التَّخفيفِ واليُسرِ. لِهذا ينبغي للعبد أن يَمتثل لأوامر الله ويَجتنب نواهيه بلا غلو فيه ولا تقصير، وأن يَجتهد في القيام بالأعمال الصالِحة، وأن يكثر منها، ويداوم عليها، دونَ إفراطٍ أو تَفريطٍ.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب تَمني المريض الموت، حديث رقم: 5673. وكتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: 6463. ورقم: 6467. وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم: 2816.

(2) سورة النحل، الآية: 32.

(3) وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**واغْدُوا ورُوحُوا، وشَيءٌ مِن الدُّلْجَةِ**»، يعني: أنَّ هذه الأوقاتَ أوقاتُ العملِ؛ فالغُدْوةُ: أوَّلُ النَّهارِ، والرَّوحةُ: آخِرُه، والدُّلْجَةُ: آخِرِ اللَّيلِ، وقال: «**وشَيءٌ مِن الدُّلْجَةِ**»؛ تَخفيفًا لمشقَّةِ عَمَلِ اللَّيلِ. وقال: «**والقَصْدَ القَصْدَ**»، أي: اقْتَصِدوا في الأمورِ، والزَموا الطَّريقَ الوَسَطَ المعتَدِلَ. ينظر: عمدة القاري: 1/ 237، وتطريز رياض الصالحين: 116.

(1) ينظر: عمدة القاري: 1/ 237، وإرشاد الساري: 8/ 357، ومرعاة المفاتيح: 8/ 91.

وعليه، ينبغي للعبد ألا يأمنَ مكْرَ الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]، وألا يَيْئسَ مِن رَحْمَةِ الله؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2]. بل عليه أن يكون بين الطمع في رَحمَةِ الله، والخوف من عذابه، لأن الحُكمَ بدُخولِ الجنَّة أو النَّار حَقٌّ خالِصٌ لله ﷻ.

لذلك يُحذِّرُ النَّبيُّ ﷺ مِن القَولِ على الله ﷻ بغيرِ علمٍ، والجزَمَ بأمرٍ هو لله ﷻ وحده؛ كجعل المذنب آيسًا من رَحْمتِهِ ﷻ، أو الجزم بأنه من أهل الجنة؛ ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾[3].

فيقول الحبيبُ المُصطفىٰ ﷺ: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا المُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**»[4].

يتضح من خلال قوله: «**أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟**»، أن ذلك إنكارٌ مِن الله ﷻ عليه فيما حَكَم به على المذنبِ بعدمِ دُخولِه الجَنَّةَ، أو أنَّ الله ﷻ لن يَغفِرَ له، في حين شاءت حكمة الله، واقتضت رَحْمَتُه ﷻ أن يغفر له ويدخلَه في الجَنَّةِ برَحْمَتِه ﷻ، فقال للمُذْنِب: «**اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي**»[1]؛ جزاء لحسن ظنه بربه ﷻ. وأما الآخر فقد سيق إلى النار لجهله وقلة علمه ومعرفته بصفات الله، وإعجابه بعمله وقَسَمه وحكمه على الله بأنه لا يغفر للمذنب، وقد قال الحق ﷻ: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[2]. وقال جَلَّجَلَالُهُ أيضا: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[3].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 99.

(2) سورة يوسف، الآية: 87.

(3) سورة الإنسان، الآية: 31.

(4) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث رقم: 4901.

(1) مرعاة المفاتيح: 8/ 49.

(2) سورة الزمر، الآية: 53.

(3) سورة البقرة، الآية: 105.

المسلك الثَّاني: الآثار الخاصة:

أولاً: تبييض وجوه المؤمنين:

من آثار الرَّحْمَة يوم القيامة، تبييض وجوه أهل الحق والسعادة والخير، تشريفا لهم وإظهارا لآثار أعمالهم في ذلك الجمع. قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

أي: «يوم القيامة تَبيَضُّ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبيخًا: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم. وأما الذين ابيضَّتْ وجوههم بنضرة النعيم، وما بُشِّروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبدًا»[2].

ثانياً: إخراج من كان في قلبه ذرةً من الإيمان من النار:

مِن المسلِمين مَن يَدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حساب، ولا تَكونُ له سابقةُ عَذابٍ في النَّارِ، ومِنهم مَن يَدخُلُ الجنَّةَ بعدَ أن يُحاسَبَ، ومِنهم مَن يَدخُلُ الجنَّةَ بَعدَ أن يُعذَّبَ في النَّارِ إلى ما شاء اللهُ له أن يُعذَّبَ، ثمَّ يُخْرَجُ مِنها. وهذه الفئة الثالثة هم الذين كانت لَهم سابقة إيمان في الدنيا، لأن الجنة محرمة على المشركين، أما من آمن ثم عصى فإن الله ﷻ يقبل إيمانه ويُحاسبه على معصيته وقد يعفو عنه إذا تاب ورجع إليه، ثُمَّ تكون نهايته الجنة إن شاء الله طالَما أنه مات موحِّداً.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ**» قَالَ: «**فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حَمِيلَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**»[1]. يظهر من مقال الحديثِ أن سبب إخراج هؤلاء من النار، كونُهم مِمَّن ماتوا على عَقيدةِ التَّوحيدِ، وأقَرُّوا بشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، فيُعذَّبون على ما ارتَكَبوه مِن صغائرَ أو كبائرَ، ثُمَّ تدركهم رَحْمَةُ الله بعد أن صَاروا حُمَمًا، فيُخرَجون مِن النَّارِ، ويُطرَحون على أبوابِ الجنَّةِ، فيَحْيَون، ثُمَّ يُدْخَلون الجنَّةَ[2].

---

(1) سوة آل عمران، الآيتين: 106-107.

(2) التفسير الميسر: 63.

(1) سنن الترمذي، أبواب صفة جهنم، باب ما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2597.

(2) تُحفة الأحوذي: 7/ 273.

ونَخلص مِما سبق أنه لا يُخلَّدُ مُوحِّدٌ في النَّار، وإنَّما الخلودُ في النَّار للمُشركين، أمَّا غيرُهم فإنَّهم لوِ ارتَكَبوا ما يوُجبُ العقوبةَ فإنَّهم يُعذَّبون بذُنوبِهم ثُمَّ يُدخلُهمُ اللهُ ﷻ الجنَّةَ. وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عَنْ قومٍ يُصِيبُهم آثارُ حرارةِ وعذابِ النَّارِ؛ بسببِ ذُنوبٍ ارتكبوهَا ثُمَّ يُخرجُهم اللهُ مِن ذلك العذابِ بفضلِه ورَحْمَتِه ويُدخلُهم الجنَّةَ. فقَالَ الحبيبُ المختار مُحمَّد ﷺ: «**لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنَ النَّارِ، بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ لَهُمُ الجَهَنَّمِيُّونَ**»[1].

قَوْله: «**سَفْعٌ مِنَ النَّارِ**»، يعني: أثر حرِّ النار، حيث يصيبهم من لَهبها ما يغير ألوانَ بشرتِهم. وقوله: «**بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً**»، أي: جزاء ما اقترفوه من الذنوب عقوبة لَهم. «**ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ**»، أي: يرحَمُهم الله تفضلاً منه وجوداً عليهم من غير استحقاق للجنة، وهذا محل الشاهد من الحديث؛ وهو أن هؤلاء، لَمَّا كان معهم شيءٌ من الإيمان صارت رَحْمَةُ الله قريبٌ منهم، وإن كانوا في النار. و«**الجَهَنَّمِيُّونَ**» نِسْبَة إِلَى جَهَنَّم؛ لأن أثر إحراقهم ظاهر عليهم[2].

وذكر النَّبيُّ ﷺ قصة رجلين ماتا على التوحيد، وكانا يُعذَّبان في النار، فأخرجهما الله ﷻ منها رَحْمَةً بهما، فقَالَ ﷺ: «**إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ ﷻ: أَخْرِجُوهُمَا، فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا: لأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالَا: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا، قَالَ: إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَيَقُومُ الآخَرُ فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ ﷻ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ، فَيَدْخُلَانِ جَمِيعًا الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ**»[1].

وقوله: «**إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ**»، فيه إيماءٌ إلى أنَّ مُجَرَّدَ التَّضَرُّعِ الظَّاهريِّ لا يُفِيدُ الرَّحْمَةَ بدون الانقِيَادِ البَاطنيِّ. قَالَ الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجُوزُ حَملُ الانْطِلاقِ إلى النَّارِ وَإِلقَاءُ النَّفسِ فِيهَا عَلى الرَّحْمَةِ؟ قُلْتُ: هَذَا مِن حَملِ السَّبَبِ عَلَى المُسَبَّبِ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُمَا لَمَّا فَرَّطَا في جَنْبِ اللهِ، وَقَصَّرَا في العَاجلَةِ في امْتِثَالِ أَمْرِهِ، أَمَرَ هُنَالِكَ بِالامْتِثَالِ في إِلقَاءِ أَنْفُسِهِمَا في النَّارِ؛ إِيذَانًا بِأَنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا هيَ مُتَرَتِّبَةٌ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ ﷻ»[2].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] حديث رقم: 7450.

(2) ينظر: عمدة القاري: 137/25، وإرشاد الساري: 10/ 414، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: 195/2.

(1) سنن الترمذي، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: 2599.

(2) مرقاة المفاتيح: 8/ 3571، وتُحفة الأحوذي: 7/ 274.

ثالثاً: بقاء أَثَرِ السُّجُودِ على الأجساد:

من الآثار الدالة على رَحْمَةِ الله يوم القيامة، بقاء أثر السجود على أجساد بعض أهل النار، وهم من الموحدين الذين كانوا يُحافظون على صلواتِهم، لكن بذنوب اقترفوها سيُطرحون في النار ثُمَّ تُدركهم رَحْمَةُ الله فيُخرَجون منها، حيث يُعرفون فيها بأثر السجود على أجسامهم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**...حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ**»[1].

والمقصود بأهل النار هنا: أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبِهم، وموبقات أعمالِهم، وهم كثيرون. أما المشركون، والكافرون، فإنَّهم خالدون في النلر أبداً، وأوضح ذلك بقوله: «**أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ فهذا صريح في أنه يَدخُل النَّارَ خلقٌ كثيرٌ مِمَّن لا يشرك باللهِ شيئاً، ولكنهم عصوا الله بفعل المحرمات، غير الشرك، وبترك الأوامر. وقوله: «**فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ**»، هذا أيضاً صريح وواضح في أنَّهم كانوا يصلون، ويسجدون لله ويعبدونه وحده. وأثر السجود هي الأعضاء التي يسجد عليها، وهي: الجبهة والأنف، وبطون الكفين، والركبتان، وأطراف القدمين. وفي هذا دليل على فضل السجود لله ﷻ وهو من آيات الله ﷻ الدالة على قدرته الباهرة، حيث تأكل النار جسم ابن آدم إلا هذه المواضع المختلفة في البدن، فإنَّها لا تضرها، ولا تغيرها؛ لأن الله حرمها عليها، والنار لا تأكل إلا ما أمرها الله بأكله. وقوله: «**فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتُحِشُوا**»، أي: يَخْرُجُون من النار وقد احترقوا. وقوله: «**فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فالمراد: نبات لُحُومهم وغيرها التي أحرقتها النَّارُ، ولا يلزم من ذلك أنَّهم ماتوا، وفارقتهم الحياة، والله أعلم[1].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، حديث رقم: 7437.

(1) ينظر: عمدة القاري: 126/25، وإرشاد الساري: 10/ 401، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: 100/2.

رابعاً: صرف العذاب عن عباد الله المخلصين:

من أعظم آثار رَحْمَةِ الله يوم القيامة، صرفُ العذاب عن بعض عباده المتقين وإدخالُهم في رَحْمَتِه بدون حساب ولا سابقة عذاب. ومن نَجا من العذاب يومئذ فهو المرحوم حقا. قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾[1]. أي: «قل: إني أخاف، إن خالفت أمر ربي وعصيته، عذاب يوم شديد. من يُصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة، فقد رَحِمَهُ اللهُ، وذلك هو الفوز الثابت البيِّن»[2]. وقال ﷻ على لسان الملائكة حَملة العرش: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾[3]. أي: «واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتِهم، فلا تؤاخذهم بِها، ومن تصْرِف عنه السيئات يوم الحساب فقد رَحِمْتَه، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظَّفَر العظيم الذي لا فوز مثله»[4].

فمن أكرمه ربه ﷻ ونَجَّاه من النار وأدخله الجنة فقد نال غاية ما يطلب، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾[5]. ومفهوم الآية، أن من أُبعد عَنِ النَّارِ التي هي مجمع الآفات والشرور وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ الجامعة للّذات والسرور فَقَدْ حصل الفوز العظيم، وهو النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد[6]. فلا شك في أن أهم مقاصد المؤمن والغاية التي يسعى إليها: النجاة من النار ودخول الجنة؛ ولذلك فإنه يتعين عليه السعي في تَحصيل كلِ ما يُحقق له هذه الغاية العظيمة، وقد بينها النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف، حيث قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»[7]. أي: فمَن أحبَّ أن يُبْعِدَه اللهُ عن النَّارِ، ويُدخِلَه الجنَّةَ، فلْتُدْرِكْه موتتُه وهو مُؤمِنٌ باللهِ واليومِ الآخِرِ، ولْيفعَلْ بالنَّاسِ ما يُحِبُّ أنْ يُفعَلَ به من الخيرِ[8].

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 15- 16.

(2) المنتخب: 174.

(3) سورة غافر، الآية: 9.

(4) التفسير الميسر: 468.

(5) سورة آل عمران، الآية: 185.

(6) ينظر: الكشاف: 1/ 449، ومحاسن التأويل: 2/ 475.

(7) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، حديث رقم: 6807.

(8) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: 12/ 233.

الفصل الثاني

أسباب الرحمة وموانعها في القرآن والحديث

تمهيد

تَجلَّى مِمَّا سبق أن رَحْمَةَ الله واسعةٌ لا يُحيط بِها عقلٌ، ولا يحصرها عدٌّ، ولا يبلغها فكرٌ، فهي تُصيب جميعَ الخلقِ، إلا أن نصيبهم منها متفاوتٌ بحسب درجة التجاوب مع أسباب إدرَاكِها؛ فكلما زادت أسباب الرَّحْمَةِ في العبد كان نصيبه منها أعلى، وكلما زادت موانعها فيه كان نصيبه منها أقل. لذلك نبَّه الله ﷻ في كتابه العزيز إلى الأسباب الموجبة لرَحْمَتِه، والموانع النازِعة لَها، وبيَّنها رسولُ الله ﷺ في أحاديثه الشريفة.

وعليه، يروم البحث في هذا الفصل بيان أسباب الظفر بالرَّحْمَة، وعوامل فقدانِها من خلال نصوص الرَّحْمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف، لذلك انتظم عقد هذا الفصل في مبحثين: تناول الأول منهما الأسباب الجالبة للرَّحْمَة، والثاني تناول الموانع المؤدية إلى حرمانِها وفقدانِها.

المبحث الأول
أسباب الرَّحْمَةِ في القرآن والحديث

إن رحْمة الله جَلَّوَعَلَا كنْزٌ لا يفنى ونعمةٌ لا تُحصى؛ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[1]، وهي كما وصفها الحق تَبَارَكَوَتَعَالَى واسعةٌ ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾، وجعل لَها من الأسباب والوسائل ما لا مطمع لأحدٍ في حصرها، إلاَّ أن الله ﷻ بَيَّن بعضَها لعباده في كتابه العزيز وحثَّ عليها حتى يتسابقوا إليها ويتنافسوا فيها، فيوفقهم الله بِها لما يُحبه ويرضاه في هذه الدنيا، ويَمُنَّ عليهم بِها في الآخرة بالرضوان والسعادة الأبدية. وباستقراء آي الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية الشريفة يمكن الوقوف على الأسباب التي وردت صراحة في النصين القرآني والحديثي وذلك على النحو الآتي:

۞ المطلب الأول: أسبابُ الرَّحْمَة في القرآن الكريم:

المسلك الأول: المشيئة الإلهية:

أوَّلُ أسباب الفوز بالرَّحْمَة: مشيئة الله ﷻ؛ فالله ﷻ لَهُ التَّصَرُّف التام للرَّحْمَةِ بلاَ شريك، فيُؤتي رَحْمَتَهُ مَن عَلِمَ أنَّهُ حَقِيقٌ بِها مِن عِبادِهِ ويجعَلها مقصورةً عليهِ تَفَضُّلا؛ بحَسَبِ مَشِيئته الجارِيَة عَلى وفقِ حِكمَتِهِ. ومنه قول الحق تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[2].

هنا، يُخبر الله ﷻ عباده بأن الكافرين من أهل الكتاب والمشركين لا يحبون أن يُنَزَّل على المؤمنين من خير من ربِّهم، سواء أكان قرآناً يحمل أسْمى الآداب وأعظم الشرائع وأهدى سُبُل السعادة والكمال، أم كان غير ذلك من سائر أنواع الخيرات، وذلك حسداً منهم للمؤمنين، وأخبرهم أيضاً أنه عَزَّوَجَلَّ يَختصُّ برَحمَتِه من يشاء من عباده. وقيد ﷻ اختصاص رَحمَتِه بِمن يشاء ليعلم الجميع أن إفراد بعض عباده بالرحمة منوط بِمشيئته وحدها، وليس لأحد كائنا من كان أي تأثير في ذلك[3].

وقال ﷻ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾[4]، أي: هو المنفرد بتعذيب العاصين والتنكيل بِهم، وإثابة الطائعين ورَحْمَتِهم؛ فلا يخضع الحكم الجزائي إلا لِمشيئته جَلَّوَعَلَا[5].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 34.

(2) سورة البقرة، الآية: 105.

(3) أيسر التفاسير: 1/ 94، والوسيط لطنطاوي: 1/ 240، والخواطر: 1/ 504. وهناك أيضاً الآية: 74 من آل عمران.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 21.

(5) تيسير الكريم الرحمن: 629.

وقال الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ﴾[1].

أي: نُصِيبُ بعطائنا في الدنيا من النعم، مَن اقتضت حكمتُنا وإرادتُنا النَّافِذَة أن نشاء له ذلك[2].

المسلك الثاني: الإيمانُ:

ثانِي أسباب رَحْمَة الله ﷻ بعباده: الإيمان[3]، وذلك أن الإيمان يَجعل الإنسانَ يستحضر مراقبة الله ﷻ لأعماله على الدوام، في السراء والضراء، وفي السر والعلن. والإيمان بالملائكة يجعله يتأدب ويستحيي من مخالفة أمر ربه ﷻ لاستشعار ملازمة الملائكة له، ولعلمه أن عليه حافظين كاتبين يكتبون ما يفعل[4]، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[5]، فيلازم الطاعة ويَجتنب المعصية رغبة في كتابتهم الخير والشهادة عليه، عسى أن يفوز بالنعيم المقيم. والإيمان بالكتب يجعله يعتز بكلام الله المنَزَّل، فيتحرر من التخبط الفكري والعقدي بِهدي السماء، ويسير على طريق مستقيمة واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا ضباب، ويتقرب إليه بتلاوته والعمل به. والإيمان بالرسل يجعله يأنس بسِيرهم فيتأسى ويقتدي بهم، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ﴾[6]، والإيمان باليوم الآخر ينمي فيه حب الخير رجاء ثوابه في الجنة، وكره الشر خشية عقابه في النار. والإيمان بالقدر يحفزه للعمل الصالح والإقدام على عظائم الأمور بثبات وثقة.

فالإيمان يَحدُو بالمؤمن إلى إصلاح العمل رجاء رحْمة ربه ﷻ، ولهذا قال ﷻ عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾[7].

قال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الذين صدقوا في قصدهم، وأخلصوا في عهدهم، ولم يرتدوا في الإرادة على أعقابِهم، أولئك الذين عاشوا فِي روح الرجاء إلَى أن يصلوا إلى كمال البقاء ودار اللقاء»[8].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 56.

(2) روح المعاني: 7/ 8، ومفاتيح الغيب: 18/ 475، والوسيط لطنطاوي: 7/ 381، والموسوعة القرآنية: 10/ 135.

(3) ونقصد به ههنا، الإيمان بمفهومه الشرعي كما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: 1.

(4) قال ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾، سورة الجاثية، الآية: 29.

(5) سورة الانفطار، الآية: 10- 12.

(6) الممتحنة: 6. وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ الأحزاب: 21.

(7) سورة البقرة، الآية: 218.

(8) لطائف الإشارات: 1/ 176.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾[1]، أي: فأما الذين آمَنُوا باللهِ في ذاته وأسْمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وَاعْتَصَمُوا بِهِ في أن يُثَبِّتَهُم على الإيمانِ ويصونَهم عن نزغِ الشَّيطانِ، فوعدهم بالرَّحْمَةِ وَالفَضلِ والهِدَايَةِ. ولعل السين في ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ ذُكرت لتفيد – مع تَحقيق الوعد – الحثَّ على المثابرة والمداومة على العمل، إشارة إلى عزة ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[2]. قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرَّحْمَةُ وَالفَضْلُ محمولانِ على ما في الجَنَّةِ مِن المَنفعَةِ وَالتَّعظِيمِ، وَأَمَّا الهِدَايَةُ فَالمُرَادُ مِنهَا السَّعَادَاتُ الحَاصِلَةُ بِتَجَلِّي أَنوَارِ عَالِمِ القُدسِ وَالكِبرِيَاءِ في الأَروَاحِ البَشَرِيَّةِ وَهَذَا هُوَ السَّعَادَةُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَأَخَّرَ ذِكرَهَا عَنِ القِسمَينِ الأَوَّلَينِ تَنبيهاً عَلَى أَنَّ البَهجَةَ الرُّوحَانِيَّةَ أَشرَفُ من اللذات الجسمانية»[3].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾[4].

قال أحمد بن مصطفى المراغي: «أي فأما الذين آمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم صالح الأعمال التي أمر بها الدين، فيكافئهم ربهم على ما عملوا، ويدخلهم جنات النعيم. (...) هذا هو الظفر بالبغية التي كانوا يطلبونها، والغاية التي كانوا يسعون فى الدنيا لبلوغها، وهو فوز لا فوز بعده»[5].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالتَّعْبِيرُ ب (يُدْخِلُهُمْ في رَحْمَتِهِ) شَامِلٌ لِمَا تَتَصَوَّرُهُ النَّفْسُ مِن أَنوَاعِ الكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ إِذْ جُعِلَتْ رَحْمَةُ اللهِ بِمَنْزِلَةِ المَكَانِ يَدْخُلُونَهُ»[6].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[7]. أى: يا من آمنتم بالله حق الإيمان، اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون، وداوموا على الإيمان برسوله ﷺ واثبتوا على ذلك، يعطكم الله بسبب ذلك نصيبين وضعفين من رَحْمَتِه ﷻ، لا يعلم وصفهما وقدرَهُما إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ أجراً على الإيمان، وأجراً على التقوى، أو أجراً على امتثال الأوامر، وأجراً على اجتناب النواهي[8].

---

(1) سورة النساء، الآية: 175.

(2) نظم الدرر: 5/ 528.

(3) مفاتيح الغيب: 11/ 274.

(4) سورة الجاثية، الآية:30.

(5) تفسير المراغي: 25/ 165.

(6) التحرير والتنوير: 25/ 371.

(7) سورة الحديد، الآية: 28.

(8) تفسير المراغي: 27/ 187، وتيسير الكريم الرحمن: 843، والوسيط لطنطاوي: 14/ 234.

المسلك الثالث: الطاعة:

الطاعة هي: الانقياد لكل ما فيه رضا الله ﷻ. فهي فعل المأمورات، وترك المنهيات طوعاً.

ومِن أسبابِ الظَفَرِ بالرَّحْمَة: طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ بفعل الأوامر واجتنابِ النواهي. وذلك ما تدل عليه الآيات الآتية: قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾[1]، أي: أطِيعُوا اللهَ في امْتِثالِ جَمِيعِ الأوامِرِ، واجْتِنابِ النَّواهِي بِإخْلاصٍ، وأطيعوا رَسُولَه ﷺ في اتباعِ ما بَلَّغَكُم عن الله ﷻ من الأوامِرَ والنَواهِي؛ لِكَي تَنالُوا الرَّحْمَةَ العامة الشاملة في الدنيا والآخرة[2].

وقال أصدق القائلين ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾[3]، هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلى أنَّ إقامَةَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، وطاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ سَبَبٌ لِرَحْمَةِ اللهِ؛ لأنَّ لَعَلَّ في قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ حَرفُ تَعلِيلٍ، والعِلَلُ أسْبابٌ شَرعِيَّةٌ، فدَلَّت الآيَةُ على أنَّهم إنْ أقامُوا الصَّلاةَ بأركانِها وشروطها وآدابِها، وآتوُا الزَّكاةَ من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأطاعُوا الرَّسُولَ بامتثال أوامره واجتناب نَواهيه رَحِمَهُمُ اللهُ ﷻ؛ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[4].

وقال المولى ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[5].

أي: أولئك المؤمنون والمؤمنات المتصفون بهذِه الأوصاف الفاضلة الجَلِيلَةِ، منها طاعة الله ورسوله، يتعهدهم اللهُ ﷻ برَحمَتِه في الدنيا والآخرة لا محالَةَ. والسِّينُ هنا لِتأكِيدِ حُصُولِ الرَّحمَةِ في المُسْتَقْبَلِ، فَحَرْفُ الاسْتِقْبالِ يُفِيدُ مَعَ المُضارِعِ ما تُفِيدُ قَد مَعَ الماضِي[6]. وقال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ اللهُ: «ولَمّا كانَتِ الرَّحْمَةُ هُنا عِبارَةً عَمّا يَتَرَتَّبُ عَلى تِلْكَ الأعْمالِ الصّالِحَةِ مِنَ الثَّوابِ والعِقابِ في الآخِرَةِ؛ أتى بِالسِّينِ الَّتِي تَدُلُّ عَلى اسْتِقْبالِ الفِعْلِ»[7].

فمن أراد الرَّحْمَةَ، فهذا طَرِيقُهَا، ومَن رَجَاهَا فلْيُطِع اللهَ والرَّسُولَ، وإلَّا فهو مُتَمَنٍّ كاذِبٍ[8].

---

(1) سورة آل عمران، الآية:132.

(2) روح المعاني: 2/ 270، ونظم الدرر: 5/ 70، وإرشاد العقل السليم: 2/ 85، وزهرة التفاسير: 3/ 1409.

(3) سورة النور، الآية:56.

(4) ينظر: زهرة التفاسير: 10/ 5222، وتيسير الكريم الرحمن: 573، وأضواء البيان: 5/ 554،

(5) سورة التوبة، الآية: 71.

(6) ينظر: فتح البيان: 5/ 346، وروح المعاني: 5/ 325، ومفاتيح الغيب: 16/ 101، والتحرير والتنوير: 10/ 263.

(7) البحر المحيط: 5/ 460.

(8) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 573.

المسلك الرابع: التقوى:

والتقوى في اصطلاح القرآن والحديث هي: «خشية المؤمن ربه عن علم، ومداومته على طاعته بأداء الواجبات والقربات، واجتناب كل المنهيات، راجيا ثواب ربه والنجاة من عقابه»[1].

ومن أسبابِ الفوزِ بالرَّحْمةِ: التقوى، والآيات القرآنية الشاهدة على ذلك كثيرة منها؛ قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾[2].

يعني: من صفة رحمتي أنَّها واسعة تبلغ كل شيء؛ ما من مؤمن ولا كافر إلا وعليه أثر رَحْمَةِ الله ونعمته في الدنيا، أما في الآخرة، فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم، وهم المتقون[3].

لذلك أتى بالسِّينِ للدَّلالة على تأكيد وقوع الفعلِ في المستقبلِ، أي: فسأوجبها للمتقين في الآخرة.

وفي آية كريمة أخرى وعد الله المتقين نصيبين من رَحْمَتِه، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[4].

وقال ﷻ في شأن القرآن: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾[5].

قال الشوكاني: «فإنه لَمَّا كان من عندِ اللهِ وكان مُشْتَمِلاً على البَرَكَةِ، كان اتِّبَاعُهُ مُتَحَتِّمًا عليكم واتَّقُوا مُخَالَفَتَهُ وَالتَّكذِيبَ بِمَا فِيهِ لَعَلَّكُم إِنْ قَبِلْتُمُوهُ وَلَم تُخَالِفُوهُ تُرحَمُونَ بِرَحمَةِ اللهِ سُبحَانَهُ»[6].

وقال ﷻ في سياق الصلح بين الأخوين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[7]. قال أبو الطيب القِنَّوجي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في كل أموركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ بسبب التقوى، والترجي باعتبار المخاطبين أي راجين أن يرحموا، أو لعل من الله في هذا المقام»[8].

---

(1) مفهوم التقوى في القرآن والحديث: 120.

(2) سورة الأعراف، الآية: 156.

(3) بحر العلوم: 555/1، والوجيز: 416، والكشاف: 165/2، ومدارك التنزيل: 609/1، والتسهيل لعلوم التنزيل: 304/1.

(4) سورة الحديد، الآية:28.

(5) سورة الأنعام، الآية: 155.

(6) فتح القدير: 2/ 205.

(7) سورة الحجرات، الآية: 10.

(8) فتح البيان: 13/ 142.

وقال ﷻ على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1]. قال السعدي: «وقوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لينذركم العذاب الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهرا وباطنا، وبذلك تَحصل عليهم وتَنْزِلُ رَحْمَةُ الله الواسعة»[2].

وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾[3]. أي: وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بما نزَّل الله من الآيات: احذروا واخشوا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته التي حلَّت بمن قبلكم من الأمم، وخافوا أن يَحل بكم مثلها من جراء شرككم وتكذيبكم لرسوله، وما بعد هلاككم مما أنتم قادمون عليه إن متم على كفركم الذي أنتم عليه، لعل ربكم يرحمكم ويغفر لكم ما اجترحتم من السيئات[4].

المسلك الخامس: الإحسان:

ومِمَّا تُستنْزَلُ به الرَّحْمَةُ: الإحسان، في عبادة الله، وإلى عباد الله، ويشهد لذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[5]، قال محمد رشيد رضا: «أَي إِنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالى الفِعْلِيَّةَ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالإِحْسَانِ قَرِيبَةٌ مِنَ المُحْسِنِينَ في أَعمَالِهم المُتْقِنِينَ لَهَا لأَنَّ الجَزَاءَ مِن جنسِ العَمَلِ. فَمَن أَحْسَنَ في العِبَادَةِ نَالَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَمَن أَحْسَنَ في أُمُورِ الدُّنْيَا نَالَ حُسْنَ النَّجَاحِ، وَمَن أَحْسَنَ في الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ، أَوْ أُعْطِيَ خَيْرًا مِمَّا طَلَبَهُ»[6].

وقال ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[7]. أي: هذه آيات الكتاب بيانا ورَحْمَةً من الله، للذين أحسنوا، فعملوا بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في هذا القرآن، من أمره ونهيه[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 63.

(2) تيسير الكريم الرحمن: 293.

(3) سورة يس، الآية: 45.

(4) تفسير المراغي: 23/ 16، بتصرف.

(5) سورة الأعراف، الآية: 56. قال أبو زهرة: «المحسنون هم الذين أجادوا أعمالهم في الدنيا، وبلغوا بها الكمال الإنساني، وبالغوا في أداء واجبهم، وزادوا عليه وأطاعوا ربهم في كل ما أوجبه عليهم وألزمهم به». زهرة التفاسير: 6/ 2870.

(6) تفسير المنار: 8/ 410.

(7) سورة لقمان، الآيات: 1- 5.

(8) ينظر: جامع البيان: 20/ 124. وينظر أيضاً الآية السادسة والخمسين من سورة يوسف.

المسلك السادس: الصدقة:

والصَّدَقَةُ هي العطيّة التي يُبتغى بِها وجهُ الله؛ فهي إذن إخراج المال تقرُّبًا إلى الله ﷻ[1]، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوَّعِ به، والزكاة للواجب، وقد يُسمَّى الواجب صدقةً إذا تحرَّى صاحبها الصدق في فعله»[2]. ومِمَّا تُنالُ به الرَّحْمَةُ في الدنيا والآخرة: التقرب إلى الله بالصَدَقَةِ المشفوعة بإخلاصِ النيَّةِ، مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[4]. أي: ألا فليعلم هؤلاء التائبون من ذنوبهم، أن الله ﷻ وحده، هو الذى يقبل التوبة الصادقة من عباده المخلصين، ويتقبل الصدقات الطيبة، وأنه سبحانه، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة، العظيم الرحمة بعباده[5].

المسلك السابع: الصبر:

والصَّبْرُ: مصدر صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا، فهو صابِرٌ. ومداره في اللغة على حبس النَّفْس عن الجزع، وهو مأخوذ من قتلِ شَيءٍ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا، أي: حَبْساً. وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه[6]؛ يُقالُ: صَبَرْتُ نَفسي على ذلك الأَمرِ، أَي حَبَسْتُهَا. قَال عنترة بن شداد العبسي:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الجَبَانِ تَطَلَّعُ[7].

---

(1) المقاييس، والمصباح، والمختار/ صدق. والتعريفات: 173، ولغة الفقهاء: 243.

(2) المفردات/ صدق.

(3) سورة التوبة، الآية: 99.

(4) سورة التوبة، الآيتين: 103- 104.

(5) ينظر: الخواطر: 9/ 5474، والمنتخب: 278، والوسيط لطنطاوي: 6/ 398.

(6) المقاييس، والصحاح، واللسان/ صبر.

(7) البيت من الكامل، وهو لعنترة بن شداد العبسي، يذكر حرباً كان فيها، ديوانه: 89.

ومن هذا المعنى اللغوي عُرِّف الصبرُ اصطلاحًا بأنه: «حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره»[1]. وقيل: «حبس النَّفس عَن الجزع والهلع والتشكي، فَيحْبس النَّفس عَن التسخط، وَاللِّسَان عَن الشكوى، والجوراح عَمَّا لا يَنْبَغِي فعله»[2]. والصبر يشمل ثلاثة أنواع، ذكرها السعدي أنَّها: «الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها»[3].

ومن موجبات الرَّحْمة الصبر على الشدائد والمحن، والثبات على أحكام الله ﷻ. قال ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[4].

وقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[5].

ذكر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة صَبْرَ أيُّوبَ عليه السلام وأتبَعَهُ بذكرِ بعض أنبيائه عليهم السلام، الَّذين كانُوا أيضًا مِن الصّابِرينَ على الشَّدائدِ والمِحَنِ والعِبادَةِ، حيث كان جزاؤهم أن أدخلهم في رَحمَتِه.

المسلك الثامن: الاستغفار:

من أسبابِ نيل الرَّحْمَة كثرةُ الاستغفارِ مع الصدق فيه، قال ﷻ في قصة نبيه صالح عليه السلام مع قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[6].

قال السعدي رحمه الله: «أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟ ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن رَحمَةَ الله قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين»[7].

---

(1) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه: 18.

(2) الروح: 241.

(3) تيسير الكريم الرحمن: 529.

(4) سورة البقرة، الآيات: 155-157.

(5) سورة الأنبياء، الآيات: 83- 86.

(6) سورة النمل، الآية: 46.

(7) تيسير الكريم الرحمن: 606.

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾[1]. أي: وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع فيما يأمر به بمشيئة الله، ولو أنَّهم حين ارتكبوا المعاصي جاؤوك فطلبوا المغفرة من الله، وطلبتَ المغفرة لَهم، لتاب الله عليهم بمغفرته ظُلمَهم، ورحِمهم بقبول التوبة والثواب عليها[2].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾[3]. وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[4]. ويلاحظ عند التأمل في الآيات الكريمة، أن الرَّحْمَةَ المرتَّبَة على الاستغفارِ تضم: مغفرة الذنوب، ورفع العذاب، ووفرة الأرزاق، وقوَّة الأجساد، وحصول الأولاد.

المسلك التاسع: اتباع القرآن الكريم:

لقد حثَّ الله عَزَّوَجَلَّ عباده على اتباع كتابه المبارك الذي جعله هادياً إلى صراطه المستقيم، وسبباً لحصول رَحْمَتِه، فقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾[5]. أي: وهذا القرآن كتاب كثير البركة لما هو مشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدينية فاتبعوه بالعمل بِما فيه واتقوا مخالفته والتكذيب بما فيه لعلكم إن قبلتموه و لم تخالفوه ترحمون برَحْمَة الله ﷻ[6]. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن العظيم، والذكر الحكيم. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ أي: فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ الله تعالى أن تخالفوا له أمرا ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ إن اتبعتموه ﴿تُرۡحَمُونَ﴾ فأكبر سبب لنيل رَحْمَة الله اتباع هذا الكتاب، علماً وعملاً»[7].

---

(1) سورة النساء، الآية: 64.

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 185.

(3) سورة النساء، الآية: 105- 106.

(4) سورة النساء، الآية: 110.

(5) سورة الأنعام، الآية: 155.

(6) ينظر: فتح القدير: 2/ 205، وفتح البيان: 4/ 281.

(7) تيسير الكريم الرحمن: 281.

فلما كان القرآن الكريم مشتملاً على الرَّحْمَة كان اتباعه حتمياً على المؤمنين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[1]. وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾[3].

المسلك العاشر: الاستماع والإنصات للقرآن الكريم:

من أهم موجبات الرَّحْمَةِ: الاستِماعُ والإنصاتُ المُؤَدِّيانِ بالسَّامِعِ إلى النَّظَرِ والاستِدلالِ، والاهتِداءِ بما يَحتَوِي عليهِ القُرْآنُ الكريم مِن الدَّلائلِ والآيات المُفْضِيَةِ إلى الإيمانِ باللهِ ورَسُولِه ﷺ. الاسْتِمَاعُ: مصدر اسْتَمَعَ يَستَمِعُ اسْتِمَاعاً، ومداره في اللغة على الإصغاء[4]. ومأخوذ من إينَاسِ الشَّيءِ بالأُذُنِ[5]. والإنصاتُ: مصدر أَنْصَتَ يُنْصِتُ إِنْصاتاً، ومداره على السُّكُوتِ استماعًا[6]. وعليه، فالإنصات أقوى من الاستماع لأن فيه من الاستعداد للقبول، أو من الخشوع ما ليس في الاستماع الذي يتحقق بمجرد الاستعداد لوصول الصوت إلى الأذن[7]. ولعل هذا يفسر تقديم الاستماع على الإنصات في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[8].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، (...) فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدىً متزايداً، وبصيرةً في دينه، ولهذا رتَّبَ اللهُ حصولَ الرَّحْمَةِ عليهما، فدلَّ ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتابُ، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظِّ من الرَّحمَةِ، قد فاته خيرٌ كثيرٌ»[9]؛ فالقرآنُ الكريم رَحمَةٌ، والمستمعُ المنصتُ له مرحومٌ.

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 51.

(2) سورة الإسراء، الآية: 82.

(3) سورة النمل، الآية: 77.

(4) اللسان، والصحاح، والمفردات/ سمع.

(5) المقاييس/ سمع.

(6) المقاييس، والصحاح، وبصائر ذوي التمييز، وعمدة الحفاظ/ نصت.

(7) المعجم الاشتقاقي/ نصت. وذكر عبد الرَّحْمَنِ السعدي والفرقَ بين الاستماع والإنصات، فبيَّن «أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع». تيسير الكريم الرحمن: 314.

(8) سورة الأعراف، الآية: 204.

(9) تيسير الكريم الرحمن: 314.

المسلك الحادي عشر: إقام الصلاة:

ومِن أسبابِ الظَفَرِ بالرَّحْمَةِ: إقام الصلاة بأركانها، وشروطها، وسننها، مصداقا لقوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾[1]. أي: أدوا الصلاة أداءاً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتِها وسننها حتى تثمر الطهر في نفوسكم، وتنالوا الرَّحْمَة[2].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[3]. قوله ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي «يؤدونَها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب»[4].

المسلك الثاني عشر: إيتاء الزكاة:

من أسباب نيل الرَّحمَة: الاستعلاء على الشحِّ، وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة المفروضة، من أموالهم الصامتة كالذهب والفضة والحرث، والناطقة كالأنعام: الإبل والبقر والغنم، على مُستحقيها ممن ليست لهم القدرة على الكسب والعمل كاليتامى والمساكين. والشاهد قوله ﷻ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾[5].

وقال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾[6]. أي: وأعطوا الزكاة المفروضة لأهلها، من الفقراء، والمساكين، واليتامى، وأبناء السبيل، وذوي البؤس والحاجة، لعل الله يرحَمكم فينجيكم من عذابه الشديد[7]. قال مُحَمَّدُ أبو زَهْرَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عبَّر سبحانه بقوله: ﴿وَءَاتُواْ﴾ دون «أدُّوا»، للإشارة إلى أنَّها عطاء يُعطى، ويعطيها المزكي على أنَّها مغنمٌ لا على أنَّها مغرمٌ، وهي تعاونٌ اجتماعيٌّ لا مذلَّة فيه لفقيرٍ، ولا استطالة لغني»[8].

---

(1) سورة النور، الآية: 56.

(2) ينظر: أيسر التفاسير: 3/ 586.

(3) سورة التوبة، الآية: 71.

(4) أيسر التفاسير: 2/ 395.

(5) سورة الأعراف، الآية: 156.

(6) سورة النور، الآية: 56.

(7) ينظر: تفسير المراغي: 18/ 128، وفي ظلال القرآن: 4/ 2530، وأيسر التفاسير: 3/ 586.

(8) زهرة التفاسير: 10/ 5222.

وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

يعني: «والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نُهوا عنه، أولئك سيرحَمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه»[2].

المسلك الثالث عشر: التوبة:

إنَّ مِن مُسْتَجْلِباتِ الرَحْمَةِ: التوبة بعد ارتكاب المعصية، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة، وذلك مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[3].

أي: أنه من عمل منكم خطيئة من غير إرادة تَحدي شرع الله وإنَّما ضعفاً منه وعدم قدرة على التغلب على طبعه، ثُمَّ أقلع عنها نادماً مستغفراً، وأصلح نفسه وعمله فإن الله سيغفر له ويَرْحمُه[4].

وهناك آيات كثيرة أخرى دالة على ذلك أيضا، منها ما جاءت في سياق الحملة على الذين يكتمون الدلالات المظهرات للحق، والعلم الذي تحصل به الهداية إلى الطريق المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، وهم يعلمون! فأولئك عليهم اللعنة من كل مصدر، وتتوجه إليهم من كل لاعن بعد الله؛ فيطردهم الله من رَحمَتِه، ويطاردهم اللاعنون من كل صوب. إلا الذين رجعوا إلى الله بالتوبة وإصلاح العمل، وتبيين القول، وإعلان الحق والعمل بمقتضاه. فأولئِكَ يفتح الله لهم نافذة الأمل، فيرحمهم بقبول التوبة منهم، والإحسان إليهم بالنِّعَم العظيمة[5].

يقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 71.

(2) التفسير الميسر: 198.

(3) سورة الأنعام، الآية: 54.

(4) أيسر التفاسير: 2/ 67،

(5) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 77، وفي ظلال القرآن: 1/ 150، والتحرير والتنوير: 2/ 71، وزهرة التفاسير: 1/ 479.

(6) سورة البقرة، الآيتين: 159- 160.

وقال ﷻ في بيان حكم السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

فمن أقلع عن الذنب، وأصلح الأعمال والعيوب، فإن الله ﷻ يقبل توبته؛ بحسب ما اقتضته حكمته ورَحْمَتُه الواسعة ومغفرته، فهو الغفور كثير التجاوز والغفران، الرحيم الدائم الرَّحْمَة[2].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾[3]. أي «إن الذين استمروا على اتخاذ العجل إلها، كالسامرى وأشياعه، سينالهم غضب عظيم من ربِّهم فى الدار الآخرة، ومهانة شديدة فى الحياة الدنيا، بمثل ذلك الجزاء نجزى كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره. والذين عملوا الأعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصى، ثُمَّ رجعوا إلى الله من بعد عملها، وصدقوا به، إن ربَّك من بعد توبتهم ستَّار عليهم، غفَّار لِما كان منهم»[4].

قال الشيخ الشعراوي: «ومشروعية التوبة نفسها فيها مطلق الرَّحْمَة، ولو لَم يكن ربنا قد شرع التوبة سيستشري شره في السيئة فهذه رَحْمَة بالمذنب، وبالمجتمع الذي يعيش فيه المذنب. (...) التوبة إذن، لَها تشريع من الله، وذلك رَحْمَة، وفعل من العبد بأن يتوب، وذلك هو الاستجابة، وقبول من الله، وذلك هو قمة العطاء والرَّحْمَة منه سبحانه»[5]. ومثل هذه الآية، قول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[6].

وقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾[7]. وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[8]. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾[9].

---

(1) سورة المائدة، الآيتين: 38- 39.

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 231، وزهرة التفاسير: 4/ 2178.

(3) سورة الأعراف، الآيتين: 152- 153.

(4) المنتخب: 230.

(5) الخواطر: 7/ 4368.

(6) سورة التوبة، الآيتين: 103- 104.

(7) سورة النحل، الآية: 119.

(8) سورة الفرقان، الآية: 70.

(9) سورة النمل، الآية: 11.

وفي موضع آخر حثَّ اللهُ ﷻ عباده المذنبين على التوبة، فقال الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

أمَرَ اللهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يُبَشِّرَ عباده الذين أفرطُوا في المَعاصِي واستكثَرُوا مِن الذُّنُوب، بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وعَظِيمِ مغفرتِه؛ فنَهاهم عن القُنُوطِ واليَأس مِن رَحْمَتِهِ ومغفرتِهِ، وأخبَرَهم بما يَجعلُ الرَّجاءَ مكانَ القُنُوطِ فقالَ: إنَّ اللهَ يَغْفِرُ كُلَّ ذَنْبٍ كائِنًا ما كانَ، إلا ما أخْرَجَهُ النَّصُّ القُرآنيُّ وهو (الشِّرْكُ): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[2].

ثُمَّ عَلَّلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذا الكَلامَ بقوله: إنَّهُ كَثِيرُ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ عَظِيمُهُما بَلِيغُهُما واسِعُهُما. يقول أبو الطيب القِنَّوجي: «فَمَن أبى هَذا التَّفَضُّلَ العَظِيمَ والعَطاءَ الجَسيمَ، وظَنَّ أنَّ تَقْنيطَ عِبادِ اللهِ وتَأْييسَهم مِن رَحْمَتِهِ أوْلى بِهِم مِمَّا بَشَّرَهُمُ اللهُ بِهِ، فَقَد رَكِبَ أعْظَمَ الشَّطَطِ وغَلِطَ أقْبَحَ الغَلَطِ؛ فَإنَّ التَّبْشِيرَ وعَدَمَ التَّقْنيطِ هو الَّذِي جاءَت بِهِ مَواعِيدُ اللهِ في كِتابِهِ العَزِيزِ، والمَسلَكَ الَّذِي سَلَكَهُ رَسُولُه ﷺ كَما صَحَّ عَنْهُ مِن قَوْلِهِ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا**»[3]»[4].

المسلك الرابع عشر: الهجرة والجهاد في سبيل الله:

ومن أَسبَاب الرَّحْمَة: الهجرة والجهاد في سبيل الله، و«الهجرة معناها: الانتقال من موضع إلى موضع وترك الأول لإيثار مكاني، والهجر ضد الوصل، والتهاجر التقاطع والمراد بها هنا الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. والمُجاهدة: استخراج الجهد، والجهاد والتجاهد: بذل الوسع»[5].

وقد وردت آياتٌ كثيرة تبين فضل وأهمية الهجرة والجهاد في سبيل الله، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[6].

أي: «إن الذين آمنوا إيماناً خالصاً لوجه الله، وهاجروا لنصرة الدين، وجاهدوا من أجل أن تعلو كلمة الإسلام هؤلاء قد فعلوا كل ذلك وهم يرجون رَحْمَة الله»[7].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 53.

(2) سورة النساء، الآية: 48. وكذلك الآية: 116.

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث قم: 69.

(4) فتح البيان: 12/ 130.

(5) فتح البيان: 1/ 438.

(6) سورة البقرة، الآية: 218.

(7) خواطر الشعراوي: 2/ 935.

وقوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[1]. جاءت الآيات الكريمة في سياق بيان التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه، وإن كان مَعْلُومًا، فصرَّح ﷻ بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالرفعة، ووعدهم بالمغفرة والرَّحْمَة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر، فتبين أن الجهاد في سبيل الله سبب من أسباب نيل الرَّحْمَة[2].

وفي سياق آخر يبين الله ﷻ تفضيل الإيمان والهجرة والجهاد على عمارة المسجد الحرام بالسقاية والحجابة والسدانة، فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[3]. أي: يبشر الله ﷻ المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيله بالرَّحْمَةِ الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم[4].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾[5]. يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ثم إن ربك الذي ربى عباده المخلصين بلطفه وإحسانه لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، وخلى دياره وأمواله طلبا لمرضاة الله، وفتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء الله ليدخلهم في دين الله بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس. فهذه أكبرالأسباب التي تنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورَحْمَتُه العظيمة التي بِها صلحت أحوالُهم واستقامت أمورُ دينهم ودنياهم»[6].

---

(1) سورة النساء، الآيتين: 95- 96.

(2) تيسير الكريم الرحمن: 195، وفتح القدير: 1/ 580.

(3) سورة التوبة، الآيتين: 20- 21.

(4) التفسير الميسر: 190.

(5) سورة النحل، الآية: 110.

(6) تيسير الكريم الرَّحْمَنِ: 450.

المسلك الخامس عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المَعْرُوفُ: اسم جامع، لكل ما عُرف حسنُه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة. أما المُنْكَرُ: فهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة[1]. ومن موجبات الرَّحْمَة: الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ. قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[2]. أي: والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمُرُون الناس بما عرفه الشرع حقاً وخيراً من الإيمان وصالح الأعمال، ويَنْهَوْنَهم عما عرفه الشرع باطلاً ضاراً فاسداً من الشرك وسائر الجرائم، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيدخلهم الله في رَحْمَتِه ويشملهم بإحسانه، فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته[3].

المسلك السادس عشر: إصلاح ذات البين:

ومن الأسباب الموصلة إلى رَحْمَة الله: السعيُ في الصلحِ بين المؤمنينَ عند حدوثِ التنازعِ والخصوماتِ بينهم؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[4]. أي: «إنما المؤمنون إخوة في الدِّين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا، وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحَموا»[5]. قال الطاهر بن عاشور: «وإنَّما اخْتِيرَتِ الرَّحْمَةُ لأنَّ الأمْرَ بالتَّقْوى واقِعٌ إثْرَ تَقْرِيرِ حَقِيقَةِ الأُخُوَّةِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وشَأْنُ تَعامُلِ الإخْوَةِ الرَّحْمَةُ فَيَكُونُ الجَزاءُ عَلَيْها مِن جِنْسِها»[6]. هذا، فقد وردت عدة آيات وأحاديث تبين أهمية إصلاح ذات البين، منها قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[7]. ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: «**لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَا خَيْرًا**»[8].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن: 344.

(2) سورة التوبة، الآية: 71.

(3) ينظر: أيسر التفاسير: 2/ 396، والتفسير الميسر: 198.

(4) سورة الحجرات، الآية: 10.

(5) التفسير الميسر: 516.

(6) التحرير والتنوير: 26/ 245.

(7) سورة الأنفال، الآية: 1.

(8) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إصلاح ذات البين، حديث رقم: 1938.

المسلك السابع عشر: الشهادة فى سبيل الله:

يُطلق مصطلح الشهادة على موت المسلم في سبيل الله، سواء أكان في القتال المشروع؛ لتكون كلمة الله هي العليا، أم في غير قتال، كالموت بالطاعون أو بالغرق أو بالحرق، ونَحو ذلك. والشهادة فى سبيل الله ﷻ من أعظم الأسباب الموجبة للرَّحْمَة، وذلك مصداقا لقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾[1]. أي: «ولئن قُتِلتم - أيها المؤمنون - وأنتم تُجاهدون في سبيل الله أو متم في أثناء القتال، ليغفرن الله لكم ذنوبكم، ولَيَرْحَمَنَّكم رَحْمَة من عنده، فتفوزون بِجنَّات النعيم، وذلك خير من الدنيا وما يَجمعه أهلها»[2].

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفض وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم»[3].

المسلك الثامن عشر: اعتزال الكفار والكفر:

ومن بين الأسباب الموجبة للرحمة: اعتزال الكافرين ومظاهر كفرهم، والبعد عن المعاصي؛ قال ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾[4]. أي: «وحين فارقتم قومكم بدينكم، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش»[5]. «ونَشْرُ الرَّحمَةِ: تَوَفُّرُ تَعَلُّقِها بِالمَرْحُومِينَ»[6]، ولا يتأتى ذلك إلا بالوصلة بالله ﷻ، والعزلة عن غير الله جَلَّجَلَالُهُ[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآيات: 156- 158.

(2) التفسير الميسر: 70.

(3) تيسير الكريم الرحمن: 154.

(4) سورة الكهف، الآية: 16.

(5) التفسير الميسر: 295.

(6) التحرير والتنوير: 15/ 277.

(7) قال القشيري: «من تبرّأ من اختياره فى احتياله، وصدق رجوعه إلى الله فى أحواله، و لم يستعن بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه إلى كنف أفضاله، وكفاه جميع أشغاله، وهيّأ له محلا يتفيؤ فيه فى برد ضلاله، بكمال إقباله». لطائف الإشارات: 382/2.

المسلك التاسع عشر: العَمَلُ الصَّالِحُ:

مِن أسباب استجلاب الرَّحْمَة: العَمَل الصَّالِح الذي يصدِّق الإيمان حسب ما جاء به الشَرعُ، قَالَ ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾[1]. أي: فأما الذين آمَنَت قُلُوبُهُم، وَعَمِلَت جَوَارِحُهُم الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ الخَالِصَة المُوَافِقَة لِلشَّرْعِ، فيدخلهم الله ﷻ في رحمته التي محلها الجنة وما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، وذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر[2].

المسلك العشرون: قيام الليلِ:

من أسباب نيل الرَّحْمَة القنوت في جوف الليل بالقيام والسجود والدعاء، خاشعاً لله ﷻ. قال الحق ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[3]. أي: «أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم مَن هو عابدٌ لربه طائعٌ له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رَحمَةَ ربه؟ قل أيها الرسول: هل يستوي الذين يعلمون ربَّهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون. إنَّما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة»[4].

المسلك الحادي والعشرون: الاعتصام بالله ﷻ:

ومن أسباب نيل الرَّحْمَةِ الاعتصام بحبل الله المتين، والخضوع له، والاعتماد عليه. قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾[5]. أي: «فأما الذين آمنوا به واتبعوا نوره واعتصموا بِحبله فسيدخلهم ربُّهم في رَحْمَتِه وفضله في الدنيا والآخرة ويهديهم إلى صراطه المستقيم، فمن يعمل بالقرآن وحكمه كانت له العزة في الدنيا والكرامة، وفي الآخرة الجنة والرضوان والسلامة»[6].

---

(1) سورة الجاثية، الآية: 30.

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 778، والتفسير الميسر: 501.

(3) سورة الزمر، الآية: 9.

(4) التفسير الميسر: 459.

(5) سورة النساء، الآية: 175.

(6) التفسير الواضح: 1/ 471.

۞ المطلب الثاني: أسبابُ الرَّحْمَة في الحديث الشريف:

المسلك الأول: الانتساب لأمة مُحَمَّدٍ ﷺ:

أكرَم اللهُ أمَّةَ سيدنا مُحَمَّدٍ عن غيرِها من الأمَمِ السَّابقَةِ؛ فرَفَع عنها من الإصر ما كان على مَن سبَقَها، وغفرَ لَها في الدُّنيا قبل الآخِرةِ، وجعل الانتسابَ لها سبباً لنيل الرَّحمَة. فقال النبيُّ ﷺ: «**أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ**»[1].

فقوله ﷺ: «**أُمَّتِي هَذِهِ**»، أي: عُمومُ أمَّتِه من جيل الصَّحابةِ الَّذين معه، إلى آخِرِ الزَّمانِ، وقوله: «**أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ**»، أي: فيها من الرَّحْمةِ بها ما لَم يَكنْ في الأمَمِ السَّابقَةِ؛ ومن تلك الرَّحْمةِ: أنَّ عذابَها في الدُّنيا بما يقَعُ بينهم من حُروبٍ ونَحوِها، وما يَحدُثُ من اضْطراباتٍ في الأرْضِ، بدلا من عَذابِ الآخِرَةِ، الذي أُعِدَّ للكافرين[2]. ومنه تبين أن الانتساب لهذه الأمة موجب للرحمة.

المسلك الثاني: رَحْمَةُ الخلق:

ومن أسباب الرَّحْمَة: رَحْمَة الخلق على اختلاف أنواعها؛ كرَحْمَة الجاهل بالعلم، والذليل بالجاه، والفقير بالمال، والكبير والصغير بالشفقة والرأفة، والعصاة بالدعوة، والبهائم بالعطف...، فأقرب الناس من رَحْمَةِ الله أرحَمهم بخلقه، فمن كثرت منه الرَّحْمَةُ على عباده رَحِمَهُ الله برَحْمَتِه.

ويشهد لذلك قَولُ نَبيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**»[3].

والمقصود بذلك أن الَّذين يَرحمون جميعَ مَن في الأرضِ مِن أنواعِ الخَلْقِ؛ شَفَقةً ورَحْمَةً ومُواساةً، يَرحَمُهم اللهُ، برَحْمَتِه الوَاسِعَة، فيَتفضَّل عليهم بعَفوِه وغُفرانه وإحسانه[4]؛ فليستْ رَحْمَةُ الله ﷻ كرَحْمَةِ المخلوقِ التي هي - في الأصل - رَحْمَةٌ جَعلها الله ﷻ في قلوب عباده ليتراحَمُوا بها، فقَال النَّبيُّ ﷺ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[5].

أخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ رَحْمَةَ الله تَختَصُّ بِمن اتَّصف بالرَّحْمَةِ وتَحقَّق بها؛ فَمَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ[6].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل، حديث رقم: 4278.

(2) مرقاة المفاتيح: 8/ 3372، وشرح سنن أبي داود للعباد: 480/ 34.

(3) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رَحْمَةِ المسلمين، حديث رقم: 1924.

(4) شرح البخاري للسفيري: 2/ 50.

(5) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، حديث رقم: 923.

(6) مرقاة المفاتيح: 3/ 1232، ونيل الأوطار: 4/ 122.

وفي هذا الصدد، قال السَّعْدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فرَحْمَةُ العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تُنال بها رَحْمَةُ الله، التي من آثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرَحْمَةِ الله، والعبد في غاية الضرورة والافتقار إلى رَحْمَة الله، لا يستغني عنها طرفة عين، وكل ما هو فيه من النعم واندفاع النقم، من رَحْمَة الله. فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد منها، فليعمل جميع الأسباب التي تنال بها رَحْمَته»[1]، وليعلم أن الرَّحْمَةَ سلوكٌ عمليٌّ وليست مجرد انفعالات نفسية!

المسلك الثالث: عيادة المريض:

لقد علمنا الشرعُ أن من حقُوق المسلمِ على أخيه المسلِمِ عيادته عند مرضه، لقوله ﷺ: «**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**»[2]، وجعَل اللهُ على عِيادةِ المريضِ أجْرًا عَظيمًا، يُبيِّنُه النَّبيُّ ﷺ، فيقولُ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ**»[3].

وقال خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، مَشَى فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ**»[4].

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ عَادَ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ**»[5].

فقوله: «**مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ**»، أي: في اجتناء ثَمر الجنة، يُقال: خرفت النَّخلة، أي: اجتنيت ثَمرتَها، فيُشَبِّهُ النبيُّ ﷺ مَا يُحْرِزُه عَائِدُ المَرِيضِ مِنَ الثَّوَابِ بِمَا يُحْرِزُه المُخْتَرِفُ مِنَ الثَّمَرِ. وقوله: «**غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ**»، يعني: غطته، وسترته، والمقصود أنَّ الرَّحْمَةَ تغمره غمرًا، أي: تغطيه. وقوله: «**اسْتَنْقَعَ فِي الرَّحْمَةِ**»، أي: غاصَ في الرَّحْمَةِ، أو استقرَّ فيها، وفي هذا تَشْبيهُ الرَّحْمَةِ كأنَّها ماءٌ يُغاصُ فيه، ووَجْهُ الشَّبَهِ هو طَهارَةُ الماءِ وشُمولُه[6]. وهذا دليلٌ على عِظَمِ أجْرِ مَن عادَ مَريضًا؛ فإنَّ الرَّحْمَةَ تَغمُرُه؛ بل يغوص فيها، فيدل ذلك على أنَّ عِيادَةَ المريضِ سَبَبٌ للفوز برَحْمَةٍ عظيمة.

---

(1) بَهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار: 188.

(2) مسند أحْمَد، مسندُ المكثرين من الصَّحَابة، مسندُ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: 8845.

(3) مسند أحْمَد، مسندُ الخلفاءِ الرَّاشدينَ، مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: 612.

(4) مسند أحْمَد، مسندُ الخلفاءِ الرَّاشدينَ، مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: 1166.

(5) مسند أحْمَد، مسند أنس بن مالك ق، حديث رقم: 13673.

(6) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه: 440/1، وفتح الباري: 113/10، وتخريج أحاديث الإحياء: 1215/3.

المسلك الرابع: قيام الليل وإيقاظ الزوجين لبعضهما البعض:

قِيامُ اللَّيلِ شَرفُ المؤمِن، وهو أفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَريضةِ، وقد رغَّب فيه الشرعُ الحنيفُ وبيَّن عظيمَ أجرِه وكثيرَ فَضلِه، ومنه أن النبيَّ ﷺ يَدْعُو الله بالرَّحْمَةِ لِمَنَ قَامَ اللَّيل للصلاة، فقَالَ النبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ رَشَّ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى رَشَّتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ**»[1].

جاء الحديثُ في مقام التَّحْرِيضِ وَالتَّحْضِيض والتَّحْثِيث على القِيَامِ بالعِبَادَاتِ في اللَّيلِ. فقوله: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا**»، خَبَرٌ عَنِ استِحقاقِهِ الرَّحمَةَ واستيجابه لها، أو دُعَاءٌ ومَدْحٌ له بحُسْنِ فعله. وقوله: «**وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ**»، يفيد التعميم لشموله الولد والأقارب. «**فَإِنْ أَبَتْ رَشَّ فِي وَجْهِهَا المَاءَ**»، أي فإن امتنعت عن القيام لغلبة النوم، وكثرة الكسل.. تلطف معها في إيقاظها برش الماء في وجهها ليزول عنها النوم. كذلك إذا قامت المرأة بالسبق، تعمل بنفس الطريقة لإيقاظ زوجها[2].

وفي الحديثِ: حثُّ الأسرةِ على أن يُنشِّطَ بعضُها بعضًا في أداءِ العِباداتِ وأعمالِ التطوُّعِ، وفِيهِ بَيَانُ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ وكمالِ المُلاطفةِ والمُوافقةِ. وفيه تنبيهٌ للأمة بمنزلة قيام الليل والتهجد، وذلك أنه ﷺ لما نال بالتهجد ما نال من الكرامة والمقام المحمود أراد أن يحصل لأمته نصيب وافر، فحثهم على ذلك بألطف وجه. وفيه إشارة إلى أن فضل الله لا يختص بأحد، فقد يكون المرأة سابقة على الرجل[3].

المسلك الخامس: خشية الله والخوف منه:

يَنبَغي للمُؤمِن أن يَكونَ حالُه معَ اللهِ بينَ الخَوفِ والرَّجاءِ؛ يَخافُه فيَتَّقيه ويبتعِدُ عن المعصية، ويَرجو الثَّوابَ منه ﷻ، فيجتهدُ في العملِ، وهو في كلِّ أحوالِه يُسدِّدُ ويُقارِبُ. ولهذا كان الخوف من الله من أسباب نيل الرَّحْمَة. كما جاء في حديثٍ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ ﷻ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**»[4].

(1) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، حديث رقم: 1336.

(2) ينظر: مرقاة المفاتيح: 3/ 928، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه: 1/ 402، ومرعاة المفاتيح: 4/ 230.

(3) ينظر: مرعاة المفاتيح: 4/ 229.

(4) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3478.

قَوْله: «**رَغَسَهُ اللهُ مَالًا**»، أَي: أعطاه الله مالاً فأَكثره وَبَارك له فِيهِ، وَهُوَ من الرغس وَهُوَ البركَة والنماء وَالْخَيْر، وَرجل مرغوس كثير المَال وَالخَيْر. وقوله: «**مَا حَمَلَكَ؟**»، أَي: ما دفعك إلى هَذِه الوَصِيَّة؟ «**قَالَ: مَخَافَتُكَ**»، أَي: حَملني الخَوْف مِنك. وقَوْله: «**فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**»، أَي: استقبله برَحْمَتِه[1]. ففي الحَديثِ: بَيانُ فضل رَحْمَةِ اللهِ ﷻ، والحث على الطمعِ فيها وإن عَظُمَ الذُّنوبُ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ الخَوفِ منَ اللهِ ﷻ، وأنَّه من مَقاماتِ الإيمانِ، ومن أهم أسباب الظفر بالرَّحْمَةُ.

المسلك السادس: صلاة أربع ركعات قبل العصر نافلةً:

رغَّب النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه في النَّوَافِلِ بكُلِّ أنْوَاعِ التَّرغِيبِ، لِما يترتب عليها مِن الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن أعظم النوافل التي حثَّ النَّبيُّ ﷺ عليها صلاة أرْبَعَ ركعاتٍ قبلَ العَصْرِ، فأشار إلى أنَّها تَجلب الرَّحْمَة لِمن صلاها، قال ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا**»[2]. قوله: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً**»، أي: إنسانًا، وهو في معنى الإخبارِ المتَضَمِنِّ للبِشارَةِ، وقيل: هو دُعاءٌ؛ ودعاءُ النبيِّ مُستجَابٌ بإذن الله، وهنا إشارةٌ واضحة إلى رحْمَةِ النَّبيِّ ﷺ؛ حيثُ كان يدعُو لأُمَّتِه بكُلِّ ما ينفعُهم. «**صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا**»، أي: أرْبَعَ ركعاتٍ سُنَّةَ العَصْرِ، وهي مِنَ المستَحَبَّاتِ[3].

فاستئناسا بهذا الحديث يَجب علينا المحافظة على هذه الركعات قدر الاستطاعة، فهي كنْزٌ ثَمينٌ ينبغي للإنسان أن يغتنمه، لما له من أجر وثواب عظيم، وما يترتب عليه من الفوز برَحْمة الله.

المسلك السابع: مجالس الذكر:

ذِكرُ اللهِ ﷻ في جماعة مِن أيسَرِ العِباداتِ، ومعَ ذلكَ فهوَ مِن أعظمِها أَجْرًا؛ إذ يُنالُ به شرفُ الإحاطة بالمَلائكَة، ونعمةُ السَّكينة والطُّمأنينَة، وتَكونُ الرَّحْمَةُ لهم بمَنْزِلةِ الغِطاءِ الشَّامِلِ. ويُباهِي بهم اللهُ مَن عِندَهُ في المَلأِ الأَعلَى مِن المَلائكةِ المُقرَّبين. قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[4].

وقَالَ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[5].

---

(1) عمدة القاري: 16/ 61، وإرشاد الساري: 5/ 436.

(2) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، حديث رقم: 430.

(3) ينظر: مرعاة المفاتيح: 4/ 147، وشرح رياض الصالحين: 5/ 135.

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم: 2700.

(5) سنن أبي داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في ثواب قراءة القرآن، حديث رقم: 1455.

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**... وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[1].

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[2].

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «**وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**» لا يستعمل غشي إلا في شيء شَمل المغشي من جَميع أجزائه»[3]، ولذلك فإن آثار الرَّحْمَةُ تُحيط بهؤلاء المجتمعين على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من كل جانب، فتكون لَهم بمنْزلة الغطاء الشامل لكل ما يحتاجون إليه من إيصال خَيرٍ ودفع شرٍّ. وَالسَّكِينَةُ: هي الوقارُ والخشيةُ؛ يَعني ما يَحصلُ به سكونُ القلبِ والطُّمَأنِينَةُ ونزولُ الأَنوارِ. والمَلائِكَةُ: ملائكةُ الرَّحْمَةِ والبركةِ، يُحيطُون بهم تعظيماً لصنيعهم، فيَحفظونَهم من الآفَاتِ[4].

تَجلى بوضوح أن هذه الأحاديث تدلُّ على فضلِ مجالس الذكرِ، وشرفها عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث يحصل للجالسين فيها هذه الأمور الأربعة المذكورة، وهي: أن الملائكة تُحيط بهم، وتغشاهم الرَّحْمَةُ، وتنْزل عليهم السكينة، ويذكرهم الله فيمن عنده. وهذه الأمور الأربعة لو كان يترتب على مجالس الذكر واحدةٌ منها، لكان هذا دافعًا للمسلم لكي يَحرص عليها، فكيف باجتماعها؟!

المسلك الثامن: صلاة الرسول ﷺ على الميت:

صَلاةُ الجِنازةِ مِن حُقوقِ الميِّتِ المُسلِمِ على المُسلمينَ، وفيها الاستغفارُ والاسترحامُ له. وكان ﷺ يَحرص على الصلاة على الميت من المؤمنين لأن صلاته ﷺ موجبةٌ للرَّحْمَةِ على الميت. عَنْ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَى قَبْرًا جَدِيدًا، فَقَالَ ﷺ: «**مَا هَذَا؟**» قَالُوا: هَذِهِ فُلَانَةُ مَوْلَاةُ بَنِي فُلَانٍ، فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَاتَتْ ظُهْرًا وَأَنْتَ نَائِمٌ قَائِلٌ فَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نُوقِظَكَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: «**لَا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ، فَإِنَّ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ**»[5].

---

(1) سنن الترمذي، أبواب القراءات، حديث رقم: 2945.

(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم: 2699.

(3) شرح الأربعين النووية: 121.

(4) ينظر: مرقاة المفاتيح: 1/ 287، ودليل الفالحين: 7/ 252، ومرعاة المفاتيح: 1/ 308، وشرح رياض الصالحين: 4/ 709.

(5) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، حديث رقم: 2022.

المسلك التاسع: القيام إلى الصلاة:

من موجبات الرَّحْمَة، حسبِ ما جاء في السنة النبوية الشريفة، القيام إلى الصلاة، كما ورد في قول المصطفى ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ، فَلَا يَمْسَحِ الْحَصَى**»[1]. والنهي في قوله: «**فَلَا يَمْسَحِ الْحَصَى**»، أي: فلا يعرض عن الصلاة لأدنى شيء؛ لما فيه من قطع التوجه للصلاة، فتفوته الرَّحْمَةُ المسببة عن الإقبال على الصلاة، وهذا إذا لم يكن لإصلاح محل السجود، وإلا فيجوز مرة بقدر الضرورة. وأما علة النهي ففي قوله: «**فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ**» أي: اسْتَقْبَلَتْهُ الرَّحْمَةُ، وقال الشوكاني: «قوله: «**فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ**» هَذَا التَّعْلِيلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحِكْمَةَ فِي النَّهْيِ عَن المَسْحِ أَن لا يَشْغَلَ خَاطِرَهُ بِشَيءٍ يُلهِيهِ عَن الرَّحْمَةِ المُوَاجِهَةِ لَهُ فَيَفُوتُهُ حَظُّهُ مِنْهَا»[2].

المسلك العاشر: الحلق في الحج أو العمرة:

ومِما تُنال به الرَّحْمَةُ شَعيرةٌ مِن شَعائرِ الحجِّ، التي بِها يَتحلَّلُ المُحرِمُ مِن إحرامِه، وهي: الحلْقُ أو التَّقصيرُ، حيث دعا النَّبيُّ ﷺ للذينَ يَحلِقون شَعْرَهم في مَناسِكِهم أن يَرحَمَهم اللهُ ﷻ، فقَالَ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ**» قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ**» قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ**» قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَالمُقَصِّرِينَ**»[3]. والحلْقُ: هو إزالةُ شَعرِ الرَّأسِ بالكُلِّيةِ، والتَّقصيرُ: هو قصُّ أطْرافِ شَعرِ الرأسِ؛ فدلَّ ذلك على مَشروعيَّةِ الأمرَين، إلا أنَّ الحلْقَ أفضَلُ مِن التَّقصيرِ؛ لأنَّه فِعلُ رسولِ اللهِ ﷺ، ولأنَّ اللهَ ﷻ قدَّمَه في كِتابِه فقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[4]، فظَاهَر رَسُولُ اللهِ ﷺ للمُحَلِّقِينَ بالتَّرَحُّمِ لأنَّهم لَم يَشُكُّوا، بل بادروا إلى الحلق دون أدنى شكوك، أما المقصرين فقد تعاملوا معاملة الشاكين. والحلْقُ يكونُ للرِّجالِ فقط، أمَّا النِّساءُ فلهن التَّقصيرُ[5].

(1) مسند أحْمَد في مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم: 21330.

(2) نيل الأوطار: 2/ 391.

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير، حديث رقم: 318.

(4) سورة الفتح، الآية: 27.

(5) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 15/ 235، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه: 2/ 245.

المسلك الحادي عشر: ضيافة المؤمن:

إنَّ مِن الأخْلاقِ الحَميدةِ، والمَعاني النَّبيلةِ، والصِّفاتِ الأصيلةِ الَّتي حَثَّ عليها النَّبيُّ ﷺ، وتَحلَّى بِها الصَّحابةُ الكِرامُ رضي الله عنهم؛ إكرام الضيف، وبذلك تَحصُلُ له الرَّحْمةُ في الدُّنيا والآخرةِ. فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُضِيفَهُ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُضِيفُهُ، فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا رَحِمَهُ اللهُ؟**» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو طَلْحَةَ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلى رَحْلِهِ[1]. ويتبين من مقال الحديث أن إكرام الضيف خلقٌ كريمٌ يَجلب الرَّحمَةَ لمن يتحلى به[2].

المسلك الثاني عشر: السَمَاحَةُ وَحُسنُ المُعَامَلَة:

السَّمَاحَةُ خُلُقٌ رفيعٌ حضَّ الإسلامُ على التحلي به، لِما له من فوائدٍ عظيمةٍ وثِمارٍ جليلةٍ؛ فما أن يتحلى المؤمن بِهذه الحلية، ويتجمَّل بِهذه السَّجيَّة حتى تظهر آثارها وتؤتي أكلها، على نفسه، وعلى المجتمع حوله، ومن تلك الآثار والفوائد: أنَّها سببٌ للتعرض لرَحْمَةِ الله ﷻ، فأهلها مخصوصون برَحْمَةِ ربِّهم ﷻ جزاء لسماحتهم وحسن تعاملهم مع غيرهم. لذلك دعا النَّبيُّ ﷺ لكل مسلمٍ يلتزم بالسماحة وحسن المعاملة في بيعه وشرائه، واقتضاء ديونه، أن يسبغ الله عليه رَحْمَتَه ونعمته وفضله. فقَالَ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**»[3].

يظهر من مقال الحديث أن النَّبيَّ ﷺ يصور مواطن السماحة وحسن المعاملة تصويراً أدبيًّا بتعبير بلاغي؛ فرتَّب ﷺ الدعاء بالرَّحْمَةِ على السماحة والرفق في البيع والشراء، واقتضاء الدين؛ ليدل على أنَّ السهولة والتسامح سبب لاستحقاق الدعاء، وحصول الرَحْمَة في الدنيا والآخرة[4].

قَوْله: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا**»، خَبَرٌ ويَحتَمل معنى الدُّعَاء، لقرينَة الاسْتِقبَال المُسْتَفَاد من «**إِذَا**»، وتَقييده بالشَّرطِ يُفيد العُمُوم، تَقدِيره: رحم الله كلَّ رجلٍ يكون سَمْحاً. والسَّمْحُ: صفة مشبهة تدل على ثبوت السماح، بمعنى الجواد، يقال: سمح بكذا إذا جاد، والمراد به هنا المساهلة[5].

فدل هذا الحديث على أن السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالِي الأخلاق ومكارمها، في البيع والشراء واقتضاء الديون، سببٌ في نَجاح الإنسان في تِجارته وأعماله، وفوزه برَحْمَة الله.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: 2054.

(2) فتح الباري لابن حجر: 8/ 632.

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف: 2076.

(4) الأدب النبوي: 34.

(5) ينظر: عمدة القاري: 189/11، وإرشاد الساري: 21/4، وشرح رياض الصالحين: 407/5، ومنار القاري: 258/3.

المَبْحَثُ الثَّانِي
مَوَانِعُ الرَّحْمَةِ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ

إن من رَحمَةِ الله على عباده أن هَدَاهم سبيلَيْ الخير والشر، قال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]، أي: عرفنا الإنسان طريق الخير ليسلكه، وطريق الشر ليجتنبه؛ ذلك أن الأشياء تُعرف بأضدادها. وكذا عرَّفهم أسبابَ الظفر برَحمَتِه، للأخذ بها، والأمور التي تسبب منعها ونزعها، للابتعاد عنها. وفي هذا المبحث، نعرض موانعَ الرَحْمَةِ التي أظهرتْها نصوصُ القرآن الكريم والحديث الشريف.

المسلك الأول: الكفر:

والكُفْرُ في اللغة: مصدرُ كَفَرَ يَكْفُرُ كُفْراً، فهو كَافِرٌ. ومداره في اللغة على السَّتْرِ وَالتَّغْطِيَةِ. فيُقال لِمن غطَّى دِرعَه بثوبٍ: كفر دِرعَه، ويُقَالُ: كَفَرَ الغمامُ النجومَ، أي: سترها وغطَّاها[2]. ومنه قول لبيد بن ربيعة:

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا[3].

والكُفْرُ مأخوذٌ حسيا من الكافُور: الوَرَقُ المُغَطِّي لِمَا في جَوفِهِ مِن العُنْقُود، يقول العجاج:

كَالكَرمِ إذ نَادَى مِنَ الكَافُورِ فِي خُشَشَاوَي حُرَّةِ التَحْرِيرِ[4].

والكافر: الزَّارِعِ، لأَنَّهُ يُغَطِّي الحَبَّ بِتُرَابِ الأَرْضِ. وقيل لليل كافرٌ، لأنَّه يسْتُر كل شيء ويغطيه بظلامه، كما يسترُ الثوبُ لابسَه. وكل شيء غطَّى شيئاً فقد كَفَرَهُ. ولهذا سُمِّي جُحودُ النِّعْمَةِ وسَترُها، بترك أداءِ شكرها، كُفْراً. لذا سمي الجاحدُ بوحدانيَّة الله والنبوَّة والشريعة كافراً[5].

وعليه، نقصد بالكُفْرِ في هذا المقام: **جُحُودُ ما جاء في الدِّين تَعَمُّداً واسْتِكْبَاراً**، أي: إنكاره بعد التوصل بصورة صحيحة عنه؛ لذا يربط القرآنُ الكريمُ بين الحكم بالكفر ومعرفة الحق، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[6]، أي: لما جاءهم الذي عرفوه جحدوه[7].

---

(1) سورة البلد، الآية: 10.

(2) ينظر: العين، والجمهرة، والصحاح، والمقاييس، واللسان، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ كفر.

(3) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة العامري، ديوانه: 172.

(4) البيت من الرجز، وهو للعجاج، ديوانه: 224.

(5) ينظر: بصائر ذوي التمييز، واللسان/ كفر.

(6) سورة البقرة، الآية: 89.

(7) ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 601، وزهرة التفاسير: 1/ 311.

ولئن كان الإيمان يوجبُ الرَّحْمَةَ على العبد، فإن الكفر يَمنعه من أن تشمله رَحمَةُ ربِّه ﷻ؛ قال ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

أي: «أفَمَنْ كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه، ويطلب الحق مخلصاً، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذي أنزله الله قدوةً يُتبع ما جاء به، ورَحْمَةً لِمتَّبعيه، كمن يسير في حياته على ضلال وعماية، فلا يهتم إلا بِمتاع الدنيا وزينتها؟! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم، يؤمنون بالنبي والكتاب الذي أنزل عليه. ومن يكفر به مِمن تألبوا على الحق وتَحزَّبوا ضدَّه، فالنار موعده يوم القيامة»[2]؛ فلا ينال الرَّحْمَةَ بسبب كفره!

وقال ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[3]. أي: «عسى ربكم أن يرحَمَكم بعد المرة الثانية إن تبتم، وإن عدتم إلى الفساد عدنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكافرين سجناً ومحبساً»[4].

وقال ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾[5]. أي: «ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أتاني هذا؛ لأني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأني سأرجع إلى ربي، فإن لي عنده الجنة، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد»[6].

---

(1) سورة هود، الآية: 17.

(2) المنتخب: 310.

(3) سورة الإسراء، الآية: 8.

(4) المنتخب: 411.

(5) سورة فصلت، الآية: 50.

(6) التفسير الميسر: 482.

وقال الحق ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1]. أي: يوم القيامة تَبْيَضُّ وجوه المؤمنين، وتَسْوَدُّ وجوه الكافرين، فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لَهم توبيخًا: أكفرتُم بعد إيمانكم، فاخترتُم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم. وأما الذين ابيضَّتْ وجوهم، فهم في جنة الله التي رَحِمهم الله بها، ليكونوا فيها خالدين أبداً[2].

وقال المولى ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾[3]. يعني: «وأقيموا الصلاة تامة، وآتوا الزكاة لِمستحقيها، وأطيعوا الرسول ﷺ؛ رجاء أن يرحَمكم الله. لا تظننَّ الذين كفروا معجزين الله في الأرض، بل هو قادر على إهلاكهم، ومرجعهم في الآخرة إلى النار، وقَبُحَ هذا المرجع والمصير»[4].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾[5]. أي: «أما الذين كفروا بالله وكفروا بالآخرة، والبعث بعد الموت، فهم متنكبون وتاركون عمدا الطريق القويم الموصل إلى جنة الله تعالى»[6]، «ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم مِن قحط وجوع لَتمادوا في الكفر والعناد، يتحيَّرون ويتخبطون»[7].

وقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[8]. يعني: «ولَمَّا حان موعد انتقام الله تعالى منهم، جاءهم العذاب الذي أنذروا به، فنجَّى الله شعيباً والذين آمنوا معه برَحْمَةٍ منه ولطف، وأخذت الكافرين الصيحةُ والرجفة، وأظلهم عذاب من فوقهم، واهتزت بِهم الأرض فأصبحوا جَميعهم هلكى في ديارهم، وهم جالسون على ركبهم، مكبون على وجوههم»[9].

---

(1) سورة آل عمران، الآيتين: 106- 107.

(2) ينظر: التفسير الميسر: 63، والمنتخب: 88، وأيسر التفاسير لأسعد حومد: 399.

(3) سورة النور، الآيتين: 56 -57.

(4) التفسير الميسر: 357.

(5) سورة المؤمنون، الآيتين: 74- 75.

(6) أيسر التفاسير لأسعد حومد: 2627.

(7) التفسير الميسر: 347.

(8) سورة هود، الآية: 94.

(9) أيسر التفاسير لأسعد حومد: 1568.

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

أي: «والذين كفروا بالدلائل التي نصبها الله تعالى في الكون، للدلالة على وجوده ووحدانيته، والدلائل التي أنزلَها على رسله للإرشاد، ولِهداية الخلق إلى سبيل الله، وجحدوا بلقاء الله يوم القيامة، فأنكروا البعث والحساب، أولئك لا مطمع لَهم في رَحْمَةِ الله، لأنهم لَم يَخافوا عقابه، ولَم يرجوا ثوابه، ولَهم عذاب مؤلِم موجع في الدنيا والآخرة»[2].

وقال الحق ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[3]. يعني: «فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده. وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم -تقريعًا وتوبيخًا-: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قومًا مشركين تكسِبون المعاصي ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب؟»[4].

وقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾[5]. أي: «كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدُّوكم يوم «الحديبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدي، وحبسوه أن يبلغ محل نحره، وهو الحرم. ولولا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـــ «مكة» ، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم لم تعرفوهم؛ خشية أن تطؤوهم بجيشكم فتقتلوهم، فيصيبكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم، لكنَّا سلَّطناكم عليهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فيَمُنَّ عليهم بالإيمان بعد الكفر، لو تميَّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم، لعذَّبنا الذين كفروا وكذَّبوا منهم عذابًا مؤلمًا موجعًا»[6].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 23.

(2) أيسر التفاسير لأسعد حومد: 3245.

(3) سورة الجاثية، الآيتين: 30- 31.

(4) التفسير الميسر: 501.

(5) سورة الفتح، الآية: 25.

(6) التفسير الميسر: 514.

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ، المَصْدُوقَ ﷺ صَاحِبَ هَذِهِ الحُجْرَةِ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[1]. أي: لا تُسلَبُ الشَّفَقَةُ وَالمَرْحَمَةُ عَلَى الخَلقِ، إلا مِن كَافِرٍ؛ فيَتعَبُ في الدُّنْيَا ويُعَاقَبُ في الآخرة[2]. من هنا تبيَّن أَنَّ الشَفَقَةَ على الخَلْقِ سَبَبٌ لِنيل الرَّحْمَةِ مصداقا لقوله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**»[3]. بل فائِدَةُ شَفقتِه على غيره راجعَةٌ إليها، لقوله ﷻ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[4]. قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقة الرَّحْمَة إرادة المنفعة وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام»[5].

المسلك الثاني: الظُّلم:

والظُّلْمُ: مصدر ظَلَمَ يَظْلِمُ ظُلْماً، فهو ظَالِمٌ. ومداره في اللغة على الجور ومجاوزة الحد[6]. فدل على وضْع الشَّيءِ في غير موضِعِه المختص به[7]. ومنه قَول العَرَب: مَنْ أَشْبَهَ أَباه فما ظَلَم[8]. معناه: مَن أشبَهَ أَباه فما وضع الشبه في غير موضعه[9]. ومنه قول كعب بن زهير:

أَقُولُ شَبِيهَاتٍ بِمَا قَالَ عَالِماً بِهِنَّ وَمَن يُشْبِهْ أَباهُ فَمَا ظَلَمْ[10].

والظُّلْمُ مأخوذٌ حسيًّا من حجب المستحَق ومنعه؛ كالثلج يَمنع الماءَ الذي وراءه، وهو في ذاته ماء يمتنع شربه. ويقال: ظَلَمَ الأرضَ المطرُ، أي جاء في غير أوانه، وانصبَّ في غير مصبِّه[11]. وعليه، سُمِّي الثلجُ ظَلْماً، لأنه وَضع الماءَ في غير موضعه المستحق، حيث حجبه ومنعه عن الشرب.

من هنا، نقصد بالظُّلْمِ: **التَّعَدِّي عن الحَقِّ إلى البَاطِلِ جَوْراً**؛ سواء أكان ذلك في حدود الله، كالشرك، أم في حقوق الخلق، كأكل أموالِهم بالباطل، أم في حق نفسه، كالإسراف في المعاصي.

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرَّحْمة، حديث رقم: 4942.

(2) مرقاة المفاتيح: 8/ 3113.

(3) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رَحْمَةِ المسلمين، حديث رقم: 1924.

(4) سورة الإسراء، الآية: 7.

(5) فيض القدير: 6/ 422.

(6) ينظر: القاموس المحيط، والمصباح المنير/ ظلم.

(7) ينظر: العين، والجمهرة، والمقاييس/ ظلم.

(8) ينظر: أمثال أبي عكرمة: 67، والفاخر 103، وأمثال ابن رفاعة: 106.

(9) التهذيب، وعمدة الحفاظ/ ظلم.

(10) البيت من الطويل، وهو لكعب بن زهير، يردُّ على مزرد بن ضرار. ديوانه: 83.

(11) ينظر: المعجم الاشتقاقي/ ظلم.

ولما كانت حقيقة الظلم هي وضع الشيء في غير موضعه، نزَّه الله سبحانه نفسَه عنه[1]، وجعله مُحرَّماً بين عباده، ورتب عليه عواقب وخيمة، وأعظمه أنه يَحول بين العبدِ، وأن تتداركه رَحْمَة الله. قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[2]. معناه: «ونُنَزِّلُ من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب مِنَ الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برُقْيتها به، وما يكون سببًا للفوز برَحْمَةِ الله بما فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفارَ عند سَماعه إلا كفرًا وضلالاً؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم»[3].

وقال أصدق القائلين ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾[4]. يعني: «ولو شاء الله أن يَجمع خَلْقَه على الهدى ويَجعلهم على ملة واحدة مهتدية لَفَعل، ولكنه أراد أن يُدخل في رَحْمَتِه مَن يشاء مِن خواص خلقه. والظالِمون أنفسهم بالشرك ما لَهم من وليٍّ يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصيرٍ ينصرهم من عقاب الله تعالى»[5].

وقال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[6]. أي: «يُدْخل مَن يشاء مِن عباده في رَحْمَتِه ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعدَّ للظالِمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا»[7].

المسلك الثالث: النِّفَاقُ:

النِّفَاقُ: مصدرُ نَافَقَ يُنَافِقُ نِفَاقاً، فهو مُنَافِقٌ. ومداره في اللغة على إخْفَاءِ شيءٍ وإغمَاضِهِ. فيقال لِمن يضمر العَدَاوَة وَيُظْهر الصداقة: نافق، أي أظْهر خلاف ما يبطن. ويُقَالُ: نافق اليربوع، وذلك أنه يتخذ لِجُحْرِه أبوابًا متعددةً، فإذا أمد الحارش يده ليأخذه خرج من بعض الأبواب[8].

(1) فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ سورة يونس، الآية: 44.

(2) سورة الإسراء، الآية: 82.

(3) التفسير الميسر: 290.

(4) سورة الشورى، الآية: 8.

(5) التفسير الميسر: 483.

(6) سورة الإنسان، الآية: 31.

(7) التفسير الميسر: 580.

(8) العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والمعجم الوسيط/ نفق.

والنِّفَاقُ مأخوذٌ مِن النَّافِقَاءِ: إِحْدَى جحرَةِ اليَرْبُوع يَكْتُمُهَا ويُظْهر غَيْرَهَا، وَهُوَ مَوْضِعٌ يُرَقِّقُهُ، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ القاصِعاء ضَرَبَ النافِقاءَ برأسه فانْتَفَق، أَي: خَرَجَ[1]. وكذلك المُنَافِقُ، سمِّيَ مُنافقاً لأَنه يُنَافِقُ كَاليَرْبُوعِ وَهُوَ دُخُولُهُ في الدِّين من باب، وخروجُه منه بضربٍ من الحيل[2]. فكما أن ظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وباطنه حفر، كذلك ظاهر المنافق إيمان وباطنه كفر.

وعليه، فالنِّفاقُ المرادُ به هنا: **إِظْهَارُ الإِيمَانِ باللِّسَانِ والجَوَارِحِ وإِبْطَانُ الكُفْرِ وسَتْرُهُ فِي القَلْبِ.** وبتعبير آخر: الدُّخُولُ في الإسلام مِن وَجْهٍ والخروُجُ عَنْهُ مِن آخَرَ؛ الدخول عَلانيةً والخروج سِرًّا. وقد بيَّن القرآن الكريم حقيقته من خلال قول الله ﷻ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[3]. ومعنى الفسق: الخروجُ عن طاعة الله؛ يُقال: فَسَقَ فلان: خرج عن حجر الشَّرع، وذلك من قولهم: فَسَقَ الرُّطَبُ، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر[4].

ومن أضرار النِّفاق: أنه ويُوجب للمُنَافِقِينَ الحسرةَ والندامةَ والطردَ من الرَّحْمَة يوم القيامة؛ ذلك ما بَيَّنَه اللهُ في كتابه العزيز فقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾[5]. أي: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضئ من نوركم، فتقول لَهم الملائكة -على وجه السخرية منهم-: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نورًا، فَفُصِل بينهم بسور له باب، باطنه مِما يلي المؤمنين فيه الرَّحْمَة، وظاهره مِما يلي المنافقين من جهته العذاب»[6].

---

(1) قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: جحرَة الْيَرْبُوعِ سَبْعَةٌ: القاصِعاء والنافِقاء والدامَّاء والراهِطاءُ والعَانِقاء والحَاثياء واللُّغَزُ، وَهِيَ اللُّغَّيْزَى أَيضاً. قَالَ أَبو زَيْدٍ: هِيَ النافِقاء والنُّفَقاء والنُّفَقة والرُّهَطاء والرُّهَطة والقُصَعاء والقُصَعة». اللسان/ نفق. وقال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَخْبرني المنذريُّ عَن ثَعْلَب عَن ابْن الأَعرَابي قَالَ: قُصْعةُ اليربوع: أَن يَحْفر حفيرة ثُمَّ يسد بَابَهَا بترابها، ويسمِّي ذَلِك التُّرَاب الدامَّاء، ثمَّ يَحفِر حَفْراً آخر يُقَال لَهُ: النافقاء والنُّفقة والنَّفق فَلا ينفذُها وَلكنه يَحفرها حتَّى تَرق، فَإِذا أُخِذ عَلَيْهِ بقاصِعائه عَدَا إِلى النافقاء فَضَرَبَها برَأْسِهِ ومَرَقَ مِنْهَا، وتُرابُ النُّفقة يُقَال لَهُ الراهِطاء». التهذيب/ نفق.

(2) الجمهرة، والتهذيب/ نفق.

(3) سورة التوبة، الآيتين: 67- 68.

(4) ينظر: مفردات، وعمدة الحفاظ، وبصائر ذوي التمييز/ نفق. وينظر: مفاتيح الغيب: 2/ 147.

(5) سورة الحديد، الآيات: 13.

(6) التفسير الميسر: 539.

المسلك الرابع: اليأس والقنوط من رَحْمَةِ الله:

ومعناه هنا: انقطاع الرجاء والطمع في حصول رَحْمَةِ الله، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، وخصلة من خصال الكفار والضالين؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]. يعني: لا يقنط من رَحْمَةِ الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به[2]. لذلك نَهى الله ﷻ عن التحلي بهذه الخصلة القبيحة، ورتب عليها عواقب وخيمة، أعظمها وأخطرها: الحرمان من رَحْمَتِه ﷻ. قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[3]. يعني: «قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تَمادَوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئسوا من رَحْمَةِ الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جَميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم»[4]. فاليأس فيه سوء أدب مع الله ﷻ، وكفر بأنعمه ﷻ.

ولما كان اليأس من صفاتِ الضَّالِّين الذين لا يَعْرِفُونَ سِعَة رَحْمَةِ الله وكَمالَ عِلمِهِ وقُدْرَتِهِ، نَفى خليل الله إبراهيم عليه السلام القُنُوطَ عن نفسهِ بأبلغِ وجهٍ أنْ ليس به قُنُوطٌ مِن رَحْمَةِ ربِّهِ ﷻ. قال ﷻ: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[5]. معناه: «قالوا: بشرناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه، فلا تكن مِمن ييأسون من رَحْمَةِ الله. قال إبراهيم: إني لا أيأس من رَحْمَةِ الله، فإنَّه لا ييأس من رَحْمَةِ الله إلا الضالون الذين لا يدركون عظمته وقدرته»[6].

فسوء الظن بالله ليس من صفات المؤمنين، ولا من سجايا المخبتين، لذلك يَجب على العبد ألا يقنط من رَحْمة الله، وأن يُحسن الظنِّ به ﷻ في كل حال، والأمل فيه، ورجاء ما عنده مع الخوف من تَبِعات معصيته؛ فهذا هو شأن المؤمنين الصادقين، ودين المحسنينَ الصالحيين، وقد صدَق اللهُ ﷻ إذ يقول: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾[7].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 87.

(2) التفسير الميسر: 246، والمنتخب: 347.

(3) سورة الزمر، الآية: 53.

(4) التفسير الميسر: 464.

(5) سورة الحجر، الآية: 55- 56.

(6) المنتخب: 378.

(7) سورة الروم، الآية: 36.

المسلك الخامس: تكذيب الآيات و إعراض الناس عنها:

من موانع الرَّحْمَة: تكذيبُ آيات كتاب الله ﷻ وصرفُ الناس عنها، بعد ما تبيَّن أن هذا الكتابَ عظيمُ الشأن، كثيرُ المنافع، مشتملٌ على أنواع الفوائد الدينية والدنيوية؛ فهو البيِّنةُ الفاصلةُ، والحجَّةُ الكاملةُ، وهو هادٍ لِمن اتعظ به، ورَحْمَةٌ لِمن اتبعه. فمن كذَّب بآياته وأعرض عنها، فقد توعده الله ﷻ بأشد العذاب. قال ﷻ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

يعني: «وقد أنزلنا التوراة على موسى إتْماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين، وأنزلناها تفصيلا لكل شيء من التعاليم المناسبة لَهم، وهُدىً إلى الطريق السوي، ورَحْمَةً لَهم باتِّباعه، وذلك ليؤمن بنو إسرائيل بلقاء ربِّهم يوم القيامة ومُحاسبتهم على هذه التكاليف. وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك، مشتمل على الخير الإلهى والمنافع الدينية والدنيوية، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم. أنزلناه حتى لا تعتذروا عن عصيانكم وتقولوا: إن الوحى لم يترل إلا على طائفتين من قبلنا، هم أهل التوراة وأهل الإنجيل، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من إرشاد. وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً: لو أنا أُنزل علينا الوحى الذى نزل عليهم لكنا أكثر منهم هداية وأحسن حالا، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا. لا حُجة لكم بعد اليوم على عصيانكم، ولا محل لقولكم هذا، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون إليه فى دينكم ودنياكم، وهادياً إلى الطريق السوى، ورحمة لكم باتباعه. ولا يَكُنْ أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التى أنزلها فى كتبه، وآياته التى خلقها فى الكون، وأعرض عنها فلم يؤمن و لم يعمل بها، وسنعاقب الذين يعرضون عن آياتنا، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته فى الإيلام، بسبب إعراضهم وعدم تدبرهم»[2].

(1) سورة الأنعام، الآيات: 154-157.

(2) المنتخب: 201.

المسلك السادس: إيذاء الرسول ﷺ:

الإيذَاءُ: مصدر آذَى يُؤْذِي إِيذَاءً، فهو مُؤْذٍ. ومداره في اللغة على إلحاق الضَّرر والأذى. يُقال: آذى الرَّجلُ صاحبَه: أصابه بضرر أو مكروه في جسده أو في مُمتلكاته[1]. وفي الحديث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»[2]. والإيذاء مأخوذٌ من الآذِيِّ: المَوْجُ الشَّدِيدُ المؤذي لركاب البحر[3]! ومنه قول العجاج:

طَحْطَحَهُ آذِيُّ بَحْرٍ مُتْأَقِ لا قَاطِعِ العَينِ وَلا مُرَنَّقِ[4].

وعليه، فإيذاء الرسول المقصود به هنا: **هو عِصْيَانُ مَا جَاءَ بِهِ وإِسَاءَةُ الأَدَبِ مَعَهُ قَوْلاً وفِعْلاً.**

وإذ يُرشِدُنا القرآنُ الكريم إلى التَّحَلِّي بالآداب والأخْلاق الإسلامِيَّةِ، ويُحذرنا عن إيذاء الرسول ﷺ ومعصيته، لما يوجب ذلك من الحرمان من رَحْمَةِ الله. قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[5]. يعني: «ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه، قل لهم -أيها النبي-: إن محمدًا هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يُخبرونه، وهو رَحْمَةٌ لِمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله محمدًا ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء، لَهم عذابٌ مؤلِمٌ موجِعٌ»[6].

المسلك السابع: كِتْمَانُ الحق:

الكِتْمَانُ: مصدر كَتَمَ يَكْتُمُ كِتْمَاناً، فهو كَاتِمٌ. ومداره في اللغة على الإخْفَاءِ والسَتْرِ[7]. يُقال: كَتَمَ السرَّ: سَتَره وأخفاه. وكذلك: كَتَم العِلْمَ والشهادةَ، وهو مأخوذ حسيًّا من الإمساك؛ كإمساك المزادة والسِقاء بسدِّ منافذ الخَرْزِ، فلا يَنضَح الماءَ ولا يُخرج ما فيه من اللبن والشراب[8].

---

(1) اللسان، والمفردات، وعمدة الحفاظ، والمعجم الاشتقاقي/ أذي.

(2) مسند أحْمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 7626.

(3) المفردات، وعمدة الحفاظ/ أذي.

(4) البيت من الرجز، وهو للعجاج، اللسان/ أذي.

(5) سورة التوبة، الآية: 61.

(6) التفسير الميسر: 196.

(7) العين، والمقاييس، والمفردات، وعمدة الحفاظ، وبصائر ذوي التمييز، والمعجم الاشتقاقي/ كتم.

(8) المعجم الاشتقاقي/ كتم.

وعليه، فالمقصود بالكتمان هنا: **إِخْفَاءُ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ ﷻ بَيَانَهُ مِمَّا لَه عَلَاقَةٌ بِأَمْرِ الدِّينِ.** وقد بيَّن الحقُّ ﷻ في كتابه العزيز مصيرَ من يكتم الحقَّ، أو شيئاً من أمور الدين، حيث توعده الله بطرده من رَحْمَتِه ﷻ. وذكر بعضُ المفسرين أن هذه الآيات الكريمة سيقت في شأن أَحْبَارِ اليَهُودِ وَرُهْبَانِ النَّصَارَى الذين كانوا يكتمون الناسَ أمرَ النبيِّ محمد ﷺ، مع أنَّهم يَجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنْجيل، ففضحهم الله ﷻ بها وسجل عليهم وعلى أمثالِهم اللعنة العامة الدائمة[1]؛ فقال المولى جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[2]. أي: «إن الذين يُخْفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة مُحَمَّد ﷺ وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم مِمن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رَحْمَتِه، ويدعو عليهم باللعنة جميع الخلائق. إلا الذين رجعوا مستغفرين الله من خطاياهم وأصلحوا ما أفسدوه وبَيَّنوا ما كتموه، فأولئك أقبل توبتهم وأجازيهم بالمغفرة، وأنا التواب على من تاب من عبادي، الرحيم بِهم؛ إذ وفقتُهم للتوبة وقبلتها منهم»[3].

وصفوة القول، تبين من دراسة أسباب الرَّحْمَة وموانعها في القرآن والحديث، أن أسباب نيل الرَّحْمَة أكثر من موانعِها. ويُستفاد من ذلك أن الله ﷻ يسَّر لعباده كلَّ السُّبُل الممكنة للظفر برَحْمَتِه. وعليه، ينبغي لَهم أن يتسابقوا ويتنافسوا في سلوكها للوصول إلى غاية كل مؤمن قانت لله ﷻ، ويتجنبوا جميع المزالق والهفوات التي قد تَحول دون الوصول إليها؛ فيكونوا من الخاسرين. قال ﷻ عن آدمَ عليه السلام وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[4]. وقال ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5]. وقال ﷻ على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6]. فالرَّحْمَة الرَّحْمَة؛ فبِها ننعم بنعم الله ﷻ في الدارين. قال ﷻ: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾[7]!

(1) ينظر: جامع البيان: 3/ 249، وتفسير المنار: 2/ 40.

(2) سورة البقرة، الآيتين: 159- 160.

(3) التفسير الميسر: 24.

(4) سورة الأعراف، الآية: 23.

(5) سورة الأعراف، الآية: 149.

(6) سورة هود، الآية: 47.

(7) سورة البقرة، الآية: 64.

خاتمة

خَاتِمَة

الحمد لله الذي بفضله وتوفيقه يبلغ ذو القصد تَمام قصده، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وعلى آله وصحبه. وبعد:

هكذا، تَمَّ رسمُ خارطة مفهوميَّة لِمصطلح (الرَّحْمَة)، من خلال نصوص الوحي، وتبين بوضوح أن مَفْهُومَ الرَّحْمَةِ مفهومٌ مفتاحيٌّ مِحوَريٌّ لفهمِ المنطق الذاتي للقرآن الكريم، حيث شكَّل شبكةَ نسيجٍ دلالي تتسعُ لتغطِّيَ أهمَّ المصطلحات الكلية الأصول التي يتأسس عليها التصور الكلي الشامل للدين؛ وبذلك تُمثِّلُ الرَّحْمَةُ البوصلةَ التي تَهتدي بِها معاني القرآن الكريم.

ولما كان للرَّحْمَةِ هذا الدور الفعال وهذا المركز الرائد في منظومة المفاهيم الشرعية، ويكثر السؤال عنها وعن بعض المسائل المتعلقة بِها، جعلناها موضوعاً لِهذه التجربة المتواضعة في مُحاولة تطبيق منهج الدراسة المصطلحية على المفاهيم القرآنية والحديثية، وقد كانت نعم المحاولة حيث إنَّها أثمرت نتائج علمية ذات أهَمية في مجال الدراسة المصطلحية للمصطلحات العلمية، نسوقها مركزة في العناصر الآتية:

أولاً: اتَّخذت الرَّحْمَةُ في القرآن الكريم والحديث الشريف دلالة استمدت أصلها في اللغة من معنى «الرقة والعطف والإحسان»، وتطورت عن مأخذٍ حسيٍّ هو «الاتساع والبَلال المتمثلين في جلد السقاء، ووعاء الجنين»، وتشعبت داخل سياقات النصوص القرآنية والحديثية لتشمل معاني جزئية تَمَّ من خلالِها استخلاص تعريف دقيق للمفهوم وفق إجراءات منهج الدراسة المصطلحية، جاء مسطوراً في هذا البحث على النحو الآتي: «**الرَّحْمَةُ هِيَ: صِفَةٌ إِلَهِيَّةٌ ثَابِتَةٌ تَقْتَضِي إِيصَالَ النَّفْعِ إِلَى العِبَادِ وَدَفْعَ الضَّرِّ عَنْهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». وهذا التعريف يؤكد على أن (الرَّحْمَة) صفةٌ جامعةٌ لكل أنواع الخير والنفع، مانعةٌ لكل أنواع الشرِّ والضَرِّ العائدة على جميع المخلوقات في الدارين، وهذا يعطي إشارة واضحة إلى أن (الرَّحْمَةَ) مصطلح مركزي في منظوم المصطلح الأصل.

ثانياً: تتميز (الرَّحْمَةُ) في القرآن الكريم والحديث الشريف بالغزارة والتشعب والخصوبة، ذلك أنه مصطلحٌ غزير الورود، متنوع الأحوال، متعدد الصفات، وفير العلاقات، كثير الضمائم، كثيف المشتقات؛ إذ يَحتل فضاءً واسعاً في نصوصه، ويتصف بصفات جليلة جزيلة، ويتصاهر مع عدة مصطلحات كلية أصول، وتتفرع عنه مصطلحاتٌ أخرى أساسية، وله القدرة على استيعاب جَميع المصطلحات الدائرة معه في فلكه، ومن ثَم فهو مصطلح ثابتٌ وقويٌّ ومُمتدٌّ ومتشعب.

ثالثاً: انطلاقا من دراسة الوشائج المتعالقة بين الرَّحْمَةِ وأسرتِها المفهومية، تَبَيَّنَ أنَّ الرَّحْمَةَ تتبوأ موقع الصدارة في مجالِها، حيث إن دلالات الألفاظ المتعالقة معها في نصوصها تزداد عمقا وبيانا حين تجاورها، سواء أكانت المجاورة على سبيل التآلف؛ ترادفا أو تعاطفا أو تناظرا، أم على سبيل التخالف؛ تقابلا أو تناقضا، وهو الأمر الذي أكسبه مركزا محوريا ضمن المصطلحات الشرعية الكبرى.

رابعاً: أكدت دراسةُ ضمائم الرَّحمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف على إلَهية الرَّحمَة؛ أي أن الرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق هي صنعة الله ﷻ، حيث تبين من إضافتها لاسم الجلالة، أنَّ الله ﷻ يَملك خزائنها، وله مفاتيح أبوابها، فينشر آثارَها على خلقه أَنَّى يَشَاء، ويُدخل فيها من يشاء. وتبين من إضافة ألفاظ أخرى إليها أن الله ﷻ يؤتيها من يشاء، وينْزِعها ممن يشاء، ويُوكِلُ من يشاء مِن مَلائِكَته بإمدادِها إلى خَلقِهِ، ويَبعث بها من يشاء من رُسُلِه عليهم السلام إلى العَالمِين.

خامساً: كشفت دراسة المشتقات عن المجال الاصطلاحي الذي امتدت فيه دلالة الرَّحْمَةِ، حيث تبين من دراسة مشتقي (ٱلرَّحْمَنِ وٱلرَّحِيمِ) أن الله ﷻ هو المصدر الوحيد للرَّحْمَة، وأنَّهُ ﷻ ما خَلَقَ الخَلْقَ إلا لِيرحَمَهم؛ فهو ﷻ المُفِيضُ لَهم جَلائِلَ النِّعَمِ ودَقائِقها، وكُلُّ ما سِواهُ ﷻ فهو إمَّا نِعْمَةٌ أو مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، إما بالرَّحْمَةِ العامَّةِ فقط، وإما بالرَّحمَةِ العامَّةِ الزَّائلة والخَاصَّةِ الباقِيَةِ معاً. كما دلت دراسة مشتق (ٱلرَّحِمِ) على أسس بناء مجتمعٍ مسلمٍ قويٍّ ومتراصٍ؛ يكون كالجَسَدِ الواحِدِ، لذا حثَّ الإسلامُ على صلة الرحم، وشدد على قاطعها، ووعده بعقوبة شديدة في الدنيا والآخرة.

سادساً: أفاد البحث في أنواع الرحمة وآثارها أن الرَّحمَةَ واسعةُ الأرجاء، كَثِيرَةُ الأجزاء، متعددةُ المَظَاهِر، متنوعة الآثار، لا يَحدها مكانٌ ولا زمانٌ، ولا يستوعبها عدٌّ ولا حصر. فهي في الدنيا عامةٌ مطلقةٌ واسعةٌ كلَّ المخلوقات؛ فينالُها الإنسُ والجنُ والطيرُ والدوابُّ والطائعُ والعاصي، وهي في الآخرة كاملةٌ خاصةٌ متصلةٌ بالسعادة الأبدية التي خصها الله ﷻ عباده المتقين المخلصين؛ فهي نصيب المؤمنين الذين عرفوا ربَّهم ثم استقاموا على طاعته، فآتاهم من لدنه رَحمَةً خاصةً بِهم.

سابعاً: تبين من دراسة أسباب الرَّحْمَة وموانعها في القرآن والحديث، أن أسباب نيل الرَّحْمَة أكثر من موانعِها. ويُستفاد من ذلك أن الله ﷻ يسَّر لعباده كلَّ السُّبُل الممكنة للظفر برَحْمَتِه. وعليه، ينبغي لَهم أن يتسابقوا ويتنافسوا في سلوكها للوصول إلى غاية كل مؤمن قانت لله ﷻ، ويتجنبوا جميع المزالق والهفوات التي قد تَحول دون الوصول إليها؛ فيكونوا من الخاسرين.

ثامناً: تَجلى من مفهوم (الرَّحْمَة) أن التشريعَ الإسلاميَّ الأغر، على غرار إلَهيَّة مصدره، وثبات مبادئه، وتَجدُّد أحكامه، يَمتاز بالرَّحْمَةِ التي تَتجلَّى في مقاصده؛ فهي أساسٌ في فلسفته، ومقصدٌ أوليٌّ في غاياته. يعني، إن الإسلامَ قائمٌ على الرَّحْمَةِ، وهي مَقْصِدٌ ضروريٌّ، لابد منه لقيام مصالح العباد في الدارين، حيث إن الله ﷻ جعل الشريعة مواكبة لأحوال الناس موازنا بين الثابت والمتحول في حياتِهم، فشرَّع لَهم من الأحكام والمبادئ ما يُوصل بِها النفعَ إليهم ويدفع الضر عنهم في الدنيا والآخرة.

وهكذا نَختم هذا البحث الذي أردناه محاولة منا لاستجلاء مفهوم الرَّحْمَة في القرآن الكريم والحديث الشريف بِمنهج الدراسة المصطلحية، وما طُرح فيه يَحتمل الخطأ والصواب؛ فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله وحده وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، ونسأل الله أن يرحَمَنَا رَحمَةً خَاصَّةً تُغْنِينَا عن رَحمَةِ مَنْ سِوَاه. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمَعِين. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[1].

(1) سورة الصافات، الآيات: 180- 182.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية ورقمها	اسم السورة	رقم الصفحة

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)﴾ 1

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(3)﴾ 5

سورة البقرة

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ (31)﴾ 18

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ (35)﴾ 230

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ(36)﴾ 194

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ 299

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ(49)﴾ 217

﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا(61)﴾ 57

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)﴾ 381

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ(83)﴾ 120

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)﴾ 371

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ(96)﴾ 173

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)﴾ ..... 63، 134، 339، 346

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ(112)﴾ 119

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا(124)﴾ 157

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)﴾ 289

﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ ..... 187، 353

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ (160)﴾ ..... 357، 381

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)﴾ 276

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ(178)﴾ ..... 121، 140، 183

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)﴾ 325

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (186)﴾ ..... 230، 232

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (195)﴾ 211

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ(205)﴾ 211

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)﴾ 114

﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)﴾ ..... 57، 228، 252، 347، 359

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ(219)﴾ ..... 139، 140
﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى(237)﴾..... 140
﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241)﴾..... 195
﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ(275)﴾ 177
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ(276)﴾..... 199
﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)﴾ .... 135، 140

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ(4)﴾..... 131
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)﴾..... 210
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)﴾55، 64، 333
﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21)﴾ 160
﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)﴾..... 114
﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45)﴾ 230
﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ(69)﴾..... 174
﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)﴾..... 233
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107)﴾..... 337، 373
﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ(120)﴾ 217
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132)﴾ ..... 76، 349
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ(133)﴾ 88
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ(135)﴾..... 280
﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (136)﴾..... 135
﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)﴾ 103
﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)﴾..... 140
﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)﴾..... 140
﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)﴾..... 136، 362
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ (159)﴾..... 79، 277، 322، 335
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)﴾..... 119
﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ (185)﴾..... 198، 343
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ(188)﴾..... 196
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)﴾..... 280

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ (7)﴾..... 230
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا(36)﴾ 120
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ(48)﴾..... 359
﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ (64)﴾..... 354
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)﴾ ..... 78، 333
﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا (86)﴾..... 120
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ (95)﴾ 360
﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)﴾ 136
﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً (100)﴾ 90
﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106)﴾..... 354
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110)﴾..... 354
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ (113)﴾..... 329
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ(136)﴾ 277
﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138)﴾..... 160
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (165)﴾ ..... 147، 193
﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)﴾.... 193
﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ (175)﴾ ..... 76، 78، 337، 348، 363
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ(176)﴾..... 211

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ(39)﴾..... 358
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ(54)﴾ 174
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ (54)﴾ 222
﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)﴾..... 186
﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ (96)﴾..... 194
﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ (106)﴾..... 186

سُورَةُ الأَنْعَامِ

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ (3)﴾ 226
﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (12)﴾ 85
﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)﴾..... 76، 80، 197، 343
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ(54)﴾..... 62، 66، 357
﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ (57)﴾ 147
﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)﴾..... 149
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ(99)﴾ 57
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (115)﴾..... 180
﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ (133)﴾..... 56، 66، 78، 100، 256، 315
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ(147)﴾ ..... 81، 256
﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)﴾..... 131، 163، 180
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)﴾ .. 52، 57، 76، 350، 354
﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ (157)﴾..... 131، 147، 148، 379

سُورَةُ الأَعْرَافِ

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15)﴾ 92
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)﴾ ..... 136، 381
﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ(49)﴾ 55
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)﴾..... 131، 324، 358
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (54)﴾ ..... 276، 283
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾..... 43، 93، 121، 229، 351
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ(57)﴾ ... 63، 158، 209، 254، 315، 322
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ(63)﴾ ..... 57، 351
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا (72)﴾ 330
﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً (73)﴾ 146
﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ(85)﴾..... 147
﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا (95)﴾..... 140، 219
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (96)﴾..... 239
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)﴾..... 339
﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)﴾..... 147

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ (133)﴾ 162
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (142)﴾ 180
﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ (145)﴾ 162
﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا (146)﴾ 172
﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (146)﴾ 201
﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149)﴾ ..... 136، 381
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)﴾ 136
﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)﴾ 132
﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155)﴾ 136
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ(156)﴾ .....62، 68، 76، 81، 84، 86، 233، 241، 249
﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا (189)﴾ 183
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)﴾ 139
﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)﴾ ..... 132، 143
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا (203)﴾ 324
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)﴾ 355

سُورَةُ الأَنفَالِ

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)﴾ 361
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ (10)﴾ 159
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (33)﴾ 91
﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا (66)﴾ 183

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3)﴾ 160
﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12)﴾ 157
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21)﴾ ..... 161، 190،
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)﴾ 139
﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)﴾ 100
﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)﴾ ..... 52، 349، 356، 357، 361
﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾ 189
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ (84)﴾ 184
﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)﴾ 352

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (103)﴾..... 187
﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)﴾..... 352، 358
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ (111)﴾..... 278
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)﴾..... 298
﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)﴾..... 3
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)﴾..... 114، 323
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ (20)﴾..... 360
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا (68)﴾..... 377
﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ (61)﴾..... 380

سُورَةُ يُونُسَ

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ (12)﴾..... 213
﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ (21)﴾..... 213، 265
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ (26)﴾..... 121
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ (57)﴾..... 177
﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)﴾..... 100، 153، 154
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا (58)﴾..... 63، 124، 132، 235
﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (64)﴾..... 159

سُورَةُ هُودٍ

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)﴾..... 45
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9)﴾..... 265، 267
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10)﴾..... 213
﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (17)﴾..... 157، 372
﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ (28)﴾..... 146، 148، 268
﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47)﴾..... 51، 136، 381
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)﴾..... 210
﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ (53)﴾..... 146
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا (58)﴾..... 80
﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً (63)﴾..... 148، 268
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا (66)﴾..... 80
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ (69)﴾..... 159

﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)﴾ ..... 237، 241
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (87)﴾ 187
﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)﴾ 174
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا (94)﴾ ..... 80، 373
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ (119)﴾ 64
﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)﴾ 177

سُورَةُ يُوسُفَ

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1)﴾ 171
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)﴾ 98
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)﴾ 291
﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)﴾ 159
﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (21)﴾ ..... 331، 347
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي(53)﴾ 64
﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾ 331
﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ(65)﴾ 195
﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ (67)﴾ 249
﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)﴾ ..... 339، 378
﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾ ..... 132، 163

سُورَةُ الرَّعْدِ

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (2)﴾ 276
﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ (17)﴾ 195
﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾ 217

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)﴾ 47
﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)﴾ 160

سُورَةُ الْحِجْرِ

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ ..... 5، 320
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)﴾ 247
﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)﴾ ..... 77، 78، 86، 378

سُورَةُ النَّحْلِ

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾ 338
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾ 5
﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)﴾ 132
﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)﴾ 153
﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾ ..... 132، 160، 192
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً(97) ﴾ ..... 69، 145
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)﴾ 277
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا (110)﴾ 360
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا (119)﴾ 358
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (125)﴾ 208

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (7)﴾ ..... 120، 375
﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)﴾ ..... 69، 372
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ (12)﴾ 172
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (24)﴾ ..... 199، 200
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28)﴾ 64
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ(44)﴾ 68
﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ (54)﴾ ..... 77، 206، 208
﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ (57)﴾ ..... 209، 241، 252
﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (71)﴾ 157
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(82)﴾ ..... 153، 154، 155، 355، 376
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87)﴾ 320
﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ(100)﴾ ..... 67، 245
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (110)﴾ ..... 274، 277

سُورَةُ الكَهْفِ

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)﴾ ..... 202، 204، 268
﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا(14)﴾ 204
﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16)﴾ ..... 203، 251، 362
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)﴾ 118
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ(58)﴾ ..... 66، 256
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)﴾ ..... 166، 268
﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81)﴾ 111
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85)﴾ 331
﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ (98)﴾ ..... 324، 331

سُورَةُ مَرْيَمَ

﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)﴾ ..... 105، 172، 323
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ(64)﴾ 263
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)﴾ 275
﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18)﴾ 277
﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61)﴾ 278
﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)﴾ 279
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)﴾ 286
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2)﴾ 332

سُورَةُ طه

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ (96)﴾ 244
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)﴾ ..... 272، 276، 289
﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)﴾ 276
﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)﴾ 278

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)﴾ ..... 57، 321
﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36)﴾ 281
﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49)﴾ 150
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60)﴾ 281

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66)﴾ 67
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)﴾..... 332، 353
﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)﴾ ..... 151، 268
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(107)﴾.... 54، 76، 91، 95، 105، 170، 262، 322، 323
﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109)﴾..... 230
﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112)﴾ ..... 275، 291، 292

سُورَةُ الحَجِّ

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ(40)﴾.....187
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)﴾ 259
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (78)﴾ 325

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ (24)﴾ 122
﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65)﴾ 49
﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)﴾ ... 49، 64، 77، 373
﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109)﴾ 136
﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)﴾.....136

سُورَةُ النُّورِ

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ (2)﴾ .....112، 115
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (14)﴾.....333
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا (21)﴾ ... 79، 169، 235، 333
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56)﴾ .....349، 356، 373

سُورَةُ الفُرْقَانِ

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (3)﴾ 213
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ(22)﴾.....159
﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26)﴾.....278
﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (48)﴾.....125، 254
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ (60)﴾ ..... 277، 281، 284، 292
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63)﴾ .....276، 286
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا (70)﴾.....219، 358

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾ 301
﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)﴾..... 199
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23)﴾ 96

سُورَةُ النَّمْلِ

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11)﴾..... 358
﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)﴾..... 90
﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)﴾ 90
﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46)﴾ 353
﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63)﴾..... 254
﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77)﴾ ..... 76، 132، 355

سُورَةُ القَصَصِ

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43)﴾..... 132، 143، 324
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا (58)﴾..... 211
﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ (73)﴾ 321
﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (86)﴾ ..... 320، 323

سُورَةُ العَنْكَبُوتِ

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ(7)﴾ 65
﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا (17)﴾ 283
﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21)﴾..... 56، 206، 346
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي (23)﴾..... 374
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (45)﴾..... 186
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51)﴾..... 151، 355

سُورَةُ الرُّومِ

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾ 174
﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ (33)﴾ ..... 77، 213، 265
﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا (36)﴾..... 220، 265، 378
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ (46)﴾..... 158، 265، 322
﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ(50)﴾..... 43، 126، 244، 315، 322

سُورَةُ لُقْمَانَ

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)﴾..... 133، 279، 351
﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7)﴾..... 159
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾..... 200
﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً (20)﴾..... 124

سُورَةُ السَّجْدَةِ

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾..... 209

سُورَةُ الأَحْزَابِ

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً (17)﴾.... 77، 218
﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43)﴾..... 99، 186
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)﴾..... 229

سُورَةُ سَبَإٍ

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)﴾..... 298

سُورَةُ فَاطِرٍ

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا(2)﴾..... 54
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾..... 277

سُورَةُ يسٓ

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)﴾..... 277
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (44)﴾..... 195، 325
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45)﴾..... 351
﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)﴾..... 275
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾..... 143
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)﴾..... 31

سُورَةُ صٓ

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا (8)﴾..... 247، 327
﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9)﴾..... 245، 327
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43)﴾..... 151، 332

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)﴾ 277
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ (9)﴾ ..... 252، 363
﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ(38)﴾ ..... 67، 214
﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (53)﴾ ..... 78، 86، 339، 359، 378

سُورَةُ غَافِرٍ

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا (7)﴾ ..... 166، 318
﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ (9)﴾ ..... 50، 64، 80، 197، 335، 343

سُورَةُ فُصِّلَتْ

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2)﴾ 277
﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى (16)﴾ 209
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا (30)﴾ 336
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ (42)﴾ 5
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ (44)﴾ ..... 153، 155
﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49)﴾ 76
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ (50)﴾ ..... 213، 265، 315، 372

سُورَةُ الشُّورَى

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5)﴾ 297
﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8)﴾ 376
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (23)﴾ 174
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ (28)﴾ ..... 126، 251، 321
﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا (48)﴾ ..... 220، 265

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا (19)﴾ 286
﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)﴾ 244
﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾ ..... 63، 328
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)﴾ 281
﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)﴾ 275
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)﴾ 94

سُورَةُ الدُّخَانِ

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13)﴾ 150

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)﴾ ..... 133، 144

﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ(30)﴾ ..... 64، 76، 197، 337، 348، 363، 374

سُورَةُ الأَحْقَافِ

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (12)﴾..... 76، 157، 160

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (19)﴾..... 100، 276

سُورَةُ الفَتْحِ

﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25)﴾..... 374

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ (27)﴾ 369

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (29)﴾ ..... 76، 110، 115، 221، 244

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾ ..... 350، 361

سُورَةُ قٓ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)﴾ 102

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾ 230

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾ 210

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)﴾ 150

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾ 319

سُورَةُ الطُّورِ

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾..... 303

سُورَةُ النَّجْمِ

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾..... 45

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا (26)﴾..... 278

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾ 233
﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50)﴾ 211
﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)﴾ 277

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ ... 47، 272، 289، 319
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)﴾ 231
﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)﴾ 99

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)﴾ 102

سُورَةُ الْحَدِيدِ

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)﴾ .... 206، 377
﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا (27)﴾ 115
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ(28)﴾ ... 268، 348، 350

سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (22)﴾ 174

سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)﴾ ..... 78، 100
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ (23)﴾ 100

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ (1)﴾ 174

سُورَةُ الصَّفِّ

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)﴾ 180

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)﴾ 320
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (9)﴾ 186
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ (10)﴾ 250

سُورَةُ المُلْكِ

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾ 119

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)﴾ 284

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا (28)﴾ ..... 77، 212

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا (29)﴾ ..... 275، 277

سُورَةُ الحَاقَّةِ

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾ 211

سُورَةُ المَعَارِجِ

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20)﴾ 215

سُورَةُ الإِنْسَانِ

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)﴾ 276

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)﴾ ..... 77، 250، 339، 376

سُورَةُ الانْفِطَارِ

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)﴾ 237

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)﴾ 278

سُورَةُ البُرُوجِ

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)﴾ 174

سُورَةُ الأَعْلَى

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10)﴾ 150

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾ 79

سُورَةُ الفَجْرِ

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)﴾ 215

سُورَةُ البَلَدِ

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6)﴾ 211

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾ 371

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17)﴾ ..... 68، 109

سُورَةُ الضُّحَى

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾ 52

سُورَةُ البَيِّنَةِ

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2)﴾ 147

سُورَةُ النَّصْرِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1)﴾ 228

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)﴾ 227

سُورَةُ النَّاسِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3)﴾ 227

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
«ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ»	65، 80
«خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاحَمُونَ بِهَا»	67
«إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ»	69
«للهِ ﷻ مِائَةُ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ»	78
«فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ»	78، 86
«أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟»	79
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي»	79
«لَقَدْ حَظَرَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ»	81
«إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»	89
«مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ»	89
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»	90
«إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ»	92
«مَنْ أَدَامَ الِاخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ آيَةً مُحْكَمَةً، أَوْ رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً»	92
«عَلِمَ اللهُ يَوْمَ الْغَيْثِ أَنَّهُ لَيُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ»	126
«وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ»	136
«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»	137، 197
«وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ»	137
«وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»	137
«فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»	137
«أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ»	153
«آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»	171
«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ»	175
«أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ»	184، 364

«إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ» 185
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» 185
«ما لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ..... 190، 326
«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ» 206
«الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ» 206
«وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» 206
«يَا أُبَيُّ، إِنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ فَقِيلَ لِي: عَلَى حَرْفٍ، أَوْ حَرْفَيْنِ؟» 206
«سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» 207
«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي» 232
«قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» 235
«السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» ..... 237، 240
«أَقْرِئْهَا السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ» 237
«اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» 238
«وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ» ..... 241، 315
«اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا» 241
«إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» 242
«إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» 242
«إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» 242
«أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ» 248
«اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» 249
«اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ» 251
«دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو» 252
«إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ» 258
«فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ» 258
«كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا» 258

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ» 260
«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ» 260
«وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ» 263
«إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ» 264
«أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟» 267
«وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟» 267
«فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ» 267
«لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» ..... 267، 375
«أَسْأَلُكَ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلَالِكَ» 274
«فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ» 276
«قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» 297
«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» 298
«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي» 300
«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» ..... 306، 364، 375
«الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ» 306
«إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ» 306
«أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي» 306
«نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا» 309
«أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» 309
«تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ» ..... 309، 310
«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» 310
«لَا يَمِينَ عَلَيْكَ، وَلَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ، وَفِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ» 310
«يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» 315
«إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ» 316
«لَقَدْ حَظَرَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ» 318
«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ» 326
«أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» 334
«كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» 334

«يَأْتِي الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ بِالطَّاعُونِ، فَيَقُولُ أَصْحَابُ الطَّاعُونِ: نَحْنُ شُهَدَاءُ» 334
«لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا» 334
«تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ» 337
«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» 338
«اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي» 339
«يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ» 340
«ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ» 341
«إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا» 341
«حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ» 342
«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ» 343
«لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَا خَيْرًا» 361
«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ» 364
«إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ المُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ» 365
«مَنْ عَادَ مَرِيضًا، مَشَى فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ» 365
«وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ» 365
«أَيُّمَا رَجُلٍ عَادَ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ» 365
«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ» 366
«أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا» 366
«رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا» 367
«لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ» 367
«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى..» 367
«وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ» 368
«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ» 368
«لَا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ» 368
«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ» 369
«رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ» 369
«أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا رَحِمَهُ اللهُ؟» 370
«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» 370
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» 380

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

❁ المَتْنُ المَدْرُوسُ:

- **القرآن الكريم**، برواية حفصٍ عن عاصمٍ، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الإصدار الثاني 2016م.
- **الحديث النبوي الشريف**، من خلال الكتب التسعة، بالتركيز على ما ثبت من كلام النَّبيِّ ﷺ، وهي:

1. الجامع الكبير = سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279 هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة: الثانية، 1975 م.
2. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
3. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة 1952م.
4. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
5. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت:303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط2، 1406هـ.
6. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
7. مسند الدارمي المعروف بـــ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255 هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م.
8. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
9. الموطأ، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي- الإمارات، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.

❁ كتب التفسير وعلوم القرآن:

10. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
11. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة الخامسة، 1997م.
12. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس، وأحمد محمد حميدان، وإسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة الأولى، 1425 هـ.
13. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
14. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964م.
15. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: 550هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة: الأولى 1415 هـ.
16. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ/2003م.
17. بحر العلوم = تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل أحْمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ – 1993م.
18. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
19. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376 هـ.
20. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1393 هـ - 1973 م.
21. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984هـ.

22. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.
23. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
24. تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، 1986م.
25. تفسير الشعراوي = الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
26. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ – 1999م.
27. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ– 1997م.
28. التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
29. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان.
30. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ – 1946م.
31. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر– دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.
32. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– السعودية، الطبعة الثانية، 1430هـ – 2009م.
33. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد — بيروت، الطبعة: العاشرة – 1413 هـ.
34. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ – 2000م.

35. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ – 1964م.

36. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

37. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

38. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1992م.

39. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت.

40. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

41. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.

42. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي.

43. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1997م.

44. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (المتوفى: 721هـ)، حققته وقدمت له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1990م.

45. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (المتوفى: 721هـ)، حققته وقدمت له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1990 م.

46. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

47. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدَّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ – 1992م.
48. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
49. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، 1971 م.
50. فصوص الحكم، محيي الدين ابن عربي، دار الكتاب العربي، 1229 هـ.
51. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م.
52. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق- بيروت/القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، 1412 هـ.
53. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.
54. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـــ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2002 م.
55. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيخي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1، 1415 هـ.
56. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ –1998م.
57. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.
58. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى- القاهرة، طبعة 1381هـ.
59. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

60. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

61. مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998م.

62. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1417 هـ.

63. مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.

64. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

65. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر.

66. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م.

67. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ.

68. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى – 1412 هـ.

69. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، 1416 هـ – 1995م.

70. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، طبعة 1405هـ.

71. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ – 1984م.

72. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ - 1984م.
73. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
74. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428هـ-2007م.
75. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

❁ شروح الحديث:

76. الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: 1349هـ)، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، 1423 هـ.
77. الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: 1349هـ)، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الرابع، 1423 هـ.
78. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ.
79. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
80. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 هـ.
81. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة، 1422هـ - 2001م.

82. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية — الخبر، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
83. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702 هـ)، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، 2003 م.
84. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار الثريا للنشر.
85. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.
86. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، طبعة 1426 هـ.
87. شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م.
88. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409 هـ - 1988 م.
89. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
90. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
91. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة الأولى، 1356هـ.
92. قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: الأستاذ الدكتور سعدي الهاشمي، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، مكة المكرمة كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ط. الأولى 1424هـ.
93. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: 1414هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة الثالثة - 1404 هـ، 1984 م.

94. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ -2002م.

95. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، 1410 هـ – 1990 م.

96. المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، 1332 هـ.

97. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

98. نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ – 1993م.

- **معاجم وقواميس لغوية واصطلاحية (وكتب مفردات القرآن الكريم):**

99. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ-1998م.

100. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

101. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م.

102. تَهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

103. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ- 1990م.

104. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ -2000م.

105. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.

106. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

107. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ -1987م.

108. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ؛ معجم لغوي الألفاظ القرآن الكريم، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

109. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر.

110. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

111. كتاب العين، أبو عبد الرَّحْمَن الخليل بن أَحْمَد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 1985م.

112. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

113. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.

114. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986م.

115. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ -2000م.

116. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت صيدا، الطبعة الخامسة، 1999م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.

117. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، محمد حسن حسن جبل (المتوفى: 2015م)، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010م.

118. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، 1412هـ.

119. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008م.

120. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب القاهرة / مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2004 م.

121. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ -1979م.

122. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة: الأولى -1412هـ.

123. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي — قبرص، الطبعة: الأولى، 1407هـ—1987م.

124. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة: الأولى- 1996م.

❁ كتب في الدراسات المصطلحية والمنهجية:

125. تجارب في تأليف المعاجم الاصطلاحية: جهود بعض المؤسسات والأفراد، محمد أزهري، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال مراكش، منشورات فريق البحث في المصطلح والتواصل المعرفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، جامعة السلطان مولاي سليمان. سلسلة: الدراسة المصطلحية، رقم: 2، الطبعة الأولى، 20 يونيو 2020م.

126. التيسير في قواعد علوم التفسير، محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (المتوفى سنة 879 هـ)، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، الطبعة : الأولى سنة 1419 هـ - 1998 م.

127. الدراسة المصطلحية: المفهوم والمنهج، محمد أزهري، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، دار السلام القاهرة، سلسلة: الدراسة المصطلحية، رقم: 1، الطبعة الأولى، 1441هـ- 2020م.

128. المصطلح الأصولي عند الشاطبي، فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى 2010م.

129. دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، دار السلام، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

130. مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني، محمد أزهري، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، الطبعة الأولى 1431هـ- 2010م.

131. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار القلم- الكويت، الطبعة الثانية، 1995م.

132. مفهوم الأمانة في القرآن الكريم والحديث الشريف، عبد القادر محجوبي، دار ابن حزم، الطبة الأولى، 2011م.

133. مفهوم الأمر في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد المجيد بنمسعود، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م.

134. مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، أمحمد الينبعي، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس- المغرب، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.

135. مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية، فريدة زمرد، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط- المغرب، الطبعة الأولى، 1434 هـ- 2013م.

136. مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، محمد البوزي، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م.

137. مفهوم الجهاد في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد الرحمن بوكيلي، مطبعة طوب برس، الرباط، الطبعة الأولى، دجنبر 2015م.

138. مفهوم العمل الخيري في القرآن الكريم والحديث الشريف، محمد أزهري، إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي: الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، مراجعة الدكتور مصطفى فوضيل، منشورات مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة، الطبعة الأولى، 1438 هـ، 2017م.

139. مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، إدريس مولودي، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس- المغرب، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م.

140. مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد المجيد بنمسعود، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م.

141. مفهوم الهدى في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الحبيب مغراوي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة علوم القرآن، سلسلة الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، 1432هـ- 2011م.

142. نظرات في المصطلح والمنهج: دراسة مصطلحية 2، الشاهد البوشيخي، مطبعة آنفو فاس- المغرب، الطبعة الثالثة، 2004م.

❁ مصـادر ومراجع عامة:

143. أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م.

144. الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد 400هـ)، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

145. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.

146. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ.

147. دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1379هـ - 1960م.

148. ديوان امرِئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة — بيروت، الطبعة الثانية، 1425 هـ - 2004 م.

149. الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ-1940م.

150. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م.

151. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

152. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

153. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ 1998م.

154. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

155. المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الثانية، 1987م.

156. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، الحافظ رجب البرسي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: العاشرة، 1422هـ.

157. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة 2001م.

158. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

159. المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله (المتوفى: 403هـ-1012م)، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

160. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

❁ المجلات والدوريات:

161. بُحوث المؤتَمر الدولي عن الرَّحمَة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود، بمدينة الرياض – المملكة العربية السعودية، نُظِّم بتاريخ: 28 و4/29/ 1437 هـ، الموافق: 7 و2/8/ 2016 م.

162. قضايا المصطلح في العلوم الشرعية، أعمال الندوة التي نظمتها كلية الشريعة بآيت ملول- أكادير، بتنسيق مع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، ومعهد الدراسات المصطلحية بفاس، يومي 26 و27 ربيع الأول 1430هـ الموافق لـــ 24 و25 مارس 2009م.

163. مجلة دراسات مصطلحية، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، ومعهد الدراسات المصطلحية بفاس.

❁ مراجع أجنبية:

164. *Analyse littérale des termes dîn et islâm dans le Coran - Dépassement spirituel du religieux et nouvelles perspectives exégétiques*, Cyrille Moreno, Université de Strasbourg, 2016.

165. *La démarche classique de l'exégèse musulmane - Les règles de l'interprétation*, MONNOT Guy, Centre d'études des religions du livre, Collection : Patrimoines religions du Livre, Michel Tardieu (dir.), Paris : Cerf, 1987.

166. *The Concept of Belief in Islamic Theology: A Semantic Analysis of Iman and Islam*, IZUTSU Toshihiko, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2007.

167. *The Development of Exegesis in Early Islam: The Authenticity of Muslim Literature from the Formative Period*, BERG Herbert, Collection: Curzon Studies in the Qur'ān, Richmond: Curzon Press, 2000.

168. *The Function of ḥadīth as Commentary on the Qur'ān, as Seen in the Six Authoritative Collections, Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'ān*, SPEIGHT R. Marston, Andrew Rippin (dir.), Oxford : Clarendon Press, 1988.

فِهْرِسُ المُحْتَوَيَاتِ

البسملة 1
إهداء 2
شكر وتقدير 3
مقدمة 5
كشف الرموز والاختصارات ونظام الإحالات 18

البَابُ الأَوَّل
الدِّرَاسَةُ المُصْطَلَحِيَّة

توطئة 20
❁ **الفصل الأول: تعريف لفظ الرحْمة في القرآن الكريم والحديث الشريف** 21
تمهيد 22
المبحث الأول: الدلالة المعجمية اللغوية والاصطلاحية للفظ الرحْمة..... 23
المطلب الأول: الدلالة المعجمية اللغوية للفظ الرحْمة..... 23
المسلك الأول: مدار مادة لفظ الرحْمة في اللغة..... 23
المسلك الثاني: المأخذ اللغوي للفظ الرحْمة..... 26
المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية للفظ الرحْمة 29
المبحث الثاني: تعريف الرحْمة في القرآن الكريم والحديث الشريف... 36
المطلب الأول: العرض الوصفي لموارد الرحْمة في القرآن والحديث 36
المسلك الأول: توزيع إحصائي لحجم الورود..... 36
المسلك الثاني: توزيع إحصائي لشكل الورود..... 40
المطلب الثاني: دلالات موارد لفظ الرحمة في القرآن والحديث 47
المسلك الأول: دلالات حجم الورود 47
المسلك الثاني: دلالات شكل الورود 49
المطلب الثالث: حد لفظ الرحمة في الاستعمالين القرآني والحديثي 64
المسلك الأول: المعاني والدلالات الجزئية..... 64
المسلك الثاني: شرح عناصر التعريف 68

❁ **الفصل الثاني: مقومات لفظ الرَّحْمَة في القرآن والحديث** 73
تمهيد 74
المبحث الأول: خصائص لفظ الرَّحْمَة في القرآن والحديث..... 75
المطلب الأول: درجة اصطلاحية (الرحْمة) 75
- حجم الورود وشكله..... 75
- جدة الدلالة وقوتها 76
- سعة الدلالة واستيعابُها 76
المطلب الثاني: موقع (الرحْمة) داخل أسرتها المفهومية 77
المطلب الثالث: وظائف (الرحْمة) 80
المبحث الثاني: صفات لفظ الرحمة في القرآن والحديث... 83
المطلب الأول: لفظ (الرحْمة) موصوفاً 83
المسلك الثاني: وصفه بمفرد 83
- الوصف بِالسعة 83
- الوصف بِالهدية 92
- الوصف بِالانتظار 94
المسلك الثاني: وصفه بمركب 96
- الوصف بأنَّها من الله (الرَّحْمَة الإلهيَّة)..... 96
- الوصف بأنَّها للعالمين (الرَّحْمة العالميَّة) 97
- الوصف بأنَّها للمؤمنين (الرَّحْمة الإيمانيَّة) 99
المطلب الثاني: لفظ (الرحْمة) واصفا 103
المسلك الأول: المعطى الإحصائي والشكلي..... 103
- المعطى الإحصائي..... 103
- المعطى الشكلي 104
المسلك الثاني: تحليل المعطيات 105
- الكتب السَّماوية (القرآن والتوراة)..... 105
- الرُّسُل (مُحَمَّد ﷺ وعيسى عليه السلام) 106
- العفوُ عن القصاص..... 107

❁ **الفصل الثالث: علاقات لفظ الرَّحْمَة في القرآن والحديث**.....109
تمهيد 110
المبحث الأول: علاقات الائتلاف... 111
المطلب الأول: علاقة الترادف 111
المسلك الأول: المَرْحَمَةُ 111
المسلك الثاني: الرُّحْمُ 113
المسلك الثالث: الرَّأْفَةُ.....114
المسلك الرابع: الإِحْسَانُ 118
المسلك الخامس: الفَضْلُ.....124
المسلك السادس: الغَيْثُ.....127
المطلب الثاني: علاقة التعاطف 129
المسلك الأول: الهُدَى.....132
المسلك الثاني: المَغْفِرَةُ 136
المسلك الثالث: العَفْوُ 140
المسلك الرابع: بَصَائِرُ 144
المسلك الخامس: بَيِّنَةٌ 147
المسلك السادس: ذِكْرَى 151
المسلك السابع: شِفَاءٌ.....154
المسلك الثامن: إِمَامٌ.....158
المسلك التاسع: بُشْرَى.....160
المسلك العاشر: تَفْصِيل 164
المسلك الحادي عشر: العِلْمُ 167
المسلك الثاني عشر: آيَةٌ.....173
المسلك الثالث عشر: مَوَدَّةٌ.....175
المسلك الرابع عشر: مَوعِظَةٌ.....178
المسلك الخامس عشر: تَمَاماً.....181
المسلك السادس عشر: تَخْفِيفٌ.....184
المسلك السابع عشر: صَلَوَاتٌ 187
المسلك الثامن عشر: رِضْوَانٌ وجَنَّاتٌ 191

المسلك التاسع عشر: تِبْيَاناً 194
المسلك العشرون: مَتَاعاً 196
المطلب الثالث: علاقة التناظر 198
المسلك الأول: الفَوزُ 198
المسلك الثاني: التَرْبِيَةُ 201
المسلك الثالث: الرَشَدُ 203
المسلك الرابع: المِرْفَقُ 205
المبحث الثاني: علاقات الاختلاف 207
المسلك الأول: العَذَابُ 207
المسلك الثاني: الهَلاكُ 213
المسلك الثالث: الضَّرُّ 215
المسلك الرابع: السُّوءُ 219
المسلك الخامس: السَّيِّئَةُ 221
المسلك السادس: الشِّدَّةُ 223
❁ **الفصل الرابع: ضمائم مصطلح الرَّحْمَة في القرآن والحديث** 225
تمهيد 226
المبحث الأول: ما أُضيف إليه الرَّحْمَة 227
❁ **رَحْمَةُ الله** 227
أولا: موارد الضميمة 227
ثانيا: مفهوم اسم الجلالة 228
ثالثا: الصفات 231
- القُربُ 231
- السعة 235
رابعا: العلاقات 237
علاقات الائتلاف 237
- فضل الله 237
- بركات الله 239

علاقات الاختلاف 243
- عذاب الله: 243
- غضب الله 244
خامسا: الضمائم 246
آثار رَحْمَة الله 246
خزائن رَحْمَة الله 247
موجبات رَحْمَة الله 250
أبواب رَحْمَة الله 251
نَشْرُ رَحْمَة الله 253
رجاء رَحْمَة الله 254
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَةِ الله 256
الإدْخَالُ في رَحْمَة الله 257
المبحث الثاني: ما أُضيف إلى الرحْمة 258
❁ **ذُو الرَّحْمَة** 258
أولا: موارده 258
ثانيا: دلالة (ذُو) في اللغة 258
ثالثا: مفهوم الضميمة 259
❁ **مَلَائِكَةُ الرَّحْمَة** 260
أولا: موارده 260
ثانيا: مفهوم (المَلائِكَة) 261
ثالثا: مفهوم الضميمة 262
رابعا: العَلاقَات 262
- مَلائِكَةُ العذاب 262
❁ **نَبِيُّ الرَّحْمَة** 262
أولا: موارده 262
ثانيا: مفهوم (النَّبِيِّ) 263
ثالثا: مفهوم الضميمة 264

❁ **تَنَزُّلُ الرَّحْمَة** 265
أولا: موارده 265
ثانيا: دلالة (التَّنَزُّل) في اللغة 265
ثالثا: مفهوم الضميمة 266
❁ **أَبْوَابُ الرَّحْمَة** 266
المبحث الثالث: ضمائم أُخرى... 267
❁ **إِذَاقَةُ الرَّحْمَة** 267
أولا: موارده 267
ثانيا: دلالة (الإِذَاقَة) في اللغة 268
ثالثا: مفهوم الضميمة 268
❁ **نَزْعُ الرَّحْمَة** 269
أولا: موارده 269
ثانيا: دلالة (النَّزْع) في اللغة 269
ثالثا: مفهوم الضميمة 270
❁ **إِيتَاءُ الرَّحْمَة** 270
أولا: موارده 270
ثانيا: مفهوم (الإِيتَاء) 271
ثالثا: مفهوم الضميمة 271
❁ **الفصل الخامس: مشتقات مصطلح الرَّحْمَة في القرآن والحديث** 272
تمهيد 273
المبحث الأول: ٱلرَّحْمَٰنُ 274
المطلب الأول: تعريفه 274
المسلك الأول: في اللغة 274
المسلك الثاني: في الاصطلاح العام 275
المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي 276

المطلب الثاني: ضمائمه 281
المسلك الأول: الضمائم الإضافية 281
المسلك الثاني: الضمائم الوصفية 290
المبحث الثاني: ٱلرَّحِيمُ 295
المطلب الأول: تعريفه..... 295
المسلك الأول: في اللغة 295
المسلك الثاني: في الاصطلاح العام 295
المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي 296
المطلب الثاني: ضمائمه 298
1. ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ 298
2. ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ..... 300
3. ٱلعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ..... 302
4. ٱلبَرُّ ٱلرَّحِيمُ 304
المبحث الثالث: ٱلرَّحِمُ 307
المطلب الأول: تعريفه..... 307
المسلك الأول: في اللغة 307
المسلك الثاني: في الاصطلاح العام 307
المسلك الثالث: في الاستعمالين: القرآني والحديثي 308
المسلك الرابع: وصفه 308
المطلب الثاني: ضمائمه 309
1. صِلَةُ ٱلرَّحِم 309
2. قَطِيعَةُ ٱلرَّحِم..... 312

البَابُ الثَّانِي
التَّفْسِيرُ المَوْضُوعِيّ

توطئة 315
الفصل الأول: أنواع الرَّحْمَة وآثارُها في القرآن والحديث 316
تمهيد 317
المبحث الأول: الرحْمة الدنيوية وآثارها 319
المطلب الأول: مفهوم الرَّحْمَة الدنيوية 319
المسلك الأول: الدُّنيَا لغة 319
المسلك الثاني: الدُّنيَا اصطلاحاً 320
المطلب الثاني: آثار الرحْمة في الدنيا 320
المسلك الأول: الآثار العامة 321
المسلك الثاني: الآثار الخاصة بالأنبياء 329
المسلك الثالث: الآثَارُ الخاصة بالمؤمنين 335
المبحث الثاني: الرحْمة الأخروية وآثارها 338
المطلب الأول: مفهوم الرحْمة الأخروية 338
المسلك الأول: الآخرة لغةً 338
المسلك الثاني: الآخرة اصطلاحاً 338
المطلب الثاني: آثار الرَّحْمَة في الآخرة 339
المسلك الأول: الآثار العامة 339
المسلك الثاني: الآثار الخاصة 351

الفصل الثاني: أسباب الرَّحْمَة وموانعها في القرآن والحديث 346
تمهيد 347
المبحث الأول: أسباب الرحْمة في القرآن والحديث 348
المطلب الأول: أسبابُ الرَّحْمَة في القرآن الكريم 348
المسلك الأول: المشيئة الإلَهيَّة 348
المسلك الثاني: الإيمان 349
المسلك الثالث: الطاعة 351

المسلك الرابع: التقوى 352
المسلك الخامس: الإحسان 353
المسلك السادس: الصدقة 354
المسلك السابع: الصبر 354
المسلك الثامن: الاستغفار 355
المسلك التاسع: اتباع القرآن الكريم 356
المسلك العاشر: الاستماع والإنصات للقرآن الكريم 357
المسلك الحادي عشر: إقام الصلاة 358
المسلك الثاني عشر: إيتاء الزكاة 358
المسلك الثالث عشر: التوبة 359
المسلك الرابع عشر: الهجرة والجهاد في سبيل الله 361
المسلك الخامس عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 363
المسلك السادس عشر: إصلاح ذات البين 363
المسلك السابع عشر: الشهادة فى سبيل الله 364
المسلك الثامن عشر: اعتزال الكفار والكفر 364
المسلك التاسع عشر: العَمَلُ الصَّالِحُ 365
المسلك العشرون: قيام الليلِ 365
المسلك الحادي والعشرون: الاعتصام بالله ﷻ 365
المطلب الثاني: أسبابُ الرَّحْمَة في الحديث الشريف 366
المسلك الأول: الانتساب لأمة مُحَمَّدٍ ﷺ 366
المسلك الثاني: رَحْمَةُ الخلق 366
المسلك الثالث: عيادة المريض 367
المسلك الرابع: قيام الليل وإيقاظ الزوجين لبعضهم 368
المسلك الخامس: خشية الله والخوف منه 368
المسلك السادس: صلاة أربع ركعات قبل العصر نافلةً 369

المسلك السابع: مَجالس الذِّكر 369
المسلك الثامن: صلاة الرسول ﷺ على الميت..... 370
المسلك التاسع: القيام إلى الصلاة..... 371
المسلك العاشر: الحلق في الحج أو العمرة..... 371
المسلك الحادي عشر: ضيافة المؤمن 372
المسلك الثاني عشر: السَمَاحَةُ وَحُسنُ المُعَامَلَة 372
المبحث الثاني: موانع الرحْمة في القرآن والحديث 373
المسلك الأول: الكفر 373
المسلك الثاني: الظُّلم..... 377
المسلك الثالث: النفاق 378
المسلك الرابع: اليأس والقنوط من رَحْمَةِ الله 380
المسلك الخامس: تكذيب الآيات و إعراض الناس عنها 381
المسلك السادس: إيذاء الرسول ﷺ..... 382
المسلك السابع: كِتْمَانُ الحق..... 382
خاتمة 384

الفَهَارِسُ العَامَّةُ

فهرس الآيات القرآنية 389
فهرس الأحاديث النبوية 406
فهرس المصادر والمراجع 410
فهرس المحتويات..... 424

***